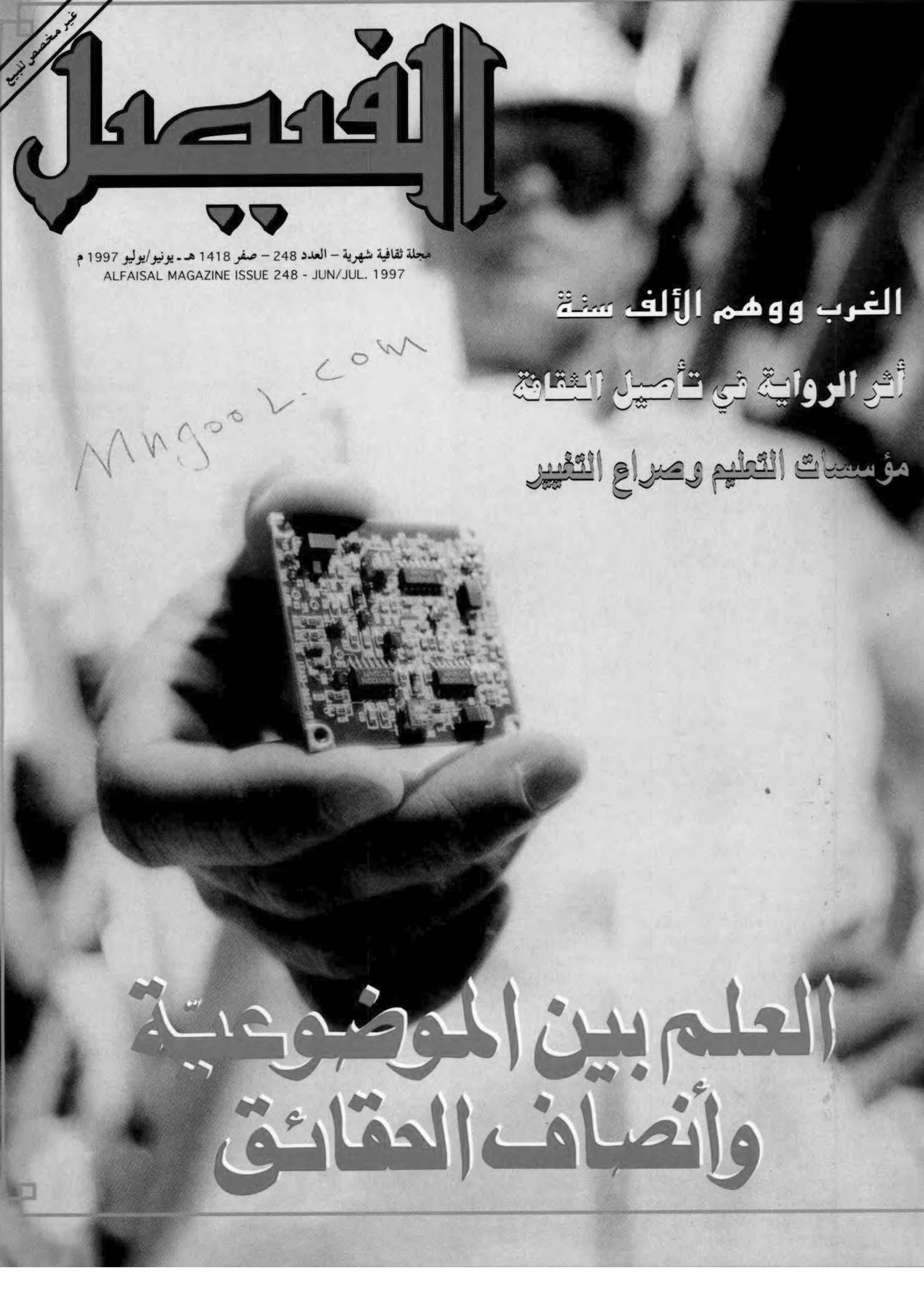
الفيصل

مجلة ثقافية شهرية – العدد 248 – صفر 1418 هـ - يونيو/يوليو 1997 م
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE 248 - JUN/JUL. 1997

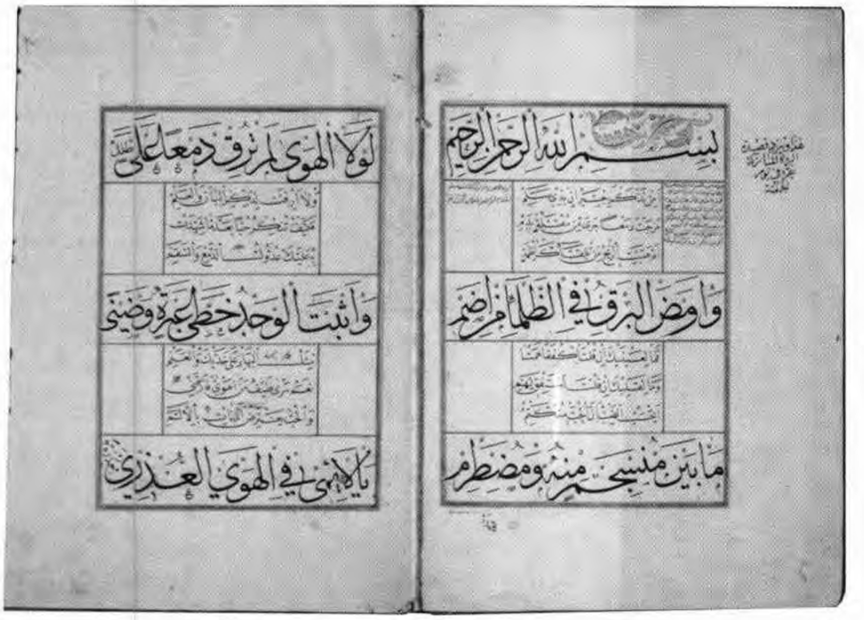


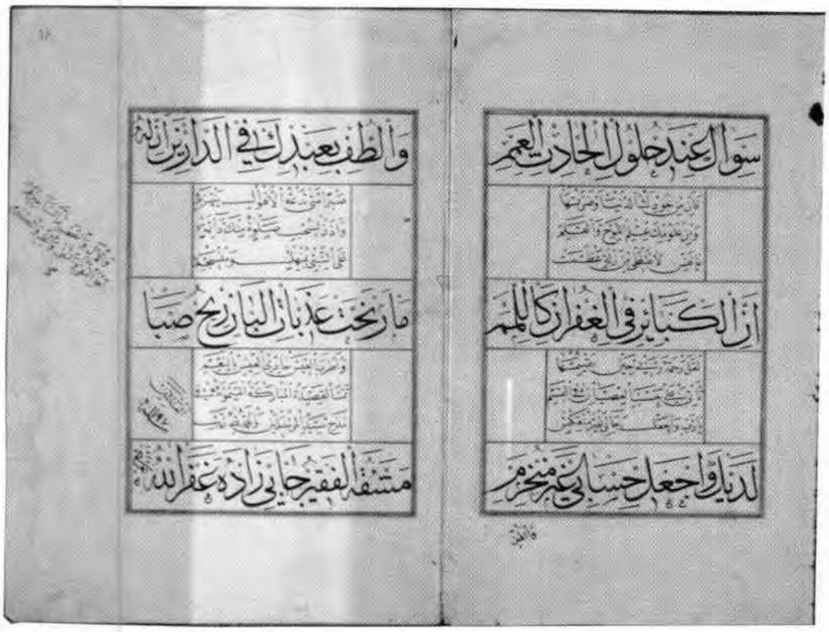
الغرب ووهم الألف سنة

أثر الرواية في تأصيل الثقافة

مؤسسات التعليم وصراع التغيير

العلم بين الموضوعيّة وأنصاف الحقائق





الكواكب الدرية في مدح خير البرية (البردة)

نظم: شرف الدين أبي عبدالله محمد بن سعيد البوصيري (608-696هـ=1212-1296م)

تقع هذه القصيدة المشهورة بالبردة الميمية في مئة بيت واثنين وستين بيتًا، منها اثنا عشر بيتًا في المطلع، وستة عشر في ذكر النفس وهواها، وثلاثون في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وتسعة عشر في مدح القرآن، وثلاثة عشر في ذكر معراج النبي صلى الله عليه وسلم، واثنان وعشرون في جهاده، وأربعة عشر في الاستغفار، وتسعة في المناجاة.

وهذه القصيدة الزهراء والمدحة الغراء نالت من الشهرة مبلغًا كبيرًا، وتناولها العلماء والشعراء كثيرًا بالشرح والتعليق والتخميس والمعارضة.

كُتبت على ورق مشرقي على يد جابي زاده بخطي الثلث والنسخ سنة 1197هـ. وقد شاع هذا النمط من الكتابة في العصرين المملوكي والتركي، ولاسيما في كتابة المصاحف والأشعار.

وقد حُليت بالجداول المذهبة والمحبرة بالمداد الأسود، كما زُخرفت الورقة الثانية فيها برسوم مذهبة. وتقع المخطوطة في 18ورقة، مسطرتها 9 أسطر ومقاسها 27× 19,2سم.

والمخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم 2502.

إعداد: **فراج عطا سالم.**

في العدد القادم:
- زهور فان جوخ.. قراءة في كتاب الطبيعة.
- من الأشعة السينية إلى الكواركات.
- الأدب المقارن العربي.. إلى أين؟

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير

د. زيد بن عبد المحسن الحسين



عن العدد الماضي

لا إخال أن مجلة «الفيصل» الأثيرة في حاجة إلى ثناء أو إطراء، فشهرتها بين المثقفين وسعة انتشارها يشهدان بمنزلتها السامية، وتربعها على عرش الكلمة الرصينة الهادفة وسط كم هائل من غثاء الكلم وزبد المعالجة.

ولا عجب بعد ذلك إذا كنت أحد قرائها المشغوفين بها، الحريصين على اقتنائها؛ نظرًا لما تحمله بين طيات صفحاتها من ثقافة ومعرفة.

في إطلالة العدد استطاع رئيس التحرير من خلال طرقه لموضوع مهم وخطير أن يعالج الخطأ الذي وقع فيه كثير من الناس بزعمهم أن الاستنساخ الحيوي يجعل من المستنسخ صورة طبق الأصل من المستنسخ منه في المشاعر والأحاسيس والأفكار متجاهلين في ذلك تأثيرات الأسرة والبيئة.

وما أجمل استدلاله بالآيتين الكريمتين من سورة نوح في تقرير ما ذهب إليه من تنزيل بعض الصفات المكتسبة منزلة الموروثات الفطرية في النفوس البشرية. يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ولا يَلِدُوا إلاَّ فاجرًا كفَّارًا: «أي فاجرًا في الأعمال، كافر القلب، وذلك لخبرته بهم، ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عامًا»(1).

وإضافة إلى هذه الإطلالة المشرقة، فقد حفل العدد بالكثير من الموضوعات المتنوعة الشائقة، ولكن أود أن أركز على موضوعين: الأول: كتبه الدكتور عائض الردادي بعنوان: «الهجرة إلى المدينة وحي لا خيار فيه». واستوقفني هذا المقال من بدايته عندما ذكر الكاتب أن سبب كتابته هو ما دار في مجلس ثقافي من نقاش حول هذا الموضوع. وسارع إلى خاطري سؤال عن دور المؤسسات الثقافية الرسمية في بلادنا في التعريف بهذه المجالس، وتطويرها، وتوفير الدعم المادي والمعنوي لها حتى تضطلع بدورها الثقافي المأمول منها، وحتى تغدو هذه المجالس منتديات ثقافية فكرية يؤمها المفكرون والمثقفون والمبدعون على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم.

وبحكم التخصص، استرعى انتباهي مقال الدكتور إبراهيم بن عويض العتيبي عن: «بدايات تاريخ المطابع والنشر في المملكة»، وعلى الرغم من الإشارات السريعة الموجزة في معالجة هذا الموضوع المتشعب إلا أنها كانت مفيدة في التعريف ببدايات الطباعة في المملكة. وقد أحسن الكاتب صنعًا في بحثه عن الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق ضرورة الاعتناء بجمع الوثائق، وحفظها، وتهيئتها للاستفادة منها في أغراض البحث العلمي، ومن ثم نشر الوثائق المهمة منها.

وختامًا؛ فلا يعني وقوفنا على هذه الموضوعات دون غيرها تفضيلاً لها، بل إن العدد بكامله حوى تنوعًا ثقافيًا متميزًا. فللمشاركين فيه، ولهيئة التحرير ورئيسه التحية والتقدير.

د. حمادي علي محمد

مكتبة الملك فهد الوطنية

هامش:

1ـ تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، 1407هـ، ج4، ص428.

ملاحظات عامة:

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

1 ـ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

2 ـ ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

3 ـ حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

4 ـ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري ـ إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

5 ـ الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (3) الرياض 11411 ـ المملكة العربية السعودية

هاتف 4653026 ـ 4653027 ـ 4647884 ـ فاكسملي: 4647851

ردمد 1140 ـ 0258 رقم الإيداع 14/0542

الاشتراكات السنوية:

للأفراد 150ريال سعودي، للمؤسسات 250 ريال سعودي.

الإعلانات:

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار

السعودية 8 ريالات ـ الكويت 650 فلس ـ الإمارات 7 دراهم ـ قطر 7 ريالات ـ البحرين 750 فلس ـ عُمان 750 بيسة ـ الأردن 500 فلس ـ اليمن 40 ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان 150 جنيه ـ المغرب 8 دراهم ـ تونس 600 مليم ـ الجزائر 10 دنانير ـ العراق 400 فلس ـ سورية 30 ليرة ـ ليبيا 800 درهم ـ موريتانيا100أوقية ـ الصومال 2000 شلن ـ جيبوتي 150 فرنك ـ لبنان مايعادل 4 ريالات سعودية ـ الباكستان 20 روبية ـ المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

البريد

تنوع وشمولية

تصفحت العدد 242 الذي يعد ثاني عدد أحصل عليه من مجلة «الفيصل»، فكان حافزًا لي إلى مداومة الاطلاع عليها، لما حفل به ذلك العدد من كتاب أفاضل، وموضوعات شائقة، وأساليب رائعة، وشمول في التناول.

المكرم رئيس التحرير: إنني أحيي فيك روح الوفاء والإخلاص، وقد طالعت إطلالتكم بعنوان «هكذا يزداد الفقير فقرًا»؛ فكم كنت رائعًا في المعالجة وجمال الأسلوب.

والمجلة من جميع جوانبها رائعة وممتازة شكلاً ومضمونًا وتنوعًا في الموضوعات (لغة، تربية، مجتمع، علوم، تراث وتاريخ، شخصيات، شعر، قصة)؛ فشكرًا لكم على هذا النبع الصافي العذب، ودمتم أوفياء لقرائكم الأعزاء، ولكم مني الاحترام والدعاء بالتوفيق.

زمالد مختار بن محمد الهادي
كشك متعدد الخدمات، حي 120 مسكن.
ص.ب 18، تبسة 12000، الجزائر.

الشيخ الحصين وإجابات موفقة

أشكر لكم استحداثكم باب «منتدى الفيصل» الذي جمعنا وسيجمعنا ـ نحن القراء ـ مع قادة الفكر والرأي.

كما أرجو منكم التكرم بإبلاغ معالي الشيخ صالح الحصين خالص الشكر والتقدير على إجاباته الموفقة جدًا، هذه الإجابات التي كشفت في الحقيقة عن سعة أفق صاحبها وثقافته، كما كشفت عن منهجية وموضوعية في التفكير الفقهي، وتناول المشكلات المعاصرة بطريقة جديدة تستفيد من التراث بقصد وحكمة بما ينفع الواقع. فجزاه الله خيرًا.

حسام زمان
ص.ب 4711، المدينة المنورة.

أين كنت ؟

قرأت العدد 246 من مجلة الفيصل استجابة لنصيحة من أحد الزملاء، وإذا بي أفاجأ بموسوعة علمية أدبية شاملة تنقلني إلى عالم غني بالمعلومات، ولا أدري أين كنتُ؟ وكيف كنت غائبًا عن هذا الزاد الأدبي الرفيع المستوى؟ لقد أصبحت من قراء هذه المجلة الموسوعة، وهذه ليست مجاملة، وإنما هي حقيقة، لابد أن تقال عن مجلتكم الغراء.

محمد فتحي خلف عبدالعاطي
قرية بردنوها، مركز مطاي
محافظة المنيا، مصر.

الشيخ الحصين والدعوة إلى المجمع الفقهي

تحية ملؤها الحب والتقدير لكل من يشارك في إعداد هذه المجلة الرائعة التي ازدادت تألقًا بعد إضافة باب «منتدى الفيصل»، الذي هو بحق نقلة نوعية في تطوير مجلتنا الغراء.

لقد سمعنا وقرأنا عن «دوللي» نعجة القرن العشرين التي أثارت ضجة علمية وإعلامية، حيث توالت ردود الأفعال من كل صوب وحدب، ومن تلك، دعوة الفاتيكان إلى حظر الاستنساخ البشري.

و لكن المشكلة أن المسلم العادي لا يعرف رأي الإسلام وحكمه في هذه القضية، لأن النصراني إذا كان يأخذ الفتوى من الفاتيكان، فإن المسلم لا يجد جهة مماثلة يحتكم إلى رأيها، لذلك، فقد أعجبني ما أورده معالي الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين حول ضرورة إنشاء مجمع فقهي يضم المجتهدين من علماء المسلمين، وكذلك قرأت رأيًا مماثلاً للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في إحدى المجلات، فإذا كان علماء المسلمين ـ وهم كثر والحمد لله ـ قد اتفقوا على أهمية هذا المجمع الفقهي وفائدته، فماذا ينتظر المسلمون؟

إنني من هذا المنبر أدعو كل مسلم يجد في نفسه القدرة والإمكانات إلى طرح هذه المبادرة على علماء المسلمين، وإني لأرى مركز الملك فيصل جديرًا بأن يتقدم بهذه المبادرة، وأن يعمل على تحويلها من حلم إلى حقيقة، وفقنا الله وإياكم إلى كل خير.

محمد عبدالغفار الرفاعي
ص.ب 36292، دمشق، سورية.

مواقف من السيرة

قرأت في العدد 245 لشهر ذي القعدة 1417هـ مقال فضيلة الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي بعنوان «مواقف من السيرة النبوية»، ولقد أعجبتني كثيرًا استنباطاته من حوادث السيرة النبوية، وهي بحق مبادئ يجب أن يتحلى بها الدعاة من المسلمين، وأكثر ما أعجبني في المقال توضيحه لمبدأ الجهر بالحق ولو خالف جماهير الناس.

فأرجو من مجلتكم الغراء إغناء جماهيرها بمثل هذه المقالات التي تكون زادًا لطلاب العلم وتوجيهات لهم.

عمار بن سليمان منصور
كلية الشريعة، السنة الثالثة، دمشق، سورية.

وردت رسائل كثيرة من الإخوة القراء لم تتسع لها المساحة المحددة للبريد، وسيتوالى نشرها في الأعداد القادمة

الكلمات المتقاطعة في «الفيصل»

بحرص شديد نتابع مجلتكم الكريمة «الفيصل» لما تحويه من مواضيع مفيدة، ولما تتميز به من بين سائر المجلات بالجدية والموضوعية والعمق؛ إلا أنها تصل إلينا متأخرة جدًا في الأحساء. فأنا أكتب إليكم هذه الرسالة في يوم السبت الموافق 1417/12/12هـ ولمّا تصل بعد، فما السبب؟ وقد كتبت إليكم عن ذلك والنتيجة زيادة في التأخر، وتعلمون ـ سلمكم الله ـ أن المجلات وغيرها من الصحف يجب أن تتميز بسرعة وصولها إلى القارئ حيث يكون حريصًا عليها أول صدورها.

ثمة أمر آخر أحببت التعريج عليه: لماذا لا يكون في المجلة الكريمة مجلة «الفيصل» في استراحة المجلة ركن للكلمات المتقاطعة، فهي علاوة على كونها تسلية، فإنها تغني معلومات القارئ، وتحرك الذهن وتنشطه وتجعله متقدًا، وتؤدي إلى البحث الجاد والمثمر في المعاجم وغيرها، ولاسيما إذا رُكِّز في إعدادها على الثقافة العربية والإسلامية الحقة التي تتبناها هذه المجلة العظيمة لتواكب التدفق الثقافي الحاضر، وتتفوق عليه؛ بالغوص في علوم القرآن والسنة النبوية المطهرة، وسيرة السلف الصالح عليهم رضوان الله، وعباقرة المتقدمين من علماء المسلمين. وأنا أرى هذا مطلبًا حيويًا يجب أن تسبق إليه هذه المجلة ليكون لها فيه قصب السبق ولها من الله الأجر العظيم والثواب الجزيل. ومن يطلع على المجلات الأخرى يلمس أساليبها في جذب القراء إليها، وتركيزها ـ مع الأسف الشديد ـ على الثقافة الغربية الهابطة التي نلمس خسرانها كل يوم، وبخاصة في ثقافتها الجوفاء ذات التحلل الأخلاقي المصادم للشرائع السماوية جمعاء. فمثلًا في إحدى المجلات العربية وجدت المسابقات التي تُعنى بمفكري الغرب ونتاجهم الخسيس من سمفونيات وأفكار وكلمات، وغير ذلك مما يدعو إلى الأسى والحزن، وأنت ترى المجلات العربية الأخرى في غياب أو شبه غياب.

المأمول منكم أيها القائمون على هذه المجلة العظيمة توسعة هذا الجانب، ولكن بمنظور جاد ورصين، ودمتم سالمين والسلام.

هشام بن ناصر بن زرعة

ص.ب 4507، الخبر 31952.

هذان غير المفسرين المشهورين للقرآن الكريم

إنني من القرّاء الجدد لمجلتكم الغراء، ولي ملاحظة وطلب:

أما الملاحظة: فهي أن الدكتور حسن ظاظا في العدد 244 وفي الصفحة 20 العمود الثاني ذكر أن هناك علماء يهود كبارًا لهم أسماء عربية، أمثال: أبو زكريا يحيى بن داود الطبري.. وأبو الوليد مروان بن جناح القرطبي.

ولدى قراءة ذلك تهيَّبتُ واستغربت، ثم تقصَّيت، فوجدت أنهما غير المفسريْن المشهوريْن للقرآن الكريم. ولا أظن أن لدى كل قارئ الإمكان أو الرغبة في التقصي، وبذلك يضيع أو يُسْتَغَلّ.

حبذا لو تكرم الدكتور ظاظا، أو حتى المحرر، فأشار بين قوسين: «إن هذين هما غير المفسرين للقرآن الكريم».

وأما الطلب: فإن الحرف المطبوع به إطلالتكم صغير جدًا ومتعب في القراءة، وبخاصة لغير الشباب، أتمنى لو استعملتم في طباعتها حرفًا أكبر.

أدعو لكم بالتوفيق لما فيه خير هذه الأمة ودينها، فقلمكم على ثغرة من ثغور الإسلام.

حيدر البني

ميسان، شارع عمر بن الخطاب، دمشق، سورية.

أعلن صداقتي للفيصل

ها أنذا أكتب إليكم بعد أن أسعفني حظي بقراءة أحد الأعداد القديمة من مجلتكم ـ بل مجلتنا ـ الفيصل، وهو العدد 209 ذو القعدة 1414هـ، أبريل/مايو 1994م.

وجدت في هذا العدد ما أعجبني وجعلني كأنّي أسبح في بحر من بحور الثقافة والمعرفة. وبعد أن انتهيت من قراءتها توجهت من فوري إلى المكتبة، وكأن شيئًا يدفعني إليها، فلما دخلتها ـ وكنت أجول بنظري على رفوفها ـ سألت عن المجلة فمدّ صاحب المكتبة يده بها إليّ، (وكان العدد 239). تناولتها بشغف وشوق، وتوجهت بها إلى المنزل لأتصفحها، وبهذا أكون قد أعلنت صداقتي للمجلة، وسأكون من قرّائها المواظبين عليها إن شاء الله.

نصر الدين محمد محمد سعيد

المعهد الديني الثانوي لجماعة أنصار السنة المحمدية

ص.ب 7، كسلا، السودان.

ظاظا وكتب الفيصل

أتقدم إلى سيادتكم ولأسرة تحرير مجلة الفيصل بأرق التهاني القلبية لهذا النجاح الباهر الذي صاحب الأعداد الأخيرة من المجلة. لقد قلنا وما زلنا نقول: إن الفيصل مجلة عملاقة لا تضاهيها مطبوعة أخرى، وهكذا أثبتت الأيام ما كنا نقول، والحمد لله.

أولاً: كم سرَّنا كثيرًا وأثلج صدورنا منتدى الفيصل، وضيفه العملاق الدكتور حسن ظاظا الذي أمتعنا ـ كما عودنا منذ سنوات طويلة على صفحات الفيصل بصفة خاصة ـ بهذا الحوار الرائع.

ثانيا: حققتم أملي الذي كثيرًا ما حلمت به عندما أعلنتم عن إصدارات الفيصل من الأبواب الثابتة، وأتمنى أن تعلن لنا المجلة الموقرة متى ستصدر هذه الكتب، وكيف يمكن الحصول عليها؟

ثالثًا: السرقات الأدبية ظاهرة باتت تؤرقنا جميعًا، كما أن كل من هب ودب بدأ في إرسال مقالات من هنا وهناك؛ زاعمين أن هيئات التحرير في غفلة عنهم. أشكر للمجلة تدقيقها في مؤهلات وتخصصات أيّ كاتب يرسل إليها مقالة، فلا يصح أن تُترك الساحة دون ضابط أو رابط. وليت سائر المجلات تحذو حذو الفيصل الغرّاء..

ألم أقل إن الفيصل مدرسة عريقة أصيلة.

الباحث: وفيق صفوت مختار

طهطا، سوهاج، مصر.

ـ بإذن الله ـ، فمعذرة للذين تأجل نشر رسائلهم، ومرحبًا بآراء الإخوة القراء ووجهات نظرهم واقتراحاتهم.

إطلالة

الجامعة..



لقد ظلت الجامعات في الغرب حرمًا مقدسًا لا تطأ ساحته إلا فئة محدودة من المجتمع كانت تتمتع بالسلطة والنفوذ، وتفصل بينها وبين قطاعات المجتمع الأخرى مسافة شاسعة. ولكن حين أخذت بوادر النهضة الصناعية في البروز، وأصبح لقطاعات واسعة من المجتمع دورها في صياغة هذه النهضة، من خلال ما تقدمه من إنتاج صناعي مؤثر في حركة المجتمع، تعالت الأصوات الداعية إلى أن تفتح الجامعة أبوابها لهذه القطاعات العاملة في ميادين الصناعة المختلفة، حتى يكون لها أثر في التقدم الصناعي، ورفع مستويات العمالة. وبالفعل، بدأت الحواجز تتساقط، وأخذ اتجاه جديد في التشكل في هذه الجامعات حين بدأت في التخلي عن النظرة القديمة التي استغرقتها قرونًا، وأصبح اهتمامها يتركز بشكل رئيس على المجتمع وخدمته، وكان لهذا التوجه الجديد دور في تقدم العلوم والمعارف وتطور الصناعات؛ لاهتمام الجامعات بتدريس العلوم الإنسانية والتطبيقية، وإجراء البحوث المختلفة التي رسخت الأسس النظرية لهذه العلوم، وأسهمت في تطورها على الصعيد العملي.

واعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية في انطلاقتها العلمية على الجامعات، بأن منحتها مسؤوليات كبيرة في إرساء قواعد التعليم وتسرية روح البحث العلمي في جميع ولاياتها، ولاسيما بعد صدور قانون موريل عام 1862م الذي منح الولايات أراضيَ تقيم عليها كليات لها مقررات ومناهج جديدة تُعنى بخدمة المجتمع في مجالات مثل الزراعة والهندسة، وبحث مشكلاته، وإيجاد الحلول العملية لها، إلى جانب دورها في تعليم الطلاب وإعدادهم للحياة، حتى قيل إن الجامعات الأمريكية تشبه مفترق طرق تتجمع فيه كل فئات الشعب الأمريكي.

وقد جنت ألمانيا واليابان ثمار توجههما إلى تفعيل العلاقة بين الجامعة والمجتمع، إذ كان للطاقات البشرية التي أهلتها جامعاتها، والبحوث العلمية التي قامت بها أثر كبير في مواجهة الظروف القاسية التي خلفتها الحرب العالمية الثانية في كلتا الدولتين على المستويين المادي والنفسي. وهذه التجربة الناجحة التي خاضتها كل من ألمانيا واليابان دعت كثيرًا من الدول المتقدمة إلى إعادة النظر في بنى جامعاتها ومقرراتها ومناهجها، وطبيعة العلاقة بينها وبين مجتمعاتها من أجل صياغة نظام تعليمي فعال قادر على دفع حركة المجتمع وتحقيق تطلعاته في التقدم والرقي، حتى غدت الجامعات تحتل مكانًا بارزًا في المجتمعات المتقدمة، إذ تُعدّ - إلى جانب دورها في نشر العلوم والآداب ورفد مؤسسات المجتمع بالطاقات المختصة المؤهلة التي تدير حركتها - مركزًا مهمًا للبحث العلمي على المستوى النظري والتطبيقي، تستفيد من نتائج بحوثه تلك المؤسسات لتطوير أدائها وملاحقة المستجدات في مجالات عملها؛ بل الإسهام في تشكيل مستقبل هذه المجالات بالأفكار المبتكرة، والاختراعات الحديثة، والنظم المتطورة. وذلك أن نتائج التطبيق العملي للمفاهيم النظرية تخضع للنقد والتحليل بما يفضي إلى تطوير هذه المفاهيم، وإيجاد مفاهيم نظرية جديدة تجد طريقها إلى التطبيق الذي يؤدي - بالطبع - إلى نتائج أفضل من سابقتها، حتى أصبح التنظير والتطبيق يتسابقان في ميدانهما - المجتمع -. وباستمرار هذا الترابط بينهما يتعمق مبدأ التفكير العملي في المجتمع، وتترسخ أصوله ليصبح المجتمع في حركة دائبة يتولد منها في كل حين فكْر جديد يمد أثره إلى قطاعات المجتمع جميعها، وتتوافر بذلك القدرة على التنظير لكل قضية أو مشكلة تستجد، ليكون أساسا للخطوات العملية لحلها.

وهذا هو الفارق الأساس بين عالمنا الإسلامي والغرب. فبينما لا نتجاوز التنظير - إذا كان لي أن أدعوه تنظيرًا - الذي ينتهي به المطاف إلى رف يواريه الغبار، فإن الغرب الذي كانت جامعاته تُعنى في بداية أمرها بالمناقشات الفلسفية الانصرافية في أغلب الأحيان، أصبح يرى أن العلاقة بين التنظير والتطبيق العملي تسير بصفة دائمًا في اتجاهين، ويحتاج فهم هذه العلاقة المتبادلة والمستمرة إلى ثقافة واسعة، وشجاعة ذاتية، وقدرة على اقتحام الآفاق المجهولة بلا خوف من الإخفاق، ومن ثم فإن من أوليات الجامعة أن تزرع الثقة في نفوس طلابها، بقدر ما تعمل على ترسيخ أصول التفكير العملي في المجتمع، بإكسابهم المهارات اللازمة لذلك. وعندما لا تقوم الجامعات بهذه المسؤولية، فإننا نكون قاصرين عن توظيف البحث في حياتنا، مهدرين كل ما يتاح من إمكانات مادية. وتنبثق الحاجة إلى البحث من واقع المجتمع لتشخيص مشكلاته وعلله، واقتراح الحلول الناجعة لها، أما انطلاق البحث من خارج إطار المجتمع، وبعيدًا من ضوابطه القيمية والاجتماعية فلا يؤدي إلى حلول للمشكلات القائمة، وإن كان يزرع مشكلات جديدة.

ولعل هذا الانفجار المعرفي الذي ينتظم جميع مجالات العلم والمعرفة، يقتضي أن نعمل جهدنا لفهم حقيقة ما يجري في هذا العالم على أقل تقدير، مادامت إمكانات المواكبة وشروطها لم تتوافر بعد، وذلك لكي نتجنب ما يمكن أن يمارَس علينا من سطوة وهيمنة ممن يملكون مقومات القوة والسيطرة.

وقد زاد هذا الانفجار المعرفي من صعوبة قدرة الجامعات على استعمال ما تفرزه العلوم والمعارف من إضافات جديدة وتوظيفه. ولكن دورها الأساس بناء شخصية الطالب بناءً متوازنًا، يؤهله لتوظيف ما تعلمه، متأثرًا بالإطار الواسع للثقافة التي هُيِّئت له، ليصبح قادرًا على ممارسة التفكير الجاد المنظم، وحائزًا مقومات الابتكار والإبداع.

وتظل مسألة التدريب في حقل معين مسألة جانبية عندما نُوازن بالمقومات النفسية والاتجاهات المعرفية التي يحتاج إليها الطالب لكي يمتلك قدرات التفكير العلمي والعملي، ومواصلة التعليم الذاتي، وتوظيف ما يستجد في مجال تخصصه ومهنته بعد استيعابه من خلال رؤية شاملة للمستجدات في مختلف التخصصات، تعتمد على دراسة جملة من الموضوعات من الإنسانيات والعلوم الطبيعية والاجتماعية وغيرها، بغية التكوين المتوازن للطالب وإعداده للتخصص من واقع حيازته هذا الإطار الضروري للثقافة، وبذلك يكون هذا الطالب قد أُعدّ للمواطنة، فينشأ واعيًا بالبعد الشمولي الذي يتسم به تخصصه، والذي يكتسبه من التركيبة الشاملة والمتنوعة للحياة. وهذا التداخل بين التخصصات - حتى بين العلوم النظرية والتطبيقية - دعا القائمين على التخطيط في حقل التعليم الجامعي في العالم المتقدم إلى إيجاد قنوات اتصال بين العلوم المختلفة، لأنه لم يعد في مقدور من يعمل في مجال الفضاء - مثلا - أن يمارس تخصصه من غير أن تتسع مداركه لمعرفة الآثار النفسية التي قد تترتب على وجود رواد الفضاء مدة طويلة بعيدًا من الأرض، كما أن المهندس لابد له من أفق واسع يعينه على إدراك الجوانب الأخرى التي تدخل في محيط عمله، والتي يتصل بعضها بالاقتصاد والفيزياء والاجتماع والتراث وغيرها.

واقتضى التقدّم السريع للمعلومات أن يكون خريج الجامعة متمتعًا برؤية شاملة للزمن بأبعاده الثلاثة حتى يستطيع أن يتفاعل بإيجابية مع بيئته من منطلق الوعي بظروف الماضي التي مرت بها وأسهمت في تشكيلها، وبإدراك ما يحيط بالحاضر من مؤثرات وموجهات، وباستقراء عميق للمستقبل وتوقعاته من طريق التحليل الدقيق للماضي والحاضر.

وتحتاج ممارسة البحث العلمي إلى مصادر معلومات متجددة وميسرة تمثل الأرضية الصلبة التي ينطلق منها الباحث لإجراء بحثه، لأن تلك المصادر تجعله قادرًا على تصور الموضوع الذي يتصدى لبحثه، والاطلاع على الجهود السابقة في مجاله، ليأتي بحثه إسهامًا حقيقيًا متميزًا في بابه، متفاديًا تكرار ما قام به الباحثون الآخرون من جهود بحثية. أما إذا كانت المعلومات قاصرة، فإن البحث يأتي بدوره غير مكتمل البناء، فاقدًا للشروط الموضوعية للبحث العلمي

والإعداد للمواطنة

الجاد، كما أن تكرار ما سبق من بحوث يصبح أمرًا أكثر احتمالاً.

وهذا التجدد في بنية المعلومات وتقنياتها من أكبر التحديات التي تواجه الجامعات في عالمنا الإسلامي، إذ لم يعد كافيًا الاعتماد على مكتبات تضم مجموعة من الكتب والمراجع التي لن تكفي وحدها - مهما كان الحرص على جدتها - لإقامة حركة بحثية جادة في المجتمع، وإنما لابد من تنوع مصادر المعلومات وتجدد قنواتها لضمان تنوع المعرفة في المجتمع، ونشر روح البحث فيه، ويتطلب إغناء مصادر المعلومات إقامة علاقات تعاون وثيقة بين الجامعات العربية الإسلامية في هذا المجال.

ونخلص من كل ما سبق إلى أن البحث وتعليم البحث من أهم ما تقوم به الجامعة من مسؤوليات، لأنها تضطلع بمهمة إجراء البحوث الرامية إلى إيجاد الحلول لقضايا المجتمع ومشكلاته، كما أنها تؤصل في خريجيها أسس البحث العلمي ومرتكزاته، حتى لا يكون دورها هو إعدادهم للاحتراف، من دون إيجاد العقول الواعية المستوعبة المؤهلة للمشاركة الجادة في تطوير مجتمعاتهم.

ولا يقف دور الجامعة عند حد تخريج الطلاب بعد سنوات من الدراسة فيها، لتنقطع بذلك علاقتها بهم، ولكن ينبغي لها أن تستمر في متابعة مستويات أدائهم في محيط العمل، من أجل تقويمها، ليكون هذا التقويم أساسًا لإدخال التعديلات اللازمة على مقرراتها ومناهجها لتكون أكثر فعالية ومواكبة لروح العصر.

ولعل فيما تنظمه الجامعات السعودية من أسابيع وأيام مهنية تتناول العلاقة بين الجامعة والمجتمع بداية انطلاقة جديدة تؤصل المبادئ التي نادى بها الإسلام من حب العمل، والتفاني والإخلاص في أدائه، ثم النظر إلى الفائدة المترتبة عليه، فقد أُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المرء يُسأل عن علمه ماذا عمل به؟ وهذه المبادئ عمقتها سياسة التعليم في المملكة، بل أطرتها، وصاغتها في أهداف قابلة للتحقيق والإنجاز.

وما إشارة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن العزيز - يحفظه الله - في جلسة مجلس الوزراء الأخيرة إلى هذا التوجه إلا تأكيد لإبراز ما تميزت به سياسة التعليم في المملكة من خصوصية لانطلاقها من القيم الإسلامية، بهدف تكوين المواطن العامل المنتج، وهو الطموح الذي يبتغيه خادم الحرمين الشريفين بعد أن وضع أسس تحقيق هذا الطموح وأدواته، ابتغاء الوصول إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي من العمالة المدربة والمؤهلة في جميع مجالات الحياة، فيقول - حفظه الله - في إحدى المناسبات: «إن ربط الجامعات بخطط التنمية في نظري هو قوة والتزام من الدولة، ولذلك لو لم يُعمل مثل هذا الأمر، فمن طبائع الأمور أن تفقد البرامج أهميتها، ويفقد الإعداد أهميته». ويأتي دور المسؤول الأول عن تنمية العمالة الوطنية صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية رئيس مجلس القوى العاملة في إغناء الحوار عن مشكلات العمالة الوطنية من طريق الأنشطة المختلفة ممارسة جادة تغطي بعدي التقويم والتطوير. وكانت رعاية سموه للأسبوع الذي نظمته جامعة الملك سعود - مؤخرًا - وغيره من المناسبات التي تنظمها الجامعات السعودية الأخرى تجسيدًا لذلك التوجه، واستمرارًا لتقويم مسار الجامعات، والوقوف على خططها وبرامجها التي تتخذها وسيلة لتحقيق الآمال المعقودة عليها في إعداد القوى البشرية وتأهيلها مهنيًا للمشاركة الفاعلة في عملية التنمية، إلى جانب تأهيلها نفسيًا بإكسابها الثقة في نفسها، وإيجاد دوافع الاعتزاز لديها بوطنها وأمتها، وذلك لأن حصول الفرد على التدريب لا يعني أهليته للاضطلاع بمسؤولية العمل والإنتاج بكفاءة، ما لم يكن مفعمًا بالثقة بقدراته، معتزًا بالواجب الذي عليه أن يقوم به تجاه وطنه.

وتنمية الحس الوطني التي تبدأ في مراحل مبكرة من العمر لا يمكن تحقيقها بمقررات ومواد جافة تُلقى على الطلاب أو يقرؤونها ويستذكرونها لتكون محل امتحان في نهاية العام؛ بل إن هذا الحس موقف نفسي يعتمد على آلية تؤكد فهم الطالب للمحيط الذي يعيش فيه - وطنه -، وتاريخه، وأعلامه من واقع الحقائق التاريخية الموثقة بعيدًا من المباشرة، حتى يستخلص الطالب منها المعاني السامية الي تتضمنها، ولينبني رأيه فيها على قناعة تامة.

ويتميز البعد التاريخي للمملكة بالثراء، ويحتاج إلى إبراز حقيقته في إطار دور الجامعة في تحقيق التواصل بين الأجيال، ولاسيما أن الاحتفال بمرور مئة عام على دخول الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - إلى الرياض قد شارف على الحلول. والنظر بعين فاحصة إلى الأحداث التاريخية المهمة في مسيرة المملكة العربية السعودية ليس لتعرف الجهود التي بُذلت في وضع ركائز أمنها واستقرارها وكفى، ولكنه ضرورة لما تمثله من أبعاد سياسية وثقافية واقتصادية واجتماعية تستحق بدورها البحث والدراسة لتعميق الحس الوطني. فاطلاع الطالب على تاريخ بلاده بكل أبعاده من خلال الحقائق الموثَّقة يترتب عليه فهمه لهذا التاريخ واستيعابه لوقائعه وأدوار رموزه، ومن ثم ينتهي إلى تقدير من أسهموا في تشكيله، وتكوين تصور صحيح لمكانة بلاده، ومعرفة جوانب تميزها من البلاد الأخرى، بإجراء الموازنة والتقويم، فينشأ بذلك مقدرًا للجهود التي بُذلت إلى أن تبوأت بلاده مكانتها المميزة بين بلاد العالم، وهذا هدف أصيل من أهداف سياسة التعليم التي نصت على «تبصير الطلاب بما لوطنهم من أمجاد إسلامية تليدة، وحضارة عالمية وإنسانية عريقة، ومزايا جغرافية وطبيعية واقتصادية، وبما لمكانته من أهمية بين أمم الدنيا».

وهذه المسؤولية الكبيرة في ترسيخ الحس الوطني لا يمكن أن تضطلع بها مؤسسات التعليم - ومن بينها الجامعات - منفردة، لأنها تمثل جزءًا من عملية التربية والتنشئة الاجتماعية التي تشارك فيها مؤسسات المجتمع الأخرى. وتعد أجهزة الإعلام المختلفة إحدى تلك المؤسسات المنوط بها تحقيق هذا الهدف من طريق خططها وبرامجها التي تتكامل مع خطط التنمية والتعليم وبرامجهما، والتي تأخذ في الحسبان ما وصل إليه العالم من تقدم مطرد في تقنيات الإعلام وأساليبه في الإخبار، والتوجيه، والإقناع، والترفيه. ودور الإعلام مزدوج في هذا المجال، إذ إنه يتصدى لمحاولات الغزو الثقافي والفكري التي تقصد إلى زعزعة قيم المجتمع، وفي الوقت نفسه يقوم بترسيخ هذه القيم وتأصيل الحس الوطني في النفوس.

وقد أكدت سياسة المملكة هذا الهدف بنصها على أن وسائل الإعلام «تعمق عاطفة الولاء للوطن السعودي أرضًا وكيانًا في نفوس المواطنين، وتبصرهم بما أفاء الله عليه من طاقات وإمكانات، وتعرفهم بمآثره في الغابر والحاضر، وتحضهم على البذل والسخاء، والإسهام الجاد في تقدمه وإعماره وصونه، وتعمل على توعية المواطن بواجبه الأساسي في ذلك».

وخلاصة القول إن الجامعات - وهي تقوم بمسؤولياتها في البحث وتعليم البحث وتقديم الاستشارات العلمية لمؤسسات المجتمع - عليها ترسيخ مفهوم التفكير العملي في المجتمع، وتأصيل قيمه، الأمر الذي توجه إليه السياسات الثلاث - التنمية والتعليم والإعلام -، التي استقت مبادئها من دستور هذه البلاد الثابت، منذ تأسيسها، ألا وهو القرآن الكريم والسنة المطهرة، اللذان يحثان على إعمال العقل، بوصف حركة العقل المظهر الأساس لحياة الإنسان، والوسيلة المثلى لفهم حركة حضارة العصر، حتى يمكن وضع الأطر والسياسات التي تعين على اللحاق بها، بل تجاوزها في حال تمثلنا - قولاً وعملاً - للمنطلقات التي بوأت الحضارة الإسلامية مكانتها السامية في زمن ازدهارها، وإفادتنا من التجارب الحضارية الحية للأمم الأخرى.

دور الجامعة بناء الطالب بناءً متوازنًا، ليصبح قادرًا على ممارسة التفكير الجاد المنظم

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل

العدد 248 - السنة 21 - صفر 1418هـ - يونيو/يوليو 1997م



البراءة تحت مقصلة التقاليد المنحرفة

يشهد العالم كثيرًا من المؤتمرات والندوات التي تعنى بمناقشة القضايا المتعلقة بالطفولة، وتقوم منظمات إقليمية ودولية بأدوار مختلفة في هذا المجال، ومع ذلك يعاني الأطفال في كثير من أنحاء العالم من ممارسات تنتهك حقوقهم في حياة كريمة تتناسب مع المرحلة السنية التي يمرون بها. ولعل من أكثر هذه الممارسات وحشية عودة ظاهرة وأد البنات في بعض المجتمعات نتيجة لبعض العادات والتقاليد الاجتماعية، والمتاجرة فيهن في مجتمعات أخرى. جملة من الحقائق عن هذا الواقع تجدها في موضوع أعده قسم الترجمة.

طالع ص 16



تاريخ الصحافة اليهودية في البلاد العربية

منذ أواسط القرن التاسع عشر كان للصحافة اليهودية وجودها في البلاد العربية، وكانت اهتماماتها جزءًا من اهتمامات المجتمعات العربية، مع اهتمامها بشؤون اليهود بوصفهم طائفة من طوائف تلك المجتمعات. وقد بدأ ظهور هذه الصحافة في العراق، حيث صدرت صحيفة «هادوفر» التي كانت أول صحيفة يهودية عرفها العالم العربي، كما كان لليهود نشاط إعلامي واضح في الصحف العربية الأخرى، وقد صدرت أكثر الصحف اليهودية في مصر.

عن ولادة الصحافة اليهودية في البلاد العربية وموتها تدور دراسة مأمون كيوان مقدمة مسردًا لأهم تلك الصحف.

طالع ص67



أرواد: جزيرة الحلم والخيال والأسطورة

«ما أجمل أن يخفق المرء بجناحيه في أجواء الأمس، ويضرب في آفاق الماضي، ويرهف مسمعيه إلى كلمات العجائز والرواة وأصحاب الأساطير». بهذه الكلمات بدأ وليد قنباز استطلاعه عن جزيرة أرواد التي يطلق عليها جزيرة الحلم والخيال والأسطورة، والتي كان لموقعها الجغرافي المتميز نصيب وافر في تحديد مسار تاريخها الذي اختلف الباحثون على بدايته، وإن كانوا قد اتفقوا على غناه بالأحداث والوقائع التي رسمت صورة المنطقة بأسرها. وفي هذا الاستطلاع معلومات وافرة عن الماضي وأساطيره وحقائقه، وعن معالم أرواد وأوابدها ونشاط أهلها.

طالع ص 84

من كتاب العدد

شخصيات

شعر وقصة

الأبواب والزوايا الثابتة



عبدالله عمر خياط

- من مواليد مكة المكرمة 1355هـ/1937م.
- تلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة العزيزية الابتدائية ثم انتقل إلى تحضير البعثات، ولم يكمل تعليمه بها.
- عمل بوظيفة محرر أول بشرطة العاصمة المقدسة (1375- 1379هـ)، ثم عمل في جريدة البلاد مديراً لمكتبها في مكة المكرمة وسكرتيراً لتحريرها (1380- 1384هـ)، ثم عمل مديراً لتحرير جريدة عكاظ مدة عام، فرئيساً لتحريرها (1385- 1390هـ)، وهو أحد الأعضاء المؤسسين لمؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، وعضو مجلس إدارتها من 1405هـ.
- يمارس حاليًا الكتابة الصحفية، إلى جانب كونه رجل أعمال يمتلك مطابع خاصة.
- عضو الجمعية العمومية للغرفة التجارية الصناعية بجدة منذ عام 1395هـ، وعضو اللجنة الإعلامية بمجلس إدارة الغرف التجارية الصناعية حتى عام 1410هـ، ومشارك في تأسيس مجلة كاريكاتير التي تصدر بالقاهرة.
- كان أحد أعضاء الوفد السعودي المشارك في المؤتمر الأول للصحافيين العرب في القاهرة 1966م، ثم المؤتمر الثاني الذي عُقد في الكويت عام 1967م.
- له سبعة كتب مطبوعة هي: المدمن.. أنا، الرسول وخلفاؤه، هيروين على الشفاه (رواية)، النصر الذي صنعناه، جواهر المتنبي، النزاهة الشامخة، الصحافة بين الماضي والمستقبل.



د. حسام أمين الخطيب

- من مواليد طبرية بفلسطين 1932م.
- حاصل على الدكتوراه في الآداب، جامعة كمبردج.
- عمل أستاذًا بقسم اللغة العربية، جامعة دمشق، ورئيسًا للقسم نفسه، ورئيسًا لتحرير مجلة المعلم العربي بدمشق، ومستشاراً ثقافيًا لرئيس الجمهورية السورية، ونائبًا لوزير التعليم العالي، وأمينًا عامًا للاتحاد البرلماني العربي، وعضو هيئة الإشراف على مجلة المعرفة، ونائبًا لرئيس الرابطة العربية للأدب المقارن، وعضواً بالمكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب، ورئيسًا لمكتب العلاقات الخارجية لاتحاد الكتاب العرب.
- عضو المؤتمر العام لاتحاد الكتاب الفلسطينيين، وعضو اتحاد الكتاب الأسيويين الأفريقيين، وعضو الرابطة الدولية للأدب.
- شارك في مؤتمرات اتحاد الكتاب العرب، والاتحاد البرلماني العربي، والرابطة الدولية للأدب المقارن.
- عمل بالتدريس في جامعة صنعاء باليمن، ويعمل حاليًا بجامعة قطر.
- له مجموعة كبيرة من البحوث والمؤلفات المنشورة.



د. رمضان أحمد عيد حسين

من مواليد مصر 1951م.
- حاصل على دكتوراه الفلسفة في التربية تخصص إدارة تعليمية 1992م.
- يعمل مدرساً بقسم التربية المقارنة والإدارة التعليمية، كلية التربية، جامعة عين شمس، ومعار حاليًا إلى كلية التربية، جامعة أم القرى.
- من أبحاثه ومؤلفاته: التنظيم غير الرسمي: مدخل لفعالية الإدارة المدرسية، إدارة الصراع وإحداث التغيير التربوي في المنظمات التعليمية، التربية المقارنة وحوار الثقافات. كما شارك في تأليف كتاب التعليم في المرحلة الأولى: مشكلاته واتجاهات تطويره، وكذلك كتاب التربية المقارنة: الأصول المنهجية والتعليم في أوربا وجنوب شرق آسيا والخليج العربي وجمهورية مصر العربية.
- عضو في رابطة التربية الحديثة، والجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، واشترك في تأسيس مشروع اليونسكو بكلية التربية، جامعة عين شمس.
- اشترك في المؤتمرات التي نظمتها الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، وشارك في إعداد الطاقات الإدارية وتأهيلها من خلال المحاضرات وحلقات المناقشة والمشروعات التربوية والدورات التدريبية.



ثابت محمد عيد

- من مواليد مصر 1957م.
- درس الفلسفة الإسلامية والعلوم السياسية بجامعة زيورخ في سويسرا، وحصل على الماجستير في الفلسفة الإسلامية وتاريخ الأديان من جامعة برن.
- عمل باحثًا في قسم الدراسات الإسلامية في جامعة برن (1992-1996م).
- نشر مجموعة من البحوث والدراسات بالألمانية والعربية، كما ترجم إلى الألمانية دراسات لكل من د. يوسف القرضاوي، ود. محمد عابد الجابري، والشيخ محمد الغزالي، ود. محمد عمارة، وكذلك رواية حكاية بلا بداية ولا نهاية، وقصة جنة الأطفال للأستاذ نجيب محفوظ؛ كما ترجم عدداً كبيراً من الدراسات من الألمانية إلى العربية.
- من مؤلفاته: فكرة الصرفة وإعجاز القرآن (بالألمانية)، دراسات في التاريخ المبكر للمعتزلة (بالألمانية).

هواية قاتلة لصبي تضع الملاحة الجوية في خطر!

أُبلغ الطيـارون المتجهـون بطائراتهم إلى مطار بروكسل في بلجيكا بضرورة التـأكد من الأوامر والتعليمات الصادرة إليهـم، قبل أن يقعوا ضحيـة قرصان يتقن استخدام موجـات الراديو، ويصدر أوامر خاطئة تسبب الارتباك للطيـارين وللعامـلين في برج المراقبـة. وقد اضطر المسـؤولون بمطار بروكسل إلى توجيه هذا التحـذير بعد تكرار اختراق الموجات التي يبث عليـها برج المراقبـة تعليمـاته، وبعد تأكـيدات بأن نحـو خمـسين طائرة تلقت أوامـر كاذبة، وكـانت جمـيع تلك الأوامر بلغـة إنجليـزية متـقنة، تنبئ عن أن صاحبها مدرك لمصطلحات الطيران والملاحة الجوية.

تجـسمت المشكلة أمـام مـسؤولي برج المراقبـة عندما نجـحوا، في آخـر لحظة، في تفادي وقوع كـارثتين، فقد استطلع البرج طائرات تحتشد في خط جوي واحـد بعدما تلقت تعليـمات خاطئة مـن جهة ما، وكـان من المحتم أن تصطدم تلك الطـائرات ببـعضـهـا بعـضًـا، إذا اتخذت الخـط الجوي نفـسـه وهبطت في ممر واحد. وفي أحـد الممرات ساد الذعر بين المراقـبين الجويين في مطار فـانتيم البلجيكي، عندمـا لاحظوا أن إحدى الـطائرات التابعـة لشركـة أليطاليـا، وهي من طراز بوينج 737، تندفع بسـرعـة في جـوٍّ يلفـه الضـبـاب الكثيف، وتهبط فـجأة، وعلى غير المعتـاد، إلى ارتفاع عشرة آلاف قـدم. فما كـان من المراقـبين إلا أن تداركـوا الأمـر بأن أرشـدوا الطيـار إلى ممر الأمـان. وذكرت صحيفة الإكسبـريس اللندنية أنه بعد هذا الحادث بيومين سلك أحد طياري شركة سابينا البلجيكية اتجاهًا غير معتاد، وعندما استفسر المراقبون عما حدث، أوضح الطيار أنه تلقى تعليمات بذلك من برج المراقـبة. وحقيقة الأمر أن الطيـار كان ضـحيـة خـدعة أوشكت أن تجلب كـارثة تزهق فـيهـا أرواح الأبرياء.



لقد أثار انحراف الطائرات عن مسـاراتها في هذه المنطقة قلق المسؤولين، وبخاصة أن المشكلة اقتربت، في غـموضها وغرابتها، من قـصص مـثلث برمـودا، الظاهرة المثيـرة للجـدل. غـيـر أن الشـرطة البلجيكيـة جدت في الأمر إلى أن اسـتطاعت فك طلاسم المشكلة، وقد ذُهل رجال الشرطة ومسـؤولو الطيران حين توصلوا إلى أن صبيًا مراهقًا وراء المشكلة .

كـان أول خيط في كـشف أمر هـذا الصبي هو أن مـعظم التعليمات المغلوطة التي يتلقـاها الطيارون وردت إليهم عند مرور الطائرات فـوق إحدى المدارس التـي تقع خارج بروكـسل ، ومن طريق تقصي الحـقائق اتضح أن صـبيًا يدرس في القسـم الداخلي بتلك المدرسة يملك جـهاز استطلاع موجات الـراديو وجهاز بث موجـات، وأنه تلقى هذين الجـهازين هدية من والده الذي يعـمل بالصحافة، ولما ووجه الصبي بهذه المعلومات أنكر في بادئ الأمر ما نُسب إليه من اتهامات تتعلق بتهديد سلامة الطيران، وتعريض حياة الـركاب للخطر، ولكنه عاد واعتـرف بما كان يفعله إشباعًا لهوايته.. وقد أثارت هذه القضية تساؤلات عما يمكن أن يحدث في حالة وجـود أجهزة حسـاسة في حوزة صـبي يمر بمرحلة سنية حرجة.



بعد اثني عشر عامًا:
عادت الدببة من جديد!

أي شعور يخالجك إذا زرت حديقة الحيوانات التي اعتدت زيارتها، ووجدت أمامك مالم تقع عيناك عليه منذ مدة طويلة، وبالتحديد منذ اثني عشر عامًا؟

هذا ما حدث لزوار حديقة الحيوانات في لندن؛ إذ وجدوا أنفسهم أمام مفاجأة كبيرة: لقد عادت الدببة إلى الظهور مرة ثانية!

لقد رأى زوار الحديقة دبين أسيويين من فصيلة نادرة يتجولان في نزهة مع القردة والغزلان والطيور في مستوطنتهم الجديدة البالغة مساحتها مئة وستين ألف هكتار، وهي أكبر مستوطنة من نوعها في العالم؛ إذ إن آخر الدببة نقلت من حديقة حيوانات لندن «مابين تيريس» MAPPIN TERRACE قبل اثني عشر عامًا نظرًا لعدم توافر سبل السلامة فيها.

وقد كشف القائمون على تربية ذكر وأنثى الدببة اللذين نقلا من حديقة وارسو أن الدبين تزاوجا بمحض إرادتهما، وإذا ما سارت الأمور على ما يرام، فإن الأنثى قد تضع جروًا وربما جروين في شهر كانون الأول/ ديسمبر القادم.

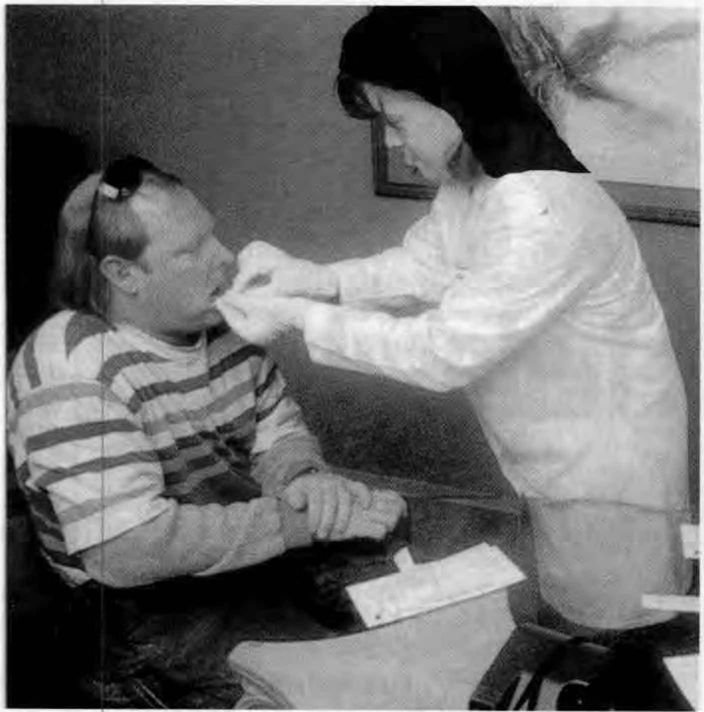
وفيما بعد ستقام مسابقة لاختيار اسم لكل من الدبين، وهذه المسابقة هي رمز للحفاظ على تقاليد شهيرة درجت عليها إدارة الحديقة. وذكرت صحيفة «الإكسبريس اللندنية» التي أوردت النبأ، أن هذه الدببة التي عادت إلي الظهور ثانية ستسهم في زيادة أعداد زوار الحديقة، مثلما حدث مع «برومس»، أول دب قطبي وجد في بريطانيا في الخمسينيات؛ إذ ساعد على زيادة عدد الزوار بنسبة 50٪ ليصل عددهم إلى ثلاثة ملايين زائر سنويًا!

المطهرات الطبيعية تغني عن المضادات الحيوية الصناعية

من المعلوم أن أفواهنا تعج بالفطريات والبكتيريا، ومع ذلك فنادرًا ما يلتهب أي جرح فيها، حتى لو قضمنا ألسنتنا. والآن يفسر الباحثون الأمريكيون مدى قدرة أفواهنا على مقاومة الالتهاب والعدوى، بقولهم: إنه في أي وقت يلحق الضرر بلسان أي كائن من الكائنات الثديية؛ فإن الأنسجة المجروحة تستجيب لذلك بصنع كميات كبيرة من مضادات الالتهاب الطبيعية.

وقد استخلص باري سكونويتر وزملاؤه من معهد ماجاينين للبحوث - وهو مختبر خاص تديره شركة ماجاينين للأدوية في بنسلفانيا - خلايا من سطح ألسنة البقر، واستخدموا مذيبات عضوية لاستخلاص عدة مواد كيماوية منها، ومن ثم قاموا بفرز كل عنصر كيماوي، لمعرفة العنصر الذي يمنع نمو البكتيريا والفطريات المزروعة. واتضح أن كثيرًا من المواد لها آثار فعالة ضد الميكروبات، ولكن فريق سكونويتر قرر أن يركز على أكثرها فعالية وهي المادة الكيمياوية التي تدعى البيبتايد

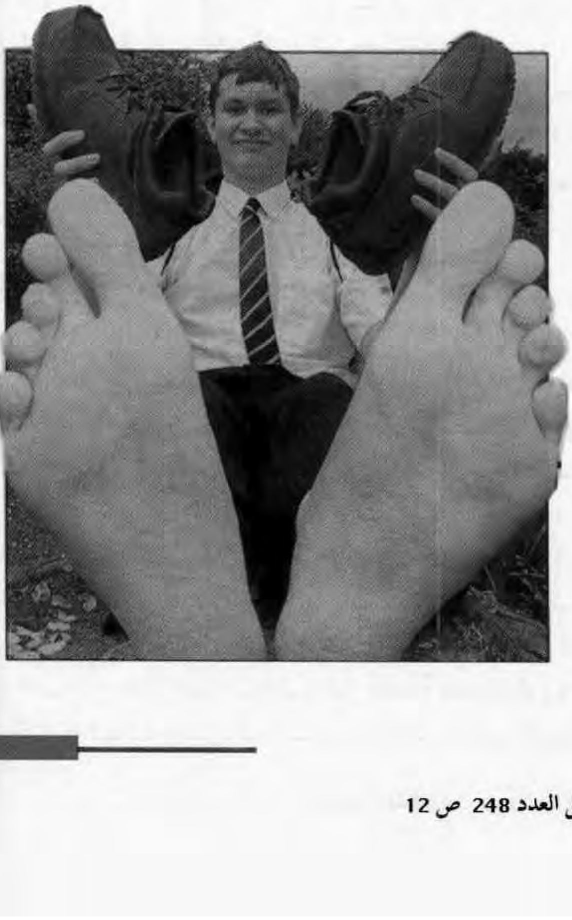




اللساني المقاوم للميكروبات. ومن ثم قام الباحثون بعمل سلسلة متعاقبة من الأحماض النووية RNA التي تستخدم كقوالب لبناء الببتايد. وقد استخدموا عمليات أحماض RNA المتعاقبة كمجسات دقيقة لمعرفة أي أنماط الخلايا تنتج البيبتايد اللساني المقاوم للميكروبات. بعد ذلك قام سكونويتر وزملاؤه بإضافة المجسات لمقاطع من ألسنة البقر، فوجدوا أن البيبتايد اللساني المقاوم للميكروبات ينتج على جميع الأسطح العلوية لألسنة البقر باستثناء حلمات الذوق؛ إلا أن الخلايا التي تحيط بالجروح والقروح على اللسان قد أنتجت مقادير أكبر من البيبتايد.

وقد يؤدي هذا البحث - كما ذكرت مجلة نيو سينتست - إلى خطط جديدة لمكافحة الميكروبات. ويعتقد سكونويتر أن من الممكن صناعة دخان يحتوي على مطهر يشبه البيبتايد اللساني المقاوم للميكروبات يمكن استنشاقه من قبل مرضى الحويصلات الرئوية المتليفة لمساعدتهم في مقاومة الإصابات الرئوية.

جاريث .. وقدماه الكبيرتان !!



أصبح الطالب البريطاني جاريث وليمز البالغ من العمر أربعة عشر عامًا يشكل كابوسًا لبائعي الأحذية؛ إذ لا يتوافر في أي محل أحذية حذاءٌ لمقاس قدميه الذي يبلغ 19، وهذا الحجم لا يزال ينمو حتى الآن.

أما والداه اللذان يلفهما اليأس فإنهما يدفعان خمسمئة جنيه لتفصيل حذاء لمقاس قدميه، وقد اضطرا لتفصيل ثلاثة أزواج من الأحذية في عام واحد نظرًا لنمو قدميه باطراد.

وقد أُطلق لقب القدم الكبيرة والإنسان الثلجي على جاريث الذي يبلغ طوله ستة أقدام وثلاث بوصات (187سم)، وهو الآن في سبيله لتجاوز الرقم القياسي البريطاني الذي يحمله جون ثرب البالغ من العمر 33 سنة، والذي يتجاوز حجم قدميه حجم قدمي جاريث بمقدار نمرتين. أما الرقم القياسي العالمي فيحمله الأمريكي ماثيو ماكجروي الذي يبلغ مقاس قدميه 25. ويقول جاريث: إنه إذا استطاع تجاوز هذا الرقم فإنه يأمل أن يمنحه أحدهم زوج أحذية مجانًا. وعلى أن طول والده ديف DAVE الذي يعمل مفتش شرطة يبلغ ستة أقدام وخمس بوصات إلا أن مقاس قدميه يُعدّ متواضعًا نسبيًا حيث يبلغ رقم 11.

يقول جاريث لاعب الرجبي الماهر الذي يجد صعوبة في الحصول على حذاء اللعب: إنه في إحدى المرات وهو يلعب في الملعب تعثر شخصان في قدميه، وأن اللاعبين الآخرين كانوا يتساقطون أمامه مثل أحجار الدومينو.

سر النمس في تقليد فريسته



اشتهر حيوان النمس بقدرته على قتل الأفاعي، وقد أسهمت رواية رديارد كبلنغ «صراع الغاب»، في ذيوع هذه الشهرة. والآن فإن فريقًا من العلماء قد اكتشفوا أن الأمر لا يتوقف على الحركة السريعة التي تقوم بها هذه الحيوانات الثديية لتجنب لسعة الأفاعي القاتلة فحسب، وإنما هي لا تتأثر أيضًا بسم الأفعى.

إن العنصر الفعال الذي يوجد في سم الأفعى غالبًا، هو سم (ألفا) العصبي، الذي يعمل بربط نفسه مع جزيئات مستقبل الاستيلكولين على سطح خلايا العضلات. وقد صممت أجهزة الاستقبال هذه من أجل استقبال رسائل من الأعصاب، تُبَلِّغ العضلات بالانكماش أو الاسترخاء؛ إلا أن سم ألفا العصبي يقف حائلاً دون وصول الرسائل، وبذلك تُشَلّ حركة الضحية، ومن ثم تموت.

وقد درست سارة فخس الخبيرة في علم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) نقاط الاتصال بين الأعصاب والعضلات، والبنية الجزيئية لأجهزة استقبال الأستيلكولين، ووجدت أن هذه الأجهزة في حيوانات النمس وفي الأفاعي موجودة على شكل معين يصبح معه من المستحيل بالنسبة لسم الأفعى أن يرتبط بهذه الأجهزة، التي تحتفظ بقدرتها على نقل الرسائل من الأعصاب إلى العضلات من غير أن تتأثر بسم الأفعى.

وتوضح فخس أنها وفريقها فحصوا جزيئات أجهزة الاستقبال في عضلات النمس جيدًا، ووجدوا أن بنيتها كانت مختلفة قليلاً عن أجهزة الاستقبال في الثدييات مثل الفئران التي يقتلها سم الأفعى. وفي المخبر نجحت فخس وفريقها في تغيير بنية أجهزة استقبال عضلات النمس بحيث تشبه أجهزة الاستقبال في الحيوانات الحساسة لسم الأفعى. وبمفهوم أجهزة استقبال العضلات، فإن في وسعنا تحويل حيوانات النمس إلى فئران.

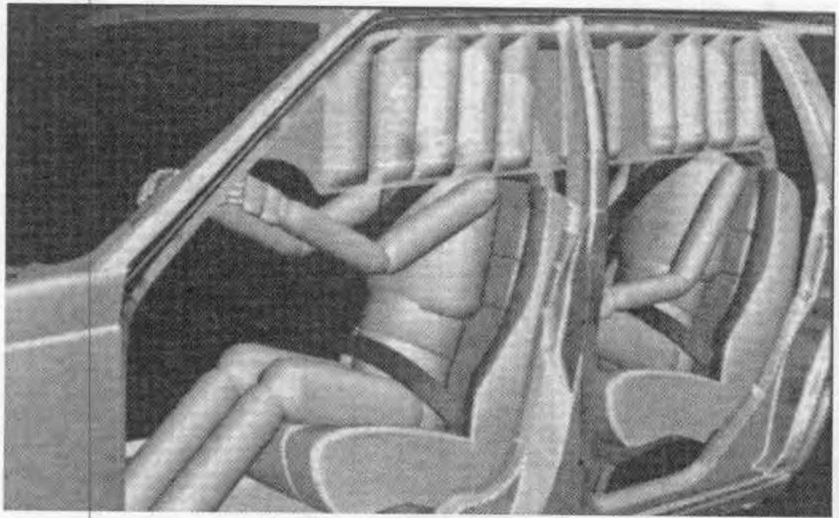
وذكرت مجلة نيو سينتست أن فخس تقوم الآن بإجراء أبحاث على سموم أفاع أخرى لترى إذا ما كانت حيوانات النمس والأفاعي تتقي آثار السموم بالآلية نفسها. وهي تعتقد أن أبحاث سموم الأعصاب قد تؤدي في آخر المطاف إلى إنتاج عقارات مضادة لسموم الأفاعي تستخدم فيها أجزاء فعالة من جزيئات استقبال النمس والأفعى؛ بحيث تكون أكثر فعالية وأمانًا من العقارات الراهنة.

ويقول ديفيد واريل من مركز الطب الاستوائي في جامعة أكسفورد: إن أبحاث فخس على درجة كبيرة من الأهمية لأنها قد تكشف واحدًا من كثير من الآليات التي تستطيع بها الحيوانات المعرضة لسموم الأفاعي أن تتجنب الأثر القاتل للسم.

غطاء للوقاية من إصابات الرأس

ابتكرت شركة فولفو جهازًا على منوال الكيس المنفوخ بالهواء لحماية الرأس من الإصابة في حالة وقوع حادث اصطدام. ويوضع الغطاء المنفوخ مخفيًا في سطح السيارة، ومن ثم ينزل ليخفف الصدمة عن الرأس.

وتقول الشركة السويدية المصنعة - حسب ما ذكرت الديلي ميل البريطانية - إن هذا الجهاز سيكون متوافرًا في بريطانيا خلال 18 شهرًا بسعر 400 جنيه استرليني تقريبًا، وهو يمتلئ بالغاز خلال جزء من خمسة وعشرين ألف جزء من



الثانية نتيجة تنشيطه من طريق مجسات استشعار مغروزة في جسم السيارة.

ويغطي هذا الكيس الجزء العلوي من داخل السيارة، بداية من طرف الزجاج الأمامي حتى الدعامات الجانبية الخلفية، وبذلك فإنه يوفر حماية لركاب المقاعد الأمامية والخلفية معًا.

وتشكل إصابات الرأس ربع حوادث الطرق المميتة والإصابات الخطيرة. كما أن الإصابات الجانبية هي سبب ثلث الوفيات. ويقول الناطق باسم شركة فولفو: إنه تم تجربة الكيس الهوائي بصرامة وأثبت نجاحه. ويضيف:

إنه توجد الآن أكياس هوائية لمقود السيارة وأكياس هوائية جانبية، ولكن حتى الآن لا شيء منها يحمي معظم أجزاء جسم السائق المعرضة للجروح.

قلب مجمد يعود إلى الحياة!



يحدو الأمل خبراء التبريد في أن بوسعهم تطوير علمهم من طريق زرع قلب خنزير في أحد الحيوانات الحية.

فقد قام فريق من جامعة بريتوريا في جنوب أفريقيا - مؤخرًا - بأول عملية لإنعاش قلب فأر سبق تجميده في درجة 196 مئوية تحت الصفر. وتقول ميشيللي فيسير رئيس الفريق - وهي رئيس قسم البحوث في قسم الجراحة الصدرية بالجامعة أيضًا -: إنهم يأملون في التوصل إلى زرع قلب خنزير مجمد في جسم حيوان حي مع نهاية العام.

يعتري الإحباط حلم تخزين الأعضاء في درجات حرارة متدنية جدًا بسبب التلف الذي يحدثه الماء المتجمد لغلاف الخلايا، إذ إن الماء يتمدد مع تدني درجة الحرارة. وتقول فيسير: إن فريقها توصل إلى حل لهذه المشكلة بوساطة سائل مبرِّد جديد وغير سام لا يدمر الخلايا في أثناء تجمده، ولا يحدث سوى ضغط أسموزي بسيط عبر أنسجة الخلايا. ويجري الفريق تجارب على هذا السائل منذ مدة، ولكن الدلائل تشير إلى أننا بصدد خطوة مهمة في حقل التجارب البشرية.

يقوم الفريق بنقع قلوب الفئران في سائل التجميد الوافي حتى درجة 196م تحت الصفر بوساطة سائل النيتروجين، وعند تذويب الجليد، فإن القلب ينشط مرة ثانية، وينبض بطريقته المعتادة، ولا يظهر عليه أي تلف للخلايا بعد فحصه من خلال مجهر إلكتروني.

تبدأ عملية التذويب ـ حسب ما ذكرت مجلة نيو سينتست ـ بوضع قلب الفأر في محلول بدرجة صفر مئوية يعمل على تمييع السائل الذي يغطي جسم الفأر، ومن ثم يوضع العضو في جهاز لانجيردوف للنضح، الذي يعمل علي تمييع الدورة الدموية للفأر. ويتم إحلال جهاز النضح تدريجيًا محل واقي التبريد من طريق سوائل محاكية لسوائل الجسم، ويستمر تسخين القلب حتى يصل إلى درجة الحرارة المثلى أي إلى 37 درجة مئوية.

يقول براديب لوثر عالم الفيزياء الحيوية من كلية امبريال في لندن: إنه حريص على اختبار واقي التجميد السري على أنسجة العضلات المجمدة التي يعمل بها، ويضيف: إنه إذا أثبت هذا الواقي جودته حسبما يسمع عنه، فإن ذلك سيحدث ثورة. وذكرت فيسير أنه من الممكن أن يأتي ذلك اليوم الذي تُزرع فيه الأعضاء المجمدة في جسم الإنسان، وأن هذا النوع من البحوث يخطو خطوات سريعة لدرجة أننا لا نستطيع أن نحدد ما هو الممكن؛ ولكن حالما نبدأ العمل بزرع الأعضاء في جسم الإنسان فينبغي أن نكون متأكدين تمامًا بأن القلب المجمد سيعمل.

ويأمل علماء التبريد في حفظ أعضاء التبديل أمدًا طويلاً حتى يجدوا تطابقًا في المواصفات بين المتبرع والمريض؛ ذلك لأن هناك قرابة خمسين ألف شخص ينتظرون زرع أعضاء في الولايات المتحدة وحدها، والأغلبية منهم تحتاج إلى زرع كلى.

العثور على سفينة تحمل كنزًا!



استطاع فريق بحث يقوده غواص نرويجي العثور على سفينة إسبانية ضخمة محملة بغنيمة قدرها أربعة بلايين جنيه استرليني كانت قد غرقت في القرن السادس عشر.

فقد اكتشف الغواص أنطوني سميث بارجة الأميرال «لاكابيتانا جيسوس ماريا» مقابل سواحل الأكوادور، وذلك من خلال استخدامه خرائط من القرن السابع عشر وتقنية القرن العشرين لعلم الزلازل.

تشمل النفائس التي سيتقاسمها فريق البحث والحكومة الأكوادورية الذهب والفضة والأحجار الكريمة التي أخذت من سكان البيرو من الهنود، وهذه في الواقع أكبر غنيمة من نوعها يعثر عليها في البحر.

يقول سميث ـ الذي التحق عام 1994م ببعثة البحث عن ذلك الكنز التي بدأت أعمالها قبل عشرين سنة ـ: إنه لا يكاد يصدق أنه اكتشف السفينة، وإن النوم فارق جفنيه تقريبًا خلال خمسة الأيام الماضية، ويضيف: إن شعور الفريق كان رائعًا إلى حد لا يوصف عندما أدرك لأول مرة أنه اكتشف تلك السفينة.

وقد استخرج الغواصون النفائس من السفينة، ويعدون الخطط الآن لانتشال حطام السفينة.

العالم..
إلى أين؟

اغتيال البراءة بنصل التقاليد المنحرفة!

إعداد: قسم الترجمة



مايزال الخُواء الروحي والفراغ العقدي، واستشراء الماديات، وتفكك القيم لدى كثير من المجتمعات يوسع مساحات التربة الخصبة التي تنمو فيها الممارسات المنافية للأخلاق، وتلك التي تهين كرامة الإنسان؛ فغدا الفرد في تلك المجتمعات لا يبالي بما يفعل ولا يخضع سلوكه لقيم، سوى قيمة المنفعة العاجلة والمصلحة الموقوتة، ولا يهم أن يطأ غيره في سبيل تحقيق تلك الرغبات، ويلغي حقوق الآخرين، ويتعدّى على حرياتهم، فالديباجة القائلة «إن حريتك تنتهي عندما تبدأ حرية غيرك» تظل عبارة جوفاء على الرغم من مزاعم تلك المجتمعات بصون الحرية وكفالتها.

لقد سقط هذا الادعاء، وتعرَّى في تطبيقات عديدة لمفهوم الحرية، فتكشفت أبعاد التفسير الانتهازي الذي يأخذ به كثيرون هذا المفهوم. وإذا كانت اختلافات السياسة وتباين الانتماء العقدي بين شعوب الأرض يجعلان تباين النظر إلى الحرية أمرًا لا مفر منه، فإن الإنسانية - على اختلاف مشاربها (ألوانها وألسنتها ومعتقداتها) - تواضعت على قواسم مشتركة بينها في بعض الاهتمامات التي تدخل في إطار حماية الحياة وحفظ النوع البشري، مثل: حماية البيئة والطفولة. ولكن في ظل مجتمعات افتقدت الحاسة الإنسانية التي توجه مسيرتها، دخلت الاهتمامات الأساسية - أيضًا - في دوائر التفسير الانتهازي النفعي، وبدأت قضايا مثيرة للاستغراب والاستهجان معًا تُطرح، وشهدت تلك المجتمعات - شرقا وغربا - أحداثًا تنم على انفصام عراها بأهم الحقوق والالتزامات الانسانية: حق الطفل في الحياة، وحقه في التمتع الكامل بمرحلة الطفولة، بما تعني من براءة وحيوية. ولم يُجْدِ التنادي إلى عقد المؤتمرات الدولية، وقيام المنظمات الراعية للطفل وحقوق الإنسان بإطلاق تحذيراتها بضرورة وضع التدابير



اللازمة لحماية الطفل، وذلك لأن الجــرائم التي تُرتكب في حق الأطفال ـ على نطاق واسع ـ تدار بصورة مؤسسية، والضالعون فيها ـ في أحيان كثيرة ـ جهات رسمية أو لها نفوذ، وبإمكانها العمل من وراء حجاب من طريق تخصيص عملاء دون أن تمتد إليها يد القانون. ومن الأمور التي تجعل الجرائم المرتكبة في حق الأطفال أكثر تعقيدًا، وتدفع بها إلى دهاليز مظلمة، أنه في بعض المجتمعات تكون وراء تلك الجرائم جهات أمنية منوط بها حفظ النظام وتطبيق القانون، وجهات أوكلت إليها مهمات اجتماعية أخرى، ومن ذلك أن في بعض ولايات الهند ينتشر قتل الطفلة (الأنثى) على نطاق واسع. وتوضح إحدى الدراسات ـ حسب ما ورد في تقرير نشرته «الإكسبريس اللندنية» ـ أن في ولاية بيهار ـ التي تعد واحدة من أكثر الولايات الهندية فقرًا ـ قُتل في عام 1995م ما يزيد على 1,6 مليون طفلة، حيث تُعدّ البنات في تلك المجتمعات عبئًا يثقل كاهل ذويها، إذا بلغن سن الزواج، وذلك لأن عادات تلك المجتمعات تفرض على ذوي الفتاة تحمل المهر (الصداق) وتبعات الزواج. ويشير التقرير إلى أن في الهند عشر ولايات على الأقل تمارس قتل الفتيات بالنسبة نفسها التي تحدث في بيهار، ومعنى ذلك أن ما يزيد على 16 مليون طفلة تُقتل سنويًا؛ أي بنسبة 10٪ من مجموع المواليد الإناث.

وفي آلاف الحالات التي كشفها موظفو الرعاية والإغاثة كان القتل يتم بالتواطؤ مع السلطات المحلية وبمعرفة تامة من قبل الأطباء والممرضين الحكوميين. وقد اعترف أحد الصيادلة بذلك الموقف الشائن للسلطات الصحية، وقال إنه شهد بنفسه نحو ألف طفلة يقتلن على يدي طبيب واحد!

اغتيال البراءة
بنصل التقاليد المنحرفة!

وفي كايتهار شمال شرقي بيهار اعترفت القابلة «ساريتا» أنها قتلت عشرات الأطفال الإناث، وتقول إنها تأسف على موتهن، لكن لا خيار أمامها إلا الخضوع لرغبات آبائهن، فإذا كانت توجد بنتان أو ثلاث لدى الأسرة، فإن الأب يطلب من القابلة أن تقتل المولودة حديثًا!

ويشير التقرير إلى أنه كلما نشطت مؤسسات الرعاية المناهضة لقتل الأطفال الإناث، جددت الشرطة في إخفاء المشكلة، وحدث أن تم توجيه تحذيرات للعاملين في الرعاية والإغاثة بألا يتحدثوا عن عمليات القتل. وتقول «أتيلا كوماري» من جمعية البر البريطانية «أديثي» إنهم أبلغوها وزملاءها أن يتوقفوا عن إثارة المشكلات!!

وإذا كان قتلة الأطفال الإناث في الهند يتخذون من العادات والتقاليد المنحرفة أعذارًا لارتكاب جرائمهم، فإن بريق المال الذي أعمى البصائر في كثير من المجتمعات الأخرى أدى إلى ارتكاب جرائم في حق الطفولة لا تقل عن إزهاق الروح. فاستغلال الأطفال في الأعمال المنافية للآداب في إيطاليا حقق دخلاً أكثر من ثلاثة مليارات دولار سنويًا لممارسي ذلك النشاط القذر. ويشير تقرير صادر عن الاتحاد الإيطالي للمعاملات التجارية إلى أن المافيا الروسية ومافيا الماكسوستا ومافيا الترياد الصينية وبعض المنظمات من أوربا الشرقية تهيمن على الأعمال الشائنة التي ترتكب في حق الطفولة البريئة، وبخاصة مع أطفال مخطوفين أو مباعين من بلدان جنوب شرقي آسيا وأوربا الشرقية وأمريكا الجنوبية ـ على الساحة الإيطالية خصوصًا والأوربية الغربية بصورة عامة ـ. ولقد أضاء المؤتمر الدولي حول استغلال الأطفال جنسيًا ـ الذي عُقد في استوكهولم في شهر أغسطس الماضي ـ أكثر من ضوء أحمر لتنبيه العالم على هذه الظاهرة التي تنتشر بصورة مزعجة. وعلى الرغم من مضي نحو 10 أشهر منذ انعقاد ذلك المؤتمر الذي أصدر توصيات ـ قيل بشكل غير مباشر في صناعة الانحراف وتعزيز البغاء في أوساط الأطفال».

وليس سجل الولايات المتحدة في هذا الأمر بأنقى من دول أوربية وشرق أسيوية كثيرة، فهناك أعداد كبيرة من الأطفال تباع وتشترى، ويُزجّ بها في سراديب البغاء كل يوم، وهناك ما بين 100- 300 ألف طفل وطفلة أُغرقوا في الدعارة، حسب قول باحثين اجتماعيين.

وهكذا، بينما العالم يخطو نحو القرن الحادي والعشرين،



في وقتها إنها صارمة وحازمة ـ إلا أن الجرائم الجنسية ضد الطفولة لم تنخفض وتيرتها، ولا تزال وسائل الإعلام تخرج علينا يوميًا بأنباء عن جرائم متنوعة تغتال براءة الطفولة، وفي معظم الأحوال يكون الجشع أو الركض وراء الثراء هو السبب القوي الكامن وراء تنامي هذه الظاهرة البشعة. ففي تايلاند يرى «كريتايا أرشا فانتكول» من معهد البحث الاجتماعي والإسكاني في جامعة ماهيرول قرب العاصمة بانكوك: أن «هناك كثيراً من السياسيين وشبكاتهم متورطون مباشرة أو

ولم يبق سوى ثلاث سنوات على إطلالة عام 2000م الذي يوصف ـ على نطاق واسع ـ بأنه عام التحولات الكبرى، والذروة في تسجيل الانتصارات العلمية، يتجرد الإنسان في هذه المجتمعات من أهم سمات الإنسان، ويعامل أرق العناصر في الحياة وأولاها بالرحمة ـ الطفل ـ بأسلوب فظ ينم على غلظة القلب وتحجره.

ولنتأمل هذا المشهد المأساوي: دخلت الأم الهندية الشابة «سيما كوماري» غرفة الانتظار في أحد المستشفيات، وهي تحتضن طفلتها الوليد، والابتهاج يعلو وجهها.. ولكن ما إن عرضت طفلتها الجميلة متباهية بها حتى جوبهت بصرخات ممن حولها.. لقد طالب الأطباء والممرضون تلك الأم الصغيرة بأن تتخلص من طفلتها.. كيف؟ بالإجهاز عليها بيديها. فما دامت هذه الصغيرة قد أفلتت من القتل في أثناء الولادة، فلا بد أن يوضع حد لحياتها وبيد أمها التي قاست ألوان الشقاء طوال 9 أشهر من الحمل، وهي ترسم آفاقًا مستقبلية لوليدها المنتظر. أفاقت سيما من ذهولها لتجد هؤلاء الناس يلحون عليها، ويطلبون منها قتل طفلتها بكسر عمودها الفقري. تحت تأثير الضغوط الرسمية الآنية والضغوط الاجتماعية اللاحقة حاولت الأم ثلاث مرات متتالية تنفيذ أوامر الأطباء والممرضين، ولكنها أخفقت في كسر عظام الطفلة الناعمة، إذ لم تقو على إنهاء حياة طفلتها بيديها، وبدلاً من ذلك ألقت بها على قارعة الطريق ملفوفة بورق صحيفة قديمة، وهي تردد: أي خيار وضعوه أمامي؟!

وهذا مشهد آخر: فقد ذكرت «كاميرون بار» من كمبوديا أنه في أحد أيام ربيع عام 1995م استيقظت فتاة كمبودية صغيرة من نومها لتجد نفسها في بيت للبغاء في العاصمة «بنوم بنه»، بعد أن قامت عمتها بتخديرها وتسليمها إلى صاحب البيت لقاء مبلغ من المال. وتقول «آم كيمهنج» مديرة أحد الملاجئ الخيرية في باتامبانج، وهي تشير إلى المتاجرين في الأعراض الذين دمروا حياة ملايين الأطفال: «إنهم يبيعون الكائنات الإنسانية مثل الخنازير أو الكلاب أو الدجاج»!

اللاسامية.. والإسلام



د. حسن ظاظا

لولا الاستعمار الاستيطاني الصهيوني الناشب الآن في قلب العالم العربي لما كان هناك مجال لإثارة هذه القضية. واللاسامية كلمة استعارها العرب المعاصرون من الأوربيين الذين صنعها لهم بعض مواطنيهم.. من اليهود، وهي في كل لغات أوربا وأمريكا تُعبر عنها كلمةُ «آنتيسيمتيزم»، ومعناها الدقيق: معاداة السامية، وباختصار صريح: النفور من اليهود، والتصدي لهم، والحذر منهم.. وبالجملة «التعصب ضد اليهود». فنحن نرى أن تعريب الكلمة الغربية إلى العربية كان خاطئًا، بحيث تدل «اللاسامية» على موقف سلبي بعكس «آنتي» في أول الكلمة الأوربية، التي تعبر عن الإيجابية والنشاط والتأثير. وأما «السامية» وهي عندهم «سيميتزم» فمعناها: «الانتساب إلى سام بن نوح»، ومعروف أن «الجنس السامي» يشمل أممًا كثيرة غير اليهود، في مقدمتهم العرب، والسريان والبابليون والآشوريون والفينيقيون والكنعانيون.. وغيرهم على حسب ما جاء في جدول الأنساب الموجود في التوراة التي يؤمن بها اليهود والنصارى - في سفر التكوين. ولأن هذه الأمم السامية لم تكن ممثلة في المجتمع الأوربي - والأمريكي تبعًا لذلك - إلا باليهود دون غيرهم من الساميين؛ فقد استسهل بعض الأوربيين نسبتهم إلى سام بن نوح، خصوصا في القرن التاسع عشر الميلادي، مع نشاط البحث في لغات البشر، وفي تقسيمها إلى سلالات لغوية تسهيلاً لمقارنتها بعضها بعضاً، فأطلق الباحث اللغوي الألماني شلوتزر اسم «اللغات السامية» على لغات العرب واليهود والسريان وغيرهم، ووجد هذا الباحث أن التقارب بين فروع هذه السلالة اللغوية يدعو إلى مقارنتها، وسمَّاها «اللغات السامية» تيسيرا واختصارا، بعيداً من الاعتبارات العرقية.

الأقلية الساحقة!!

وإذا كان العرب ساميين، بل من أعرق الأصول السامية، فقد كان من المستحيل أن يصنعوا كلمة اللاسامية خاصة باليهود وحدهم. ثم تسربت هذه الكلمة إلى لغة الإعلام في أوربا، وكان اليهود فيها قد وصلوا إلى مستوى رفيع من الغنى والحضارة، وسيطر كثيرون منهم على المصارف، ودور المال وأسواق الذهب والمعادن النفيسة والأحجار الكريمة، وظهر فيهم علماء وأدباء وفلاسفة ورجال حرب ورجال سياسة، وساعدهم على ذلك تعاونهم مع الاستعمار الأوربي في آسيا وأفريقية، وتماسكهم الشديد - خصوصا في وجه غير اليهود - لقلة عددهم في العالم، إذ إن عددهم الإجمالي يدور حول خمسة عشر مليونًا في العالم كله، لدرجة أن أحد الصحفيين الفرنسيين من كارهي اليهود كان يطلق عليهم اسم «الأقلية الساحقة» قياسًا على المصطلح السياسي «الأغلبية الساحقة». كما كانت هجرتهم إلى أمريكا بعد اكتشافها - منذ القرن السادس عشر الميلادي، وإلى الآن - من أهم الفرص التي أتيحت لهم للتحرر من اللاسامية الأوربية بما لابسها من تضييق واضطهاد. وقد مشى التحرر اليهودي في أوربا بخطى بطيئة جدا، استمر بعضها في روسيا وأوربا الشرقية إلى ما بعد قيام دولة اليهود الصهيونية في فلسطين إلى أواسط القرن العشرين الحالي. فمثلاً كانت روسيا تمنع سفرهم إلى الخارج إلا بعد إجراءات طويلة، باهظة التكاليف كان أقلها منعهم من حمل أية أموال لديهم عند الرحيل إلى الخارج، وعدم السماح لهم بالحصول على جواز صالح للسفر إلا إلى بلد شيوعي آخر، أما اللحاق بالتجمعات الصهيونية في فلسطين فكان ممنوعًا بتاتًا، إغراءً للعرب والمسلمين بقبول الشيوعية والاحتماء بها في بلادهم. ومع ذلك فإن روسيا الشيوعية كانت تغمض عينيها عندما يذهب اليهود إلى النمسا أو رومانيا أو ألمانيا الشرقية، ثم يتوجهون منها بالآلاف إلى فلسطين التي حوّلها الاحتلال البريطاني عام 1918م إلى «مقرّ وطني لليهود» حسب ما جاء في «وعد بلفور» الصادر من وزارة الخارجية البريطانية في أواخر عام 1917م، وزحف الجيش البريطاني إلى فلسطين قادمًا من مصر التي كانت - هي أيضًا - واقعة تحت النفوذ البريطاني. ولم يزحف الجيش البريطاني إلى فلسطين، إلا بعد أن جند من اليهود «المتطوّعين» فرقة صهيونية متطرفة يتزعمها المفكر الصهيوني «جابوتنسكي» ومساعده الخبير العسكري الروسي الصهيوني «ترومبلدور» الذي عمل في الجيش القيصري في روسيا، وفقد ذراعه في إحدى الحروب، فاشتهر بين العرب في مصر وفلسطين باسم «أبو دراع»، وتسلم قيادة هذه الفرقة في الحرب العالمية الأولى المقدَّم البريطاني «باترسون» وكان مسيحيا، وألف كتابًا حول بطولة الفرقة الصهيونية في قتال الجيش الإسلامي العثماني في بوغاز الدردنيل. وكانت هذه الفرقة تسمى «البغَالة» إذ كانت مهمتها نقل المدافع إلى جبهة القتال، على ظهور البغال، وقد تم تدريبها في معسكر «الدخيلة» الذي كان بريطانيًا في ذاك الوقت. وعند عبور البغالة حدود مصر الشرقية نحو فلسطين أصرّ جابوتنسكي على أن ترفع الفرقة الراية الصهيونية، لأن أقدامها تطأ «أرض الميعاد» للمرة الأولى في التاريخ الحديث. وعندما تم طرد الأتراك من فلسطين واستتب فيها الأمر للبريطانيين، صدر الأمر بتعيين «السير هربرت صمويل» - وهو يهودي إنجليزي - حاكمًا عامًا لفلسطين بلقب «المندوب السامي البريطاني»، وحصل من حكومته على الموافقة على تعيين ابنه «إدوين صمويل» مديرًا عامًا للهجرة والجوازات والجنسية. وبإنشاء الوكالة اليهودية في فلسطين تم تكوين حكومة «إسرائيل الصهيونية» منذ العشرينيات من هذا القرن، يرأسها «دافيد بنغوريون»، ويتولى الشؤون العسكرية فيها «إسحق بنسفي» يعاونه «إسحق رابين» حينا، و«إسحق نافون» أحيانًا، كما عُهد برعاية الشباب إلى «جولدا مئير»، وتمت الهيئة بتعيين «رؤساء دوائر» للمياه والإسكان والتعليم والإعلام والمالية.. وغيرها. وأعطيت التصاريح بإنشاء خطوط النقل العام في المدن «همقيشتر» وبين أقاليم فلسطين بعضها بعضًا «إجد»، كما أُعطي احتكار الصابون ومستحضرات التجميل والعطور وزيت الزيتون إلى شركات مساهمة يهودية محدودة مثل عدِين وشمن وغيرها. وفي عام 1924م أنشئت مؤسسة للتعليم العالَي والبحث العلمي في القدس تضم معهداً للدراسات الطبية العليا أُلحق بمستشفى «هَدَاسَة»، وكلية للآداب وأخرى للعلوم وثالثة للزراعة قامت مكان مدرسة الهندسة الزراعية في رحوبوت، بالقرب من عسقلان والمجدل، وكلية للهندسة والتقنيات في حيفا، وتم هذا كله بالمنح السخية التي تبرعت بها الحكومات ذات المصلحة في تقوية الحضور اليهودي في منطقة الشرق الأوسط، وما تبرع به أثرياء اليهود في العالم، بل كان مَنْ ليس عنده مال يتنازل عن ميراثه للجامعة العبرية بالقدس، أو غيرها من مؤسسات الخدمة العامة الصهيونية في فلسطين، لدرجة أن بعض العلماء اليهود تنازلوا عن كل كتبهم للجامعة العبرية، أذكر منهم المستشرق المجري «إجناس غولدتسيهر» (1266- 1340هـ=1850- 1921م) الذي اشتهر بتقييد آرائه وملاحظاته على الكتب العربية والإسلامية التي كان ضليعًا في قراءتها (درس في الأزهر بأوراق مزورة على أنه مسلم من بعض ولايات البلقان التركية، وسمى نفسه: الشيخ

إسحق بن يعقوب الزركشي وهذه الكلمة ترجمة دقيقة لغولدتسيهر).

جرائم الطغاة يدفع ثمنها العرب!

معذرة فقد أطلت في هذه النقطة آملاً أن يفكر العرب والمسلمون في أن «دولة فلسطين» قد تكون على الأبواب، وحتى تقوم على قدميها، وترى الحياة خلف الوحش الضاري الجاثم في وجهها، فإنها محتاجة إلى معونة ضخمة من جانب جميع العرب والمسلمين وكل الأمم المحبة للسلام والعدالة والحرية في العالم، سواء بالمال أو بالعلم، وإلا بقيت ضعيفة ذليلة، وخرج أمرها من يدها وآل إلى الجارة الطامعة الحاقدة، التي تحكم لا بإخضاع فلسطين لإشارتها، بل تريد ذلك لكل العرب، ولجميع المسلمين. وأنا واثق من أن هناك متبرعين من اليهود سيمدون يد العون إلى الفلسطينيين - حتى من إسرائيل نفسها - لأن الإنسان اليهودي مختلف تماماً عن الصهيوني، فهو يعرف أن الحماقات الشمشونية القديمة هي التي جلبت على اليهود الهزيمة والشتات والكراهية، وأن العرب لا ذنب لهم في ذلك كله، وليس من العدل أن يدفعوا من أرواحهم ودمائهم وأموالهم ما جناه فرعون وبختنصر وأباطرة الرومان وقياصرة الروس وبطارقة العصور الوسطى، ثم هتلر وستالين والكثير من غير هؤلاء. ثم إن العالم كله قد عرف الآن أن الصهيونية لن تجمع اليهود جميعا في فلسطين، ولا حتى في الشرق العربي كله، وأن نقل مؤسسة صناعية يهودية من إنجلترا أو أمريكا أو فرنسا إلى إسرائيل أمر مستحيل. قد يمكن فتح فروع لمؤسسة صناعية في إسرائيل كما يمكن فتحها في الهند أو مصر أو جنوب أفريقيا أو الصين.

وإذا كنا قد اتفقنا على أن «اللاسامية» ليست اختراعاً عربيا، حتى ولا اسمها، فإن «الصهيونية» بالمفهوم السياسي الذي تخيلته في القرن الماضي «جمعية أحبّاء صهيون» يبدو للفاحص المدقق أمراً مضحكًا، ويبدو ربطه بالفكر الديني اليهودي أكثر إضحاكًا، لتهافته وزعزعة قواعده، ولأن جبل صهيون اليوم، ومنذ عهد سليمان عليه السلام، لم يعد له أثر. هذا الجبل الذي شمخ ذكره على «طور سيناء» كان تلاً سهل على سليمان أن يزيله منذ ثلاثة آلاف عام تقريبًا، وأن يُدخل موقعه ضمن مشروع لتجميل عاصمته «أورشليم». أما موسى عليه السلام فلم ير جبل صهيون، بل تجلّى ربّه لجبل الطور فجعله دكًا، وهو جبل شامخ الارتفاع بخلاف ما قاله أحد أحفاد موسى بن ميمون في تفسير له على قصة «الفصح»، فوصف طور سيناء بأنه «واطي» كما قالها بالعربية، ثم أكدها بقوله إن الله تعالى اختار للقاء موسى هذا الجبل المنخفض لينصحه بالتزام «التواضع»، فصدّق اليهود أن طور سيناء «واطي» ولكنهم لم يصدّقوا وجوب التواضع، فاعتقدوا أنهم شعب الله المختار.

أسباب نفور العرب من اليهود

وأما ما كان من كراهية العرب لليهود في الجاهلية فقد كانت لها أسباب، منها أن النصرانية انتشرت في اليمن بوساطة الحبشة، الجارة القوية العريقة لليمن، وكانت النصرانية قد دخلتها من مصر. ثم إن الحبشة احتلت اليمن، ومن الطبيعي أن يحاول كل شعب مغلوب على أمره أن يستعيد استقلاله وكرامته. ولكن النصرانية المنتشرة في اليمن كانت من وسائل «التخذيل» للحركات الوطنية اليمنية، إذ كان الإنسان اليماني يتحرج من محاربة الحبشي، وهو أخوه في الدين. ثم جاء «ذو نواس» فتولى مُلك اليمن، وأراد أن يطرد الأحباش من بلاده، بأن يضع حدًا لهذه النصرانية الانهزامية الجديدة في بلاده، فوقف بالدين في اليمن عند «العهد القديم»، وهو الكتاب الديني الذي يؤمن به اليهود، ويتضمن توراة موسى بأسفارها الخمسة (التكوين، الخروج، الكهنة اللاويون، العدد، التثنية أو الرواية الثانية للشريعة)، ثم كتب أنبياء بني إسرائيل، ثم كتب الحكمة. ومنع ذو نواس قومه من «العهد الجديد» بأناجيله الأربعة: متّى، مرقس، لوقا، يوحنّا، ثم مأثورات خلفاء المسيح عليه السلام من رسائل بولس، وأعمال الرسل، وهم الذين تولوا نشر النصرانية في الإمبراطورية الرومانية ومستعمراتها، وجزائرها في البحر المتوسط، ثم سفْر رؤيا يوحنّا اللاّهوتي. ولم يكن تهويد النصارى في اليمن بالأمر السهل، فاستعان ذو نواس بكهنة من اليهود، أفتوا باللجوء إلى الإرهاب والتعذيب، فحفروا للنصارى أخدودًا في الأرض أشعلوا فيه نارًا عظيمة، فمن أبى أن يتهوّد أُلقي في هذه الحفرة ولقي أشد العذاب: النّار ذات الوقود. إذ هم عليها قُعودٌ. وهُم على ما يفعلونَ بالمؤمنينَ شُهود. البروج: 7-5. ومن أسباب نفور العرب من اليهود اشتغالهم بالربا في أسواق العرب، وفي حلقات الميسر، وكذلك اختصاصهم ببعض المهن المهينة أو المستقذرة، مثل صناعة الخمر وبيعها للعرب، وبيع الأطعمة الخبيثة في الأسواق، واستيراد الأسلحة وبيعها للمتحاربين، وزراعة النباتات ذات الرائحة الكريهة في أراضيهم مثل الثوم والبصل والكرّاث، ثم ادعاؤهم زورًا أنهم من سلالة هارون شقيق موسى، وأبو الكهنة. والعربي إذا ما استطاع أن يصل بنسبه إلى ربيعة أو مضر أو كندة أو الأزد شمخ بأنفه فخرًا وكبرًا، فما باله وهو يرى أولئك الدخلاء ينتسبون إلى موسى وهارون؟ فإذا أضفنا إلى هذا النفور الجاهلي القديم تآمرهم على الدعوة الإسلامية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، مع أن القرآن الكريم قد عدّهم من أهل الكتاب، الذين آمنوا بالله قبل الإسلام، على يد رسل آخرين جاء كل منهم بكتاب: موسى بالتوراة، وعيسى بالإنجيل، ويحيى بشريعة الصابئة.

تآمرهم على الرسول صلى الله عليه وسلم

ومؤرخ الديانات يلاحظ باهتمام التزام اليهود الصمت والحياد مادام الإسلام في مكة، أما بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فإن الموقف قد تغير. لم تعد «يثرب» تُذكر باسمها القديم، لأن الله تعالى شرّفها برسول له دين وكتاب وشريعة، وفي اللغات السامية كانت أية بلدة لا تسمى «مدينة» إلا إذا كان فيها قاض (ديّان) يحكم بين الناس طبقًا لقانون وشريعة. وباختصار فقد جرت الأمم السامية على أن تصف البلدة باسم المدينة إذا كانت فيها محكمة وشريعة، بل استُعمل هذا اللفظ (مدينة) للدلالة على الدولة كلها. وهكذا ما كاد اليهود في يثرب يشعرون بوصول أول وفد إسلامي أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أيقنوا بأن هذه الهجرة ليست في صالحهم. فهذا النبي ليس منهم! نبي من «الجوييم»؟ يا للهول! وهم لا يستطيعون أن يطعنوا في حسبه ونسبه - كما طعنوا في عيسى بن مريم عليه السلام - فهو قرشيّ عدناني صليبة، وهو نسباً من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهو دعوةٌ مصدّق لما معهم. وأهل المدينة قد استقبلوه بحماسة تجعل من المستحيل إثارة فتنة بين الطرفين. وكثرت أسئلة شيوخ اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم، إما مباشرة، أو مدسوسة إليه مع بعض الأعراب، فيجيب عنها بكل أمانة الأنبياء وأناتهم. ونجحوا هم في استقطاب جماعة من (المنافقين) فلم يجد هذا شيئًا، وبدأ التشنيع عليه بين يهود خيبر وبني قريظة وبني قينقاع المنتشرين حتى تيماء. وحاولوا أن يقتلوه فنجّاه الله منهم: حاولوا أن يصيبوه بحجر رحا أُلقي عليه من أعلى فلم يكن عملهم هذا مجديًا، ودعوه إلى طعام عندهم، ودسوا له السم في ذراع شاة، ولكن باؤوا بالخسران وأبى الله إلا أن يتمّ دينه. وكان فيهم شعراء، فأغروا شعراءهم بهجائه وبالطعن في عرضه، فلما أفحشوا في ذلك، ورموا المحصنات، ووُجد أن ذلك يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم هو وصحابته من المؤمنين، أخذوا بجرمهم، وتم تطهير المدينة من بني قريظة، أما بقية اليهود فقد أصابهم الرعب وتفرقوا، بعضهم إلى الطائف حيث كان يهودها يأخذون أعنابها فيعصرون منها الخمر، ويبيعونها في قبائل العرب.

الإنسان اليهودي مختلف عن الصهيوني، لأنه يعرف أن الحماقات اليهودية القديمة هي التي جلبت على اليهود الهزيمة والشتات والكراهية، وأن العرب لا ذنب لهم في ذلك كله

وعلى الرغم من نزول القرآن محذرًا الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود، فإن «اللاسامية» ظلت مجهولة بين العرب، حتى في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ جاءه بستنائي، وهو من يهود العجم، وقصته مع عمر بن الخطاب مشار إليها في كتب المؤرخين الإسلاميين القدماء، وفي مقدمتهم ابن جرير الطبري، ولكنها في الكتب اليهودية أكثر تفصيلاً، حتى إن أدباء الصهيونية استمدوا منها موضوعات ومواقف أفاضوا فيها. وألخص لقرائي ما حكاه اليهود:

كان هناك رجل تقيّ من يهود إيران، متبحر في تفسير التوراة والتلمود، ملتزم أحكام الشريعة اسمه «حفين». وكان الشباب يقصدونه ليتعلموا منه أحكام دينهم. ووصل إليه من إحدى المدن الإيرانية النائية شاب يهودي يريد التبحر في العلم، فأكرمه الشيخ، وأحسن استقباله، وقرّبه إليه، وكانت للشيخ ابنة جميلة زوجها تلميذه هذا، ثم مات الشيخ، واندلعت فتنة بين الإيرانيين واليهود قُتل فيها زوج ابنة الحاخام «صفني» وفرّت هي هاربة. وفي الطريق جاءها المخاض،

فحارت في أمرها، ثم اهتدت إلى بستان من بساتين كسرى، فلجأت إليه ووضعت غلامًا أسمته «بستنائي»، لأنه ولد في بستان كسرى. وتقلبت بالصبي وبأمه الأحوال والأسفار، وحيثما تعلم في أسفاره أتقن لغة البلد الذي حلّ فيه، وماتت أمه وبقي هو يطوي الأرض ساعيًا لمعاشه وباحثًا عن العلم، فزار بلاد الروم، وأحكم الآرامية واليونانية واللاتينية، وأقام مدة في بلاد العرب فتعلم العربية، ثم عاد إلى إيران بعد أن هدأت الأحوال فيها، وجلس على عرشها ملك لا يكره اليهود ولا يضطهدهم. وتوصل إليه بستنائي فوجد لديه حظوة، إذ جعله رئيسًا للمترجمين في القصر، وجرت أموره بسلام إلى أن جاء على عرش إيران ملك ضعيف متردد، وكان بستنائي يجلس إلى جانبه عند وصول رسائل البريد. وذات صباح دخل واحد من حرس الملك قائلاً: بالباب يا مولاي، رجل عربي يحمل رسالة، ورفض أن يعطيها لأحد غير كسرى نفسه. فقال الملك: أدخله برسالته.

قال الراوي: وكان حامل الرسالة اسمه «سعيد» فألقى التحية على كسرى وسلمه الرسالة؛ فأعطاها الملك إلى بستنائي ليقرأها ويترجمها، ثم قال لكسرى: إنها رسالة من نبي عربي اسمه محمد بن عبدالله، يدعو فيها كسرى إلى الإسلام. فأخذ الرسالة منه غاضبًا ومزقها وداسها بنعله، وقال لحاملها ـ سعيد ـ: لولا أنني أعطيتك الأمان لكان مصيرك هنا هو مصير رسالة سيدك. اذهب، وقل له إنني إن رأيته أمامي لمزقته إربًا كما مزقت رسالته. وانصرف سعيد، وسأل كسرى صاحبه بستنائي عن رأيه في الموضوع. فقال بستنائي: إن هذا النبي العربي يتفق ما كتبه مع تعاليم موسى في التوراة، وهو مبعوث من الله إلى الناس كافة ـ باستثناء اليهود الذي بُعث إليهم موسى ـ ورأيي أن تدخل في دينه! فأمر كسرى بالقبض على بستنائي ووضعه في السجن، بتهمة الخيانة، والتواطؤ مع العرب ضد الفرس. وعندما وضع في السجن، وجد فيه شابًا عليه آثار النعمة والعراقة. ورأى فتاة جميلة تقابله في أيام الزيارة، وتأتي لرؤيته حاملة إليه كل شيء طيب من الغذاء والكساء. وحدث ذات يوم أن انصرفت الفتاة والفتى معًا، وجلس الحراس يتحدثون في الأمر، ففهم بستنائي من كلامهم أنهم ارتشوا من هذه الأميرة ـ ابنة كسرى ـ حتى يغمضوا الأعين إذا هرب الفتى معها. وقال أحدهم: ولكن بستنائي، لو بقي هنا لاعترف بأننا سهلنا أمر الهرب من الحبس للأمير والأميرة! فقال آخر: أرى أن نطرده الآن، ونقول إنه خرج بصحبة الأميرة والأمير. وتولى الحرس بسرعة طرد بستنائي من السجن.

فتح فارس وسقوط إمبراطوريتها

ولم يتردد أين يذهب هذه المرة، بل اتجه إلى جزيرة العرب، وسأل أحد الأعراب عن النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره أنه قد توفي. وسأل: هل تولى أمر الأمة بعده أحد؟ قال: أبو بكر الصديق. سأل بستنائي: أين هو؟ قال: ذهب إلى رحمة الله. وعاد يسأل: هل تولى بعده أحد؟ قال: عمر بن الخطاب، وهو خليفة المسلمين، ومقرّه في المدينة المنورة. وأسرع بستنائي إلى المدينة، ولقي خليفة المسلمين، وراح يشرح له ما يعرفه من مظاهر الضعف والتفكك في الإمبراطورية الفارسية، وأنه قد آن الأوان لفتحها على يد المسلمين. وقال سيدنا عمر: وما مصلحتك في هذا وأنت لست مسلمًا؟ فأجاب: عند مروري بيهود الطائف شكوا إليّ من قرار أمير المؤمنين بمنعهم من السفر خارج الطائف. قال الخليفة: نعم، لأنهم كانوا يصنعون الخمر من أعناب الطائف ثم يخرجون بها ليبيعوها للعرب، وقد حرّمناها وجعلنا على من يصنعها أو يبيعها أو يشربها حدًا من حدود الله. قال بستنائي: لو أذن أمير المؤمنين لهم بالخروج لطلب الرزق، وألاّ يبيعوا خمرًا؟ قال: إن كفلتهم فلك هذا. قال: إن أراد أمير المؤمنين أن يرسلني مع الجند الذاهب إلى إيران، فإني عارف بطرقها. وقد قتلوا أبي وجدي كراهية لليهود، وشردوني أنا وأمي، حتى ماتت غريبة بائسة، ثم وضعوني في الحبس إذ نصحتهم أن يلبوا دعوة الرسول إلى الإسلام. فأنا كما يرى أمير المؤمنين عندي الكثير من أسباب الحقد والكراهية ضد العجم.

قال الراوي: فقوي عزم الفاروق عمر بن الخطاب على فتح إيران، وحمل رسالة الإسلام إلى مجوسها، وجهز لذلك جيشًا وضعه تحت قيادة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وقال في رسالته إليه: سيرشدكم اليهودي بستنائي إلى مسالك هذه الأرض، فإن جركم إلى كمين من أعدائكم فابدأوا به! وصحب بستنائي جيش المسلمين القادم من القادسية إلى أن تم فتح إيران.

اللاسامية ليست عربية بل رومانية!

وفي مجموعة القرارات التنظيمية وجد عمر بن الخطاب أن اليهود في العراق وإيران لا يرأسهم مسؤول منهم، على كثرة عددهم في تلك البلاد، منذ السبي البابلي ـ أي منذ أكثر من ألف سنة ـ ثم منذ سماح قورش ملك الفرس لليهود بالعودة إلى فلسطين، فلم يعد منهم إلا عدد قليل جدًا. فأصدر عمر قرارًا بتعيين بستنائي رئيسًا مسؤولاً عن الجالية اليهودية في العراق وإيران، وكان لقبه الرسمي «رأس جالوت» أو «رأس المثيبة»، واستمرّ هذا المنصب في النظم الإسلامية بعد ذلك، وكان هذا من عمر بن الخطاب أول اعتراف رسمي من رئيس دولة غير يهودية ـ هي الدولة الإسلامية ـ بسلطة روحية ورئاسية لطائفة من أهل الكتاب هم اليهود، ومن هذه الطائفة تم جمع «التلمود البابلي»، على حين توقف جمع «التلمود الفلسطيني الأورشليمي» عند اعتناق الإمبراطور الروماني «قسطنطين» النصرانية، إذ انعقد المجمع الكنسي النصراني تلبية لدعوته، وطالب آباء الكنيسة النصرانية، بعد أن أقرّوا رسميا اعتماد الأناجيل الأربعة من عشرات الأناجيل التي كانت سائدة إذ ذاك بروايات مختلفة، والأناجيل الأربعة المعتمدة هي: متّى، مرقص، لوقا، يوحنا. طالب آباء الكنيسة بمنع شيوخ اليهود من رواية تعاليمهم الدينية وتسجيلها في تلمودهم الفلسطيني، بوصفهم أعداء المسيح، الذين وافقوا على صلبه في مدينة القدس، ووافقهم الإمبراطور قسطنطين الذي بدأ حكمه وثنيًا عام 311م، ثم نذر إن انتصر في حرب ضد بعض أعدائه أن يعتنق النصرانية، ثم وفّى بنذره، وأمر بانعقاد مجمع نيقية الكنسي عام 325م، ثم بقي على العرش حتى وفاته عام 337م. وهكذا يبين بوضوح أن هذه «اللاسامية» القديمة، لم تكن عربية، ولا شرق/ أوسطية، بل كانت أوربية رومانية، في ديار ورث الرومان حكمها بعد الإسكندر اليوناني. في حين أن الجالية اليهودية في المنطقة الإسلامية (العراق وإيران) قد استمرت في نشاطها الفكري والديني، بل تقدمت في ذلك بخطوات عملاقة، بعد الإسلام، وفي إطار ما منحه إياهم الخلفاء المسلمون من أمن وعدالة وحرية. ولا يختلف أحد من مؤرخي اليهود ـ من اليهود أنفسهم ـ في أن الإسلام قد تفاعل بنشاط مع الفكر اليهودي، وأن موقف المسلمين من اليهود كان موقف تسامح لا تشوبه شائبة، مادامت الدولة الإسلامية عزيزة قوية قادرة على دفع العدوان عنها وعن الشعوب التي تعيش في ظلّها، ولا تسعى إليها العصبية الضيقة الحدود إلا إذا ضاقت حدودها، وتقلص ظلها، وصارت هي نفسها غرضًا للطمع والعدوان، ذكر هذا كثير من الباحثين اليهود مثل هاينريش غريتس في كتابه «تاريخ اليهود» الذي أصدره في عشرة مجلدات كبيرة في منتصف القرن الماضي، وترجم من الألمانية إلى الإنجليزية والفرنسية والروسية والعبرية وغيرها. وكذلك «تاريخ الشعب اليهودي» بالإنجليزية من تأليف ماكس مارغوليس وإسكندر مركس، وقد ظهر في النصف الأول من هذا القرن وتُرجم إلى الفرنسية، ثم الكتب والمقالات التي نشرها المؤرخ اليهودي الفرنسي أندريه شوراقي المعاصر لنا الآن، وقد ولته الحكومة الإسرائيلية منصب نائب الحاكم العام للقدس «القطاع الشرقي»، ثم استقال، وعاد إلى فرنسا لأنه رأى أن ما تفعله إسرائيل بالعرب يشبه ما كانت تفعله النازية الهتلرية في أثناء احتلالها لفرنسا في الحرب العالمية الأخيرة، وأن ضميره يأبى له الانغماس في هذه الممارسات.

والسلطان العثماني عبدالحميد، عندما قبل وساطة إمبراطور ألمانيا للسماح لزعيم الصهيونية العالمية ومؤسسها «هرتسل» بمقابلته، سأله السلطان: ماذا يريد أن يفعل؟ فأجاب بأنه يريد إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين. فظهر الغضب الشديد على وجه السلطان وصاح: تريد أن تقطع إقليما من مملكتي، ومن أراضي المسلمين، وتعطيه لليهود؟ هذا ما لا يكون، وطرده من حضرته!

الحضارة الإسلامية يتسع صدرها للجميع

وتاريخ التسامح العربي مع اليهود يجعل من العبث اتهام العرب باللاسامية، وكذلك المسلمون. فالمسلمون إذا حالفهم التوفيق بنو حضارات في العلم والفن والفكر يعتز بها النوع الإنساني كله، وإذا تسلل إليهم الشك في

موقف المسلمين من اليهود كان موقف تسامح لا تشوبه شائبة، مادامت الدولة الإسلامية عزيزة قوية قادرة على دفع العدوان عنها وعن الشعوب التي تعيش في ظلها

رسالتهم في هذا الوجود، وقعوا في الخلاف والشقاق، وقتل بعضهم بعضا.

ولا نكاد نرجع إلى كتاب عن تاريخ الحكماء أو الأطباء أو الكيماويين أو الفلكيين أو المهندسين الذين اشتهروا في ظل الحضارة الإسلامية؛ إلا وجدنا من بينهم جمهوراً من النصارى واليهود والصابئين شاركوا في دفع عجلة الفكر والحضارة إلى الأمام. وسأختار أفرادًا من أبرزهم فأقدمهم مع تعريف سريع، حتى يتبين منه أن التفاعل الحضاري في الإسلام لم يكن وقفا على العرب أو على المسلمين، بل كان منهلاً زاخراً كريمًا يرتوي منه من شاء كما شاء.

لكن لعل من المفيد للقارئ أن يعلم أن الدين اليهودي - نصوصًا وشروحًا وعقيدة وشريعة وتطبيقًا - كان نظامًا يتطور مع الزمن ومع الظروف. وأشهر الأمثلة على ذلك أن التوراة الحالية المروية عن موسى وحيًا من الله تعالى لا تحتوي على ذكر واضح وقاطع للآخرة أو الحساب أو العقاب أو البعث أو النشور. على أن قواعد الإيمان اليهودي الآن تنصّ على وجوب الإيمان بالآخرة والبعث والنشور والحساب والثواب والعقاب، وهي عقائد أشار إليها أنبياء العهد القديم اليهودي بعد موسى. ذكر أولئك الأنبياء «يوم الربّ»، وقالوا إنه يوم رهيب مخيف لمن لا يخافون الله، وأشار النبي «حزقيال» في سفره إلى أن الله قال له عندما نظر إلى الأرض فوجدها امتلأت بعظام الموتى في منفى اليهود في «بابل» في مكان يسمى «تل أبيب» تحمل اسمه الآن المدينة الصهيونية الأولى في فلسطين: إنه سيكسو هذه العظام لحمًا وجلدًا، ويقيمها لتبني له ملكًا في فلسطين!! ومن هذا المنطلق بدأت عقيدة المسيح المخلص المنتظر من اليهود وظلّت متواترة فيهم إلى الآن، لم يرفضها إلا طائفة «اليهود الصَدُقيين» الذين حذّر المسيح بن مريم منهم في الإنجيل.

وفي لفائف البحر الميت التي تمّ العثور على ما بقي منها في أواسط هذا القرن، جاءت نصوص تفيد أن زعيم هذه المجموعة التي اختارت موقعًا قريبًا من البحر الميت اسمه «قُمْران» بجانب قرية تسمى «عين فشخة» كانت على خلاف حادّ مع أحبار اليهود في القدس قبيل ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. وكان من النصوص التي عُثر عليها «تفسير» لسفر نبي اليهود «حَبَقُوق»، وهذا السفر من أقصر نصوص العهد القديم؛ إذ يحتوي على ثلاثة فصول، اثنان منها نثرًا والثالث ابتهالات شعرية. وعلق على هذا السفر في القرن الماضي الباحث الألماني في تراث اليهود «فَلْهَاوْزِنْ»، وقرر أن موعظة النبي حبقوق تنتهي في آخر الفصل الثاني، أما الجزء الشعري - الفصل الثالث والأخير - فإنه موضوع، ومتأخر لغة وأسلوبًا عن الفصلين السابقين؛ مما أثار ضده بقية الباحثين، واتهموه بالتضليل. وعند كشف تفسير «سفر حبقوق» ضمن لفائف البحر الميت، وقف المفسّر - وهو من القرن السابق لميلاد المسيح - عند آخر الفصل الثاني، وكأنه لم يسمع بأن لهذا السفر فصلاً شعريا ثالثا، مما أيّد رأي الألماني «فَلْهَاوْزِنْ». لكن الذي يثير العجب أن المفسّر اليهوديَ القديم - من طائفة البحر الميت - وصف زعيم هذه الطائفة، وكيف أُخذ، وعُذِّب، ومُزقت ثيابه، ثم صُلب أمام أعين اليهود! وكان المفسر يقص قصة نهايته بحزن يذكرنا بقصة صلب المسيح عند النصارى، أو استشهاد الحسين رضي الله عنه عند المسلمين، وإن كان المفسر في مخطوطة البحر الميت لا يسميه «المسيح المنتظر» ولكن «معلم الحقّ» أو «المعلم الحق». وقد يردّنا هذا إلى ما ذكره مؤرخ اليهود في القرن الأول بعد الميلاد، وبعد أن أخذه الرومان أسيراً من فلسطين عند اشتراكه في قيادة ثورة ضدهم، فقد قال في كتابه «حرب اليهود» إن الشمس ما كانت تغرب عن مدن فلسطين إلا ويتمّ إنزال محكوم عليه بالقتل عن خشبة الصليب! ونشير هنا إلى أن الرومان ما كانوا يتدخلون في تنفيذ أحكام الإعدام إذا كانت القضية يهودية ليس فيها طرف غير يهودي. وعند التنفيذ فقط يتم الحصول من الوالي الروماني على الأمر بإنفاذ ما تقرر في محكمة اليهود، وعلى هذا وردت في الإنجيل قصة صلب المسيح.

وعلى الرغم من ادّعاء كثير من اليهود في جهات مختلفة من العالم الإسلامي، وعبر أدوار مختلفة من عصور الإسلام؛ فإن أولئك الضالين والكذابين، كانوا يُحاكَمون أمام قضاة المسلمين ولا يتدخل الحاخام في الأمر، لحرصه على العلاقات الطيبة مع الدولة الإسلامية التي تمنحه هو والمستقيمين من أبناء دينه الأمن والحرية، ولفهمه الواضح أن التشريع الإسلامي يعدّ نموذجًا في التدقيق، وأن كثيرا من غير اليهود قد حُكم عليهم بالقتل مثل مسيلمة الكذاب - وهو عربي تميمي صليبةً - ومثل الكثير من مدّعي النبوة من سلالات الروم والمجوس وغيرهم، وزيادة على ذلك فإن قاضي المسلمين كان يسأل مدّعي النبوة عن «المعجزة» التي تثبت أنه نبي، وكان المتهم يعجز دائمًا عن ذلك، وربما كان يُستتاب بعد حبسه وتعزيره، ثم يُخلى سبيله. لكل هذه الأسباب كان مدّعو النبوة في الإسلام لا يتعرضون للتنكيل بهم حتى القتل إلا إذا نجحوا في تأليب العوام، والدعوة إلى إسقاط سلطة الدولة بإثارة القلاقل والفتن، أو بقوة السلاح، أو بالاستعانة بدولة معادية لنشر الفوضى في المجتمع الإسلامي، أو لهزيمة المسلمين في صراع مع أعدائهم. والمتأمل في كل هذه الاعتبارات يجد أنها وقعت من الصهيونية في حقنا نحن العرب والمسلمين والكثيرين من الشعوب المستضعفة في الأرض!

الإسرائيليات المدسوسة في كتب التفسير

أما التفاعل النشط بين الفكر العربي الإسلامي والفكر اليهودي فقد بدأ بعد إسلام العراق وإيران، حيث كان الفكر اليهودي قد استقر هناك منذ القرن الخامس قبل الميلاد، وهكذا كان عمره عند وصول الإسلام إلى تلك البلاد نحواً من ألف سنة. أما التلمود البابلي فكان قد بدأ في جاهلية العراق وإيران. ونظرًا لأن الدين اليهودي كان قد أصبح دينًا وجنسية في آن واحد، فإن أحدا من اليهود لم يلتفت إلى بث دعوتهم بين أولئك الجُوييم (الأمم الأخرى أو الكفار)؛ مما أبقى جالية السبي البابلي اليهودية بمعزل عن إشعال الصراع العقدي مع أولئك «المجوس»، أما الصراع الاقتصادي فكانت له زوابعه وأعاصيره في الأزمات الاقتصادية والحروب. وما إن دخل الإسلام هذه الأقاليم حتى كان التلمود البابلي قد استوفى أجزاءه كلها، وتم تسجيله. ولما كانت الدعوة الإسلامية قد عنيت بالتعريف الدقيق بما سبقها من الأديان السماوية: ديانة إبراهيم الذي كان حنيفًا مسلما، وديانة نبي الله يحيى (الصابئة الذين كانوا قد صرفوا اهتمامهم إلى «التوقيت» في كل ما يتصل بالعبادة، برصد الكواكب من الشمس والقمر والنجوم حتى صنفهم أكثر الناس على أنهم كفّار يعبدون الكواكب)، ثم ديانة المسيح بمذاهبها المختلفة. وقبل الصابئة وديانة النصارى كانت اليهودية بتاريخها الطويل، وتراثها الضخم، وشدة مرونتها في التحايل على مختلف عوامل الفناء، وشهرة كهنتها في الأسئلة والاعتراضات والتدقيقات والتفريعات مع الممكن والمستحيل من الافتراضات، مع سعة انتشارهم في أرجاء الأرض، مما جعل نصيبهم من الذكر في القرآن الكريم أوسع الأنصبة، وأهم المهمات. وانتهز الرواة اليهود، أو الذين أسلموا منهم، أو الذين أخذوا عنهم بإعادة ما بلغهم عن ذلك في كتب بني إسرائيل، حتى أخذت هذه الإسرائيليات مكانها ومكانتها في كتب تفسير القرآن الكريم، وفي قصص الأئمة والوعاظ، مما ظل علماء المسلمين يقاومونه إلى الآن، لا لأنه تلويث للفكر الإسلامي بالخرافات اليهودية فحسب، ولكن لأن معظم ما جاء من هذا التلويث كان اليهود قد «سرقوه» من أساطير الفرس والهند واليونان وغيرهم وكتبوه في التلمود، وجعلوه في منزلة من الثقة مثل آيات التوراة!

إزاء هذا التفاعل المدمّر من الجانب اليهودي نلاحظ أثرًا جيدًا للفكر العربي والإسلامي على اليهودية، وقد سبق لنا الكلام في مقال بمجلة «الفيصل» الغرّاء عن اليهود القرائين، وكيف رفضوا الإيمان بالتلمود، وكاد اليهود التقليديون أن يزجّوا بهم تحت سلطة الدولة الإسلامية في خلافة أبي جعفر المنصور! إذ قُبض على زعيمهم «عنان بن داود»، وتصادف أن إمام الفقه الإسلامي أبا حنيفة النعمان كان محبوسًا في هذا السجن لرفضه القيام بتولي مهمة القضاء، فنصح شيخ اليهود هذا بأن يقول إنه يؤمن بالله وبموسى وبالتوراة، وأن رفضه للتلمود إعلان عن ظهور دين جديد لا يؤمن بالتلمود، ونجا صاحبنا من مؤامرة «اليهود الربانيين» أي أتباع الكهنة التلموديين الذين كان الواحد منهم يقترن اسمه بكلمة «ربّي» أي سيدي، وهو عندهم لقب الحكيم (الحاخام) والعالم والقاضي ومن إليهم.

التأليف لليهود على المنهج العربي

تعلم اليهود من علماء المسلمين أشياء مهمة جدًا في دينهم، مثل علم العقائد، أو التوحيد، وكانت أوائل الكتب التي ظهرت بين اليهود مكتوبة بالعربية، وقد نبغ علامة اليهود في العصر العباسي الأول «سعديا» ومعنى اسمه «رزق الله»،

الإسرائيليات المدسوسة في كتب التفسير حاربها علماء المسلمين في كل عصر، لأنها تلويث للفكر الإسلامي بالخرافات التي «سرقها» اليهود من أساطير الأمم الأخرى

وكان - ومازال - إذا جرى ذكره يقال «سعديا جاأون» وهو لقب لطبقة من كبار علماء الدين اليهودي تلي طبقة الرواة التاريخيين للتلمود، ويسمى عصرهم «عصر الجاأونيم»، وكان أكثرهم يقيم في مستوطنات دينية في العراق منذ أيام السبي البابلي: في«سوره» بالقرب من بغداد، وفي عانة، ونهر دعة، وفُمْبِديثا في شمال العراق.

وُلد سعديا، سعيد بن يوسف الفيومي، بمصر، عام 882م ومات عام 942م في الستين من عمره. درس اللغة العربية بمصر وأخذ فيها طرفا من العلوم اليهودية من أبناء دينه في الفيوم، في ناحية «أبو صوير». ثم رحل عنها إلى فلسطين للحج والزيارة والتزود من علم أحد شيوخ التلمود هو أبو زكريا يحيى بن داود الطبري. وتزعم دائرة المعارف الصهيونية أن سفر سعديا إلى فلسطين كان للاستيطان! مع أنه تركها لطلب المزيد من العلم عند علماء التلمود في «سوره»، وظل بها يعلم ويفتي ويؤلف حتى تولى رئاسة العلماء بها، ثم رئاسة اليهود جميعا في العالم الإسلامي، ولم يكن ذلك بالسبب الوحيد لذهابه إلى العراق، بل يرجع سفره إلى أقرب أكاديمية يهودية من بغداد إلى أن هذه المدينة كانت تزخر بنشاط علمي مكثف منذ اتخذتها الدولة العباسية عاصمة للإسلام. إذ كانت - مع البصرة والكوفة والموصل - تخطو بقوة وثقة في علوم العربية والشريعة الإسلامية، وتعج بالمذاهب والاتجاهات الخاصة بالدين الإسلامي، وبأبناء الملل الأخرى الذين اهتم المسلمون بالوقوف على آرائهم بدقة، على اختلاف أديانهم ومللهم ونحلهم.

وكانت فرقة «القرائين» اليهود قد تأثرت بمنهج المعتزلة المسلمين في جعل القرآن الكريم - مع السنة العملية فقط - المصدر الأول، والملزم، في التشريع الإسلامي، أما السنة القولية فكان فقهاء المعتزلة لا يستريحون إليها لكثرة ما اندس فيها من الأحاديث الموضوعة أو المضطربة في روايتها، ويبدو من الدراسات العميقة التي تمت حتى الآن على آثار سعديا الفيومي أنه تأثر بمنهج المعتزلة، لكن ليس كما تأثر به زعيم اليهود القرائين عنان بن داود. وقد ألف سعديا كتابا - بالعربية - عنوانه «الرد على عنان»، وكان عنان يؤكد أن العمل بالتلمود بدعة، وأنه كلّه مكذوب على موسى وأنبياء بني إسرائيل، وهو كلام في محلّه في ما يتصل بموسى عليه السلام، فليس في التلمود كله مقولة واحدة تصل إلى موسى بسند متصل، غير ما ردده مشايخ التلمود من فقرات مثبتة من التوراة. وكيف يستطيع كاتب التلمود أن يصعد بما يكتبه - وكثير منه مما لا يقبله العقل والمنطق، حتى الشرع أحيانا - إلى موسى، وهو يكتب هذا بعد موسى بألفي سنة، وفي ظروف تختلف تمام الاختلاف عمّا كان يواجهه موسى من ظروف؟

وأحس سعديا الفيومي أن اليهود لا يعرفون اللغة العبرية، فاستوحى النحاة واللغويين العرب وألّف في قواعد اللغة العبرية - باللغة العربية - كتابًا ضخمًا من عدة مجلدات، لم تصلنا منه إلا بضع وريقات، وكان عنوانه «كتاب اللغة». ولشدة تعلقه بالفكر الإسلامي واحترامه له، حرّض عليه بعض الحاقدين جمهوراً من عوام اليهود تجمعوا حول منزله، ونادوا بعزله، ورجموا داره بالحجارة، وبسبب «انتفاضة الحجارة» هذه، ترك سعديا منصبه، وقضى نحواً من عشر سنين يترجم التوراة وكتب الأنبياء ونصوص الحكمة من العبرية إلى عربية صحيحة سلسة، وقد وصل إلينا معظمه، ونشره - في عدة مجلدات نحو عام 1900م في باريس - المستشرق الفرنسي يوسف درنبورغ وابنه هارتويغ، وصدرت الطبعة المذكورة بحروف الكتابة العبرية، ولكنها تُنطق عربية عند القراءة، وكان هذا النمط منتشراً بين اليهود خاصة حتى يصعب على غيرهم الانتفاع بما كتبوا، ثم انتقل هذا النمط إلى النصارى السريان أيضا فيما يعرف باسم «الخط الكَرشُوني» نسبة إلى «كَرْشُون القبرصي» الذي يبدو أنه كان أول من استعمله. ولمّا اتهم اليهود سعديا بأنه باع دينه للمسلمين، وأخذ عنهم مذهب الاعتزال، اهتم بالجانب العقدي في الدين اليهودي؛ فألف في ذلك كتابًا عنوانه «كتاب الأمانات والاعتقادات» تأثر بمنهجه أحد أعلام الدين اليهودي في الأندلس هو موسى بن ميمون، الذي ألف بالعربية كتابه الشهير «دلالة الحائرين»، وقد تُرجم في العصور الوسطى إلى العبرية بقلم شاؤول بن تبون، كما تُرجم إلى جميع اللغات التي يستعملها اليهود، وقد أشرنا إلى ذلك كله في مقال في «الفيصل» الغرّاء عن موسى بن ميمون. وألف سعديا الفيومي - بالعربية دائمًا - كتابا عنوانه «تفسير السبعين لفظة الفَردة»، وقد أحصى في الكتاب اليهودي المقدس سبعين لفظة لم تستعمل أية واحدة منها سوى مرة واحدة، ولم يرد من زمن هذا الأثر الديني شعر أو نثر يمكن استعمالهما في إدراك معنى هذه الكلمات، فلجأ - لأول مرة في التاريخ - إلى منهج الدراسات اللغوية المقارنة، فهو يجيد العربية إجادة تامة، والعبرية أيضا، والآرامية وهي لغة التلمود والترجوم (وكانوا يسمونها السريانية). ومن تتبّع الشواهد على الكلمة «الفردة» في ما يماثلها في النطق في العربية والآرامية استطاع أن يصل إلى المعنى المراد بها في نصوص «العهد القديم العبري» وكان هذا حجر الأساس في «اللغويات المقارنة» وهو من أحدث علوم اللغات. وقد أشار إلى سعديا شيخ نحاة العبريين في الأندلس أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي في مقدمة كتابه في النحو العبري - بالعربية - كتاب اللُّمع - وهو الجزء الأول من الكتاب الجامع المسمّى كتاب التنقيح، وعنوان الجزء الثاني كتاب الأصول، وهو معجم عبري/ عربي للغة «العهد القديم العبرية»، والجزآن منشوران، الأول في باريس، والثاني في لندن.

وفي هذه المدة نفسها ألف أبو سليمان داود بن إبراهيم الفاسي معجماً ضخماً لألفاظ العهد القديم - عبري/ عربي - تم نشره على يد المستشرق الأمريكي «سالومون سكوس» في مجلدين ضخمين يحتوي أولهما على مقدمة للناشر بالإنجليزية عن دراسة العلوم اليهودية في العالم العربي.

المسلمون براء من تهمة معاداة السامية

وفي هذه الجولة الأفقية عن التفاعل والتداخل بين الثقافة الإسلامية والحركة العلمية اليهودية في ظل الإسلام، أسأل القارئ الكريم: هل وجد أدنى أثر لتعصب عربي أو «لاسامية إسلامية» في أي من تلك الملاحظات؟ وقد بقيت شخصية يهودية مهمة في تاريخ الفكر اليهودي في المغرب الإسلامي، لقدمها أولاً، ولكثرة تنقلها في المغارب الإسلامية ثانيا، ولغزارة آثارها وتأثيرها في علوم الدين اليهودي إلى الآن، وهي شخصية «الفاسي»، وهو إسحق بن يعقوب، أشهر علماء الشريعة اليهودية في العالم الإسلامي بالمغرب والأندلس في زمانه، وأكثرهم تبحراً في التلمود على الخصوص، وفي القضاء والإفتاء.

ولد في قرية من ولاية «قسنطينة» بالجزائر عام 1013م، ورحل في صباه إلى «القيروان» في تونس، للدراسة، ثم انتقل منها إلى «فاس» بالمغرب فوصل هناك إلى قمة الشهرة بالعلم، وطابت له الإقامة بها حتى عام 1088م، فأصبح يُنسب إليها، حتى غدا اسمه عند اليهود «الربى إسحق الفاسي». ثم اضطر إلى مغادرتها إثر وشاية من بعض اليهود الحاقدين عليه. فاتجه إلى «قرطبة» بالأندلس، وكان عمره عندما وصل إليها أربعة وسبعين عامًا، ومنها انتقل إلى «ألسنة» في الإقليم نفسه، وكانت بها جامعة يهودية على غرار الجامعات الإسلامية في العصور الوسطى، مثل قرطبة والقيروان والأزهر بالقاهرة، وفي «ألسَنة» - لوثينا - قضى بقية حياته، وبها مات عام 1103م وقد جاوز التسعين من عمره. وإلى الفاسي يرجع الفضل في إدخال الدراسات التلمودية المتخصصة إلى إسبانيا، واشتهر من مؤلفاته بالعبرية «كتاب الأحكام الشرعية»، واشتهر هذا الكتاب لدى يهود العالم كله باسم «ألفاس» بلقب المؤلف محرّفا. وذكر الذي اهتموا بدراسته أنه «ممزوج» بعضه عبري وبعضه عربي، واشتهر هذا الكتاب في العصور الوسطى باسم «التلمود الصغير»، وكان من أوائل الكتب العبرية التي نشرتها المطابع عام 1509م؛ الأمر الذي يبطل دعوى اليهود بأنهم كانوا دائما مشردين، وفقراء معدمين مضطهدين. وقد أثنى عليه موسى بن ميمون، واتخذه مرجعا له في دراسة الشريعة اليهودية، وأحكام التلمود على الخصوص. ووصلت شهرة الفاسي إلى أن جميع من يعرفونه من علماء وفقهاء وقضاة ومثقفين كانوا يستفتونه فيما يواجهونه من المشكلات فيعالجها علاج مجتهد رصين، باذلاً أقصى جهده في أن تكون إجابته واضحة وقاطعة تستقي آراءها من مصادر موثوق بها عندهم. وكان الفاسي يجمعها ويحتفظ بها حتى ينتفع بها دون أن يختلف رأيه أو حكمه، ولينتفع بها غيره من المسؤولين عن القضاء والفتوى. واشتهر هذا النوع من التأليف بأسماء كثيرة أشهرها «أسئلة وإجابات»، وكان قضاة المسلمين قد سبقوا اليهود في ذلك، وكان القاضي يردّ على هذه الأسئلة ويحتفظ بالردّ. وكانت الكتب التي يحفظ فيها القاضي مشكلاته في المهنة، ورأي غيره من القضاة والفقهاء الذين التمس معونتهم يسمى كل سجلّ بها «الفتاوى» أو «النوازل» لأنها تنزل بالقاضي وكأنها قدر من الله تعالى.

وبعد، فقد كنت وعدت بعد الكتابة عن «التحرر الفكري» عند اليهود، وذكرت طرفا من حياة سبينوزا الفيلسوف وحياة العالم المفكر موسى مندلسون بأن اتجه إلى الوجه الآخر (الوجه القبيح) من الفكر اليهودي، ووجدت أن الصهيونية المعاصرة من أقبح وجوه الفكر اليهودي الحافل بالوجوه الحسان. ولما كان الموضوع شائكا إلى حد كبير فقد أجلته لكثرة ما ظهر فيه من بحوث ومؤلفات، وجدتها عند زيارتي الأخيرة إلى فرنسا، وأحضرت منها الأهم، وأنا بسبيل دراسته قبل أن أكتب فيه حرفا واحداً.



الشيخ عثمان بن ناصر الصالح في «منتدى الفيصل»

الشيخ عثمان بن ناصر الصالح

- من مواليد المجمعة، المملكة العربية السعودية 1335هـ/1917م.

- نال ما يعادل الشهادة الثانوية من المدرسة الأهلية في عنيزة عام 1353هـ، ودرَّس فيها سنتين قبل تخرجه.

- قضى 34 عامًا من حياته في حقل التربية والتعليم، إذ عمل مدرسًا بعنيزة، ومعلمًا ومديرًا بمدرسة المجمعة، ومديرًا لمدرسة أنجال الأمير عبدالله بن عبدالرحمن، ومديرًا عامًا لمعهد الأنجال بالرياض (معهد العاصمة النموذجي)، الذي قضى به قرابة ثلاثين عامًا، كما كان رئيسًا لتحرير مجلة البحوث الإسلامية عدة سنوات.

- من الأعضاء المؤسسين في مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، وسبق أن كان نائبًا لرئيسها، وعضوًا في مجالس إدارتها بضع عشرة سنة.

- قدَّم بعض المشاركات والاستشارات في جهاز الدولة من خلال المجالس واللجان.

- له مشاركات كثيرة بالكتابة في قضايا التربية والتعليم، والقضايا الاجتماعية والتاريخية والدينية في مجلات البحوث الإسلامية، والفيصل، والمجلة العربية، والحرس الوطني، والدفاع، والمعرفة، إلى جانب الصحف المحلية وبعض الصحف الخليجية.

من آرائه:

«إن كثيرًا من الناس يعملون، ولكن بلا ضمير، ولا وازع من إحساس.. وهناك من هو على استعداد كامل لأن يتخلف أيامًا عن العمل إذا لم يلاحظه أحد، ولم يراقبه رئيس، وإذا رُفع تقرير عن حاله غضب وثار، ولو أمكنه أن يعمل في الشاكي ضررًا لعمله، وهو لو فكر وقَدَّر لرأى أن في هذه الشكوى إصلاحه وتقويمه».

«المنهل»، شعبان 1388هـ/نوفمبر 1968م، من سلسلة كلمات عنوانها «ملاحظات غير عابرة».

«إن التربية البدنية والحركات الجسمية ليس المراد منها التسلية وقضاء الوقت وإشغال الفراغ، وإنما المراد من التربية البدنية بناء الأجسام وتصحيح العقول بصقلها وتهذيبها.. فعلينا أن نجعل من النادي مدرسة في الأخلاق والتربية والتهذيب».

مجلة المنهل، محرم 1389هـ، من سلسلة كلمات عنوانها «ملاحظات غير عابرة».

«ليس إصلاح المناهج بالشيء الهين الذي ينتهي في يوم وليلة، ومادامت الركاكة فيها منحدرة ومتسلسلة منذ سنوات، فإن انتشالها مرة واحدة وفي يوم واحد يقف دونه ضعف الإدراك، وهزال الأستاذ، وصعوبة التنقيح، وقلة من زاول المهنة العلمية ووعي أصولها».

المجلة العربية، جمادى الأولى 1402هـ.

«الأدب العربي الحاضر امتداد لذلك التاريخ العاطر، ومن أراد فصله، أو العدول عنه، أو تناسيه فكأنما بتر جسمًا من رأسه أو كفًا من ذراعه. ولو أن امرأ القيس والنابغة وعنترة بُعثوا في عصرنا لما احتاجوا إلى مترجم يتولى المخاطبة، لكن شكسبير وأدباء عصره لو بُعثوا اليوم لما وجدوا من يتولى التفاهم معهم إلا قلة، ربما يتمنى شكسبير أن يعود إلى قبره لأن لغته مندثرة، ولودّ أمرؤ القيس وصاحباه أن يبقوا إذا رأوا لغتهم سليمة وتعابيرها مطبقة، وأدبهم محفوظًا ومفهومًا».

«الفيصل»، صفر 1404هـ/نوفمبر 1983م.

«إن الجندي الذي لا يؤمن بالله، ولا يؤدي واجباته الشرعية، لا يُعتَمد عليه، ولا يكون حليفه النصر، ومن لم ينتصر على نفسه في نزواته، لا ينتصر في غزواته».

«مختارات»، مجلة «الجندي المسلم»، رمضان 1404هـ/1984م.

«تعليم المرأة قاسينا فيه كثيرًا، ولا أعتقد أن أحدًا وقف في هذا الأمر مثل ما وقفت. فالناس كانوا لا يريدون تعليم الفتاة ليس جهلاً منهم، ولكن خوفًا من أن تنزلق في أشياء خارجه عن نطاق المدرسة».

«الفيصل»، جمادى الآخرة 1415هـ، في باب «من تجاربهم».

حوار مع

الشاعر الراحل زكي قنصل



صفحة الأدب المهجري طويت إلى الأبد!

أجراه: **عبدالملك عبدالرحيم**

حينما التقيت الشاعر المهاجَري المعروف، الأستاذ زكي قنصل، عام 1412هـ، في أثناء زيارته الأولى، والأخيرة أيضًا، للمملكة العربية السعودية؛ أيقنت أنني أمام فرصة نادرة، في مجال التأريخ الأدبي، فهو آخر شعراء المُهَاجَر، الموجودين ـ آنذاك ـ على قيد الحياة، ويمثل آخر فروع الدوحة الشعرية السامقة التي انبسطت فروعها وأغصانها الندية، على أرجاء شاسعة من الأمريكتين، فعمدتُ إلى أن يكون لي معه حوار استشرافي ثقافيّ شامل، يقدم شهادة توثيقية على مسيرته الشعرية، ويمثل إطلالة على المشهد الأخير من فصول الحركة الأدبية والشعرية، في المهاجر الأمريكية.

وحينما نعاه الناعي إلى الأوساط الأدبية والثقافية والفكرية، في العالم العربي الكبير، أدركت أهمية هذا الحوار، الذي يسعدني أن يطالعه قراء مجلة الفيصل الغراء، التي كان لها قصب السبق، على امتداد العقدين الأخيرين، في نشر الإبداعات الشعرية، للشاعر الراحل زكي قنصل، عاقدة بذلك آصرة وثيقة، بينه وبين قراء العربية في كل مكان.. والآن إلى تفاصيل الحوار:

ـ هل هذه أول مرة تزور فيها المملكة العربية السعودية؟

* نعم، إنها أول مرة أزور فيها المملكة، وإني لأرجو الله أن تتكرر هذه الزيارة، لأني وجدت من لطف أهلها وأدبهم وكرمهم ما يجعلني وكأني أحد أبناء هذا البلد.. إنني أرجو من الله تعالى أن يكتب لي فرصة أخرى لزيارة ثانية إلى هذا البلد.

ـ ونحن نسعد بهذا الشعور الطيب ونشارككم الرغبة المتبادلة في اللقاء المستمر إن شاء الله. اسمحوا لنا أن نحلق معكم في بعض الآفاق الثقافية المختلفة المتعلقة بمسيرتكم وبمسيرة الشعر المهجري. نبدأ بالنشأة، فالشاعر جورج صيدح حدَّد ميلادكم بعام 1338هـ/1919م، والدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي بعام 1336هـ/1917م.. ما الوجه الحقيقي يا أستاذ زكي؟

* وجه الحقيقة أني ولدت عام 1916م (1335هـ)، وليس كما سجَّل الكاتبان الكبيران.. على كل أنا شاكر لهما لأنهما صغَّراني سنًا، وفضيلة يجب أن أشكرها لهما!!

ـ النشأة كانت في قرية «يبرود»؟

* أنا ولدت في الأرجنتين، وحينما بلغت ست سنوات أخذني والدي إلى «يبرود» مسقط رأسي، وهناك بقيت ستَّ سنوات أو سبعًا، وعدت مع الوالد أيضًا سنة 1929م (1348هـ) إلى الأرجنتين حيث أقمت وما أزال أقيم.

ـ يعني الميلاد في الأرجنتين وليس «يبرود» السورية ـ كما يقول المؤرخون الأدبيون؟

* نعم، ولكن هي حقيقة نصفية لأني ولدت في الأرجنتين، ولم يسجلني الوالد أرجنتينيًا لأنه كان متعصبًا لسوريّته؛ فأخذني «تهريبًا» تقريبًا. نستطيع أن نقول: أخذني تهريبًا وسجلني سوريًا، فأنا بالمولد أرجنتيني، وأما بالاختيار فسوري.

ـ نود أن نتحدث ـ أستاذ زكي ـ عن مرحلة التكوين الفكري والثقافي الأوَّلي؟

* أستطيع أن أؤكد لك أنه لم يكن هناك في سورية مرحلة تثقيف أوَّلي لأنني درست ثلاث سنوات وكنت أجهل العربية بحكم ولادتي في الأرجنتين، فلم أستفد شيئًا كثيرًا من تعلمي العربية في سورية، ولكن عندما عدت سنة 1929م (1348هـ) إلى الأرجنتين عكفت على المطالعة، وعكفت على التحصيل، وعكفت على الدراسة الذاتية. والحمدلله تكونت عندي شبه ثقافة، وانفتح أمامي طريق لكي أتابع هذه المهمة التي وضعت نفسي لها.. أو وقفت نفسي عليها، وهي مهمة الأدب.

ـ يعني اعتمدتم على الله ثم على التثقيف الذاتي شأن كثير من شعراء المهاجر البارزين؟

* نعم.. أعتقد أنه لا شبيه لي بين شعراء المغتَرَبات إلاّ إلياس فرحات، فإلياس جاء كما جئت أنا، وقد يكون في السن نفسها، وقد يكون يجهل العربية كما كنت أجهلها، لكنه مع الوقت كوَّن نفسه بنفسه، وحصل على مكانة محترمة في الشعر وفي الأدب بالبرازيل.

ـ اللغويون يؤثرون كلمة (المهاجر) بدلاً من المهجر، لأن المهاجر المكان الذي هاجر إليه الإنسان، أما المهجر فهو المكان الذي هاجر منه، مارأيكم في هذه الناحية اللغوية؟

* هذه ما لها أهمية.. حتى نخرج من هذا المأزق نقول: شعر المغتربات!

ـ ديوان «سعاد» ماذا يمثل بالنسبة لكم، وهل هو أول ديوان؟

* أول ديوان نُشر لي هو «شظايا»، وبعده نُشر ديوان «سعاد» الذي يتضمن القصائد التي نظمتها في رثاء طفلتي الفقيدة سعاد.

ـ ما السمات البارزة أو الغالبة على ديوانكم الأول «شظايا»؟

* السمات الغالبة: الحنين والوطنية، ففي ذلك العهد كان الوطن الأم ـ أعني سورية ـ في حالة جهاد ونضال ضد الفرنسيين، فكنا في المغتربات نواكب هذه الأحداث وننظم فيها. الديوان الأول «شظايا» هو مزيج من شعر الحنين وشعر الوطنية، ولسوء الحظ لم يبق منه عندي نسخة واحدة!

ـ ماذا عن دواوينكم الأخرى، وماذا عن إسهامك في المسرح الشعري؟

* دواويني الشعرية المطبوعة هي: شظايا، سعاد، عطش وجوع، ألوان وألحان، نور ونار، في متاهات الطريق، هواجس.

ويوجد لديَّ مسرحية نثرية بعنوان «تحت سماء الأندلس»، ومسرحية شعرية أخرى مطبوعة بعنوان «الثورة السوريَّة»، وعندي مسرحية مكتوبة بعنوان «خالد بن الوليد»، ورابعة بعنوان «نجاح».

الأولى «تحت سماء الأندلس» مُثِّلت في الأرجنتين عشر مرات تقريبًا، و«الثورة السورية» مُثّلت كذلك عشر مرات تقريبًا في الأرجنتين في عشر مناسبات متوالية من قبل الجالية التي كانت تقيم حفلات تمثيلية.

ـ أشرتم إلى أن ديوانكم الأول لا يكاد يكون موجودًا منه شيء الآن..

* (يقاطعه زكي قنصل): عفوًا، بالإضافة إلى الدواوين التي ذكرتها عندي ديوان اسمه «من شعر زكي قنصل» مختارات من شعري في 700 صفحة تقريبًا.

ـ هذه هي الدواوين والأعمال المطبوعة فقط؟

* نعم.

ـ هل هناك أشياء أخرى لم تُطبع بعد؟

* نعم عندي أشياء كثيرة تكاد توازي الأشياء المطبوعة.

ـ ألا تعتزم إصدار الأعمال الكاملة حفاظًا على هذه الثروة الأدبية، سواء في الأرجنتين، أو هنا في العالم العربي؟

* في سنة 1984م (1404هـ) كنت في



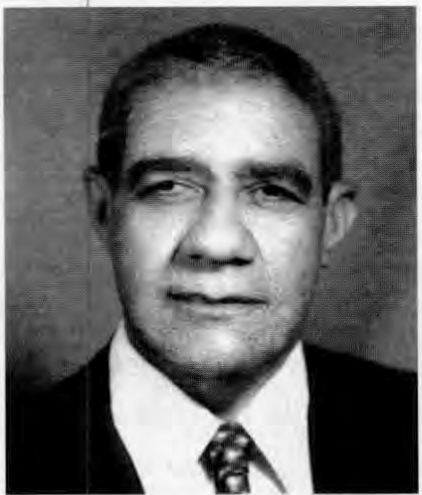
أمين الريحاني

سورية، واقترحتْ عليَّ وزارة الثقافة أن تتولى طبع المجموعة الكاملة لأعمال زكي قنصل ووافقت على الأمر وبدأنا، فطُبع الجزء الأول، ثم طرأت أزمة ورق حادة هناك في سورية حيث انقطع الورق فتوقف المشروع، ولا يزال متوقفًا حتى الآن.

في حديث مع الأستاذ عبدالمقصود خوجة ألحَّ عليَّ وقال: إنه يتمنى لو تمكن من طبع أعمالي الشعرية الكاملة، واتفقنا على ذلك وسنستمر في المشروع.. ربما طُبعت هنا في المملكة العربية السعودية.

ـ هذا شيء طيب.. وخبر نستأثر به. وعلى ذكر عبدالمقصود خوجة لعلكم لاحظتم هنا في المملكة أن هناك أجواء ثقافية متميزة تتمثل، من ضمن ما تتمثل من صور هذه النشاطات الثقافية، الندوات التي يعقدها الأدباء والمثقفون السعوديون مثل: ندوة الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي، واثنينية الأستاذ عبدالمقصود خوجة، ما رأيكم في هذا التوجه الثقافي؟

* هذا يعطي أُكُله، لا شك أنه مفيد جدًا، ولا شك أنه يحث على العطاء، وعلى الإنتاج، ويغري بالمضي في الكتابة في الأدب، وأنا أعتقد أن عمل الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي ـ كما فهمت ـ هو أول من أنشأ هذا النادي أو هذه الندوة ثم سار عليها بقية الأدباء. أعتقد أنه عمل جوهري سيدفع بالأدب قدمًا وبشكل سريع وبشكل جميل، فهذه الندوات يمكن أن نسميها «استديو» يقصد منها غربلة الصحيح من غير الصحيح: صحيح الأدب



د. محمد عبد المنعم خفاجي

من فاسده.. في آخر مرحلة سيبقى الصحيح السمين، وسيذهب الغث.

لا أعتقد أن هناك بلدانًا عربية عندها ندوات بهذا الشكل المتلاحق والمتتابع الذي يشهده عدد كبير من الأدباء والمتأدبين.

ـ سوى ما يُذكر عن ندوة الأستاذ العقاد كانت هناك ندوة اسمها...

* (يقاطعه زكي قنصل) نحن لا نعرف، ولنفرض إذا كانت هناك ندوة العقاد فقد انطوت بانطواء صفحته. كانت هناك ندوة «مي زيادة»، وفي الشام ندوة «ماري عجمي» التي كانت تنظم بإمضاء مستعار «ليلى»، وهي شاعرة مجيدة لا يكاد يعرفها أحد في العالم العربي. كانت

صفحة الأدب المهجري طُويت إلى الأبد!

تستعمل إمضاء «ليلى» ولا أحد يعرف من هي.. ولا حتى المقربون.

- إذن نستطيع أن نقول: إن الندوات التي تُعقد هنا في المملكة هي الصورة الفريدة تقريبًا التي تظهر على الساحة الأدبية والثقافية في الحقبة الراهنة؟

* هناك في العراق يوجد ندوة على غرار هذه الندوات لكنها ليست يومية كما يحدث هنا.. أسبوعية ولكنها ندوة واحدة وليست ندوات عديدة.

- ماذا عن مجلة «المناهل» التي أخرجتموها مع شقيقكم الراحل إلياس، ولماذا لم تستمر أكثر من ثلاث سنوات كما قرأنا في مصادر التاريخ الأدبي؟

* لأنه في الأرجنتين لا يوجد قراء للأدب



عبد المقصود خوجة

العربي، كان يوجد قراء للخبر السياسي العابر، فكان من المعقول ومن البدهي أن مجلة أدبية تهتم بالشؤون الأدبية مكتوب عليها الموت لا محالة، مكتوب عليها الاحتجاب!

قبلها صدرت محاولات أخرى، كذلك الأمر صدرت مجلة «الإصلاح»، وكانت في مستوى عال من الأدب واضطرت إلى الاحتجاب بعد ثلاث أو أربع سنوات، وكان هناك مجلة اسمها «التمدن» يمكن القول إنها أفضل من «الهلال» عندما كانت الهلال في أوج مجدها، ولكن «التمدن» لم تعش إلا سنتين، فنحن حين أصدرنا «المناهل» لم نعتبر بما حدث، واعتقدنا أننا سنأتي بالمعجزات وسنقلب عقلية الناس!!

الناس هناك يريدون مجلة فيها أخبار سياسية، ونحن ليس لنا علاقة بهذه الأخبار الموجودة في الجريدة.

مجلة «المناهل» أصدرناها ثلاث سنوات، وقبل ذلك كانت تكلفنا عجزًا ماديًا، وهذا يكلفنا جهدًا كبيرًا فرأينا من الأفضل أن نطويها.

- ولم تفكروا بإصدار مجلات أخرى؟

* عندما عاد أخي إلياس إلى الوطن سنة 1953م (1373هـ) أو 54م أصدر مجلة اسمها «الفنون»، ولكنها لم تعش طويلاً.. سنة واحدة وتوقفت.

- ظهرت في المهاجر جمعيات أدبية ثقافية مثل: الرابطة القلمية، والعصبة الأندلسية، نود أن تحدثونا عن هذه الجمعيات وغيرها ودوركم الشخصي في مثل هذه النشاطات؟

* ظهرت الرابطة القلمية في نيويورك في الولايات المتحدة، وكان من أعضائها: جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، ونسيب عريضة، وإيليا أبو ماضي، ثم خرج منها أبو ماضي.. أما أمين الريحاني فلم ينضم إليها. كانت الرابطة القلمية هي واجهة الأدب العربي في الولايات المتحدة، وبطبيعة الحال فقد أنتجت أدبًا عاليًا جداً، وكان له دور واسع في العالم العربي. وحين توفي جبران سنة 1931م (1349هـ) ضعُفت الرابطة، ثم عاد ميخائيل نعيمة إلى وطنه، فلم يعد للرابطة من وجود.

وعلى إثر انحلال الرابطة أُنشئت العصبة الأندلسية في سان باولو بالبرازيل بإيعاز من الشاعر شكرالله الجر الذي طرح الاقتراح وتبناه ميشيل معلوف. وقد لقي الاقتراح تربة صالحة، وانضم إلى العصبة معظم أدباء البرازيل وكان شعارها: «ما تهدمه السياسة يبنيه الأدب»، ولذلك عاشت وقتًا طويلاً، فأعضاؤها كانوا متبايني الدراسة الفكرية والسياسية، فهناك اللبناني المنعزل، والوسط، والمتعصب، واللبناني المتعصب لسورية، واللبناني المتعصب للعروبة.. فكان ممنوعًا الحديث في السياسة، لأن التيارات التي ينتمي إليها أعضاء العصبة لا يمكن أن تجتمع تحت سقف واحد فيما إذا انطلقت، فكانوا يتركون هذه الأفكار على الباب ويتحدثون في الأدب فقط.. فعاش نعمة قازان الذي كان لبنانيًا انعزاليًا بشكل غريب مع الشاعر القروي رشيد سليم الخوري الذي كان عروبيًا بشكل غريب، ومع ذلك كله استطاعا أن يتعايشا.

وكما هي سنة الله في خلقه بدأت هذه الرابطة تنحل وتضعف بموت أعضائها فلم يبق منهم سوى شفيق معلوف. كان للعصبة الأندلسية مجلة اسمها «العصبة»، ويجب أن أشير إلى أن الناس تعتقد أن مجلة العصبة هي التي كانت لسان حال العصبة الأندلسية، ولكن الصحيح أنه كانت هناك مجلة قبلها اسمها «الأندلس الجديدة» صاحبها شكرالله الجر الذي اقترح أن تُنشأ العصبة الأندلسية، فكانت هي في بادىء الأمر لسان حال العصبة.

ولعل من المفارقات العجيبة أن شكرالله الجر اقترح ألا يكون داخل العصبة صحفيون - وهو صحفي - وقال لهم: أنا لا أدخل في العصبة، لأني صحفي، والصحفي لا يتفق مع الأديب. الأدب والصحافة لا يتفقان، فأنا أقترح أن تنشأ المجلة وأضعها تحت تصرفكم ولكن على ألا يدخل فيها صحفي، فعملوا برأيه!!

- هل كنت عضوًا في العصبة الأندلسية؟

* لا، هي في البرازيل ولم يكن فيها أعضاء...

الدارسون العرب ظلموا النثر المهجري، مع أنه يوجد ناثرون مبدعون لا يقل نثرهم شأنا عن شعرهم، مثل ميخائيل نعيمة وشفيق معلوف وأمين الريحاني

- أنا قـرأت أنكم زرتم البـرازيل قـبل الأرجنتين، هل هذا صحيح؟

* صحيح كانت العصبة الأندلسية قد احتجبت، ولم يكن لها أعضاء خارج البرازيل. زرت البرازيل عام 1968م (1388هـ) وهناك كانت محاولات لإنشاء رابطة جديدة أو جمعية أدبية ولكن لم تقم يومها. وكانت بعد سنة أو سنتين جمعية نادي القلم واندثرت، كما قامت على أنقاضها جمعية أخرى لكنها لم تعش.

- نود أن نتعرف منكم وضع الأدب العربي الآن في الأرجنتين وبقية دول المهاجر، وهل بقي غيركم من شعراء المهاجر الكبار؟

* تحدثنا عن العصبة الأندلسية، وتحدثنا - نوعًا ما - عن الرابطة القلمية، ولكننا لم نتحدث عن رابطة ثالثة نشأت في الأرجنتين بمساعي الشاعر جورج صيدح، ففي أواخر الأربعينيات انتقل جورج صيدح الذي كان مقيمًا في «فنزويلا» إلى الأرجنتين، وهنا - أقصد في الأرجنتين - التف حوله الأدباء، وأنشأنا الرابطة الأدبية التي أيقظت العزائم النائمة وأثارت الهمم.. وقد عاشت هذه الرابطة سنتين.

- متى أُنشئت؟، وهل كان لكم دور فيها؟

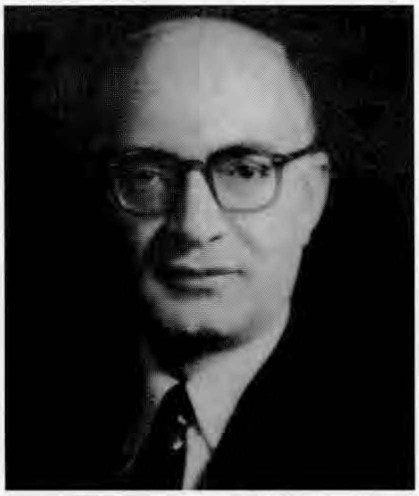
* أُنشئت عام 1949م (1369هـ) وكان لي فيها نشاط حيث رافقت جورج صيدح من أول يوم، لأنه لم يكن يعرف أدباء الأرجنتين فكان عليّ أن أجمعهم وأعرفهم به. وكانت صداقتي مع جورج صيدح شديدة لدرجة أن السبب الذي انحلت بموجبه الرابطة هو أنه وقع خلاف وجدال عنيف بين جورج وشقيقي إلياس.. وقد وقفت إلى جانب صيدح لأنني رأيت الحق معه وليس مع أخي، وكنا نعيش معًا ونشتغل معًا كذلك، ولكنني - كما أعلنت يومها - أومن بأن قرابة الدم شيء، وقرابة الحقيقة شيء آخر.

الحقيقة أن جورج صيدح هو صاحب الحق فحلّت الرابطة وذهب كل لشأنه. بعد سنة عاد جورج إلى الوطن، وبعد سنتين ذهب شقيقي إلياس إلى الوطن بوساطة الباخرة، وعندما نزل منها كانت المفاجأة أن جورج صيدح كان في استقباله!!

- روح التسامح والأخوة التي كانت تربط بين الجميع.. وهذه سمة اتسم بها شعراء المهجر.

عودة إلى السؤال السابق: الأدب العربي كيف وضعه في الأرجنتين وبقية دول المهاجر؟

* قيل لي: إن هناك تيار هجرة جديدًا إلى كندا وأستراليا، وإنهم أنشؤوا صحفًا وأقاموا أندية وأسسوا روابط أدبية، ولكن هذه أخبار أتلقاها عبر وسائل غير رسمية وليس هناك علاقة رسمية بيننا حتى ولو بالكتابة إلاّ قبل أن آتي إلى هنا بشهرين (قدم إلى المملكة في رجب 1412هـ). فهناك رابطة إحياء التراث العربي بأستراليا منحتني جائزة جبران العالمية حيث إنها في كل سنة تُمنح لثلاثة من المبرِّزين في الأدب، أو الذين يخدمون الأدب. في سنة 1991م (1412هـ) كان من نصيبي جائزة جبران العالمية، وكان الحفل سيقام في شهر كانون الثاني/يناير 1992م (رجب 1412هـ) ولكنني كنت عازمًا على زيارة المملكة العربية



جورج صيدح

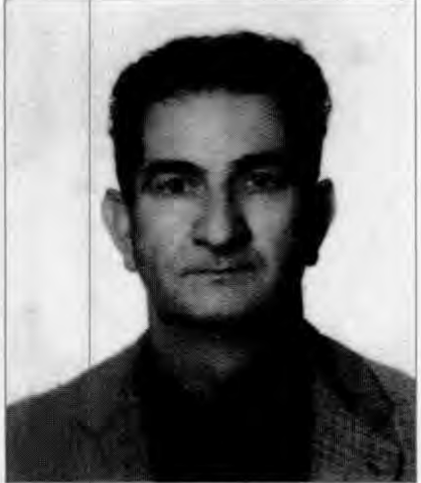
السعودية فكتبت لهم معتذرًا.. هذا من جهة أستراليا وكندا.

أما من جهة البرازيل وتشيلي والأرجنتين فأستطيع أن أؤكد لك أنه لم يبق شعراء، ولم يبق كُتَّاب، ولم تبق صحافة على الإطلاق، فقد احتجبت الصحافة بكاملها. في الأرجنتين لا تزال تصدر صحيفة باسم الوطن ولكن لا تستطيع أن تعرف منها شيئًا، فهي تأخذ صحف الوطن (يقصد سورية) وتقص المقالات قصًّا وتصورها، فأنت لا تعرف عن حياة الأرجنتين شيئًا، لأن مادتها منقولة عن صحف الوطن؛ بمعنى أنه يمكننا أن نقول: إنه لا صحف هناك والأمر كذلك في البرازيل في حين أنه في المرحلة بين 1920-1940م (1338-1359هـ) كان هناك قرابة ثلاثين صحيفة في الأرجنتين. ثلاثون صحيفة بين يومية وأسبوعية كلها احتجبت!

- ماذا عن أبناء المهاجرين وأحفادهم ومدى ارتباطهم بجذورهم الثقافية الأولى ولغتهم الأم؟

* ارتباطهم باللغة واه جدًا، لأن السعيد منهم من يفهم اللغة دون أن يكتبها أو يقرأها، ولكنهم بإجمال يعتزون بوطنهم العربي ويدافعون عنه ولا يتركون مناسبة إلا اغتنموها للقول والترويج على أنهم عرب.

جهلهم اللغة العربية لا يخلو من إيجابية، وهي أنهم يكتبون عن العرب باللغة الإسبانية.. يكتبون كثيرًا عن العرب بالإسبانية ويقومون بخدمة جليلة في هذا المجال. وقد برز كثيرون منهم في الأدب والثقافة والفنون، بل أستطيع



إلياس قنصل

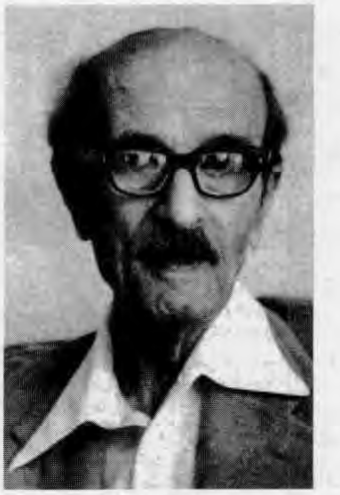
القول: إن أبرز الناس في الأدب والثقافة والفنون هم من أبناء العرب. قلت وأكرر: إن الفيلسوف الأول في الأرجنتين عندما يذكر اسمه في الطبقات العليا يقفون إجلالاً لاسمه هو فيكتور مسّوح ابن عربي.. هذا الرجل مرجع لكبار أدباء الأرجنتين ومفكريهم ويعتز بأصله العربي، وعندما يكتب يقول عن نفسه: إنه عربي، وكان إلى وقت قريب الأمين العام لليونسكو، والآن هو سفير في بلجيكا. أما الذي يمثل الأرجنتين الآن مكانه في اليونسكو فهو جورج قسيس ابن عربي. إضافة إلى ذلك فكل الذين برزوا في السينما أغلبهم من أبناء العرب، وكذلك في الغناء والموسيقى والتمثيل.

طُويت إلى الأبد!

وأصبح الاسم العربي بفضل هؤلاء مدعاة للفخر والاعتزاز، فعندما تقول «عربي» في الأرجنتين لم تكن تطلق على العربي قديمًا.. كان يُطلق علينا لقب «تركو» للاستهزاء، ومع الوقت ومع نبوغ أبنائنا صار يُطلق علينا اسم عربي، وعندما يقال فيعني الشرف والنبل والمروءة وكل الفضائل الإنسانية، ولذلك ففي أوساط الشعب لا تجد واحدًا يتكلم بالسوء على العرب إطلاقًا.. هناك الاحترام الذي وصل إليه الاسم العربي الذي لا يمكن أن يطاول.

ـ ولكنه مر بقصة كفاح وعرق إلى أن بلغ هذه المكانة..

* قصص الكفاح هذه بدأها المهاجرون الأوائل الذين صبروا على الضيم، ثم أولادهم الذين كانوا يكتبون بالعربية، ثم أبناؤهم اليوم



ميخائيل نعيمة

الذين صاروا يكتبون بالإسبانية ويبرهنون للناس على أن العربي ليس كما كان يتصوره أجدادهم، وإنما هو رجل خدم الإنسانية والحضارة الإنسانية.

ـ هذه الدوحة السامقة التي امتدت فروعها الطيبة المباركة إلى أرض المهاجر متمثلة في هذا العطاء الطيب لشعراء المهاجر: هل أخذت هذه التجربة حقها من الدراسة؟

* لا يزال هناك مجال لدراسة الشعر المهجري، لكن الذي يجذب النظر أنه مع تكاثر الدراسات عن الشعر، هناك قدر ضئيل جدًا جدًا عن النثر مع أنهما كانا فرسيْ رهان: الشعر والنثر، أما لماذا وُجِّه الاهتمام إلى الشعر؛ فلأن العرب كانوا يعتقدون أن الشعر هو ديوان العرب، وإلاّ لكان من الواجب الاهتمام بالنثر المهجري كما كان الاهتمام بالشعر سواء بسواء. يوجد كتاب واحد أظن أن مؤلفه د. عبدالكريم الأشتر، كتاب واحد عن النثر العربي في المهاجر.

ـ هل تذكرون أبرز التجارب الناجحة في مجال النثر في المهاجر بخلاف جبران الذي يعد أبرز الصور المشرقة في هذا الحقل؟

* أنا أعتقد أن نثر نعيمة أبرز من جبران، ويأتي أمين الريحاني بالمستوى نفسه. هذا في الشمال، وفي الجنوب هناك ما لا يقل عن خمسين كاتبًا من الطراز الرفيع مثلاً: جورج حسون معلوف، شفيق معلوف كتب نثرًا كما كتب شعرًا، وهناك إسكندر كرباج. لو أخذت أعدادًا من مجلة العصبة التي كانت تصدر في البرازيل ستجد أسماء عشرة على الأقل من الكتاب الممتازين في كل عدد.

هؤلاء ظُلموا، والشعر هو الذي ظلم هؤلاء الناثرين، فإلياس قنصل قصصي وروائي من الطراز الرفيع، وإنتاجه الشعري ضئيل جدًا بالنسبة لإنتاجه النثري، وعلى ذلك عُرف شاعرًا ولم يُعرف قصصيًا ولا روائيًا.

ـ هذه الحقيقة تدعونا إلى توجيه الدعوة إلى مؤرخينا الأدبيين ونقادنا وطلبة الدراسات العليا في الجامعات العربية لدراسة النثر المهجري. ولكننا دعنا نطرح سؤالاً عن التفاعل الثقافي بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى في دول المهاجر؟

* أعتقد أن هناك تفاعلاً لا يمكن إنكاره، فمن اطلع على شعر المغتربات يجد أن هناك أنفاسًا جديدة عليه نشك أنها مما اقتبسه الأدباء بشعور أو من دون شعور عن الوسط الذي عاشوا فيه، ثم إن شعر المغتربين شيئًا فشيئًا صار يعرف طريقه إلى الأندية الأجنبية من طريق الترجمة، فهناك ترجمات كثيرة للشعر العربي في البرازيل وفي الأرجنتين، بمعنى أن الطبقة المثقفة كلها تعرف أن هناك أدباء وتعرف أسماءهم ومؤلفاتهم، وبالمقابل الأدباء العرب ترجموا كثيرًا للأدباء الأجانب. فـ«ملحمة عبقر» لشفيق معلوف تُرجمت إلى الإسبانية، وإلى البرتغالية. كما تُرجمت بعض قصائد الشاعر القروي إلى الإسبانيَّة، فقصيدته «حضن الأم» أخذت دورًا كبيرًا في المجتمعات الأدبية العالية وصاروا يكتبونها على قطع النسيج ويعلقونها على الجدران.

وقد قام يوسف الغريب في الأرجنتين بترجمة مؤلفات جبران خليل جبران كلها إلى الإسبانية، ووضع كتابًا كان له رواج بحيث يطبع كل سنتين واسمه «حكمة العرب». هذا الكتاب ليس من وضعه، وإنما هو ترجمات لمقتطفات من الأدب العربي أغلبها من «الأغاني» وهو لا يدعي أنه صاحبها، بل يقول: إنها مقتطفات، وقد أخذ هذا الكتاب دورًا واسعًا في الأرجنتين.

وبالمقابل الأدباء العرب ترجموا من الإسبانية، فهناك رواية «مريانيلا» للشاعر الإسباني «بيرس قلدوس»، إضافة إلى ترجمة قصائد لا تقل عن أربعين من الإسبانية إلى العربية، وقد كان المترجمون يتصلون أولاً بالشعراء ويطلبون تفويضًا منهم لترجمتها.. ولقد كان الشعراء مسرورين جدًا لأنهم لم يكونوا ليتصوروا أن شعرهم يصل إلى القراء العرب.

في المدة الأخيرة ظهرت شاعرة اسمها «خوان أديب» ونالت شهرة واسعة في الأوساط الأدبية، وقد كتبت ديوانين، الأول موضوعاته من أولها إلى آخرها عربية باللغة الإسبانية، مثلاً: أعرابي في الصحراء، فتاة جزائريَّة، الثورة السورية.. وكلها على هذا المنوال.

العصبة الأندلسية نشأت على إثر انحلال الرابطة القلمية، وكان شعارها «ما تهدمه السياسة يبنيه الأدب»، لذلك جمعت بين أعضاء مختلفين من الناحية الفكرية والسياسية!

صفحة الأدب المهجري طُويت إلى الأبد!

الديوان الثاني صدر قبل أن نأتي بوقت قليل، وهو على المنوال نفسه كله قصائد تحوي موضوعات عربية.

الحفلات التي تقيمها الجالية العربية يكون فيها إلقاء شعر ولكن باللغة الإسبانية، لأن هذه المجتمعات يقبل عليها عادة الأرجنتينيون أكثر مما يقبل عليها أبناء العرب حتى يسمعوا شعرًا نواته عربية. كل هذا يدل على أن هناك تفاعلاً بين الوسط الذي يعيش فيه المغترب والأدب الذي صدر عن هذا المغترب.

ـ كثيرًا ما يربط الدارسون بين شعر الأندلس وشعر المهاجر، فهناك سمات مشتركة مثل: الإشراق، السهل الممتنع، البعد من التعقيد، انعكاسات الطبيعة بألوانها وإشراقها.. إضافة إلى روح التسامح، ما رأيك بهذه الظاهرة؟

* طبعًا احتكاك الناس بالناس هو الذي يولّد النظرة الإنسانية الأوسع، فعندما يقيم المرء في محيط معين لا يستطيع أن يرى أبعد من هذا المحيط، لكن عندما هاجر المغترب واتصل بالناس ورأى وتعلم منهم معاني الحرية، ومعاني التسامح، ومعاني الإخاء كان من الطبيعي أن ينسج على منوالهم. أنا متأكد من أنه لو لم يهاجر هؤلاء المغتربون لكان أدبهم كأدب المقيمين سواء بسواء، لأن الغربة هي التي صقلت فيهم الموهبة.. صحيح أنهم يملكون الموهبة لكن يجب أن تُصقل وأن تُطَعَّم وتُلَقَّح بأفكار وقيم جديدة.. وهكذا كان.. فالشاعر العربي وجد في هذا المحيط ضالته المنشودة، وجد أن الحرية هي التي تحرر الإنسان. بعض الشعراء في الوطن العربي يخجلون أن يُنسب إليهم الشعر الغزلي، ولا أدري لماذا؟ هل الشعر الغزلي لا يتفق مع الرجولة؟ أنا أعرف أن الشعر الغزلي يتفق مع الرجولة، وأعرف أن عنترة ـ وهو عنترة الرجل مثال الرجل بكل شيء: بأخلاقه وبجسمه وروحه ـ كان يقول في أوار المعركة:

ولقد ذكرتك والرماحُ نَوَاهل
مني وبيضُ الهند تقطُرُ من دمي
فوددتُ تقبيلَ السيوفِ لأنها
لمعت كبارقِ ثغرك المتبسِّم!

فعنترة لم يكن يستحي من الغَزل، أما نحن فلا نستطيع أن نقتل ذبابة ونخجل من أن نقول شعرًا في الغزل!! شعر الغزل هو شعر الفحولة وشعر القوة وشعر الجرأة.

ـ كيف نحقق التواصل بين المثقفين في الوطن العربي: هل من خلال المجلات فقط، أم هناك عوامل أخرى؟ وكيف نحافظ على هذه العلاقة الحميمة؟

* هذه العلاقة ستكون من طرف واحد، فالأدباء المغتربون لم يبق منهم أحد.. الأدباء المغتربون الموجودون الآن في كندا وفي أستراليا ليسوا أدباء مهجريين، لأنهم جاؤوا وثقافتهم متكونة فليست ثقافتهم مهجرية وإنما هي بالأصل أصيلة لاتصالهم بأدب الوطن الأم ورجالاته. معنى ذلك أنه ليس هناك اتصال بين شعر المغترب وشعر المقيم.. هل أحسنت التعبير أم لا؟

ـ نعم.

* أريد أن أقول: إن الشاعر الذي أتى وقد اكتملت أسباب ثقافته الأدبية ليس بشاعر مغترب. الشاعر المغترب هو الذي كوّن ثقافته في هذا البلد. والأدباء المغتربون حاليًا لا وجود لهم انقرضوا.. ماتوا، فلا مجال لإقامة علاقات إلاّ مع زكي قنصل.. وزكي قنصل بعد بكره راح يموت!

ـ ربنا يطول في عمرك إن شاء الله.

* أنا أتمنى أن أعيش مليون سنة، ولكن ليس بالإمكان!! أنا أعتقد أن مرحلة الأدب المهجري قد انطوت، ولم يعد بالإمكان التحدث عن أدب مهجري من الآن فصاعدًا. الأدب المهجري دخل إلى خانة «كان».. كان هناك أدب مهجري، وكان هناك ندوة أدبية، وكان هناك.. أما أن نقول اليوم موجود فلا وجود له.

ـ طبعًا الجيل الجديد من أبناء المغتربين ذاب في المجتمعات التي وجدوا فيها.

* هؤلاء هم أدباء أرجنتينيون، أدباء برازيليون.

ـ أصبحوا يمثلون الدول التي عاش فيها آباؤهم وأجدادهم.

* نعم لأن أنظمة البلدان التي ولدوا تحت سمائها تقول: إن المرء ينتمي إلى الأرض وليس إلى العرق، فهم ينتمون إلى الأرض.

ـ هل من كلمة أخيرة يوجهها شاعر المهجر الكبير زكي قنصل؟

* نعم، إنني أتمنى ألا يصيب الأدب العربي ما أصابنا نحن من يأس وخمول، وأتمنى أن تتسع رقعة الأدب ورقعة الشعر لتحمل هموم الناس جميعًا، وليس هموم الوطن العربي فحسب. الوطن العربي في الدرجة الأولى، فينبغي أن يحمل الشعر هموم الوطن الأم، ثم بعد ذلك ينطلق إلى الإنسان بصفته وحدة متكاملة لا تتجزأ، وهذا مطمح بعيد، لأن الإنسان لن يصل إلى هذه المرحلة إلا بعد أن تزول الفروق بين الناس: فروق الجنس، وفروق اللغة، وفروق الحدود، وما أشبه ذلك.

الأدب العربي أدب عطاء، وهو أدب قيم روحية وسيقوم بدوره على أحسن وجه.

ـ إن شاء الله، وفي ختام هذا الحوار الثقافي الشامل الشائق آمل أن نلتقي في مناسبات ثقافية.

* أنا سعيد جدًا بالتعرف إليك، وكنت سعيدًا جدًا بلقائك على الرغم مما بيننا من فراسخ تعد بالألوف من هنا إلى الأرجنتين، وأشعر كأنني أعرفك منذ عشرين سنة، وهذا يدل على أن العواطف بين العرب متقاربة إلى آخر حد.

وأريد أن أغتنم هذه السانحة كي أرفع التحية إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، ولأشكر معالي وزير الإعلام (آنذاك) الأستاذ علي الشاعر، لأنه دعاني إلى زيارة المملكة العربية السعودية، وهي مأثرة والتفاتة كريمة لا أستطيع أن أتجاهلها، وكذلك الذين اهتموا بي من صحفيين وغيرهم. هذه الفرصة الوحيدة التي أستطيع أن أعبر فيها بشكل علني عن شعوري تجاههم.

لم يعد هناك شعراء عرب في البرازيل وتشيلي والأرجنتين، ولم يبق كتاب، ولم تبق صحافة على الإطلاق؛ فقد احتجبت الصحافة العربية بكاملها هناك!

الغرب.. وأزمة الألف سنة!

د. مظفر شعبان ـ م. عبدالله عكش

تجتاح العالم الغربي اليوم موجة عارمة من القلق والذعر ناتجة من شعور بالتخوف «من اشتعال الحروب وتعرض العالم لموجة من الأوبئة والكوارث والمذابح تشكل مقدمة لحدوث يوم القيامة». وهناك هاجس يقض مضجع الكثيرين بأن اليوم الموعود بات قريبًا... إنه سيحل قبل العام 2000م!!

وقد وجدت هذه الموجة انعكاسًا لها في بعض وسائل الإعلام الأجنبية والعربية، وفي مقدمتها وكالة الأنباء الأمريكية الشهيرة CNN. وقد تطرقت مجلة «أكتويل» التركية إلى هذا الموضوع في أحد أعدادها الحديثة. وعن هذه المجلة تم اقتباس المقالة الحالية.

على عتبة الألفية الثالثة

بعد مرور 1000 سنة على ميلاد السيد المسيح ـ عليه السلام ـ، أي في عام 1000 ميلادية، توقع كثيرون قيام «الساعة»، إلا أن الواقع لم يصدق توقعات هؤلاء، فظهرت نبوءة جديدة تؤكد أن الموعد الثاني هو في عام 2000م، والمدة التي تفصلنا عن الموعد الجديد تتناقص. وتشير المجلة التركية المذكورة إلى أن «إنجيل يوحنا» حدد القيامة في نهاية كل ألفية من السنين، إذ سيظهر المسيح من جديد ويبدأ الحساب الإلهي.

ومع أن انتظار الساعة في نهاية الألف الأولى لم يؤكد النبوءة الأولى، إلا أن الدلائل الحديثة توحي بأن الوضع في الموعد الجديد وخيم. فالقائلون بوقوع «يوم القيامة في عام 2000م» ليسوا من أنصار الديانة النصرانية فقط، بل هناك طوائف عدة وفرق كثيرة اقتنعت بوجود الأطباق الطائرة، وتوقُّعات نوستراداموس وغيره من المنجمين والفلكيين، الذين يؤكدون ـ اعتمادًا على دعاوى شتى ـ أن «القيامة تقول إنني آتية»، وهناك من يحدد موعدًا أدق: «لن يعيش أي منا ليشاهد شهر تشرين الأول/ أكتوبر من عام 2000م».

وكالة أنباء CNN عرضت مؤخرًا صورة مئات من الناس، تغطيهم الأسمال البالية، وهم ينتظرون بجلد وبصبر يشق على البشر... أما المكان فهو إحدى مدن الفلبين الكبرى.

ولكن، ماذا ينتظر هؤلاء؟ إنهم ينتظرون المسيح.. كان المارة ينظرون إلى هؤلاء البائسين بعيون تملؤها الشفقة، والرثاء والسخرية. ومع ذلك فقد كان عدد هؤلاء البائسين يزداد.

بالنسبة للأديان السماوية، لا يُعدّ مفهوم «القيامة» جديدًا. إلا أن أبطال المشهد، الذي عرضته CNN مؤخرًا، هم مجموعة من النصارى، المقتنعين بأن يوم الحشر بات وشيكًا... فالكواكب ستصطدم بعضها ببعض وتتناثر أشلاء، وستموت كل الكائنات الحية على وجه الأرض... سيأتي المسيح بعدئذ، وسيبعث الأموات أحياء، وتبدأ المحاكمات الإلهية.

وعلى هذا التشدد، وهذه الرغبة بالانتظار، فإن القيامة لم تحدث، ولم يأت المسيح، وتشتت المجتمعون، تمامًا كما حدث قبل ألف سنة، وتأجل الموعد... موعد قدوم السيد المسيح إلى زمن آخر.

مما لا شك فيه أن هذا الخبر التلفازي قد رسم على وجه كثير من المشاهدين ابتسامة، أو أنه دفع غيرهم إلى الضحك. ولكن النتيجة الواضحة هي أن أزمة «الألف سنة الثانية» قد ابتدأت بالفعل. ومن الواضح أن النصارى الذين اندفعوا إلى مواقف الانتظار، هم من المؤمنين «برؤيا يوحنا اللاهوتي» الذي أورد في «الكتاب المقدس ـ الإصحاح العشرين»: «ورأيت مَلَكًا نازلاً من السماء، معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده. فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيّده ألف سنة وطرحه في الهاوية وأغلق عليه وختم عليه كي لا يضل الأمم في ما بعد حتى تتم الألف سنة، وبعد ذلك لابد أن يُحلّ زمنًا يسيرًا. ورأيت عروشًا فجلسوا عليها وأعطوا حكمًا، ورأيت نفوس الذين قُتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة. وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف سنة. هذه هي القيامة الأولى. مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى. هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم، بل سيكونون كهنةً لله والمسيح وسيملكون معه ألف سنة» (رؤيا يوحنا اللاهوتي 1-3، 3-4).

ذكريات من الألفية الأولى

قبل ألف عام، صدّق قسم كبير من الناس في العالم النصراني آنذاك، أن «القيامة» قد حلّت، لذا ابتدأ ـ اعتبارًا من عام 990م ـ التحضير ليوم الحشر، حتى إن الكرسي البابوي في روما أصدر ـ خلال الأشهر الستة الأخيرة من عام 999م ـ بيانًا رسميًا يعلن فيه أن القيامة ستقوم في أواخر العام،

وصارت أجراس الكنائس تقرع باستمرار مذكرةً الناس بأن هذه السنة هي الأخيرة في عمر الجميع.

وعليه، عمد الإقطاعيون والأغنياء وأصحاب الامتيازات، من كونتات ولوردات وغيرهم، إلى توزيع أملاكهم وأموالهم على الفقراء. وفي الليلة الأخيرة من عام 999م تجمَّع الناس في ساحة كنيسة القديس بطرس، وهم يحملون المشاعل وأغصان الأشجار ويتلون فقرات من الإنجيل، ويتوجهون زاهدين بالدعاء إلى الله متضرعين إليه أن يحفظهم من هذه المحنة، حيث ستتقطع الأرض إرْبًا إرْبًا ثم تشوى متحولة إلى قطع من الفحم... كانت الغالبية العظمى، من هؤلاء المتضرعين، من الأغنياء، الذين قاموا في وقت سابق بتوزيع أراضيهم وبيوتهم وأشيائهم على الفقراء، ولم يتركوا على أجسادهم سوى أقمشة رثة ظنًّا منهم أن منظرًا كهذا سيجعلهم من المحسنين في «يوم القرار الأخير»، مما سيتيح لكل منهم حجز مكانه في الجنة، علماً أن كلاً منهم كان متأكداً في قرارة نفسه أنه سوف يتحرر من «سلسلة» الشيطان، لأن السنوات الألف الأولى قد اكتملت.

من الواضح أن وجود هذا الحشد الهائل، الذي يتوقع قيام القيامة في تلك الليلة أفقد الجميع القدرة على التفكير بأي شيء آخر. ومع ذلك فقد كانت هناك إشارات عدة تؤجج فكرة يوم القيامة في أذهان الناس، إذ قام المؤرخون في ذلك العصر بسرد العلامات الكثيرة الدالة على يوم القيامة. فقد ذكر أحد المؤرخين أن السماء انشقَّت وسقطت منها شعلة كبيرة أضاءت السماء - لدى سقوطها - كالبرق: وحش كالتنين ذو أرجل زرقاء من فجوة في السماء. أما في إنجلترا فقد أشيع عن سقوط صخرة كبيرة من السماء بددت الليل الأسود وحولته إلى نهار مما سبب ذعرًا وخوفًا شديدين.

ومن الإشاعات الأخرى، التي رددها هؤلاء المؤرخون، ما ذُكر عن سقوط دم من السماء في منطقة اوكيتانيا (وهي المنطقة الواقعة في الجنوب الغربي من فرنسا القريبة من الحدود الإسبانية) لَطَّخَ الناس، ولم ينفع الغسل ولا الصابون في إزالته. كما أن بعض الناس شهد على أن الدموع انسابت من عيني السيد المسيح - عليه السلام - من إحدى صوره (زعموا) المعلقة في إحدى الكنائس الفرنسية.

وفي تلك الحقبة المشؤومة ذكر «التائبون» الروايات، التي أكدت أن أحد القصور الفرنسية تعرض - على مدى ثلاث سنوات - إلى «قصف» سماوي بحجارة ذات أحجام مختلفة أدت إلى طمر صاحب القصر مع 11 من أولاده وأحفاده فتوفوا جميعًا!!

وهناك إشارة طريفة إلى أن «أزمة الألف سنة» كانت ذات تأثير كبير في بعض الأمم، حتى إن شعب ايسلنده بأسره اعتنق النصرانية لكي يحمي نفسه من القيامة، التي يتوقع أن تحل في الأول من كانون الثاني/ يناير عام 1000 للميلاد.

وعندما اقتربت الساعة من منتصف ليل 31 كانون الأول/ ديسمبر 999م كان الذعر والهيجان والبلبلة قد وصلت إلى ذروتها. فوراء حائط الكنيسة، التي كان يلفها الظلام والبرد، وقف الناس ينتظرون تحت الضوء المرتجف للقنديل الزيتي، وهم خائفون حتى من... التنفس.

إلا أن شيئًا، مما كان متوقعًا، لم يحدث. فالأرض لم تنشق، والكنيسة بقيت في مكانها لم تبتلعها الأرض، كما أن كرات النار لم تسقط من السماء.

في الدقائق الأولى من صباح الأول من كانون الثاني/ يناير عام 1000 ميلادية ارتخت الأعصاب المشدودة وكأنها نابض انطلق من عقاله، وشعر الناس وكأن كابوسًا انزاح عن صدورهم، حيث الضحكات المحبوسة تبللها الدموع، وانطلق الجميع - بما فيهم الأعداء - يعانق بعضهم بعضًا، يتناسون العداوات السابقة ويجددون صداقاتهم. وهنا أيضًا كانت الكنيسة البابوية قريبة إذ أعلنت: «لقد قبل الرب دعوات الكنيسة المعظمة... لقد تجاوزت البشرية يوم القيامة بفضل دعوات الكنيسة»، بينما كانت أجراس الكنائس تدق باستمرار معلنة، ومهنئة، بولادة العالم من جديد.

ولكن، ما إن زال الخوف، واختفت الرهبة من القلوب حتى تولَّد فراغ روحي مَحلَّهما. فالأغنياء، الذين وزعوا ثرواتهم وأموالهم بسبب القيامة، طالبوا باسترداد ما بذلوه بعد أن زال الخوف، مما سبب النزاعات الجماعية والمواجهات العائلية والجنايات الدموية.

وحسب المجلة التركية فمن المتوقع أن تتكرر الأزمة، التي عايشها الناس في نهاية الألف الأولى من أجل الألف الثانية. إلا أن كل الدلائل توحي أن مجال تأثير أزمة الألف الثانية سيكون أكبر بكثير من الألف الأولى، وذلك لأن الأزمة هذه المرة لم تعد مشكلة النصارى فقط؛ بل تتعداهم إلى ديانات أخرى، منها الديانة البوذية، التي يؤمن أتباعها أن بوذا، بعد 2500 سنة من ولادته، سيعود إلى الدنيا ثانية، وينقذ الكون والناس.. والتاريخ المتوقع لذلك هو عام 2001م.

وقد أشارت المجلة التركية إلى توقعات الكاهن والمؤرخ البابلي بيروسوس الذي توقع قبل 2300 سنة أن الحياة على وجه الأرض ستنتهي في عام 2001م، وقد حصل على هذا الرقم بالحساب اعتمادًا على بعض الأرقام التي استنبطها من الرموز والأرقام الموجودة في هرم الجيزة الكبير.

ومع أننا في العالم الإسلامي نؤمن أن الغيب لا يعرفه إلا الله، إلا أنهم في العالم الغربي يثقون كثيرًا بتنبؤات الكاهن والمنجّم والعرّاف الفرنسي المشهور ميشيل دي نوتردام، المعروف باسم نوستراداموس (1503-1566م)، الذي أصدر في عام 1555م كتابًا بعنوان: «القرون» وفيه وضع توقعاته حول مستقبل العالم. والمراجع الأمريكية والروسية ترى أن توقعات نوستراداموس غامضة وتحمل تفسيرات كثيرة، إلا أن توقعاته حول موعد وفاة الملك هنري الثامن في عام 1599م هي التي أكسبته شهرة واسعة كعرّاف. ويقول شليك غولرسوي التركي، الذي درس هذا

عندما أصدر الكرسي البابوي بيانًا رسميًا يعلن فيه أن القيامة ستقوم في نهاية عام 999م سارع الأغنياء والإقطاعيون إلى توزيع ممتلكاتهم وثرواتهم على الفقراء!!

الكتاب: «إن كتاب نوستراداموس مملوء بالمعلومات التي تهمنا وتهم دنيانا الحالية»، والأهم من بين هذه المعلومات بالنسبة لموضوعنا الحالي هو ما أورده نوستراداموس أن «الحياة على كوكبنا الأرضي ستنتهي في عام 2020م». وحسب تصورات نوستراداموس ذاته فإن الحياة «لن تنتهي في لحظة واحدة، وإنما ببطء، حيث ستختفي سنويًا إحدى مقومات الحياة».

والمقالة المذكورة في المجلة التركية تستشهد بادعاءات عدد من الفرق والجماعات المتطرفة، وكلها تؤمن أن موعد القيامة لن يكون بعيدًا من عام 2000م. ولعل أقل ما يقال في دعوى هذه الفرق المبعثرة إنها ادعاءات لا تمت إلى المنطق ولا إلى العلم ولا إلى العقل بصلة.

استدلالات علمية

إذا كانت الادعاءات السابقة غيبية (ميتافيزيقية) فيها الكثير من الحدس والظن والتوقع، فإن المجلة التركية تشير إلى أن بدايات عام 2000م ستكون نقطة تحول جذرية لمواضيع علمية كثيرة، أولها علم الفلك. فحسب توقعات الفلكي الفرنسي آني شانتال ليفاسور ريفورد ربما لا تعيش كرتنا الأرضية لترى شهر تشرين الثاني/ نوفمبر من عام 2000م، وقد ادَّعى هذا الفلكي الفرنسي أن هناك صخرة سماوية قطرها كيلومتر واحد تتحرك بسرعة 1000 كيلومتر في الثانية نحو الأرض وستمر بقربها في 26 أيلول/ سبتمبر عام 2000م.

فإن مرت هذه الصخرة السماوية على بعد 100 ألف كيلومتر من الأرض، فإن قوة الجذب التي ستنشأ ستؤدي إلى ارتفاع مياه المحيطات بشكل كبير، مما سيولد الكوارث والسيول الكبيرة، وهذه قد تقضي على ملايين الناس غرقًا.

وإذا انخفض البعد إلى 10 آلاف كيلومتر فإنه سيؤدي إلى تغيير مدار الأرض وقد يوقف حركتها حول نفسها. أما إذا مرت الصخرة الكونية على مسافة لا تزيد على 100 كيلومتر عن الأرض، فمن المتوقع أن تنفجر جبال البراكين، وأن تظهر جبال جديدة، وستختفي القارات نتيجة العواصف الغبارية والسيول. وأما إذا اصطدمت الصخرة الفضائية بالأرض فإن جليد القطب الجنوبي سيتفكك وستقع أوربا تحت طبقة سميكة من الجليد!

وحول هذا الموضوع يقول الدكتور صالح قره علي، رئيس قسم الفلك في جامعة استانبول: «إن سقوط أي جسم فضائي يمثل خطرًا حقيقيًا مفتوحًا على كل الاحتمالات، علمًا أن الأرض تتعرض يوميًا لقصف دائم من الصخور السماوية ذات الحجوم المتفاوتة، إلا أن هذه الصخور تتفتت عندما تصل إلى الغلاف الجوي الأرضي».

وفي الحقيقة يسقط على الأرض سنويًا آلاف الأحجار السماوية بحجم قطع الفحم. ولكن أكثر هذه الأحجار جدية هو مذنب سويفت - تتل، الذي كان موضوع الغلاف لمجلة نيوزويك الأمريكية، في عددها بتاريخ 23 تشرين الثاني/ نوفمبر 1992م، وذلك بعد أن مر هذا المذنب في 7 تشرين الثاني/ نوفمبر من العام المذكور على بعد 115 مليون ميل من سطح الأرض. وفي رأي الفلكي الأمريكي هنري ميلوش من قسم الفلك التابع لجامعة اريزونا، الذي يراقب هذا المذنب الضخم البالغ قطره تسعة كيلومترات منذ سنوات طويلة، فإن هذا المذنب سيعود إلى الأرض ثانية بعد 134 سنة. ومع أن احتمال اصطدام هذا المذنب بالأرض ضعيف جدًا ولا يتجاوز واحدًا بالعشرة آلاف، إلا أنه ذو قوة تخريب هائلة جدًا. فالمذنب المذكور يتحرك بسرعة كبيرة تتجاوز 100 مرة سرعة الرصاصة، ومن ثم فإنه يتحرك كصاروخ منطلق من... جهنم، كما أنه - أي المذنب - ذو قوة تدميرية تعادل 100 مليون ميغا طن من مادة T.N.T الشديدة الانفجار. وإذا وقع المحذور واصطدم المذنب بالأرض، فإنه سيسبب دمارًا وحريقًا كبيرين. وعندها فإن حمض الآزوت الذي سيتشكل نتيجة اتحاد الأوكسجين والآزوت الموجود في الجو سيقضي على الأحياء أنّى وجدوا، وحتى المختبئين منهم في المغارات أو الملاجىء الحصينة. وفي رأي هنري ميلوش فإن المذنب، الذي اصطدم بالأرض منذ 65 مليون سنة كان بهذا الحجم، وقد أدى إلى تشكل العصر الجليدي الذي سبب موت الديناصورات.

وفي ختام هذه المقالة، أعربت المقالة التركية عن قناعتها بأن العام 2000م سيبقى موضوع جدال وترقب حتى نهاية هذا القرن. وسواء كان ذلك من حسن الطالع أو من مصادر التعاسة؛ فهناك احتمال كبير أن يكون صباح تلك الليلة بداية جديدة لكل الناس.

وبعد

إن يوم القيامة عند المسلمين، هو اليوم الذي يُبعث فيه الموتى من القبور في يوم البعث وإعادة أرواحهم كي يحاسبوا عن أعمالهم، فإما إلى الجنة وإما إلى النار: *ثُمَّ إِنَّكم يَوْمَ القيامة تُبْعَثُونَ*. **المؤمنون**:16. ويسبق هذا اليوم علامات، منها: ظهور المسيح الدجال، وفساد العالم، وظهور المهدي، والنفخ في الصُّور، وفناء العالم، ثم النفخة الثانية. ويوم القيامة يشمل البعث والحشر والموقف العظيم والحساب والصراط والشفاعة وينتهي بالجنة أو بالنار.

أمران أكدهما القرآن الكريم

أولاً: أن الساعة آتية لا ريب فيها، ويُعدّ الإيمان بذلك أحد أركان الدين الإسلامي: *عَمَّ يتساءلُون. عَنِ النَّبأ العظيم. الَّذي هُم فيه مُختلفون. كلاَّ سَيعلمون. ثُمَّ كلاَّ سيعلمون*. **النبأ**:1-5.

ثانيًا: وفي سورة النبأ يخبر رب العالمين، أن يوم الفصل، وهو يوم القيامة، موقت بأجل محدود لا يُزاد عليه ولا يُنقص منه، ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عز وجل كما قال تعالى: *إنَّ يومَ الفصل كان ميقاتًا. يَومَ يُنْفَخُ في الصُّور فتأتون أفواجًا*. **النبأ**:16-17. والآيات التي تؤكد ذلك غير قليلة لا يتسع المجال لذكرها:

يَسْألونكَ عَن السَّاعة أيَّانَ مُرْساها قل إنَّما علمُها عند ربِّي لا يُجَلِّيها لوقتها إلا هُو. **الأعراف**:187.

المراجع:

1- ليلى مبروك، علامات الساعة الصغرى والكبرى. المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة.
2- جون مودي (ترجمة مرقص عوض). رؤية ليوم الحساب. الثقافة العالمية رقم 65، تموز/ يوليو 1994م.
3- الموسوعة العربية الميسرة بإشراف محمد شفيق غربال.
4- بولنده: عروس البلطيق الحائرة، مجلة العربي، 431، تشرين الأول/ أكتوبر1994م، ص38.
5- النفس الإنسانية في القرآن (القيامة)، مجلة الخفجي، تشرين الثاني/ نوفمبر 1992م.
6- د. إحسان هنيدي، من تقاويم الشعوب، مجلة الفيصل، العدد 215.
7- H. Akman Kiyamet Bekliyorlar Aktuel.
8- The Calendar Month by Month. Sputnik, Jan./1988.
9- I. Asimov. Choice of Catastrophes.

الدكتور معروف الدواليبي في «منتدى الفيصل»



معالي الدكتور محمد معروف الدواليبي

- سعودي الجنسية، من مواليد مدينة حلب، سورية 1909م.
- مستشار في الديوان الملكي.
- حاصل على إجازة في الشريعة والعلوم الإسلامية وليسانس الحقوق، كلية الآداب جامعة دمشق 1935م، ودبلوم في الدراسات العليا في الحقوق الرومانية 1941م، ودبلوم في الحقوق الكنسية، ودكتوراه في القانون والحقوق الرومانية، جامعة باريس 1946م.
- عمل أستاذاً للقانون وعلم الأصول والنهضة الإسلامية والتاريخ القانوني بكلية الحقوق في الجامعة السورية ابتداءً من 1947م، ونائباً بمجلس النواب بمدينة حلب السورية 1947- 1963م، وأستاذاً في كلية الشريعة، جامعة دمشق بعد أن شارك في تأسيس الكلية عام 1950م.
- شغل عدداً من المناصب الوزارية في سورية، فعمل وزيراً للاقتصاد 1950م، ورئيساً للوزراء، ورئيساً لمجلس النواب 1951م، ووزيراً للدفاع 1954م، ورئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية 1961- 1962م.
- من مؤلفاته: «المدخل إلى علم أصول الفقه»، «المدخل إلى السنة وعلومها»، «الاجتهاد في الحقوق الإسلامية» أطروحة بالفرنسية، «الإسلام أمام الاشتراكية والرأسمالية» باللغتين العربية والإنجليزية، «الوجيز في الحقوق الرومانية»، «المدخل إلى التاريخ العام للقانون» الذي أعيد طبعه تحت عنوان «جزيرة العرب مهد الحضارة الإنسانية الأولى، ومهد نشأة فكرة الحق والقانون»، «دراسات تاريخية عن مهد العرب وحضارتهم الإنسانية»، «نظرات إسلامية» مجموعة أبحاث، «حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام» مجموعة ندوات علمية في الرياض وباريس والفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي في جنيف والمجلس الأوربي في ستراسبورغ، «الدولة والسلطة في الإسلام»، «أكذوبة الأرض الموعودة لبني إسرائيل من الفرات إلى النيل» دراسة.

آراء من مؤلفاته:

«من الثابت أن الإسلام أقام دولته العظمى العالمية من غير سابق لها في جزيرة العرب، ومن غير استعداد قبائلها الأمية لها قبل الإسلام، وأنه قد أقامها على مبادئ سامية، وقيم عالمية جديدة، لم يكن للعرب ولا لغيرهم عهد بها من قبل محمد».

الدولة والسلطة في الإسلام - بحث ألقي في الندوة الدولية في اليونسكو في باريس 1982، دار الشواف.

«العلم في الإسلام الطريق إلى معرفة الله وعبادته وعمارة هذه الأرض بسلام. ولذلك أطلق الإسلام على مجمل دعوته القائمة على هذا الأساس أنها «دعوة إلى الحياة» وآخى في كل ذلك ما بين الدين والعلم، وما بين الدين والعقل، وما بين الدين والفكر، وبالجملة، فقد آخى ما بين الدين والحياة».

حقوق الإنسان الثقافية في الإسلام، ندوة في الفاتيكان، من كتاب «ندوات علمية حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام»، دار الشواف.

«إذا كان لكل إنسان الحق الطبيعي بأن يهاجر من أرضه، غير أنه ليس له الحق بأن ينزل في أرض ليست له إلا برضاء وترحيب وإذن من أصحاب الأرض الحقيقيين، وذلك كما تفعله اليوم الولايات المتحدة الأمريكية التي رفضت هجرة اليهود إليها، وكما رفضتها أيضاً بقية الدول الأوربية».

دراسة حول أكذوبة الأرض الموعودة لبني إسرائيل من الفرات إلى النيل، دار الشواف.

«ما أشبه عالمنا الحديث اليوم في صراعه ما بين الشرق والغرب، وما بين القوي والضعيف وما بين الغني والفقير، ما أشبهه بالعالم القديم الذي فاجأه الإسلام، وهو في صراع دائم على حساب الكرامة الإنسانية والحياة الإنسانية والوحدة في الأسرة الإنسانية».

من محاضرة عنوانها «دور المسلمين في بناء الحضارة الإنسانية: في القانون»، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

سنريهم آياتنا في الآفاق

د. خيرالدين عبدالرحمن



على تكاثر الأحداث والوقائع التي يستعصي تفسيرها وتعليلها على المناهج العلمية الوضعية، التي تتزمت في حصر تعاملها مع قوانينها الذاتية والمعطيات المادية الملموسة، فإن طغيان قيم الحضارة الغربية المادية/ اليهودية - التي من مستجداتها ما حذّر منه مفكرون أوربيون وأمريكيون إذ عَدُّوه إفراطًا ومبالغة في «عبادة التكنولوجيا» - قد أوجد تيارًا واسعًا يستهجن أي تعليل يتجاوز تلك القوانين الوضعية، فيتهم أصحابه بالتخلف والتحجر.

لقد وحّد هذا التيار ما بين العلم والعلمانية التي جعلها دهاقنتها اسمًا رمزيًا للإلحاد، بحيث يهيجه ويستفزه كل منطق أو موقف ينطلق من الإيمان بالقدرة الإلهية، أو يدرك أن للعلم البشري في الحقول والمجالات كافة حدوده، ذلك أن الله عز وجل عندما حض في آيات كثيرة جدًا من القرآن الكريم على التفكر والتدبر والتبصر والإعمال الدائم لقوي الوعي الذاتي التي كرّم الخالق البشر بها - السمع والأبصار والأفئدة - حذرهم في الوقت نفسه من الغلو في توهم الإحاطة بأسرار الكون، وإدعاء العلم بخفايا الخلق، إذ قال الحكيم العليم: *وَمَا أُوتِيتُم مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً*. **الإسراء**:85.

قادنا إلى تجديد طرح هذه الملاحظة ما تلاحق من استنكار وشجب أوربي/ أمريكي لرد الفعل الفوري التلقائي الذي صدر عن المصلّين المعتكفين في بعض مساجد لبنان في أثناء ليلة القدر الأخيرة، عندما وصلهم خبر تصادم طائرتين عسكريتين إسرائيليتين في الجو وسقوطهما محترقتين في ذلك المساء، بينما كانتا متجهتين إلى بعض القرى اللبنانية لمهاجمتها.

لقد تمثل رد فعل المصلين بالتهليل والتكبير، وراحت مكبرات الصوت في بعض المساجد اللبنانية تذيع الخبر؛ داعية إلى حمد الله وشكره لأنه استجاب لدعوات المؤمنين الصالحين في ليلة القدر تلك، فأهلك المعتدين وأنقذ المئات من عباده الذين كانوا مستهدفين للقتل في تلك الليلة على أيدي ثلاثة وسبعين ضابطًا وجنديًا إسرائيليًا حملتهم الطائرتان، إلى جانب ما حملتا من صواريخ وقذائف، فماتوا جميعًا بسقوط الطائرتين.

نختار من بين مواقف الاستنكار والشجب الأوربية والأمريكية تصريح السفير الأمريكي في بيروت الذي أذيع على نطاق واسع، حيث أدان سلوك المصلين «غير المتحضر»! ووصفهم بالتخلف والإرهاب والوحشية، واستغرب تهليلهم وتكبيرهم في المساجد فرحًا بمقتل «الضباط والجنود الإسرائيليين الأبرياء»! بدلاً من «إبداء الحزن على هذه الكارثة وتقديم التعازي بها».. لقد استدعى وزير الخارجية اللبناني السفير الأمريكي ولامه رسميًا على هذا التصريح، وذكّره بأن هؤلاء الضباط والجنود الإسرائيليين كانوا متجهين إلى لبنان للاعتداء على قراه،

وقتل مئات من أطفاله ونسائه وشيوخه ورجاله، وتدمير العشرات من بيوت المدنيين وسفك دمائهم، لذا فليس غريبًا أن يفرح من كانوا ضحايا مرشحة للقتل بالنجاة ويشكروا الله في مساجدهم، وإنما الغريب أن يستكثر السفير عليهم هذا.

انتهى الإشكال الدبلوماسي عند هذا الحد، وفقًا لما أذاعته وزارة الخارجية اللبنانية، لكن مغزى الانحياز الأعمى الذي يعطي حصانة مطلقة وتسويغًا مسبقًا لكل ما تقوم إسرائيل به، في مقابل إدانة جارحة واستنكار مسبق لرد فعل ضحايا العدوان والعنف والإرهاب الإسرائيلي، يظل في الأذهان، بعدما صارت القاعدة اعتبار القاتل على حق دائمًا مادام إسرائيليًا، واعتبار قتيله مدانًا في كل الأحوال.

نتجاوز هذا، ونعود إلى حادث الطائرتين ذاته ونسجل الملاحظات التالية:

أولاً: كان الضباط والجنود الإسرائيليون في الطائرتين اللتين سقطتا مرتدين ملابس مدنية، ومسلحين بأسلحة فائقة التدمير، مما يشير إلى أن العملية التي كانوا ينوون تنفيذها في لبنان - وفقًا لتحليلات الصحف الإسرائيلية نفسها - أضخم كثيراً من مجرد قصف روتيني لقرى لبنانية بالصواريخ والقنابل، على نحو ما تفعل الطائرات الإسرائيلية الحربية يوميًا دونما حاجة لأن تحمل عشرات الضباط والجنود. كما أن ارتداء هؤلاء ملابس مدنية يؤكد أنهم كانوا ينوون تنفيذ عملية إنزال وانتشار في مواقع سكنية متعددة لإحداث تدمير واسع وقتل جماعي وعمليات خطف.

ثانيا: سارعت القيادة العسكرية الإسرائيلية فور وقوع الحادث، مساء 1997/2/4م، إلى الزعم بأن تصادم الطائرتين كان بسبب انخفاض الرؤية نتيجة انتشار الضباب في منطقة الحادث، في أقصى شمال فلسطين المحتلة المحاذي لجنوب لبنان. لكن تأكيدات الشهود بأن السماء كانت خالية من الضباب في تلك المنطقة آنذاك جعلت البيانات الرسمية الإسرائيلية اللاحقة تتراجع عن التذرع بالضباب، وترجئ تحديد أسباب الحادث إلى حين اكتمال عمل لجنة التحقيق. لقد سعت أوساط رسمية عديدة إلى اختيار أسباب ملائمة تعلن عنها، لكن البيان النهائي للجنة التحقيق صدر بعد عشرة أيام من غير تحديد سبب لهذا الحادث.

ثالثا: لقد ارتبكت الأوساط الحكومية والعسكرية الإسرائيلية بشدة لأن مصداقية تقانة (تكنولوجيا) الطيران الإسرائيلية قد انهارت، بعدما نجحت مؤسسة الصناعات الجوية الإسرائيلية في رسم صورة خارقة لتفوق منتجاتها وتقنياتها، وبخاصة إلكترونيات الطيران، بحيث راحت تبيعها لدول كبرى، مثل الولايات المتحدة وروسيا والصين، ولدول أقل شأنًا مثل الهند والعديد من بلدان



فارس بويز

آسيا وأفريقيا وأوربا وأمريكا اللاتينية، ناهيك عن الصفقات التي أبرمتها تباعًا مع دول عديدة لتقوم بتحديث الطائرات الحربية المتقادمة لتلك الدول. لقد طرح السؤال المشروع نفسه: إذا كانت التجهيزات الإلكترونية والتقنيات المتطورة للطائرات الحربية الإسرائيلية لا تحول دون تصادمها وسقوطها ببساطة متسببة - في حادث واحد - في مقتل عدد من الضباط والجنود يقارب ما خسره الجيش الإسرائيلي في حرب كاملة من حروبه، فأي إغراء يبقى لهذه التقنيات؟

رابعًا: فصلت عدة ساعات - زمنيًا - وعدة كيلومترات - جغرافيًا - بين هذا الحادث وحادث آخر تمثل في اختفاء طائرة حربية أمريكية بعد دقائق من إقلاعها من حاملة طائرات كانت تقوم بمناورة مشتركة مع غواصة إسرائيلية مقابل الشاطئ الشمالي لفلسطين المحتلة. ولم يستطع السفير الأمريكي في تل أبيب إعطاء سبب واضح لاختفاء الطائرة وأربعة طيارين كانوا على متنها، سواء كان سببًا تقنيًا أو متعلقًا بخطأ بشري، عندما أعلن عن الفشل في إيجاد أي أثر للطائرة أو الطيارين أو الصواريخ الفائقة التطور التي كانت الطائرة تحملها. ولم يكن بالإمكان اتهام الأحوال الجوية بالمسؤولية عن هذا الحادث بدوره، لأنها كانت جيدة ومواتية للطيران. وهكذا ظل الحادث لغزًا بدوره.

خامسًا: بينما انشطرت ردود الفعل العربية إلى نقيضين متصادمين بحدة إزاء حادث الطائرتين الإسرائيليتين الحربيتين، أولاهما بعض التعازي الرسمية التي تم تقديمها لبنيامين نتنياهو في مقتل العسكريين الإسرائيليين، في تغافل صارخ عن حقيقة كونهم قد لاقوا مصرعهم وهم متجهون للاعتداء على لبنان وممارسة التدمير والقتل فيه، وثانيهما ملايين من عبارات الشكر والحمد لله عزّ وجلّ، فإن ردود الفعل الإسرائيلية والأمريكية والأوربية قد اتخذت محورين اثنين: استنكار فرح المصلّين اللبنانيين لنجاتهم من العدوان الإسرائيلي المبيّت، واستهجان تفسير هؤلاء المصلين الحادث بوصفه استجابة لدعائهم في ليلة القدر بأن يرد الله كيد المعتدين إلى نحرهم، من ناحية، واستغراب لعدم قدرة الخبراء والفنيين على تقديم تعليل علمي للحادث، من ناحية ثانية. ولم يخرج تعقيب أو تعليق على هذين المحورين - في حدود ما اطلعنا عليه في وسائل الإعلام العالمية.

نترك الجانب السياسي والأخلاقي، لنركز على الإخفاق في حل لغز هذا الحادث من منطلق تقني. هناك مئات من حوادث الطيران التي اكتنفها الغموض، ولم يستطع الخبراء تفسيرها أو الجزم بأسبابها. لن نقف عند حوادث انتهت بسقوط الطائرات غرقى أو محطمة أو محترقة، وإنما نستعيد حادثين لطائرتين عادتا سالمتين آخر الأمر بمن كانوا على متنيهما يروون ما رأوه، لتكون شهاداتهم غصة دائمة لـ(عبيد التكنولوجيا) الذين بهتوا بهذين الحادثين، وعجزوا عن تفسيرهما بمنطق نهجهم الوضعي وقوانينهم المادية.

الواقعة الأولى هي ما حدث للطيار الأمريكي بروس جرنون يوم 1970/12/4م. وملخص روايته، التي أيدتها تحقيقات الخبراء والفنيين والسجلات الرسمية لمطاري إقلاع طائرته وهبوطها، هو أنه غادر بطائرته قاعدة بونانزا الجوية في جزيرة أندروز - من جزر البهاما المحاذية لشاطئ فلوريدا متجهًا في ذلك اليوم إلى جزيرة بيمبي كيسن، شرقي ميامي، ومعه والده، فقابلته سحابة كثيفة غريبة الشكل في الجو. حار في أمر هذه السحابة التي لم ير مثيلاً لها في حياته، فحاول تحاشي الاصطدام بها، لكنه عجز، وراحت السحابة ترتفع بطائرته فخيّل إليه أنها تريد أن تقذف الطائرة بعيدًا. أحس جرنون ووالده حالة انعدام الوزن، وتبادلا النظرات بهلع، ثم ازداد ذهولهما عندما دخلت الطائرة في أفق أخضر ممزوج باللون الأبيض HAZE THIN MIST يختلف تمامًا عن السماء الزرقاء HAZE التي يريانها أمامهما. أحس كلاهما أن الطائرة انطلقت بسرعة غير عادية، تفوق السرعة القصوى المتاحة لأية طائرة في ذلك الحين. خرجت الطائرة من ذلك الأفق الغريب؛ وإذا بالأرض تبدو مقعرة تحت الطائرة بشكل لم يسبق أن رآه الطيار ووالده من قبل.

هبط جرنون بالطائرة في المطار المقصود بجزيرة بيمبي كيسن ليتضاعف ذهوله عندما تأكد أن الوقت الذي استغرقته الرحلة كان خمسًا وأربعين دقيقة فقط، بينما تستغرق الرحلة دائمًا بين هذين المطارين بطائرته خمسًا وسبعين دقيقة. لم يعثر بروس جرنون ولا فنيو المطار المقصود والخبراء الذين حققوا في الأمر على أي تفسير علمي لوصول الطائرة قبل نصف ساعة كاملة من الموعد المحدد، الأمر الذي يفوق قدرة الطائرة حتى لو استعملت أقصى سرعتها طوال الرحلة. وصل الذهول أقصاه عندما تم فحص مؤشر الوقود، وإذ بالطائرة قد



د. مراد ولفريد هوفمان

استهلكت اثني عشر جالونًا فقط، بينما الكمية اللازمة لقطع تلك المسافة هي ضعف الكمية المستهلكة فعلاً، أي أربعة وعشرون جالونًا. تأكد الخبراء والفنيون والعلماء المختصون من موعد إقلاع الطائرة وموعد وصولها، وكمية الوقود الفعلية التي استهلكتها، ومن سلامة الحالة الجسدية والنفسية والعصبية للطيار ولوالده، واعترفوا بأنهم أمام لغز لا يستطيع العلم حله أو تفسيره. لقد رفض (عبيد التكنولوجيا) التفسير القائل بأن قوة خارقة قد دفعت الطائرة لنصف المسافة بأضعاف سرعتها القصوى دون اعتماد على محركاتها أو استهلاك لوقودها، لكنهم عجزوا عن تقديم تفسير بديل حتى اليوم، بعد مرور سبع وعشرين سنة على ذلك الحادث الذي ظل لغزًا غير مفهوم بالنسبة لهم.

أما الواقعة الثانية فهي مسجلة أيضًا بكل تفاصيلها في السجلات الرسمية لمطاري هامبورج وميونيخ الألمانيين، وفي دوائر الشرطة أيضًا التي استجوبت عشرات الشهود من أفراد فريق (طاقم) طائرة الرحلة ذات الرقم 1666 وركابها الذين لا يزالون أحياء يعيدون استذكار ما حدث لهم. كان الطيار هيرمان بوهرتيج يقود تلك الطائرة من مطار هامبورج إلى مطار ميونيخ، عندما احتاج إلى مغادرة مقعده، بعدما أقلعت الطائرة واستقر تحليقها في المسار المعتاد، حيث غاب لدقيقتين في دورة المياه. عندما عاد إلى غرفة القيادة - وفقا لما رواه لصحيفة SUN البريطانية - فوجئ بشبح يجلس على مقعده، واستغرب أن مساعديه كانوا مستغرقين في أعمالهم الروتينية بحيث لم يلحظوا ذلك الشبح على مقعد قائد الطائرة؛ إلى أن ربّت هيرمان على أكتافهم وأشار إلى الشبح بيده وبنظرات الفزع في عينيه، فأصابهم مثل ما أصابه من ذهول. في تلك اللحظة التفت الشبح غاضبًا وراح يشتم قائد الطائرة باللغة الألمانية ثم بلغة أخرى لم يفهمها أحد من أفراد طاقم الطائرة، وامتلأت غرفة القيادة برائحة نتنة وبحرارة غير عادية ينفثها أنف الشبح الذي قال الطيار ومساعدوه إنهم رأوا له قرنين على رأسه وأظلافًا مثل أظلاف الماعز بدلاً من القدمين. حاول الطيار التغلب على خوفه وذهوله بعدما تجمد ومساعده للحظات، والتقط جهاز الإرسال فقتحه ثم وجّه استغاثة إلى برج المراقبة قائلاً: «نداء.. نداء.. شبح داخل طائرتنا يقودنا الآن إلى الجحيم»! استغرب العاملون في برج المراقبة هذه الاستغاثة، وتجمعوا لمراقبة مسار الطائرة على شاشة الرادار. في تلك اللحظة كان الشبح قد تحكّم بالمقود، وراح يدير الطائرة في الجو بحركات التفافية دائرية عابثة أشبه بحركات نحلة تحوم حول زهرة، وصل صوت من برج المراقبة يأمر الطيار بالتحكم بالطائرة والهبوط الفوري الاضطراري في أقرب مطار، فقد خطر لفنيي برج المراقبة أن الطيار مخمور، أو أنه أصيب بمس من الجنون، ثم تحول هذا الخاطر إلى يقين عندما راحت الطائرة تظهر على شاشة الرادار وهي تهبط بحدة ثم ترتفع من جديد بحدة أيضًا مرات ومرات، مع متابعة حركاتها الدائرية الالتفافية. أما داخل الطائرة فقد اختل توازن الركاب والمضيفين والمضيفات، وراح كل من لم يكن قد ربط حزام مقعده يسقط إلى الأرض عندما ترتفع الطائرة بحدة في الجو، ثم يندفع إلى الأعلى ليرتطم رأسه بسقف الطائرة عندما تهبط الطائرة فجأة، ومع تكرار السقوط إلى أرض الطائرة والارتطام بسقفها كانت أطباق الطعام والحقائب اليدوية تتناثر أيضا وتتطاير لتسقط على المسافرين. ثم بدأت الرائحة النتنة والأنفاس الساخنة تتسرب من غرفة القيادة إلى مقاعد المسافرين، وراح صوت ضحكات الشبح الهستيرية يصل إلى مسامعهم أيضًا. ارتفعت صرخات الهلع من ركاب الطائرة، وغاب بعضهم عن الوعي، بينما استطاع عدد منهم أن يرى ما يدور في غرفة القيادة. استمر الشبح ينعطف بالطائرة وينفث دخانه ورائحته النتنة لأكثر من ربع ساعة. ثم انتهى الكابوس عندما وقف الشبح ونفث دخانًا رائحته أشد نتانة مما سبق، ثم اختفى فجأة على مشهد من قائد الطائرة ومساعديه وبعض المضيفين والركاب. تمالك هيرمان بوهرتيج نفسه واستعاد رباطة جأشه، فجلس على مقعده من جديد ليقود الطائرة مكملاً رحلتها إلى ميونيخ. اشتركت الشرطة ودوائر الطيران وأطباء نفسيون وخبراء وعلماء في تحقيقات واسعة مع أفراد طاقم الطائرة وركابها بعدما حطت في مطار ميونيخ. تأكد أن الطيار ومساعديه لم يكونوا مخمورين ولا تحت تأثير المخدر أو خداع البصر أو مس من الجنون، فقد تطابقت شهاداتهم مع شهادات الركاب لتضع المحققين والخبراء في مأزق حقيقي، إذ لم يستطع منطق العلوم الوضعية قبول تلك الشهادات، ولا استطاع تقديم تفسيره الخاص لهذا اللغز، ولا اعترف أصحابه بأنهم ما أوتوا من العلم إلا قليلاً.

عندما أشهر السفير الألماني السابق لدى المغرب - د. مراد ولفريد هوفمان - إسلامه قبل سنوات، تجرأ كثير في بلاده وبلاد أوربية أخرى على توجيه تهم باطلة إليه، وراحوا يشنعون عليه. وما إن أدركت الأوساط اليهودية والصليبية والملحدة بعد حين أن المسألة لا تقتصر على فرد واحد، وإنما تحولت إلى ظاهرة تنتشر بتسارع واتساع؛ إذ راح عشرات الآلاف من الألمان يعتنقون الإسلام، ويجاهر بعضهم بأن الإسلام هو الحل لمآزق البشرية، ولأزمات مجتمعهم بشكل خاص، حتى تصاعدت تحذيرات تلك الأوساط من «ارتداد حضاري» بل من «نكسة تصيب الحضارة الغربية» أو «خطر على العلمانية». لم تلبث التحذيرات أن تحولت إلى حملة حقد عاتية تنطلق من أوربا وشمال أمريكا وتستنفر العالم بأسره ضد الإسلام والمسلمين. أعلنت هذه الحملة جهاراً منذ سبع سنوات أنه بعد انهيار النظم الشيوعية في أوربا صار الإسلام هو العدو الأول الذي يجب شن الحرب عليه. ولا نرى في الهياج ضد تهليل المصلين في مساجد لبنان وتكبيرهم لسقوط الطائرتين الإسرائيليتين ومقتل ثلاثة وسبعين عسكريًا كانوا متجهين لقتل هؤلاء المصلين وعائلاتهم سوى صورة لهذه الحملة الحاقدة. أما استخفاف (عبيد التكنولوجيا) في الولايات المتحدة وأوربا، والملتحقين بناديهم من أبناء مجتمعات أخرى، بما فيها مجتمعاتنا، بتفسير هؤلاء المصلين للحادث على أنه تدخل إلهي استجاب لدعواتهم في ليلة القدر، واتهام أصحاب هذ االتفسير بالجهل والتخلف، فلا يزيدنا إلا يقينًا بأنه إذا كان القليل من العلم يقود إلى الشك أو الإلحاد أحيانًا، فإن المزيد من العلم لابد أن يقود إلى الإيمان. إن أي واحد من المصلين البسطاء الذي جرى اتهامهم بالتخلف والجهل والوحشية والإرهاب سوف يعلق على أي حادث من حوادث الطيران التي أشرنا إليها، والتي وقف (عبيد التكنولوجيا) مشدوهين عاجزين عن تفسيرها بمنطقهم، بترديد الآيات الكريمة: *سَنُرِيهِمْ آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحَق*. **فصلت**:53. بينما لم يجد حتى غلاة الملحدين من تفسير للزلازل والهزات الأرضية والفيضانات والأعاصير المدمرة، التي تلاحقت على نحو غير مسبوق في الولايات المتحدة وأوربا خلال السنوات الأخيرة، سوى قول بعضهم - وفقا لعدة صحف ألمانية بشكل خاص -: «من يدري.. لعل الذين يحسبون هذه الزلازل والفيضانات والأعاصير غضبًا إلهيًا على حق».

إذا كان هذا هو حال غلاة الملحدين و(عبيد التكنولوجيا) هناك، أليس حريًا بالملتحقين بناديهم من بين صفوفنا أن يتدبروا قوله تعالى: *بَشِّر المنافقين بأنَّ لهم عذابًا أليمًا. الذين يتخذون الكافرين أولياءَ من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العِزّة فإن العِزَّة لله جميعًا*. النساء:138-139.

أقوال الماضي للحاضر

وابل صدق



د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

الوابل صفة للمطر، والصدق صفة لمن وفقه الله من الناس، وقولنا اليوم عن هذين الأمرين، فهما في جزيرتنا درتان ثمينتان، الوابل فيه ماء هو مصدر الحياة، والصدق فيه مأتى الأمان والاطمئنان.

الأعرابي في صحرائه غلبت عليه صفة الصراحة، واتّصف بالصدق، وهذا آتٍ من الشجاعة، إذ إنه لا يرى أن الشجاعة تقتصر على ميدان القتال، ولا هي الضرب بالسيف، والطعن بالرمح، وملاقاة الند، ومهاجمة الوحش، وإنما التغلب على النفس، وقول الحق، ولو كان مرًّا، وقول الصدق ولو على الإنسان نفسه.

والمطر أحد مظاهر الطبيعة في الصحراء، يكمل الحياة فيها، ويجعلها سعيدة، مجيئُه عيد، وأنباؤه بشرى، وغيابه فَقْد، وتأخره عن موعده مصدر قلق نفس، واضطراب فكر؛ عند مجيئه يتبدل وجه الصحراء، وتبتسم الأرض، ويزهو النبت، ويَخضر الشجر، وينمو العشب، فإذا مرّ موسمه، صوَّح النبت، وييس الشجر، واغبرّ وجه الأرض، وتغيرت حياة الأعراب؛ فبعد الوُجْد يأتي العُدْم، وبعد الفرحة والبهجة، يسيطر جو من الكآبة، وتقل الموارد؛ فتكثر الغارات، ويعتدي القوي على الضعيف، ويغير المتربّص بالغافل، ويبدأ زرع الإحَن والثارات.

لهذا كان للمطر عند الأعرابيَ قيمة، يتنبأ بأوقاته ببعض دلالاته، ويعرف بدء مواقعه، ومنتهاها؛ أعطى للسحاب بأنواعه أسماءً، ميّز بها بعضها من بعض، فلحاملة الماء اسم، وللعائدة من الإمطار اسم، وللسوداء اسم، وللبيضاء اسم، ولما لها برق ورعد اسم، وللصامتة اسم، ولكل قادمة من وجهة اسم.

وانبرى للمطر يسميه، ويفرق في التسمية بين أنواعه، ما كثر منه له اسم، وما قلّ له اسم، وبين هذا وهذا أنواع أخرى، أعطاها أسماء، أو وصفها، وهو ينزل له اسم، وبعد أن يصل إلى الأرض له اسم، وبعد أن يسيل له اسم، السائل القليل له اسم، والكثير منه له اسم؛ وَصَفَ سيرَه في الأرض، والتواءه فيها، وتعرُّجَه بين جنباتها. وأخبار الأمطار على لسانه سائلاً، أو مجيبًا؛ وقت الأمطار. أول سؤال يلقيه مقيم على قادم هو عن المطر، وتختلف الإجابة حسب فصاحة المسؤول، ومدى انفعاله بما رأى من المطر، يفرح أن يُسأل، لأنه يتلذذ بالإجابة، ينوع فيها، ويغرق في الوصف، ويأتي بصور بديعة، تؤكد احتفاله بما يقول، وفرحته بأن يُخبر.

امتلأت كتب الأدب والتاريخ بالحديث عن السحاب وعن المطر، نثرًا وشعرًا؛ وإذا كان النسيب عاملاً مشتركا في كثير من بدء القصائد، فالمطر يأتي أحيانًا في لحمة القصيدة، ووسط بنائها، إما مباشرة، أو من طريق الدخول إليه، في وصف مطاردة صيد، أو رحلة قنص، أو انتقال من منزل قحط إلى منزل خصب.

بعض الواصفين للمطر يرى أن الكلمات المعتادة لا تليق بوصف المطر، ولابد من التقعر، واختيار الكلمات البعيدة، والتعبيرات العميقة، والصور المدهشة، لتدل على اعتناء، وتوحي بالاهتمام؛ ومثل هذا الاعتناء يؤدي إلى رسم صور جميلة، تدل على ابتداع، وتكون جاذبة ومعجبة.

ومن بين أوصاف المطر التي تأتي لافتة للنظر، تلك التي تأتي نتيجة سؤال حاكم لأعرابي، والحكام يهمهم أمر المطر، لما فيه من نفع لرعاياهم، وتخفيف عن كاهل الحاكم، لأنه يتحمل كثيراً فيما لو أصاب الناس جدب. وهذا موقف للخليفة سليمان بن عبدالملك مع أعرابي وفد عليه من البادية على إثر نزول المطر:

«دخل أعرابي على سليمان بن عبدالملك، فقال له: أصابتك سماء في وجهك، يا أعرابي؟

قال: نعم، يا أمير المؤمنين، غير أنها سخّاء طخياء (مظلمة) وطفاء (كثيرة الماء المنهمر)، كأن هواديها الدِّلاء، مرجَحنَّةٌ (المستديرة الثقيلة مَن السحب) النواحيَ، موصولة بالآكام، تمسّ هامَ الرجال، كثير زَجَلُها، قاصفٌ رَعدُها، خاطف برقها، حثيث وَدْقها، بطيء سيرها، متفجر قطرها، مظلم نوؤها؛ قد ألجأت الوحش إلى أوطانها، تبحث عن أصولها بأظلافها، متجمعة بعد شتاتها؛ فلولا اعتصامُنا، يا أمير المؤمنين، بعضَاه الشجر، وتعلُّقُنَا بقُنَن الجبال، لكنا جُفاءً (الجفاء ما يقذفه السيل من الزَّبد والوسخ) في بعض الأودية، ولَقَم (وسط ومنفرج) الطريق.

فأطال الله للأمة بقاءك، ونَسَأ (أخّرَ ومَدَّ) لها في أجلك، فهذا ببركتك، وعادة الله بك على رعيتك. وصلى الله على سيدنا محمد.

فقال سليمان: لعمر أبيك(1)، لئن كانت بديهة، لقد أحسنت، وإن كانت مُحَبَّرة (مُعَدَّة بعناية) لقد أجدت.

قال: بل محبرة مُزَوَّرة (مُحَسّنة مقوَّمة)، يا أمير المؤمنين.

قال: يا غلام، أعطه، فو الله لصدقه أعجب إلينا من وصفه.

[العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (ت: 328) ت: أحمد أمين ورفيقه، 464/3].

الهوامش:

1- الحلف بغير الله شرك، ومعروف جزاؤه، ولكن هذا التعبير درج عليهم من زمن الجاهلية، فلم يلقوا بالاً لما فيه من محذور.

قصيدة

لاتقتلوا الربيع

شعر: **محمد فرج**

هذي الحروب الطاحنات نَشُنُّها
ونهيج في أعطافها النيرانا
وندمر الآمال دون هوادة
ونخلِّف الآلام والأحزانا
وندكُّ أحلام الصِّغار بقسوة
ونسومهم ذاك الجوى ألوانا
نلقي إلى عُرض الطريق بطفلة
فقدت حنان الأهل والأوطانا
ونفوت طفلا بالجراح مُشوّها
بالأمس كان مغرّدًا نشوانا
ودم البراءة في التراب نلوكه
وندوس تحت نعالنا الأبدانا
فبأي حقٍّ نستبيح لهم حمى
وبأي ذنب يترعون أذانا
أهو الغباء إلى الدّمار يجرنا
ويقود في درب الهلاك خطانا؟!
أم إنه الحقد البغيض يضلّنا
ويكف عن نور الصواب رؤانا؟!
تلك الدموع النازفات من الأسى
كم أمطرت في سيلها أشجانا
كم مزّقت صمت الوجود نوائح
وَدَّعْنَ في ساح الردى ولدانا!!
وتجرّعت كأس الضياع أرامل
وشرِبْن مُرَّ عذابهِ أزمانا
يا أيها اللاهون طال صراخنا
هلا سمعتم يا ترى نجوانا؟
كُفُّوا عن العبث المقيت فإنه
خزيٌ لكم وكفاكم خسرانا
لا تسلبوا الإنسان حق حياته
فالله يمقت ذلك العدوانا

قصة قصيدة

ما في البداوة من عيب تُذمّ به

د. محمود جبر الربداوي

قال الأمير عبدالقادر الجزائري:

يا عاذرًا لامرئ قد هام في الحَضَرِ ... وعاذلاً لمحب البدو والقَفَرِ
لا تذمُمَنَّ بيوتًا خفَّ محملها ... وتمدحَنْ بيوت الطين والحجَرِ
لو كنت تعلم ما في البدوِ تعذرني ... لكنْ جهلتَ، وكم في الجهلِ من ضررِ
أو كنت أصبحتَ في الصحراء مرتقيًا ... بساط رمل، به الحصباءُ كالدررِ
أو جُلتَ في روضة قد راقَ منظرُها ... بكل لون جميلٍ شيِّق عطرِ
تستنشقنْ نسيمًا، طابَ منتشَقًا ... يزيد في الروحِ لم يمرر على قذَرِ
يوم الرحيل إذا شُدَّتْ هوادجنا ... شقائقٌ(1) عمّها مُزنٌ من المطر
فيها العذارى، وفيها قد جعلن كُوًى(2) ... مُرَقَّعات بأحداق من الحَورِ
ونحن فوق جياد الخيل نُركضُها ... شليلها(3) زينة الأكفالَ والخصر
نروح للحي ليلاً، بعدما نزلوا ... منازلاً ما بها لَطْخٌ من الوَضَرِ(4)
ترابُها المسكُ، بل أنقى، وجاد بها ... صوبُ الغمائم بالآصال والبُكُرِ
نلقى الخيام، وقد صُفّت بها فغدتْ ... مثل السماء زهت بالأنجم الزهُرِ
قال الألى قد مضَوا قولاً يصدّقه ... نقلٌ وعقلٌ، وما للحقِ من غَيَر:
«الحُسْن يظهر في بيتين رَونَقُهُ: ... بيت من الشعْر، أو بيتٌ من الشَّعَر»
أنعامنا إن أتت عند العَشيِّ تخَلْ ... أصواتُها كدويِّ الرعد بالسَّحَرِ
سفائن البر، بل أنجى لراكبها ... سفائنُ البحرِ كم فيها من الخطر
لنا المهارى، وما للريم سرعتها ... بها وبالخيل نلْنا كلَّ مفتخر
فخيلنا دائمًا للحرب مسرجة ... مَن استغاثَ بنا بَشّرْهُ بالظفر
نحن الملوك فلا تَعْدل بنا أحدًا ... وأي عيشٍ لمن قد بات في خَفَر(5)
لا نحمل الضيم ممن جَار، نتركه ... وأرضَهُ، وجميعُ العزِّ في السَّفَرِ
وإن أساء علينا الجار عشرته ... نَبِينُ(6) عنه بلا ضرٍّ ولا ضَررِ
نَبيتُ نارُ القرى(7) تبدو لطارقنا ... فيها المداواة من جوعٍ ومن خَصَرِ(8)
عَدوُنا ما له ملجا ولا وَزَرٌ ... وعندنا عاديات(9) السبق والظفر
شرابنا من حليب ما يخالطه ... ماءٌ وليس حليب النوق كالبقر
ما في البداوة من عيب تُذَمّ به ... إلا المروءة والإحسان بالبدَرِ(10)
وصحةُ الجسم فيها غير خافية ... والعيبُ والداءُ مقصورٌ على الحضَر
من لم يَمُتْ عندنا بالطعن عاش مدًى ... فنحن أطول خلق الله في العمر

على الرغم مما قدّمته الحضارة المعاصرة التي بلغت أوجها في القرن العشرين للجنس البشري من مكتسبات فكرية وتقانية، إلا أنها قدمت في تضاعيف هذه المكتسبات الإيجابية مكتسبات سلبية كثيرة، كانت وستظل مصدر قلق للإنسان، ولهذا قامت دعوات في بقاع مختلفة من العالم المتمدن الذي يعيش في قمة سلم الحضارة إلى الهرب من عالم المدينة الصاخب الحافل بالمبتكرات والمبتدعات التي يطغى عليها الجانب الصناعي المفتعل، قامت دعوات للهرب من العيش في ظل ناطحات السحاب وشوارع المدن الكبرى الغاصّة بغاز الفحم، ومخلّفات الكبريت، وذرات الرصاص المنبعثة من عوادم السيارات، قامت دعوات للهرب من المآكل التي تُعجِّل إنضاجها بفعل المواد الهرمونية التي دخلت في صميم تركيبها، وادّعي حمايتها بالمبيدات الحشرية التي تسللت إلى خلاياها وعناصرها الأساسية، قامت دعوات للهرب من تعطيل فاعليات أعضاء الجسم بهذه السيارات والطائرات والقُطُر والمصاعد أو المعاريج (جمع معراج وهو تعريب للفظة أصانصير الفرنسية أو لفْت الإنجليزية) وفاعليات التنَفس الحر الطليق بهَذه المكيفات التي زُرعت في جدران المنازل.

فلسفة المنادين بهذه الدعوات تطالب بالعودة إلى الطبيعة، وتقول: كل شيء في جوف الطبيعة، من الطبيعة جئنا وإليها نعود، ويقدم هؤلاء بين يدي دعواهم عشرات الذرائع والحجج التي تؤيد ما إليه يذهبون.

هذا الفريق صاحب هذه الفلسفة فريقٌ من سكان المدن الكبرى الصاخبة التي تعج بالمصطنعات، يدعون إلى هجر هذه المدن واللجوء إلى الطبيعة، وقد نفّذوا ما دعو إليه، فقامت في بعض بقاع المعمورة (القرى الطبيعية) التي كل ما فيها من مأكل ومشرب ومسكن طبيعي مئة بالمئة. وهناك فريق آخر، وهم أقل عددًا من الفريق السابق، يسكنون المدن الكبرى والصغرى والقرى والأرياف، ولكنهم منحدرون من أصول بدوية، فهؤلاء لهم فلسفة من نوعٍ آخر، فلسفتهم لا تدعو للهرب من العيش الرفيه في المدن والقرى والعودة إلى البداوة، ولكن دعوتهم تقوم على العودة إلى القيم البدوية الأصيلة التي اضمحلت في المجتمعات الحضرية والمدنية المعاصرة، دعوتهم تقوم على أن كل أمة مرت، في مراحل تطورها، بطور البداوة، والبداوة طور النقاء والصفاء والأصالة، الطور الذي كان قبل أن تلحق بالأمة تراكمات الحياة المصطنعة التي فرضها امتزاج الأمم المختلفة عبر الحقب التاريخية

المتعددة، وما جرَّه هذا الامتزاج من التراكمات الهجينة التي شوهت نقاوة الأمة ولوثت صفاءها.

أصحاب هذه الفلسفة لا يدعون إلى العيش في (مجتمع البداوة) ويتخلون عن كل المكتسبات التقنية والفكرية التي جلبتها للبشرية إبداعات الحضارة ومبتكرات المدنية، ولكن قصارى ما يدعون إليه التمسك بالقيم البدوية، وخاصة القيم الأصيلة، هذه القيم التي كلما أمْعنّا في التقدم الحضاري والعمراني، استلَبَنا هذا التقدمُ مقوماتِ الخير المتوافرة في المجتمع البدوي الأصيل.

هذه القيم هي التي دافع عنها الأمير عبدالقادر بن محيي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري (1222-1300هـ =1807-1883م) في قصيدته التي أثبتنا بعض أبياتها في مطلع هذه الحلقة، ويطالعها المرء في ديوانه بعنوان «ما في البداوة من عيب»، ولكيلا يتسرع متسرع فَيتَّهمَ الأمير عبدالقادر بالدعوة إلى الارتداد إلى عصر البداوة الذي تجاوزته حضارة القرن العشرين أو حتى التاسع عشر، والذي لم يعد مقبولاً في عصرنا، أريد أن أنبه مثل هذا القارئ على أن يضع القصيدة وأفكارها في إطارها الزماني والمكاني، وأن يفهمها في ظل هذا السياق الفكري والتاريخي، وهو أن الأمير كان أسيرًا في (أمبواز) بعد أن تغلبت عليه فرنسا وزحفت بجيوشها الجرارة إلى الجزائر، فحاربها ستة عشر عامًا، انتهت بأسره، ولكن على الرغم من أسره فقد كان موضع التكريم من علماء فرنسا وعظمائها، وكانوا يراسلونه ويراسلهم، ويسألونه - بنية حسنة أو غير حسنة - عن كثير من القضايا الاجتماعية التي يجهلها المثقف الفرنسي عن المجتمع المسلم، فينبري الأمير للإجابة عنها، وقد حفظ لنا كتاب «تحفة الزائر» الكثير من هذه التساؤلات وإجابات الأمير عبدالقادر عنها(1). وهذه فرصة أنتهزها لأقول إن الكثرة الكاثرة من الناس تعرف عن الأمير عبدالقادر أنه قائد عسكري وثائر وطني، وشخصية سياسية مرموقة، ولكن هذه الصفات التي يعرفها الناس عنه طغَتْ على جانب آخر من شخصيته، فنسي الناس أنه شاعر ترك ديوان شعر قسمه الدكتور ممدوح حقي إلى خمسة فنون شعرية، وكان، فضلاً عن شاعريته، مثقفًا غزير الثقافة، مؤلفًا حسن التأليف، ترك بعض المؤلفات النادرة في أبوابها، وله رسائل تبادلها مع المثقفين الفرنسيين تشهد بعمق ثقافته وتضلعه من الفقه والشريعة والتاريخ الإسلامي والأدب، ومن هذه الرسائل ذات الطابع العلمي رسائله الكثيرة التي أجاب بها عن الطروحات الفكرية التي طرحها «مسيو دوماس»(2) وأجاب عنها الأمير إجابات مقنعة انتزعت إعجاب الكثيرين من المثقفين النصارى. ويدخل في هذا الإطار قصيدته الرائية الآنفة الذكر التي يقول عنها محمد كامل حسن المحامي: «ولقد جادت قريحة الأمير عبدالقادر - في أثناء إقامته في باريس - بقصيدة رائعة من الشعر يمتدح فيها الصحراء وحياة البداوة، ويقارن بينها وبين حياة الحضر، مقارنة موضوعية، تجعل قارئ هذه القصيدة يقتنع اقتناعًا قلبيًا وعقليًا بوجهة نظر الأمير، ويجد نفسه تَوَّاقًا إلى حياة البداوة، وما فيها من نقاء وطهارة»(3).

وهذه القصيدة الجميلة تُرجمت إلى اللغة الفرنسية، وصَحِبَتْهَا ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية في فرنسا، وعلق عليها عدد كبير من النقاد.

أترك للقارئ الكريم أن يسرّح الفكر في معاني هذه القصيدة الحلوة قبل أن يتخذ موقفًا من رأي الأمير في تفضيل حياة البداوة وقيمَها، وأذكره بالمعنى الرمزي الكامن وراء هذه القصيدة، وهو أن الأمير قالها في فرنسا، وفرنسا في ذلك الزمن كانت قمة الحضارة، وقالها في باريس، وباريس يومذاك آية العمران وسيدة مدن الدنيا، وقالها وهو أسير مغترب، والأسر والاغتراب يطلقان الحنين والشوق إلى الديار، ديار الطفولة، ومهد الذكريات. كما أذكر القارئ الكريم بأن تمجيد البداوة تفطَّن إليه المتنبي منذ أكثر من ألف عام، وخاصة في المقابلة بين الجمال الحضري والجمال البدوي عندما قال:

حُسْنُ الحضارة مجلوبٌ بتطرية
وفي البداوة حُسْنٌ غيرُ مجلوب

وإذا كانت لفتة المتنبي إلماحة سريعة لم تتعد الأبيات في القصيدة، فقد وقف العالم الألماني ماكس فرايهير فون أوبنهايم أربعين سنة من حياته في مطلع القرن العشرين لدراسة (البدو)، وتعاون مع عالمين كبيرين: الأول الدكتور بروينليش والثاني الدكتور كاسكل؛ فقد قام هؤلاء بتقويم جميع ما نشر عن البدو إلى غاية الحرب العالمية الثانية مستعينين في سبيل ذلك بمكتبة متخصصة ضخمة ضمت بين رفوفها أربعين ألف مجلد(4) وجمعت معلومات تاريخية كثيرة عن مختلف القبائل والأسر العربية المشهورة وخاصة عن أنسابها التي يمكن تتبعها على مدى قرون وقرون. وكذلك كتب المستشرقون: ألوس موزل عن بدو (الرولة)، والليدي آن بلنت عن بدو نجد، وخاصة بدو شمّر وبدو وادي الفرات، وكذلك فعل ديكسون. وعلى الرغم من شكرنا لهؤلاء المستشرقين والضباط العسكريين الذين درسوا دراسة عميقة - وإن كانت تخدم أهدافًا سياسية - فإننا نهيب بأبناء الجزيرة العربية وبادية الشام وحوض الرافدين ومناطق الصحراء في شمالي أفريقيا أن يلتفتوا إلى دراسة هذا الجانب المهم من تاريخ الأمة العربية وتراثها، وأن لا يتركوا للمستشرقين حق الصَّوْل والجَوْل وتفسير الظواهر البدوية تفسيرًا يتمشى مع الأهداف السياسية والعسكرية التي دفعت هؤلاء المؤلفين لمرافقة البدو ومشاركتهم شظف العيش لاقتناص المعلومات التي خزّنوها في مؤلفاتهم تلك. وتجدر الإشارة هنا إلى الكتاب القيم «البداوة المنقذة» الذي ألفه الدكتور أسعد علي، فهو إضافة جيدة إلى الظاهرة التي نتحدث عنها.

أراني أطلقتُ للقلم العنان، فجمح بي بعيدًا، وأريد أن أرجع إلى الأمير عبدالقادر الجزائري، عبدالقادر الذي كتب صفحة مشرقة في تاريخ الجزائر، صفحة مشرقة بجهاده، وبشعره، وبعلمه، وبسلوكه، صفحة أنارت القرن التاسع عشر كله، وكأني به عندما أغمض جفنيه في دمشق وغاب عن الساح قرير العين، كانت تحدثه نفسه أن سيأتي جيل أولاده وأحفاده في القرن العشرين فيسترد ما أُرغِم عبدالقادر على تسليمه، وفعلاً كان له ما حلم به، وقرَّت عينه التي انتقلت مع جثمانه الطاهر في ستينيات هذا القرن إلى الجزائر(1966م) بعد أن فارقها أكثر من مئة عام. ولكنْ كأني به الآن في أواخر القرن سخين العين قلق الفؤاد على الشهداء من النساء والأطفال والشيوخ والشباب الذين يذهبون ضحايا بالمجان، وكأني به في مثواه الأخير يقول: أما كفى الجزائر مليون ونصف المليون من الشهداء؟! ويتمثل بقول الشاعر:

حبذا العيش حين قومي جميع
لم تُفرقْ أمورها الأهواءُ

معاني الألفاظ:

1- شقائق: يريد: شقائق النعمان، زهر أحمر ينبت في البوادي أيام الربيع، والشاعر هنا يشبه الهوادج الحمر بشقائق النعمان.
2- الكوى: جمع كوة، وهي الثقب، والشاعر يشبه عيون العذارى وهن ينظرن إلى الرجال من خلف شفوق الستائر بالرقاع تستر هذه الكوى.
3- الشليل: العرق المتقاطر.
4- الوَضَر: القذر.
5- الخفر: الحراسة أو الخجل.
6- نَبين: نرحل ونبتعد.
7- القِرى: إطعام الضيف.
8- الخَصَر: شدة البرد على الأطراف.
9- العاديات: الخيل التي تعدو.
10- البِدَر: جمع بدرة: وهي صُرّة المال.

المصادرُ والمراجع:

1- تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبدالقادر. تأليف: محمد بن عبدالقادر الجزائري، ص ص730-840.
2- قدّمتُ ثلاثين حلقة إذاعية من الإذاعة الجهوية في وهران استعرضت هذه التساؤلات والإجابات في عام 1976م.
3- كتاب: الأمير عبدالقادر الجزائري، تأليف محمد كامل حسن المحامي، ص ص44-45.
4- كتاب: الخيل العربية الأصيلة، تأليف: ف. ج أولمر، ص115.

إدارة الصِّراع

وإحداث التغيير التربوي في المنظمات التعليمية

دراسة تحليلية

1

د. رمضان أحمد عيد

ترى الوظيفية البنائية أن التنظيم نسق اجتماعي يدخل في إطار نسق اجتماعي أكبر وأشمل هو المجتمع، وأن لكل تنظيم قيمه السائدة فيه التي تمنح أهداف هذا التنظيم طابعًا شرعيًا؛ لكونها تُحقق المتطلبات الوظيفية التي يسعى النسق الأكبر إلى تحقيقها، وهي بذلك تفترض توافر الانسجام والتكامل بين قيم التنظيم وقيم المجتمع الذي يوجد فيه.

غير أن الفكر الإداري المعاصر يتخذ فكرًا مغايرًا ومختلفًا لإقراره بوجود «الصراع» الذي ينشأ من التناقض بين أنماط السلوك العادية أو المفضلة للأفراد، من ناحية، والنمط السلوكي الذي يفضله التنظيم من أجل تحقيق أهدافه، من ناحية أخرى.

وبذلك يُطرح مفهوم الصراع على أنه «مصطلح حيادي، وأن أثره في التنظيم وفي سلوكيات الأفراد فيها يعتمد - إلى حد كبير - على الطريقة التي تتم فيها إدارة الصراع وتناوله»(1). ويشير مفهوم الصراع السالف ذكره، إلى مفهوم التغيير الذي يستند إلى حقيقة مفادها «أن التنظيم لا يوجد من فراغ، فهو يمارس وظائفه في ظل مجتمع يخضع بطبيعة الحال لظروف اقتصادية وسياسية وثقافية تمارس تأثيرها فيه، وتخضعه للتكيف معها إذا ما أراد البقاء، وتلك حقيقة أولية تستطيع أن تكشف لنا عن أحد مصادر التغيير العديدة التي قد يخضع لها التنظيم، وهو بعد ذلك مؤلف من أبعاد تقانية (تكنولوجية) واقتصادية وسياسية وثقافية وتنظيمية تتفاعل فيما بينها لتشكل في النهاية مصدرًا آخر للتغيير لا يمكن تجاهله»(2).

وتعبر العلاقة بين الصراع والتغيير في التنظيمات الإدارية المعاصرة عن إمكانية استخدام إدارة الصراع في إحداث التغيير، وذلك من خلال التطوير المبدع للإداريين، وتوظيف الصراعات التنظيمية بين الأفراد أو الجماعات، لتحقيق التحرك الحيوي (الدينامية) والتفاعل مع التنظيمات الاجتماعية الأخرى.

يتضح لنا مما سبق، أن الصراع في المنظمة الاجتماعية - بصفة عامة - شيء محتوم لا مفر منه، كما أن المنظمات التربوية لا تشذ عن هذه الحقيقة، وبخاصة أن الصراع غالبًا ما يزداد في مراحل التطوير والتغيير التربوي، وهو ما يشهده العالم اليوم من تغيرات تربوية متسارعة ومتلاحقة منذ بداية عقد الثمانينيات، تمثّلت في: ظهور مفهوم التنمية الشاملة، والتنمية الريفية، والمفهوم الإنساني للتنمية، والاهتمام بالتعليم غير النظامي وإسهاماته في تحقيق تنمية الموارد البشرية، والتحول في أولويات التعليم إلى أولية أقل للتعليم الثانوي والعالي، كما منحت عناية خاصة لتحسين نوعية التعليم وملاءمة المضمون، وللإصلاحات والتجديدات اللازمة في النظام الرسمي، بما في ذلك التصميم واختيار الطرق البديلة والمتاحة لتقوية الإدارة التعليمية والكفاءة الداخلية والإنتاجية الخارجية(3).

أولاً: إدارة الصراع وأساليب العمل بها

تطور الفكر الإداري في تناوله مفهوم الصراع في التنظيمات الاجتماعية من رفضه ومقاومته - بحسبان أنه لا يحقق التوازن بين الفرد والتنظيم، ولا يسهم في تحقيق الفعالية التنظيمية - إلى التسليم بأن الصراع ظاهرة طبيعية، وقد تكون تنظيمية وليست شخصية فقط، ومن ثم فإن الإدارة لا ترفضه، وإنما تتقبله وتحاول بالتفاهم علاجه حتى تنتفع

بنتائجه التي قد تحدث في صورة تنافس نحو الأفضل.

أما النظرة المعاصرة في الفكر الإداري، فإنها ترى أن الصراع ليس طبيعيًا فقط، وإنما قد يكون ضروريًا أحيانًا أو محركًا للإبداع والتغيير.

ويتسم المفهوم الأخير للصراع في التنظيمات الاجتماعية بضرورة وجوده مادام هناك اختلاف أو تعارض بين أهداف الأفراد وتطلّعاتهم، وأهداف الجماعات التنظيمية داخل التنظيم الواحد، ومن ثم فإنه يكتسب صفة الشرعية، وكما قال برنارد Barnard: «إن التركيبة المفاهيمية لحرية الإدارة في بيئة متغيرة تتضمن في صلبها أنماطًا اجتماعية تتميز بالتفاوض والتوتر والصراع»(4).

ويشير القول السابق إلى أن الصراع التنظيمي أحد أنماط الممارسات الاجتماعية للسلوك داخل المنظمة الاجتماعية عامة، وهو ما يحدد أهم أبعاد طبيعة الصراع فيما يلي(5):

1- أن النظم الاجتماعية مؤلفة من جماعات مصالح، ولكل منها أغراضها الخاصة.

2- أن التفاعل بين هذه الجماعات المختلفة هو الذي ينتج عملية الصراع من خلال محاولة إحدى هذه الجماعات تحقيق أغراضها على حساب الجماعات الأخرى.

3- أن التغيير ملمح رئيس لتحليل الصراع التنظيمي، وذلك أنه يمكن توقع التغيير إذا ما كان النظام الاجتماعي يتألف من مجموعة من القيم المختلفة.

وتتضمن هذه الأبعاد للصراع التنظيمي الحركية الطبيعية (الديناميكية) للنظم الاجتماعية، وأنها تتألف من تجمعات أو مجموعات ذات مصالح خاصة تستهدف بالدرجة الأولى تحقيق أغراضها الخاصة، وتسعى دائمًا إلى مواجهة أية قيم تنظيمية لا تتفق مع أغراضها الخاصة. وهو ما يعني اتجاهها - باستمرار - إلى إحداث التغيير في النظام الاجتماعي، وإعادة صياغة القيم الحاكمة له لتتوافق مع قيمها الخاصة بها.

ومن منطلق التفسير السابق لمصطلح الصراع في التنظيمات المختلفة، فإن تَعَرُّف أسباب حدوث الصراع التنظيمي يمكن أن يطرح علينا حتمية وجود إدارة للصراع توظفه وتستلهم منه إبداعات أفراد التنظيم وابتكاراتهم في التطوير والتحديث، من جانب، وتلبية احتياجات التغيير - المتسارعة والمتلاحقة - الذي نعيشه في عالم اليوم، من جانب آخر.

بالنسبة للجانب الأول الخاص بأسباب حدوث الصراع التنظيمي، فإنه يمكن تحديد أهم هذه الأسباب فيما يلي(6):

1- العلاقة الاعتمادية، ويعني ذلك اعتماد كل طرف على الآخر في القيام بنشاطه، أو تحقيق أهدافه داخل التنظيم.

2- تعارض الأهداف، ويعني ذلك أن لكل وحدة من وحدات العمل داخل المنظمة أهدافًا فرعية يمكن أن تتعارض بعضها مع بعض، على الرغم من أنها جميعًا - وبخاصة التنظيمات الرسمية منها - تمارس نشاطها في إطار الهدف الكلي للمنظمة.

3- صراع الأدوار، ويعبّر الدور عما ينبغي أن يقوم به الفرد وفقًا لمتطلبات واجبه أو وظيفته، ومن هنا يمكن أن ينشأ الصراع بين الأدوار المختلفة داخل المنظمة لاختلاف طبيعة واجبات ومهام كل وظيفة عن الأخرى.

4- تفاوت الصفات الشخصية، ويعبر ذلك عن اختلاف المستويات الثقافية للأفراد داخل التنظيم، وكذلك القيم والمعتقدات، التي يمكن أن تكون مصدرًا من مصادر الصراع.

ويتضح مما سبق، أن أسباب حدوث الصراع التنظيمي تمثل الاختلاف بين الأفراد داخل التنظيم، و/أو الاختلاف بين الأفراد والجماعات، و/أو الاختلاف بين الجماعات المتعددة التي تتمثل في الوحدات التنظيمية المتعددة داخل المنظمة.

وهو ما يعني أن التنظيم (الإنساني) - أيًا كانت تسميته - يتضمن صراعًا أو اختلافًا بين أفراده؛ سواء في أنشطتهم، أو في أهدافهم، أو في علاقتهم، ثم أخيرًا في القيم والمعتقدات التي يعتنقونها ويعبّر عنها المستوى الثقافي كإطار مرجعي لممارساتهم السلوكية.

أما عن الجانب الآخر لحتمية وجود إدارة للصراع، والمتمثل في التغييرات المعاصرة، فإن أغلبها - إن لم يكن كلّها - تعبّر عن الصراع حول السلطة من أجل البقاء والاستمرار لأي تنظيم اجتماعي (سياسي، اقتصادي، إداري، تعليمي).

ويشير هذا الصراع إلى وجود نمطين أساسيين من التنظيمات الدولية الجديدة في محاولة للإجابة عن تساؤل مؤداه: «هل ينبغي أن يكون تدفق السلطة رأسيًا أم أفقيًا؟».

هنالك مثال واضح للتنظيم الرأسي يتجسد في المجموعة الأوربية، التي تسعى، في الواقع، لبناء «حكومة فوق وطنية» يكون من شأنها - وفقًا لمنتقديها - إنزال الأقطار الراهنة في أوربا إلى مرتبة المحافظات، بدلاً من دول ذات سيادة من طريق فرض ضوابط «فوق وطنية» على العملة وأعمال المصارف المركزية والمعايير التعليمية والبيئية والزراعية، بل الميزانيات الوطنية. هذا النموذج الرأسي التقليدي يسعى إلى حل المشكلات من خلال إضافة درجة جديدة إلى تسلسل القوة الهرمي، إذن هو مخطط تنظيمي «شاهق البنيان».

أما النموذج البديل، الذي يتفق مع الأشكال الجديدة للتنظيم في عالم الأعمال وأقطار الاقتصاد المتقدم، فيسوي الهرمية ويجعلها أفقية بدلاً من امتدادها إلى أعلى، وسيقوم هذا التنظيم على شبكات من التحالفات والمجموعات المتحدة والهيئات المنظمة المتخصصة، بغرض إنجاز غايات يفوق تحقيقها قدرة أي دولة بمفردها، وفي هذا النظام لا يوجد تدرج في السيطرة من أعلى إلى أدنى، والوكالات المتخصصة فيه ليست مقسمة هرميًا إلى مجموعات تحت سيطرة جهة مركزية غير متخصصة(7).

وإذا كان ما سبق، يمثل تحديًا للدعوة إلى أنسنة التنظيم، وتأكيد أننا، حتى وإن سلّمنا بالصراع، فعلينا توظيفه لتحقيق الإبداع والابتكار الإنساني، فإنه من دون المشاركة الفاعلة في التغيير - الذي هو نتيجة منطقية للصراع - واستباقه، بل قيادته، لن يتحقق لأي

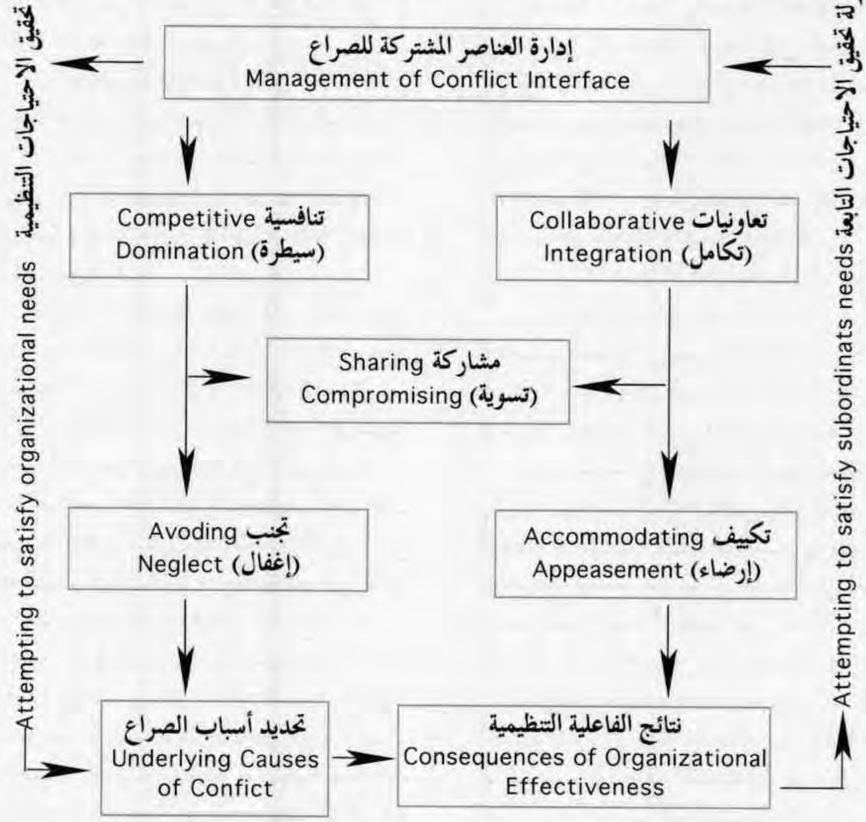
تطور الفكر الإداري في تناوله «مفهوم الصراع» من الرفض والمقاومة، إلى التسليم بأن الصراع ظاهرة طبيعية، وقد تكون تنظيمية وليست شخصية فقط

تنظيم البقاء أو الاستمرارية في عالم اليوم، أو عالم الغد الذي نعيشه اليوم.

ومن ثم، فإن نموذج «إدارة الصراع»، يعدّ متطلبًا أساسيًا لتعرُّف عناصر الصراع التنظيمي وتحليلها، والأساليب التي يمكن أن تستخدمها المنظمات من أجل إحداث التغيير والتطوير التنظيمي وفق متطلبات العصر الذي نعيشه.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن إدارة الصراع في تعاملها مع أفراد التنظيم، و/أو الجماعات داخل التنظيم، لا تقر أسلوب عمل واحد بوصفه الأمثل أو الأفضل لإدارة الصراع، بل هي تختار أسلوب العمل وفق طبيعة الموقف الإداري الذي تتعامل معه، وبما يتفق مع الأهداف التنظيمية.

والشكل التالي يوضح نموذجًا لإدارة الصراع في المنظمات الإدارية:



يتضح من النموذج السابق لإدارة الصراع، أن هذا النمط من الإدارة لا يبتغي القضاء على الصراع أو التخلص منه، ولكن الإقرار به ومعالجته لتحديد أسبابه، وتعرّف أطرافه، واحتياجاتهم أو رغباتهم الخاصة بهم، واستخدام التسوية الملائمة للتنسيق بين الاحتياجات التنظيمية الرئيسية، والاحتياجات الثانوية التابعة، وصولاً إلى تحقيق الفاعلية التنظيمية التي تستوعب احتياجات التنظيم ككل كافة، وضمان استمرارية التفاعل بينه وبين بيئته الخارجية بما تتضمنه من تغييرات متلاحقة.

ويمكن عرض أهم أساليب العمل لإدارة الصراع فيما يلي(8):

1ـ المواجهة وحل المشكلات Frontation and Problem Solving:

وهو أسلوب لتحديد أسباب الصراع الحقيقية وحلّها بمنهجية محددة، والمواجهة في هذا الأسلوب تتسم بالهدوء واللباقة بدلاً من المنافسة والتعسف، كما أن حل أسباب الصراع يتطلب العقلانية من رجل الإدارة وتكوين علاقات تنسيق وتكامل مع أطراف الصراع كافة.

2ـ المساومة والمفاوضة Negotiating and Bargaining:

هو أسلوب يتضمن العديد من العمليات والأنشطة الإدارية التي من شأنها حل الصراع وتوجيهه نحو الأهداف التنظيمية، التي تحقق أهداف الوحدات الإدارية المختلفة كافة. ويعتمد هذا الأسلوب على فلسفة ربح - ربح Win-Win-Philosophy.

وتقوم هذه الفلسفة على ما يحقق صالح كل أطراف الصراع، وهو ما يعني أن يعملوا معًا وبصورة ابتكارية للوصول إلى حلول أو اتفاقات يستفيد منها الجميع.

ومن أهم العمليات أو الأنشطة الإدارية التي تستخدم في المساومات والمفاوضات لحل أسباب الصراع، ما يلي:

أ ـ التسوية، ويتضح ذلك مثلاً من خلال اتفاق مجلس المدارس بمدينة ما، واتحاد المعلمين على إجراء ترتيبات لرفع مرتبات المعلمين بنسبة 27٪ على مدى ثلاث سنوات، ولتحقيق ذلك، تم التخلص من بعض الوظائف غير التعليمية، كما تحول كثير من الإداريين إلى وظائف تعليمية، وبذلك استطاع مجلس المدارس أن يرفع مرتبات المعلمين بأكثر من نسبة 27٪.

ب ـ تأكيد الاهتمامات لا الوظائف، ويبدو ذلك من خلال التركيز على أن إدارة الصراع تُعنى بتعرُّف اهتمامات كل الأطراف دون نقاط الاختلاف بينها.

جـ ـ استخدام الوقت الفاصل، حيث إنه يرغم أطراف الصراع أو يستحثها على العمل، كما أنهم يحتاجون إلى الدافع أو الحافز لإنهاء حالة الصراع بينهم، للحصول على المكاسب المتوقعة.

ويمثل العرض السابق مدخلاً أساسيًا في

تتركز أهم أساليب العمل لإدارة الصراع في المواجهة وحل المشكلات، والمساومة والمفاوضة التي تستخدم التسوية، أو تأكيد الاهتمامات، أو استخدام الوقت

أساليب إدارة الصراع، يعتمد على مفاهيم نفسية لحل الصراع، والتعامل معه في مواقف متعددة ومتنوعة، وصولاً لتحقيق المصالحة أو مصالح كل أفراد التنظيم الإداري، غير أن أساليب إدارة الصراع بين الوحدات الإدارية أو التنظيمات الفرعية للتنظيم الواحد، يمكن أن تختلف أو تتكامل معها من أجل إحداث التغيير المنشود، وحفز التنظيمات المختلفة إلى الإبداع والابتكار، ومن أهم هذه الأساليب ما يلي(9):

1- تنظيم طرق الاتصال، وتوفير المعلومات بين الأطراف التي تتعامل بعضها مع بعض، ويمكن تحقيق ذلك من خلال الاجتماعات، واللجان المشتركة، كما يؤدي تدفق المعلومات بين التنظيمات الفرعية كافة وتداولها بسهولة وحرية إلى منع كثير من أسباب الصراع إلى الظهور.

2- تدريب الحساسية Sensitivity Training، ويعني رفع قدرات ومهارات الأفراد والجماعات على فهم أنفسهم وعلى فهم الآخرين، كما يركز على تفهم تأثير الصراعات في تفسيرنا للأمور وحكمنا عليها، مما يؤدي في النهاية إلى تنمية القدرة على التعامل مع المشكلات والصراعات.

3- إعادة تصميم هياكل التنظيم، ويكون الغرض من ذلك تغيير الاختصاصات، أو البرمجة بين بعض الأجزاء، أو انسياب المعلومات بين أجزاء التنظيم، أو غير ذلك من الأغراض، وكل غرض له ما يناسبه من الظروف.

4- إعادة تصميم العمل، ويكون الغرض من ذلك فض أي تعارض أو غموض في المهام والأدوار، وأحيانًا يكون الغرض من إعادة تصميم العمل، زيادة درجة تعاونه أو اعتماده على وظائف أخرى، وقد يكون الغرض تنويع المهام وإغناء الوظيفة.

5- التوصيف التنظيمي لاختصاصات الأقسام والإدارات، ويؤدي ذلك إلى عدم النزاع الوظيفي بينها، ويتطلب الأمر تذكير هذه الأقسام والإدارات من فترة لأخرى بهذه الاختصاصات والمهام.

6- إعادة توزيع الموارد بالشكل الذي يقلل من احتمالات الصراع، أو وضع نظام يتيح العدالة أو التوازن في انسياب الموارد.

يشير العرض السابق لإدارة الصراع وأساليب العمل بها إلى أن الصراع يساعد أحيانًا على تعرف أو اكتشاف القدرات والاستعدادات الكامنة التي ربما لا تظهر في الظروف العادية، كما أنه يتيح الفرصة للوصول إلى حقائق ومعلومات من شأنها أن تساعد في تشخيص العديد من المشكلات الفعلية في التنظيمات الإنسانية، وبالإضافة إلى كل ما سبق، فإنه يمكن توجيهه لإحداث التغيير من خلال أساليب عمل متنوعة تقوم على مفاهيم السلوك التنظيمي كمدخل أساسي في الفكر الإداري المعاصر.

والمنظمات التعليمية لا تستطيع أن تحيا بمعزل عن إرادة التغيير التي تحكم واقع الحياة من حولها، ومن ثم فإن عليها أن تواجه مطالب وتحديات كبرى سواء على الصعيد التربوي، أو على صعيد التغييرات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، التي لها أثر واضح على البنية الاجتماعية للمؤسسات التعليمية والتربوية كافة.

ثانيًا: التغيرات التربوية في المنظمات التعليمية

التغيير بصورة عامة عملية مفادها تحول الفرد، أو منظمة العمل (الإنسانية) أيًا كانت تسميتها، من حالة عدم التكيف إلى حالة التكيف مع محصلة التأثير المتبادل بين المتغيرات التقانية (التكنولوجية) والاقتصادية والاجتماعية.

ويرتبط التغيير - في مجتمع المعلومات - بضرورة إعادة توزيع مراكز القوة داخل التنظيم الحديث؛ مما يعني وجود المقاومة من جانب هؤلاء الذين سيفقدون أو - على الأقل - ستنخفض قوتهم، هذا من جانب. ومن جانب آخر فإنه - أي التغيير - سيهدد مصالح بعض الأفراد، أو يتعارض مع قيمهم وتطلعاتهم، حيث سيتطلب التغيير اكتساب مهارات ومعارف جديدة، أو التحرك والانتقال إلى أماكن جديدة ربما لا تتفق أو تتناسب مع هؤلاء الأفراد.

وثمة واقع نعيشه ولا يمكن التغافل عنه، وهو أن التغيير أو التحول من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات، يفرض أسسًا مختلفة لأنماط حياة اجتماعية مغايرة وأساليب ونظم إدارية جديدة، كما أنه يتطلب فهمًا جديدًا للعمل المنتج القادر على الإسهام في التنمية الشاملة، حيث يتحول جانب كبير من العمل إلى قطاع الخدمات، وتقاس فاعلية العمل بالقدرة على الابتكار والإبداع.

وهناك تغيير في نظم التعليم، من نظم تعليمية محددة وتعلّم معلومات ومعارف معينة، إلى نظم تعليمية مستمرة، وتعلّم كيف نتعلم (التعليم المستمر والتعلم الذاتي) وفقًا للواقع المتغير، الذي يتطلب - بصفة مستمرة - إعادة النظر في المواقف التعليمية والقيم الحالية واتجاهات التغيير التي تفرض الوعي بدلائل هذه الاتجاهات، وإمكان توقّع أبعادها.

ويعني ما سبق، أن «المنظمات التي لا تتماشى مع المتغيرات البيئية، أو التي لا تملك القدرة على استقبال ملامح التغيير وإعطائها الاهتمام الكافي تتخلف ولا تلحق بالركب وتنهار، لذلك أصبح امتلاك القدرة على إحداث التغيير شرطًا أساسيًا للبقاء على قيد الحياة، كما أصبح الاستقرار وعدم التأقلم هو التخلف بعينه»(10).

الهوامش:

1- هاني عبدالرحمن صالح الطويل، الإدارة التربوية والسلوك المنظمي - سلوك الأفراد والجماعات في النظم، الجامعة الأردنية، عمان 1985م، ص308.

2- السيد الحسيني، النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم، دار المعارف، القاهرة 1975م، ص396.

3- فليب كومز، أزمة العالم في التعليم من منظور الثمانينيات، ترجمة محمد خيري، وشكري عباس حلمي، وحسان محمد حسان، دار المريخ للنشر، الرياض 1986م، ص ص37-45.

4- هاني عبدالرحمن الطويل، مرجع سابق، ص229.

5- Stephen J. Ball. the Micro- Politics of the School, Towards a Theory of School Organization, Methuen & Co., New York, 1987, p.18.

6- رفاعي محمد رفاعي، مشكلة الصراع في التنظيم، مجلة الإدارة، المجلد 13، العدد 2، أكتوبر 1980م، ص ص90-92.

7- آلفن توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، ترجمة فتحي بن شتوان، ونبيل عثمان، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة 1992م، ص594.

8- Androw, J, Du Brin, Applying Psychology Individual and Organiztional Effectiveness, prentic Hall, Inc, Newjersey, 1994, p 213-214.

9- أحمد ماهر، السلوك التنظيمي مدخل لبناء المهارات، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية 1986م ص ص268-288.

10- محمد سيد طنطاوي، موقف الدين من التنظيم والتطوير والتغيير، المؤتمر السنوي الأول، استراتيجيات التغير وتطوير المنظمات، تحرير: سعيد يس عامر، وعلي محمد عبدالوهاب، وفريد راغب النجار، مركز وايد سرفيس للاستشارات والتطوير الإداري، 1991م، ص65.

التعريب ودور المجامع اللغوية

ـ ما الدور الذي قامت به مجامع اللغة العربية حتى اليوم في مجال الترجمة والتعريب؟ وما مدى خدمتها في ذلك لقطاع التعليم العالي؟

عبدالغني محمود عبدالهادي
ص.ب 8545، عمّان 11121، الأردن.

* بدأ التعريب في العصر الحديث عندما بدأ محمد علي باشا في تأسيس دولة، وأرسل البعثات إلى أوربا لتعلم العلوم. ولما عاد طلاب البعثة وجههم إلى التعريب خدمة للدولة الناشئة، وقد بذل هؤلاء جهوداً في التعريب؛ فقد درست أعمالهم فأدهشني هذا الإتقان في العمل بوضع «المعجم» للكلمات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية، وإصدار «يعسوب الطب» و«روضة المدارس» لنشر أعمالهم المترجمة والمعربة.

وقد اهتم مجمع اللغة العربية في القاهرة في أولى جلساته سنة 1934م بالتعريب، ورأى ضرورة الاهتمام به، وعقد أكثر من دورة لبحث مشكلاته والحلول السليمة لتطوره، وفي الدورة التي عُقدت هذه السنة تضمّن منهاجه عدداً من البحوث، منها: «الترجمة في مجال التعريب» للدكتور عبدالله الطيب، و«التعريب واختلاق المعوّقات» للدكتور جميل الملائكة عرضه الدكتور ناجح الراوي، و«التعريب مفهومه وتجاربه» للدكتور يونس عمرو، و«التعريب دائرته وأبعاده» للأستاذ علي رجب، و«التعريب خلال تجربة مكتب تنسيق التعريب» للأستاذ ولزاسلمو سيدي أحمد، و«معنى التعريب وضوابطه» للدكتور إبراهيم رفيدة، و«أربعون عامًا مع المصطلح» للدكتور محمد هيثم خياط، و«مقررات تعريب التعليم الجامعي» للدكتور كمال محمد دسوقي، و«توحيد التعريب وتعريب العرب» للدكتور يوسف عز الدين، وغيرها من البحوث والدراسات.

وليست المجامع وحدها التي تدعو إلى التعريب وتعمل على نشره، فالجامعات العربية والمؤسسات العلمية والفكرية أجمعت على ضرورة التعريب مع العناية بتعلم اللغات الأجنبية لترفد التعريب وتسنده.

وقد أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة أربعة عشر معجمًا ذكرها الدكتور محمود حافظ في التقرير السنوي، منها: الجيولوجيا، والفيزياء النووية، والإلكترونيات، والفيزياء الحديثة، والحاسبات، والمصطلحات الطبية، والكيمياء، والصيدلة، والبيولوجيا (علم الأحياء)، والزراعة، والنفط، والرياضيات وغيرها من المعاجم. وقد أخبرني الأستاذ إبراهيم الترزي بأن بعض المعجمات ما يزال في المطبعة وقال: أكمل المجمع أضخم معجم فلسفي وأكبر معجم في تاريخ القانون، إذ ضم أكثر من عشرة آلاف مصطلح، كما أصدر معجم الحاسبات وهو الأول من نوعه في العربية.

ولا شك بأن حركة التعريب قائمة على قدم وساق، ولكنها تحتاج إلى سرعة في العمل وإكثار في نشر أعمالها بوضع معاجم علمية رخيصة الثمن لتكون كثيرة التداول، وأن توزع هذه المعاجم على جميع المؤسسات العلمية كالجامعات والكليات والمعاهد. وقد كان لصدور المعجم الطبي أثره الواضح في كليات الطب.

ويجب أن نعرف أن المجمع ليس سلطة تنفيذية لتفرض عملها على المؤسسات العلمية؛ إنما ترسل بإنتاجها إليهم؛ لتساعد على التعريب والترجمة، بعد أن أصدر أربعة عشر معجماً في العلوم والآداب والفنون، وهي معجمات متخصصة. وقد وضع المجمع القواعد العامة لأساليب الترجمة والتعريب، ويضع دائمًا خبراته بين يدي الدارسين وطلاب العلم والمؤسسات التي تحتاج إلى مساعدة علمية.

وبدأ مجمع اللغة العربية في دمشق في 30 تموز/ يوليو 1919م اهتمامه بالتعريب ووضع المصطلحات العربية، وإن جامعات سورية تعلم الآن باللغة العربية. ويقوم مجمع اللغة العربية في الأردن بجهود حثيثة في سبيل التعريب، فقد وضع عدداً من المعجمات التي تساعد الدارس، واهتم بتعريب التعليم الجامعي اهتماماً واضحاً، وألف عدداً من اللجان لهذه الغاية التي عرّبت عدداً من الكتب العلمية في الطب والكيمياء وغيرها، ووضع بعض النصوص العلمية المترجمة بين يدي الطلاب.

إن خطوات التعريب تسير باتزان وتحتاج إلى سرعة في العمل وتخصيص المبالغ الكافية والميزانيات المجزية لدعم هذه الخطوات.

وقد أصدر المجمع العلمي العراقي عدداً من المعاجم العلمية، وعقدت جامعة بغداد مؤتمرًا لتعريب التعليم العالي في الوطن العربي سنة 1978م حضره عدد كبير من الجامعات العربية وشرفتُ بالإسهام فيه بمحاضرتين.

ويلح رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة على ضرورة التعريب والحث على مواصلة الجهود في سبيل سرعة العمل وانتشار التعريب، ويبذل جهداً كبيراً في المؤتمرات والندوات وتشجيع الباحثين.

إن تعريب العلوم الغربية بحر كبير الاتساع واسع الموارد، ويحتاج إلى اتحاد الجهود في الوطن العربي كله لتوفير القدرة على نقل العلوم الحديثة في الذرة والحاسب الآلي والصواريخ، إضافة إلى العلوم الأخرى كالطب والهندسة والصيدلة والكيمياء، لأنها في تطور مذهل وحركة سريعة لا يكاد يصدق الباحث سرعتها

وكثرة إنجازاتها، ولن يتيسر ذلك إلا بالأمور التالية:

1- رصد أموال كافية لهذا العمل المصيري والحضاري لمواكبة حركة العلوم والفنون والآداب في العالم وتعريبها.

2 - تأليف اللجان الكثيرة في مختلف العلوم وفي كل الاختصاصات، ولا يُكتَفَى بلجنة واحدة لعلم واحد أو ندوة واحدة لمشكلة من مشكلاته العلمية المعقدة.

3 - تخصيص مطبعة كبيرة أو مطابع لطبع ما يُعَرَّب، بصورة منتظمة، وبأعداد كبيرة، وبأسعار زهيدة.

4 - تبادل المعلومات والزيارات بين المختصين والمؤسسات العلمية.

إضافة إلى أمور كثيرة تسند العملية الحضارية، فقد داهمتنا علوم الغرب وسيطرت علينا، ولابد من التعريب الواسع للاعتماد على الشخصية العربية، وإثبات الذات العلمي، وقدرتنا على الاستفادة من حضارة الغرب وعلومه.

ويقوم مجمع القاهرة شيخ المجامع بجهود كبيرة حسب طاقته المادية منذ سنوات بالتعريب ونشر الأبحاث التي تلقى في مؤتمراته السنوية، وتُنشر في مجلة المجمع التي ظهر منها العدد السادس والستون، وفيه البحوث والمناقشات العلمية التي تدور في المؤتمرات، إضافة إلى عشرات الآلاف من المصطلحات العلمية التي أقرتها مؤتمراته بعد عرضها على المؤتمر السنوي. وقد ذكر الدكتور محمود حافظ أن المجمع أخرج ستًا وثلاثين مجموعة من مجموعات المصطلحات تضم أكثر من مئة وخمسين ألف مصطلح، ولاشك بأنها أهم قاعدة من قواعد التعريب وتسهيل عمله. ووضعُ المصطلح العلمي جهد شاق وعملية فكرية تحتاج إلى اتساع في الفهم، وسعة العلم باللغة العربية واللغة التي يُعرَّب منها المصطلح، وقد تعود اللجان إلى اللغة اللاتينية واللغة اليونانية لدراسة جذر المصطلح ومعناه، ووضع المصطلح ليناسب الذوق بعد دراسته باللغة الإنجليزية والفرنسية.

وحاول مجمع القاهرة توحيد المصطلح في الوطن العربي، وبذل طاقته في سبيل هذه الغاية عندما أسس اتحاد المجامع العربية لتسهيل الصعوبات التي تغني عملية التعريب.

وأخيراً بذلت المجامع في الأقطار العربية جهوداً في نشر التعريب، وبدأت الجامعات بالأخذ بالتعريب مثل سورية والعراق والأردن، وها هي ذي مصر تدعو بكل قواها الجامعات للتعريب والاستفادة من جهود مجمع اللغة العربية الكبيرة لمواكبة الحضارة الغربية العلمية السريعة.

بعد أن تم إعداد الجواب تفضل الدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة فأبرق لي مقررات المجمع في دورته الأخيرة، وأعرض ما يفيدنا منها هنا:

1- حثت القرارات الحكومات على التعريب في التعليم الجامعي والعالي.

2- إنشاء مراكز للترجمة والتعريب والتدريب على الترجمة.

3- التنسيق في عملية وضع المصطلحات بين المؤسسات.

4- إلزام المؤسسات الاعلامية استعمال الفصحى في الإذاعة المرئية والمسموعة.

5- إصدار تشريعات تُلزِم الجامعات والمؤسسات التعريبَ، ووضع اللافتات باللغة العربية في جميع المحلات التجارية.

د. يوسف عزالدين

* لقد شهد عصرنا الحاضر إقبالاً واضحًا من العرب على اللغات الأجنبية التي نهض أهلها بالعلوم، يأخذون منها الكلمات ويقتبسون من المصطلحات ما يسهم في إغناء العربية وجعلها مواكبة لمقتضيات العصر الحديث. ولتنظيم هذه العملية وتنسيقها، أُنشئت المجامع اللغوية والمؤسسات والمعاهد في شتى الأقطار العربية، واتجهت جهود العاملين في تلك المجامع والمؤسسات والمعاهد إلى إحياء العربية لتستعيد دورها العلمي الرائد الذي تم تجاهله في العهود الماضية، إما قصداً أو عن غير قصد. وأصبحت للتعريب اليوم دلالة شاملة تخص سياسة الحكومات في التربية والتعليم، وصار التعريب موضوعًا تُعقد من أجله المؤتمرات مثل مؤتمر وزراء التربية الذي عُقد في صنعاء، في المدة من 23- 30 ديسمبر/ كانون الأول 1972م، والذي أيد استعمال العربية أداة للتعبير الفكري والتعبير الشعوري والتعليم ونقل المعارف.

وقد أدركت الدول العربية أهمية التعريب في التعليم العام، فبدأت، منذ استقلالها، بتعريب الإدارة والتعليم، وقطعت في ذلك أشواطًا متفاوتة. وصدرت حول قضايا التعريب، ولاسيما في مجال المصطلحات العلمية والتقنية، قرارات ودراسات، وعُقدت بشأنها الندوات والمؤتمرات، ووُضعت المعاجم ومشروعات المعاجم قصد الاستفادة منها في شتى التخصصات العلمية في مختلف البلاد العربية.

لكن تلك الجهود ظلت محدودة الجدوى بدرجات متفاوتة، نظرًا لجملة من المشكلات تعاني منها قضية التعريب في العالم العربي؛ أهمها وأخطرها أن العلوم والنظريات والابتكارات العلمية ماتزال في العالم العربي ظاهرة وافدة مستوردة، ومادامت كذلك فستظل في سباق محموم مع الزمن، ونحن نحاول بلغتنا أن نواكب التطورات العلمية التي ما تنفك تتوافد علينا يومًا بعد يوم في سرعة مذهلة من طريق وسائل الإعلام والدوريات والمجلات العلمية المتخصصة، ذلك أن العلوم لا تزدهر إلاّ في وعاء من لغتها الأم، وشاهدنا على ذلك قدرة العربية على صنع تلك الحضارة المشرقة على مدى التاريخ، ولم تكن اللغة إذ ذاك عائقًا دون تحقيق التقدم والتفوق في مختلف المجالات.

وإذا أردنا أن نتجاوز الإشكالية القائمة فلا بد من العمل على تأصيل هويتنا اللغوية بجعلها دومًا في المقام الأعلى، وإدراك أنها قادرة على تحقيق الإنجازات الحضارية التي أوهمنا الاستعمار أنه لا سبيل إلى تحقيقها إلا بلسانه. وللأسف، فإن واقعنا العربي اليوم - سواء بقصد أو من دون قصد - مازال يرفد تلك الرؤية الاستعمارية حين يفرق بين من يجيدون العربية ومن يجيدون اللغات الأخرى. ومن ثم فإذا أردنا أن نحقق هذه الغاية فلا بد من الارتكاز على لغتنا وجعلها مقومًا حضاريًا نعترف به .

واللغة بعد ذلك كائن حي تجري عليه سنن الحياة والتطور، ومن ثم، فإن المجامع والهيئات القائمة على شؤون اللغة العربية عليها أن تدرك أن القرارات وحدها لن تجدي مادامت قد انفصلت عن الواقع العملي الذي تعيشه مجتمعاتنا. ولهذا الواقع جوانبه المختلفة، سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا وفكريًا ونفسيًا، وحتى تؤتي قرارات تلك المجامع ثمارها المرجوة فلا بد أن تُراعى فيها كل هذه المتغيرات حتى لا تنفصل عن حياة الناس وواقعهم، وحتى يسهل الأخذ بها وتطبيقها، إذ تصبح في هذه الحالة جزءاً من التغير أو التطور الذي يصيب حياة كل المجتمعات.

وكل هذه الأهداف باتت اليوم ميسورة التحقيق، بفضل الثورة المعلوماتية التي يعيشها عالمنا المعاصر، فالمعلومة لم تعد تُضرب إليها أكباد الإبل، كما كان من قبل؛ بل أضحى العالم اليوم قرية صغيرة. ولهذا، على المجامع أن تستفيد من هذه الإمكانات الجديدة بما يساعد على تحقيق أهدافها.

د. محمد لطفي الزليطني

البرودة

من اللغة إلى المصطلح



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

من استقرائي معاني هذه المادة وجدتها أصلاً فيما هو خلاف الحر.. والبرودة درجات، وهي إحساس بشري مشترك، ثم توسعت معاني هذه المادة بالمجاز، فدخل النوم وما في معناه، لأن السكون والراحة يُحدثان برودة، وكذلك بعض اللباس؛ لأن المُراعَى في تسميته برودته على الجسم، أو أنه يُدْخِلُ بهجةً في القلب كبهجة البرد، ودخلت معاني الحركة والاضطراب؛ لأن ذلك من آثار شدة البرد.

والبرودة صفة لما خلي من الجمال، وبرئ من القبح، أو كان إلى القبح أقرب.. وهو قيمة حكمية ذاتية تشبيهية، فحين يُحكم على موضوع ما بالبرودة فالمراعى أنه أثار في النفس أثرا كأثر البرودة في حالات لا تُحمد فيها البرودة.. إذن البرودة حكم بفقدان الجمال أو ضآلته، وليس حكمًا بالقبح.. ونقاد العرب قديمًا يكثرون الحكم بهذه القيمة الذوقية.

وعن المعاني اللغوية والاصطلاحية قال ابن فارس: «الباء والراء والدال أصول أربعة: أحدها خلاف الحر، والآخر السكون والثبوت، والثالث الملبوس، والرابع الاضطراب والحركة.. وإليها ترجع الفروع.

فأما الأول فالبرد خلاف الحر.. يقال برد فهو بارد، وبرد الماء حرارة جوفي يبردها. قال [مالك بن الريب]:

وعطِّلْ قَلُوصي في الركاب، فإنها
سَتَبْرُدُ أكبادًا وتُبكي بواكيا

ومنه قول الآخر:

لئن كان برد الماء حران صاديًا
إليَّ عجيبًا إنها لعجيب

وبردت عينه بالبَرُود(1)، والبَرَدَةُ التخمة(2)، وسحاب بَرِدٌ إذا كان ذا بَرْد. والأبردان طرفا النهار(3).. قال:

إذا الأرطى توسَّد أبردَيه
خدودُ جوازيءِ بالرمل، عِين

ويقال البردان.. ويقال للسيوف: البوارد.. قال قوم: هي القواتل(4).. وقال آخرون: مس الحديد بارد.. وأنشد:

وأنَّ أمير المؤمنين أغصَّني
مغصَّهما بالمُرْهَفات البوارِدِ

ويقال: جاؤوا مبردين.. أي جاؤوا وقد باخ الحر.

وأما الأصل الآخر فالبرد النوم. قال الله تعالى: *لا يَذُوقُون فِيهَا بَرْدًا ولا شَرَابًا*. **النبأ**:24.

وقال الشاعر [وهو العرجي]:

فإن شئت حَرَّمتُ النساءَ سواكُم
وإن شئت لم أُطعَمْ نُقاخًا ولا بَرْدا

ويقال: برد الشيء إذا دام.. أنشد أبو عبيدة:

اليومُ يومٌ باردٌ سَمُومه
من جزع اليوم فلا تلومه

بارد بمعنى دائم.. وبرد لي على فلانٍ من المال كذا.. أي ثبت.. وبرد في يدي كذا.. أي حصل.

ويقولون برد الرجل إذا مات، فيحتمل أن يكون من هذا، وأن يكون من الذي قبله.

وأما الثالث فالبُرد معروف.. قال:

وإني لأرجو أن تلف عجاجتي
على ذي كساءٍ من سلامان أو برد

وبردا الجرادة جناحاها.

والأصل الرابع بريد العساكر؛ لأنه يجيء ويذهب(5).. قال:

خيال لأم السلسبيل ودونها
مسيرة شهر للبريد المذبذب

ومحتمل أن يكون المبرد من هذا؛ لأن(6) اليد تضطرب به إذا أعمل»(7).

قال أبو عبدالرحمن: الأصل للبرد خلاف الحر، وإطلاق البرد على النوم وعلى كل سكون وثبوت مجازي، ووجهه قابلية الدائم والثابت والنائم للبرودة، لأن الحركة تنتج حرارة.

وهكذا إطلاق البرد على اللباس مجازي، لأن بعض اللباس يكون بارداً على الجسم، وذلك صفة لباس الصيف ثم غلب في كل كساء.

والبريد الذي يوصل الأخبار سُمِّي بذلك أيضًا مجازًا، لأن من كلام العرب: برَّدت عني، وبردت كبدي، وبردت غليلي.. وكل ذلك في قضاء الحوائج وإتمامها، والبريد هذه مهمته، وهو أسرع وسيلة للاتصال.

وقال الراغب: «أصل البرد خلاف الحر، فتارة يعتبر ذاته فيقال: برد كذا.. أي اكتسب بردًا.. وبرد الماء كذا.. أي أكسبه بردًا.. نحو:

ستبرد أكبادًا وتبكي بواكيا

ويقال: برَّده أيضًا.. وقيل: قد جاء أبرده(8).. وليس بصحيح.. ومنه البرَّادة بالبرد كاختصاص الحرارة بالحر(9)، فيقال: برد كذا.. أي ثبت.. كما يقال: برد عليه دين(10).. قال الشاعر:

اليوم يوم بارد سمومه

وقال الآخر:

بارزٌ ناجذاه قد بَرَدَ المو

ت على مُصطلاه أيَّ برودِ

أي ثبت.. يقال لم يبرد بيدي شيء.. أي لم يثبت، وبرد الإنسان: مات، وبرده قتله، ومنه السيوف البوارد، وذلك لما يعرض للميت من عدم الحرارة بفقدان الروح، أو لما يعرض له من السكون.. وقولهم للنوم: برد.. إما لما يعرض عليه من البرد في ظاهر جلده، أو لما يعرض له من السكون.. وقد علم أن النوم من جنس الموت لقوله عز وجل: *اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا*. **الزمر**:42، وقال: *لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا*. **النبأ**: 24.. أي نومًا.

والبرد في الطريق جمع البريد، وهم الذين يلزم كل واحد منهم موضعًا منه معلومًا، ثم اعتبر فعله في تصرفه في المكان المخصوص به، فقيل لكل سريع: هو يبرد.. وقيل لجناحي الطائر: بريداه اعتباراً بأن ذلك منه يجري مجرى البريد من الناس في كونه متصرفًا في طريقه، وذلك فرع على فرع حسب ما يبين في أصول الاشتقاق»(11).

الحواشي

1- البَرُود: كحل يُبَرِّد العين. ووجه برودتها ذهاب حرارتها.
2- لأنها تُحدث في الجسم بردًا وقشعريرة.
3- لأن الجو فيهما يبرد. وهما الظل والفيء أيضًا.
4- وبعد القتل برودة الجسم.
5- قال ذلك لأنه جعل الحركة والاضطراب من الأصول، والواقع أن البريد راجع للأصل الأول، وهو خلاف الحر، لأن البريد وسيلة اتصال تبرد الكبد.
6- بل لأنه يجعل الشيء حادًا فيكون كالسيوف البوارد، وقد مضى وجه المجاز فيها.. فهو مجاز وراء مجاز.
7- مقاييس اللغة، ص132- 133.
8- فائدة النقطتين ها هنا الإشعار بأن ما بعدهما ليس من مقول القول السابق.
9- أي برد بمعنى ثبت برده كما يقال احتر بمعنى ثبتت حرارته.
10- الوجه الصحيح أن الدين ثبت فعليه أن يسلمه باردًا.. أي من دون جهد وتعب وقلق ينتج منه توتر وحرارة.
11- المفردات، ص116- 118.

قصيدة

كتاب المُنى

شعر: رفعت عبدالوهاب محمد (المرصفي)

أقولُ الحقيقةَ رغم التّنائي ... ورغم انقضاء الزمان الطويلْ

وبعضُ الحقائق كنزٌ ثمينٌ ... وبعض الحقائق حِمْلٌ ثقيلْ

فما أنت إلاّ كِتاب الأماني ... وَمَحْوُ حروفِ المُنى مستحيلْ

وما أنت إلا وشوم بعمري ... وما أنت إلا لقلبي الدليلْ

أقول الحقيقةَ رغم التّنائي ... ورغم انقضاء الزّمان الطويلْ

وأنتِ طريقٌ طويلٌ بعمري ... وأنت كتابٌ كثير الفصولْ

وأنتِ ضياءٌ يشقُّ الدّياجي ... وأنت بقايا الزمان الجميلْ

وأنتِ ابتداءٌ، وأنت انتهاءٌ، ... وأنت الشروقُ، وأنت الأفولْ

زرعتك غُصنًا نديًا بروحي ... وعشتُ بقلبي وعقلي أعيهْ

سكبتكِ زيْتًا مضيئًا بعيني ... يُضيءُ الظلام إذا سِرتُ فيهْ

عزفتك لحناً شهيٌّ المعاني ... يترجمُ ذاتي لِمُستمعيهْ

وجدتك نفسي ونبض عُروقي ... وجدتك عمري الذي أرتجيهْ

فهذي حروفُ الحقيقة تضْوى ... وهذا كِتاب المُنى.. فاقْرئيهْ

حتى يطمئن قلب ساندي



د. غسان حتاحت

ساندي سيدة أمريكية، لم أرها في سالف الأيام، ولا أحسب أنني سأراها في قادمها، ومع ذلك عندما تلقيت رسالة منها رددت عليها في اليوم نفسه، على ما عُرف عني من كسل في الرد على الرسائل.

ولكن أليس من الأفضل أن أبدأ القصة من أولها؟

يمكن أن نعد البداية عندما زارتني في عيادتي سيدة عجوز تصطحب طفلاً صغيراً يقارب عمره ثلاثة أعوام. وتربطني بهذه السيدة قرابة بعيدة فضلاً عن أنني أداوي أحفادها جميعًا.

قالت لي: إن هذا الطفل هو ابن ولدي المهندس الذي كان يقيم في الولايات المتحدة، وأمه أمريكية وقد طلّقها ابني، واستطاع أن يجلب الطفل معه من أمريكا، كي نربيه هنا، فيعيش في هذه البلاد ويتشرب عاداتنا وتقاليدنا، وينشأ على مبادئنا وقيمنا. لأننا لا نرضى له أن يعيش في أمريكا، إذ ليست تلك البلاد بلادنا، ولا طباع أهلها من طباعنا.

سمعت كلام السيدة، وشعرت أنني أوافقها على رأيها نصًا وروحًا، وأحسست أنها محقة كل الحق في قرارها.

ثم تابعت السيدة تقول: إنني لم أرضَ لابني أصلاً أن يتزوج من أجنبية، وقد وعدته أن أخطب له فتاة من سورية بعد أن يطلق زوجته، وها أنذا أبحث له عن عروس مناسبة. وأرجو أن يوفقني الله إلى ذلك.

قمت بفحص الطفل وكان وديعًا جدًا، لطيفًا غاية اللطف، وسيمًا، أبيض البشرة، أشقر الشعر، أزرق العينين. تشع براءة الأطفال من عينيه.

ومع مرور الأيام كان ذلك الطفل يراجعني بصحبة جدته، أو والده وحده، أو والده وزوجته الجديدة، لمداواته أو لإعطائه اللقاحات اللازمة.

وذات مرة طلب مني الأب تقريراً باللغة الإنجليزية عن حالة الطفل، وعن لقاحاته التي تلقاها لديَّ، فقمت بكتابة ذلك التقرير وسلمته إياه.

بعد هذه الحادثة بشهر تقريبًا، فتحت صندوق البريد لأجد رسالة تحمل طابعًا أمريكيًا، وقد كتب عليها أن اسم المرسلة: «ساندي».

لا أخفي أنني دهشت، وشعرت بفضول شديد، فأنا لا أعرف سيدة اسمها ساندي ولم أسمع باسمها من قبل.

فتحت تلك الرسالة، فإذا فيها:

الدكتور حتاحت

أكتب إليك هذه الرسالة وأنت لا تعرفني، بعد أن أعطتني وزارة الخارجية الأمريكية اسمك وعنوانك (زاد هذا الخبر من دهشتي، فليست ثمة علاقة بيني وبين وزارة الخارجية الأمريكية، اللهم إلاّ إذا كانت متابعة أخبارها يمكن أن تعد علاقة، ولكن حتى في هذه الحالة فإنهم لا شك لن يعرفوا اسمي فضلاً عن عنواني).

تابعت الرسالة تقول: وقد كنت راجعت وزارة الخارجية كي أستفسر عن ابني المقيم في سورية، فاتصلت الوزارة بالسفارة الأمريكية في دمشق التي أرسلت تذكر أنك الطبيب الذي يداويه واسمه «.....». (فيما بعد عرفت أن التقرير الذي كتبته عن حالة الطفل بالإنجليزية أرسل إلى السفارة الأمريكية، ومنه عرفت اسمي وعنواني)، وأرجو منك أن تعلمني عن حالة طفلي وعن نوعية العناية التي يلقاها من الناحية الطبية، والنواحي الأخرى. وهل أعطي اللقاحات اللازمة؟ وهل صحته جيدة؟ وهل ينمو نموًا طبيعيًا؟، وكم أصبح طوله ووزنه في آخر زيارة قام بها إلى عيادتك؟ و... و...

وطالت الرسالة، وطالت وهي تحمل استفسارات أم ملهوفة.

قرأت تلك الرسالة مرتين، فأحسست بمدى آلام الأم ولوعتها، ومقدار معاناتها وهمومها، إذ ليس أصعب على الأم من أخذ ابنها من أحضانها.

ومع أننا - نحن الأطباء - نحاول دائمًا أن نبتعد بعواطفنا ومشاعرنا من مرضانا، وأن نضع حاجزًا يحمينا من التأثر بالمآسي التي نراها خلال ممارستنا، إلا أننا أحيانًا كثيرة نعجز عن ذلك.

قرأت تلك الرسالة مرة ثالثة، واستعدت في ذاكرتي ما قالته جدة الطفل، وتذكرت أنني وافقتها في سريرتي على رأيها بإبعاد الطفل من والدته، فشعرت أنني مذنب في حق الطفل وأمه، فكلام النظريات شيء والواقع الميداني شيء آخر. ولكن ما باليد حيلة، وقد سبق السيف العذل، وتزوج الأب، ولم يعد مقبولاً أن يعود إلى مطلقته السابقة، ولا أن يرجع الطفل إلى أمه.

أمسكت سماعة الهاتف واتصلت بوالد الطفل لأقول له إنني تلقيت رسالة من سيدة اسمها ساندي تقول فيها إنها أم ابنه، وتطلب معلومات طبية عنه، فهل لديه مانع من أن أجيبها عن أسئلتها تلك؟

قال لي بصوت أحسست فيه رنة حزن وأسى: لا بأس، يمكنك أن تكتب إليها ما تشاء.

عندها أمسكت بالقلم وكتبت رسالة مفصلة مسهبة، شرحت فيها وضع الطفل الصحي، وبذلت أقصى جهدي كي أطمئن الأم كل الاطمئنان على طفلها، وقد استغرقت كتابة الجواب جزءًا غير قليل من وقتي (الذي أعده ثمينًا)، لكنني أحسست أن ذلك يرخص في سبيل أن تحمل رسالتي تلك بلسمًا يداوي جراح أمٍّ ملهوفة ويخفف من لوعتها.

أم لم أرها في الماضي، وعلى الأرجح لن أراها في المستقبل، وإن كنت في الحقيقة أراها دائمًا في كل أم.

مُحمّد سُرور الصَّبان

ظاهرة نادرة!

روّاد الأدب في بلادنا كثر. ولست بمدّعٍ أنني عرفتهم جميعًا. ولكن الأقطاب منهم، كان لي مع بعضهم لقاء. كما أتاح لي عملي بالصحافة الاقتراب كثيرًا من بعضهم الآخر. وعن هؤلاء وأولئك، يسعدني أن أكتب لـ «مجلة الفيصل» بعض ما عرفته عنهم، أو تعلمته منهم.

1

.. على امتداد التاريخ صدرت لبعض الأدباء والمؤلفين مئات الكتب، كما نظم بعض الشعراء منهم آلاف القصائد. ومع ذلك لم يبقَ - في الغالب الأعم - من تلك الآثار شيءٌ مذكور. وربما أصبح أصحابها نسيًا منسيًا. في حين أن ثمة أدباء لم يصدر لهم غير كتاب أو اثنين.. وشعراء لم تحتفظ لهم ذاكرة التاريخ بغير قصيدة واحدة، وبالرغم من ذلك، فقد بقي نتاج الأدباء منهم معلمًا في تاريخ الأدب.. كما ظلت تلك القصائد المفردة، أو «اليتيمة» كما أسماها مؤرخو الأدب العربي، نشيدًا على لسان الأجيال.



عبدالله عمر خياط

مثال ذلك قصيدة ابن زريق البغدادي الشهيرة، التي يقول في مطلعها:

لا تعذليه فإنَّ العذلَ يولعه
قد قلت حقًا ولكنْ ليس يسمعه

وفي تاريخنا الحديث من أمثال هؤلاء وأولئك أعداد ليست بالقليلة، بيد أني لست في مجال الإحصاء أو النقد، وإنما هي المناسبة التي دفعت بقلمي لهذه الإشارة.

.. والمناسبة.. هي استرجاع الذاكرة لسيرة بعض رواد الأدب في بلادنا، ممن أتاحت لي الظروف معرفتهم، وتعرُّف ما كان لهم من أثر في تنشيط الحركة الأدبية، وبعث روح الفكر الخلاق بعد أن وأدته العهود السابقة بما فيها من جهل فاضح، وتخلف مشين، وافتقار للحرية التي لا ازدهار للأدب إلا بتوافرها.

لذا فقد جاء قيام الدولة السعودية بالنسبة لشبيبة هذه البلاد كبزوغ الفجر على من أظلم ليله، حيث انتشر العلم، وتوطد الأمن، وتمتع الناس - والأدباء والشعراء منهم - بحرية غير مسبوقة.

وعندما تسترجع الذاكرة أسماء أولئك الفتية الذين استفاق الأدب بجهدهم الوثاب من غفوته، وازدهرت حركة الفكر بعطائهم الثر؛ فإن اسم الرائد الكبير معالي الشيخ محمد سرور صبان يأتي في المقدمة، حتى لقد سماه بعضهم: «شيخ الأدباء»، وسماه آخرون «صانع الرجال». وقال عنه معاصروه: إنه مؤسس الحركة الأدبية وقائد مسيرتها.

والحق أنه جدير بكل تلك الصفات، لما بثه من روح الإقدام في نفوس أترابه، وما وفره لأنداده ومريديه من دعم ومساندة سمحت له بها إمكاناته المادية، ومناصبه الرسمية التي تبوأها بكفاءة منحته ثقة ولاة الأمر فينا.

فهذا عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين يقول في مقدمة كتاب «رجل وعمل» الذي أصدره الأستاذ عبدالله عريف عن الشيخ محمد سرور الصبان رحمهم الله جميعًا:

«وموضوع الكتاب رجل كريم. بعيد الصوت، ينزل من مواطنيه، ومن كثير من العرب منزلة المحب المكرم، كما يقول عنترة. ولكنه حي يشارك في الأعمال العامة في وطنه وفي البلاد العربية الأخرى».

ويقول عبدالله العريف في أثناء الكتاب:

«وصاحب ترجمتنا لا تعوزه العزيمة المصممة أو الفكرة المبيتة. والشباب الذين تواتيهم العزائم، تمدها العقيدة، ويزيد في وقودها مواتاة الفرص وحسن الطالع، هم الرجال الذين يبنون مجد أنفسهم، ويضعون لبنة قوية في بناء مجد أمتهم وبلادهم».

كما يقول في موضع آخر من الكتاب:

«فهو دقيق الإحساس بميل الجمهور، يعرف كيف يتألَّفُه، وكيف يصطنعه، لأن في طبيعته الكرم، والكرم إلى حد الإسراف، وهو كما يقول عن نفسه صادقًا في قصيدته «عاطفة النفس»:

وإذا هَمَّتْ كَفِّي لطالبِ فَيْضِهَا
غَمَّرتْه بالإنعام والحَسَنَات

أو في قصيدته الحكيمة «نصيحة إلى أبناء الغد»:

فكأني حاتم في قومه
أنفق الأموال في وجه قمين
يلهج الناسُ بشكري دائمًا
ويعيشون بفعلي آمنين

وإني لأعرف من هذا الشيء الكثير وما هو داخل في باب الكرم الغريب».

وفي «المرصاد» يقول مؤلفه الأديب الشاعر إبراهيم هاشم فلالي - رحمه الله -: «وهو أول من حمل شعلة الأدب الحديث في هذا البلد المقدس. وهو قبل أن يكون رجلاً كبيرًا كان ومازال أديبًا كبيرًا وشاعرًا صادق الشعور، وما كان ليحمل شعلة الأدب لو لم يكن كذلك. فهو، على ما أنفق من مال وجهد على الأدب والأدباء، قد أمدَّ الأدب بآثار من

شعره ونشره. وما هو من الذين يرون الأدب ملهاة يتلهى بها الناس في ساعات فراغهم، ولكنه من الذين يرون أن الأدب روح الأمة، لما له من الأثر العميق في نهوضها وتقدمها، فبذل له من ذات نفسه الشيء الكثير، ولم يبخل عليه بمجهود من طاقته في كل مجال».

وفي ملحق جريدة البلاد لعام 1392هـ قال عنه الأديب الأستاذ محمد حسين زيدان - رحمه الله -:

«نبغ أفراد فينا لهم فضل النشر، فعلمونا أن نرى الكلمة. في طليعة هؤلاء محمد سرور الصبان - يرحمه الله - قلت فيه: لم يصنع الأدب. وإنما نشره. وبهذا كان خيراً من صانعيه».

روح متوثبة

كان أول لقاء لي بمعالي الشيخ محمد سرور الصبان في مجلس الملك فيصل - رحمهما الله جميعاً



محمد سرور الصبان

- بمكتبه في جدة بالبغدادية.

وقد رأيت تقدير الملك فيصل - رحمه الله - للشيخ الصبان رأي العين، إذْ أجلسه إلى جانبه، وحادثه على امتداد جلسة الصباح التي تسبق دخول الملك إلى مكتبه.

وعند مصافحتي للشيخ الصبان بعد انتهاء الجلسة - وبالمناسبة فإن الجيل كله إذا قيل «الشيخ» فإن المعنيّ بذلك هو محمد سرور الصبان - قال لي: كيف هي جريدتكم؟

قلت: كما تراها..

قال: هي في المقدمة.. لكن المهم أن تحافظوا على موقعكم.

وقد سرَّني بالطبع هذا الرأي.

وفي لندن.. التقيت الشيخ ثانية في مجلس خادم الحرمين الشريفين عام 1390هـ. وعند انفضاض المجلس أخذني بسيارته، وحاول أن يعرف إذا كنت بحاجة لأي دعم أو مساعدة؛ إذ كنت حينها قد تركت العمل في جريدة عكاظ، فشكرت له كريم موقفه.

فكان أن قال: إن أردت أي خدمة فهذه أرقام الهاتف، وما عليك إلا أن تطلب ما تريد: دعم، وساطة، أي خدمة يا أخي نحن إخوان.

هكذا كان يتحدث والرجل قد جاوز السبعين، ومع ذلك يضعني في مرتبة الأخ بكرم أخلاقه.

ومما أذكر أنه يوم قامت رابطة العالم الإسلامي، وأصدر الملك فيصل - رحمه الله - أمره بتعيين معالي الشيخ محمد سرور الصبان أميناً عاماً لها. وفي الاجتماع الأول للهيئة التأسيسية دخل الشيخ الصبان القاعة يحيط به كبار المسؤولين وأهل الفكر، حتى



الأديب أحمد السباعي وولده الأستاذ أسامة السباعي

لكأنه البدر والناس نجوم من حوله.

وعندما تحدثت مع أستاذنا الكبير أحمد السباعي - رحمه الله - مساء ذلك اليوم عن ذلك، بحضور كل من الأستاذ عبدالله الجفري والأستاذ محمد جميل فضل والأستاذ أسامة أحمد السباعي، لم يزد الأستاذ السباعي على أن قال:

«هذا هو محمد سرور الصبان المتألق دائماً ومن مطلع حياته.

لقد كان محمد سرور الصبان في البلدية وهو لما يزل في مستهل الحياة الوظيفية، ومع ذلك لا تراه يسير إلا وحوله كوكبة من الأصدقاء وأصحاب الحاجات وزملاء العمل في الوظيفة وذوي العلاقة بالبلدية وأعمالها».

ويضيف السباعي - رحمه الله -:

«محمد سرور الصبان. شخصية فريدة تعشق الزعامة!!

إي نعم تعشق الزعامة، وهو بها جدير؛ لمكانته من الأدباء، ودعمه لهم».

وهنا دخل علينا الأستاذ عبدالسلام الساسي - رحمه الله - وسمع طرفًا من حديث الأستاذ السباعي فأضاف: إي والله.. إنه الرجل الذي يعطي من دون منّ حتى لكأنه المعني بقول الشاعر: كأنَّك معطيه الذي أنتَ سائله».

وفضل الشيخ محمد سرور الصبان - رحمه الله - لم يقف عند أبناء بلده، وإنما اتسع حتى أدرك الآخرين من أبناء الدول العربية - كما قال الدكتور طه حسين فيما سبق إيراده - ولذلك كان الأدباء والشعراء في تلك الديار يلجؤون إليه هنا، وعندما يكون في بلادهم، كما يحفون به ويلتفون حوله أينما كان.

كنت في مصر في عام 1958م، وذهبت إلى مطار القاهرة لاستقبال أخي هاشم عمر خياط، فراعني أن رأيت كبار رجالات الدولة والسياسة والأدب وفي مقدمتهم فؤاد سراج الدين وأحمد رامي وفكري أباظة ومحمد مصطفى حمام وصالح جودت، وغيرهم كثير، قد جاؤوا إلى المطار لاستقبال الشيخ الصبان الذي كان قادمًا من جدة، ومع أولئك نخبة من أبناء الجالية السعودية في مصر يتقدمهم كبار أدبائنا وشعرائنا الموجودين في القاهرة آنذاك، أذكر منهم الأستاذ أحمد قنديل والأستاذ طاهر زمخشري والأستاذ محمد سعيد باعشن - رحمهم الله -.

وعند باب المطار رتل من السيارات الفخمة وفي مقدمتها الكاديلاك السوداء الخاصة بالشيخ.

محمد سرور الصبان..
ظاهرة نادرة!

ويتحرك الموكب إلى دارته بمصر الجديدة والتي أسماها «دار العروبة» لما كان يعقد في البهو (الصالون) الكبير بها، من ندوات أدبية يحضرها مفكرون وشعراء وأدباء من أبناء الدول العربية الموجودين في مصر أو الوافدين إليها إلى حين.

ذلكم هو الشيخ محمد سرور الصبان كما عرفته. وهو بحق ظاهرة نادرة كما قال عنه الأستاذ الكبير عزيز ضياء في مقال له كتبه منذ عامين في جريدة البلاد بالعدد 12165- الصادر بتاريخ 1415/9/8هـ - أي بعد رحيل الصبان بأربعة عشر عامًا، وهي مدة تنفي نشوء المقال بغرض المجاملة وما في حكمها، والأستاذ عزيز بطبيعته غير ميال لذلك. وكان عنوان المقال: «إبداع يعيش.. محمد سرور الصبان»، ومما جاء فيه:

«والإبداع الذي أقدمه اليوم وأزعم أنه يعيش،



عزيز ضياء

هو الشيخ محمد سرور الصبان. ولقب الشيخ الذي يسبق اسمه - يرحمه الله - هو الذي عرفناه به طول حياته. ويوم صعقنا بخبر رحيله عن الدنيا قلت في مقال رثائه: إني لا أملك إلا أن أصفه بأنه ظاهرة نادرة، كأنها المثال الذي يعيشه الفنان والفيلسوف حلمًا يتحقق. ولكن يندر أن يتكرر لأنه مثال. وحين وصفته بأنه ظاهرة نادرة، فقد اكتفيت بهذا الوصف عن الكثير من مناقبه ومزاياه، وعن الأكثر من خلائقه وسجاياه، ثم عن سرد لمحات من تاريخ حياته التي كان النجاح فيها إلى منطق الأسطورة أقرب منه إلى منطق التفوق».

وبعد أن يتحدث الأستاذ عزيز ضياء عن بعض الخلائق والسجايا التي كانت من طبائع الشيخ الصبان، ومنها حرصه على رضاء والدته التي ظل إلى وفاتها، وهو في المركز المرموق، ينحني على يديها يقبلها ثم على قدميها، ولا يرفع رأسه إلا وهي تلح عليه أن ينهض، التماسًا لرضاها وطمعًا في دعائها له بالتوفيق. ولذلك يعزو الأستاذ عزيز نجاح الشيخ الصبان في حياته لفضل الله، ثم لفضل دعاء والدته له. وأن ذلك النجاح - وكما هي العادة - قد أثار ألوانًا من الحقد تغلي به الصدور التي تأكل على مائدته وتنعم برفده وعطائه. وكان مما يذهل له عارفوه وعارفوهم - كما يقول الأستاذ عزيز - أن يبتسم ويرحب ناهضًا، ويدعوهم لتناول العشاء أو الغداء معه. وقد فسر كثيرون ذلك بأن الرجل كان أكبر من أن يقابل جحودًا بجحود، وأعظم نفسًا من أن يتوقع مردودًا لما سبق له عليهم من فضل.

بعد أن يتحدث الأستاذ عزيز ضياء عن ذلك، يعود لمسار الموضوع فيقول: «هذا الرجل الذي



الشاعر أحمد قنديل

وصفته بأنه الظاهرة النادرة، كان هو الأديب الذي استطاع أن يتخطى الدوائر التي كان يعيش في محيطها الشعراء، وأن يجتاز الأفلاك التي يدور في حدودها الأدباء.

كانت له دنياه الخاصة، وليله الطويل المفعم بالأسى والألم، وبالأمل والرجاء، مع إيمانه العميق بالله، ثم بعنصر الرجولة التي كانت سلاحه في كفاحه الطويل، ونضاله مع اليأس، يغالبه بأمانيه الكبيرة، وإحساسه الذي لم يخمد أو يضمر قط بواجبه نحو الوطن، أداه طوال حياته العامرة بالعمل والجهد والمثابرة والإخلاص».

ويختتم الأستاذ عزيز مقالته بالحديث عن شاعرية الأستاذ الصبان، فيقول: كان - يرحمه الله - أديبًا وشاعرًا؛ ربما نسي الكثيرون الشعر، وإن لم ينسوا الشاعر.

ومن إبداعه الذي أرى أنه يعيش، المقتطفات التالية:

من قصيدة بعنوان «قد يكون الأديب قائد جيش»:

ليس بِدْعًا على الشجاع إذا ما
أقدم يبقى له السماء مقامًا
وامتطى أصعب المراكب حتى
جَرَّعته الأقدارُ موتًا زُؤاما
كَفَراشٍ يحوم حول لهيب
أجلٌ ساقه إليه فحَامَا
أيها اللائمُ الغرور رُويدًا
فمهورُ العُلا تكون عِظاما
قد يكونُ الأديبُ قائدَ جيش
فترى فيه باسلاً مقداما
ويكون الجنديُّ خِدنَ يَرَاعٍ
فَيُحَيِّي قصورنا والخياما

ويقول من قصيدة بعنوان «عاطفة النفس»، وإني لأرى فيها مفتاح شخصيته الفذة الرائعة:

ويحي أيعترض القنوطُ عزيمتي
والحزمُ من طبعي ومن عاداتي
والدهرُ طَوعي والزمان مُصادقي
والصبر درعي والثباتُ قَناتي
ولقد أكرُّ على الخطوب فتنثني
جَزَعًا أمام مهنَّدي وشَبَاتي
ولقد تمرُّ بي الحوادثُ خُشَّعًا
ويُصيبُها خَورٌ حيالَ ثباتي

***

لكنني فرد ولستُ بأمة
من ليّ بمن يُصغي لحرّ شَكَاتي
من لي بشَعبٍ لا يكلّ ولايني
يسعى إلى العليا بكل ثبات

***

إن البلاد بأهلها، فَبِجَهْلِهم
تشقى وتلقى أعظمَ النَّكَبات
وإذا توحَّدتِ الجهودُ لخيرها
سعدت ونالت أعظمَ الدرجات

وإلى لقاء آخر مع الشيخ في بعض آثاره المنشورة.

القداسة العلمية وأنصاف الحقائق

عبدالله القفاري

«12 يومًا من المفاوضات الشاقة وجلسات العمل التي شارك فيها أكثر من 100رئيس دولة وحكومة، واستمر بعضها إلى الصباح. لقد اتفق معظم المشاركين في «قمة الأرض» في ريودي جانيرو في حزيران/يونيو 1992م على أن الأشهر التي ستعقب القمة ستكون حاسمة في تحويل الاتفاقات والمعاهدات إلى التزامات. ولقد حذَّر الأمين العام موريس سترونغ، الذي تولى كذلك مسؤولية قمة «البيئة البشرية» التي عقدت في ستوكهولم قبل عقدين من مؤتمر قمة الأرض، حذر من المصير الخطير الذي ينتظر الأرض في حالة عدم تحول الاتفاقات التي عقدت إلى تعهدات والتزامات وبرامج عمل».

هذا الخبر الذي تناقلته وسائل الإعلام في حينه يجسد حقيقة هاجس البيئيين الذين ينتظمون منذ سنوات في برامج طموحة قادت إلى هذا المؤتمر الكبير، الذي التقى فيه أكثر من 100رئيس دولة تحت مظلة قمة الأرض.

لقد بدا واضحًا في نهاية قمة ريو، التي كانت أكبر لقاء دبلوماسي في التاريخ، أن نقطة الضعف الأساسية فيها تعود إلى عدم التوصل إلى تعهدات مالية محددة، وحسب التقديرات الأولية، فإن من الضروري توفير من خمسة إلى ستة بلايين دولار سنويًا لمشاريع البيئة في البلدان النامية. وتجدر الإشارة إلى أنَّ من ضمن الأفكار المطروحة على هامش القمة للبحث عن وسائل جديدة لجمع المبالغ اللازمة، فرض ضريبة عالمية على النفط والفحم ـ اللذين أصبحا يعدان مسؤولَين عن تراكم غازات الدفيئة في جو الأرض ـ تعادل ثلاثة دولارات للبرميل الواحد.

إن السنوات القليلة التي سبقت مؤتمر قمة الأرض، والسنوات التي أعقبتها، كانت حافلة بعرض القضايا البيئية وما يتهدد البشرية من مصير مظلم إذا استمر التدهور البيئي كما يصفونه. ولقد أصبحت قضايا البيئة والتلوث وارتفاع حرارة الأرض واتساع الثقب الأوزوني، وما يدور في إطارها من أبرز موضوعات الساعة، وقد رافقها حملات إعلامية لا نظير لها في محاولة لتعبئة الرأي العام في العالم المتقدم، وفي دول العالم النامي حول تلك القضايا.

وأمام هذا النشاط المحموم والمتنامي الذي تمارسه جماعات حماية البيئة والمؤسسات العلمية التي تشتغل في هذا الاتجاه لا نجد موقفًا ـ بوصفنا متلقِّين ـ سوى الاستسلام لهالة العلم، وقداسة البحث العلمي الذي أُعطي المكانة المرموقة، بعد أن أحرز نجاحات مذهلة أسبغت على الإنسان هذا التطور المادي والتقدم التقني الذي نلمسه في حياتنا اليومية.

إلا أننا قد نجد أنفسنا في مواقف تطالبنا بأن نعيد بعض حساباتنا حول بعض المسائل العلمية التي أصبحنا نتلقى نتائجها بدرجة كبيرة كادت تقترب من اليقين، وقد ينطوي عليها كذلك أن نضحي بكثير من إمكاناتنا وقدراتنا في سبيل حقائق قد تبدو جزئية أو تحتمل أكثر من وجه، وفي أقل الاحتمالات لا تشكل البديل الأفضل لنا.

إننا مطالبون ـ إنصافًا للعلم ـ أن نتبين وجهات نظر أخرى حول مسائل شغلتنا بضجيجها عن إدراك أن قداسة العلم لا تعني التسليم للصوت الأعلى لأنه قد يكون الأقوى، والأقوى فقط.

لقد أدى بروز واستخدام ما يسمى بمشكلات البيئة العالمية، وخاصة ظاهرتا نضوب الأوزون (أو الثقب الأوزوني)، وظاهرة التسخين العالمية (الصوبة الزجاجية)، إلى أن تصبح سلاحًا موجهًا ضد مركبات الكلورفلوروكاربون (من خلال فرضية تأثيره في الأوزون)، وضد الزيادة في استهلاك واستخدام الوقود الأحفوري (من خلال فرضية السخونة العالمية)، وما يمكن أن يتبع ذلك من آثار اقتصادية كبيرة في دول العالم الثالث عمومًا، وفي الدول المصدرة للبترول خاصة (من الأمثلة الواضحة الضريبة المقترحة على البترول في الدول الصناعية)، وذلك على حجم وقوة الشكوك العلمية المحيطة أصلاً بهاتين الظاهرتين.

وقد تم استخدام السلاحين ببراعة وحنكة منذ أكثر من عقدين من الزمن، حتى أصبح الرأي العام العالمي مهيأً لقبول ما خططت له الهيئات والمنظمات البيئية العالمية التي تحمل لواء المطالبة بحماية البيئة والدفاع عنها ضد كل من يمسها بضرر.

وتشير المعلومات الموثقة إلى أن الهيئات البيئية في الولايات المتحدة الأمريكية تتمتع بسطوة مالية وإعلامية مدهشة.

وبنظرة سريعة إلى إمكاناتها المادية يتضح أن مجموع الدخل السنوي لهذه



المنظمات والهيئات في الولايات المتحدة يزيد قليلاً على 8,5 بليون دولار، وهو أكثر من الناتج الإجمالي القومي لأكثر من 56 دولة في العالم - منها ست دول عربية -، وذلك وفق تقرير التنمية الدولي لعام 1990م الصادر عن البنك الدولي. وإضافة لهذه الإمكانات المالية الهائلة، فقد استطاعت هذه المنظمات والهيئات أن تتغلغل إلى مراكز النفوذ ومواقع اتخاذ القرار في كثير من المراكز الرسمية المهمة في الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص.

ولابد من الإقرار بأن التيار الموجه الجارف في العالم، سياسيًا وإعلاميًا، قد فرض التسليم شبه المطلق بحقيقة وجود هاتين الظاهرتين في البيئة، وضرورة الوقوف الحازم لحماية العالم من أثرهما في البيئة والإنسان، واتخاذ الإجراءات التي تساعد على الحد من تفاقم هاتين المشكلتين، بغض النظر عن النتائج الخطيرة التي تترتب على تطبيق مثل هذه الإجراءات.

إلا أن ما لا يدركه الكثيرون أن النصف الثاني من هذه الحقيقة هو أنه قد بدأ بعض العلماء - مؤخرًا - في تسليط الضوء على الحجج والأوهام التي أسهمت في خلق موجات الرعب والخوف، مما أُطلق عليه ظاهرتا البيئة العالمية: السخونة العالمية وثقب الأوزون. ولعل استعراض هاتين الظاهرتين وأبعادهما يقدم خلفية مناسبة لهذا المدخل.

إن ظاهرة الصوبة الزجاجية أو الدفيئة مشابهة لما يحدث داخل البيت الزجاجي، فإذا أشرقت الشمس دخلت أشعتها من خلال السقف والجدران الزجاجية، حيث تسخن الداخل فترتفع حرارته أكثر مما هي في الخارج. والسبب هو أن الزجاج يمنع جزءًا من الحرارة من الخروج، وتشبيه الأرض بالدفيئة ناتج من وجود كميات قليلة من بعض الغازات في الجو تدعى غازات الدفيئة.

إن سطح الأرض يستمد حرارته بالنسب التالية: 17٪ مستمدة رأسًا من الشمس، 15٪ من الإشعاع الشمسي المنكسر من السحب، 68٪ بامتصاص الأشعة دون الحمراء المنعكسة من سطح الأرض والغلاف الجوي.

ويحتوي الغلاف الجوي على عدة غازات أهمها النيتروجين، وتكون نسبته 78٪ تقريبًا، الأكسجين 21٪، الأرغون 0,93٪، ثاني أكسيد الكربون 0,035٪، وتكون النسبة الباقية من غازات أخرى مثل النيون، والهليوم، والريتون، والهيدروجين، وثاني أكسيد النيتروجين، وبخار الماء، والميثان.

وغازات النيتروجين والأكسجين شفافة للأشعة دون الحمراء فلا تعكسها، ولكن الغازات الأخرى - وخاصة بخار الماء وثاني أكسيد الكربون والميثان والهيدروكربون - تؤدي دورًا مهمًا في نقل طاقة الأشعة دون الحمراء، ومن ثم تسخن الأرض، فلو لم توجد تلك الغازات لكانت الحرارة على سطح الأرض أقل مما هي عليه الآن بنحو أربعين درجة مئوية، ولتجمدت المحيطات، ولم توجد الحياة كما نعرفها الآن.

ودور بخار الماء أهم من دور ثاني أكسيد الكربون، ولكن وجود بخار الماء يعتمد على درجة الحرارة، ومن هنا تَردُ أهمية ثاني أكسيد الكربون، فازدياد نسبة هذا الغاز يرفع درجة الحرارة، وهذا - من ثم - يسمح بتبخر الماء إلى الغلاف الجوي بما يقود إلى ارتفاع درجة الحرارة.

وبالنسبة لغاز ثاني أكسيد الكربون، فإن أكثر ما يقوم به الإنسان حياله هو إحراق الوقود المستخرج من باطن الأرض، مثل الفحم والبترول والغاز الطبيعي، وتقدر كمية ثاني أكسيد الكربون المتصاعد إلى الجو نتيجة الأعمال والنشاطات الإنسانية نحو 6-7 بليون طن تضاف إلى الجو كل سنة (يتبقى نصفها فيما تأخذ الباقي المحيطات والمزروعات).

إلا أن ما يذهب إليه بعض العلماء من أنه حدث تسخين في جو الأرض بسبب تزايد كميات ثاني أكسيد الكربون نتيجة لإحراق المنتجات البتروكيماوية التي تؤدي إلى إطلاق غاز ثاني أكسيد الكربون في الهواء، حيث يتراكم هناك مسببًا ما يسمى بالصوبة الزجاجية الحرارية.

وعلى الرغم من وجود تقارير عملية أخرى تؤكد أن هذا الموضوع أُعطي أكبر مما يستحق، وأنه لم يتأكد أيّ سبب يدعو لاتخاذ أي إجراء نحو التسخين، وأنه لا توجد أدلة على أن ارتفاع درجة الحرارة على سطح الأرض (نصف درجة مئوية) يعزى إلى تأثير الغازات الهيدروكربونية، وأن من المحتمل أن الارتفاع المذكور في الحرارة كان بسبب تزايد النشاط الشمسي خلال القرن الماضي.

وعلى الرغم من أنه بقيت أسئلة كثيرة حول دورة الكربون لم تزل دون إجابات، وأن كثيرًا من التفاصيل عن كيفية دوران الكربون ما بين الجو والمحيطات والتربة الأرضية غير واضحة، ولا أحد يستطيع أن يتوقع بثقة كيف يمكن أن يتغير النظام كله، إذا تزايدت كثافة ثاني أكسيد الكربون في الجو.

على الرغم من ذلك كله مازالت الأصوات المنادية بالسيطرة على انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون هي الأقوى والأعلى، وقد تحولت إلى حملة خفية على البترول ومنتجاته؛ ولابد كما يقول الدكتور/عبدالله القدهي في مقالة منشورة له: «من تتبع تاريخ ميلاد هذه القضايا التي بدأ التخطيط لها منذ ما يزيد على عقدين، حيث حددت الأهداف ووضعت الاستراتيجيات لتقليص دور البترول وفاعليته في الاقتصاد العالمي، ولاستنفاده بأسعار متدنية، واسترجاع أرصدة وأموال الدول المنتجة له. ولعل ضريبة الكربون التي تزمع الدول الصناعية فرضها على منتجات النفط تشكل إحدى حلقات الضغط هذه».

أما ما يتعلق بظاهرة تآكل طبقة الأوزون كمثال آخر، والمزاعم المنسوبة لمركبات الكلوروفلوروكربون CFCs وهي من عائلة غازات أنتجتها شركة جنرال موتورز، ولهذه

الغازات مزايا رائعة فهي غير سامة وثابتة جداً وليست سريعة الالتهاب، اتخذتها شركة ديبون واستعملتها تحت الاسم التجاري (فريون)، وخطورة هذه الغازات كما يراها البيئيون ليست في تأثيرات الدفيئة فحسب، بل في تآكل طبقة الأوزون، وهي الطبقة الموجودة في الغلاف الجوي للأرض، والتي تمنع وصول الأشعة فوق البنفسجية إلى الأرض، حيث إن هناك آثاراً قوية لهذه الأشعة في الحياة النباتية والحيوانية، فهي تسبب سرطانَ الجلد، وتلفاً في العين، وتقتل المحاصيل، وتتلف الطحالب البحرية.

لقد أدت جهود البيئيين في الحقبة الأخيرة لتحديد إنتاج مركبات الكلوروفلوروكربون، (كما حدث في مؤتمر مونتريال عام 1990م) إلى حظر استعمال هذه المركبات بحلول عام 2000م.



د. عبدالله القدهي

إلا أنه أمام هذه الهجمة المنظمة التي تقودها جماعات حماية البيئة على هذه المركبات لحظر استعمالها، والتي استجابت لها دول العالم الثالث، وهي المتضرر الأكبر من هذا الحظر، خاصة ونحن ندرك أن هذه المركبات تمتد استعمالاتها إلى شتى الصناعات المرتبطة بحياة ملايين البشر، مثل أجهزة التبريد، حيث إن حظر هذه المركبات يعني الاستغناء عن مئات الملايين من وحدات التبريد والثلاجات على نطاق العالم، ثم طرحها نفايات، وسوف يترتب على هذا بالطبع انهيار قدرات العالم على تخزين الطعام، ومن ثَّم زيادة مفاجئة في معدل الوفيات بسبب الجوع والأمراض المتعلقة بنقص الغذاء. ويقدر الخبراء المهتمون بأبحاث الغذاء أن ما بين 20-40 مليون شخص سيموتون سنوياً من جراء حظر مركبات الكلورو فلوروكربون. وتعدّ تكلفة حظر مركبات الكلوروفلوروكربون من الناحية المالية مذهلة وباهظة للغاية، إذ إن أرخص بديل يتوافر حالياً لهذه المركبات يمكن استخدامه في عمليات التبريد تبلغ تكلفته المالية 10-30 ضعف تكلفة مركبات الكلوروفلوروكربون. ويعترف خبراء صناعة الثلاجات سراً وبصورة غير علنية بأن تكلفة حظر مركبات الكلوروفلوروكربون سوف تتراوح ما بين 500 بليون إلى واحد تريليون دولار عام 2000م بالنسبة لصناعة التبريد وحدها، ولا يشكل هذا الرقم زيادة كلفة الطعام التي تسبّبَ فيها زيادة تكلفة التبريد.

إن إحدى النتائج المباشرة لحظر مركبات الكلوروفلوروكربون هي تأثيرها في مجال الصناعات الكيماوية في دول العالم الثالث، وذلك يعود لعدم امتلاك هذه الدول القدرات البحثية التي تتيح لها إمكانية التوصل إلى صنع أبدال لهذه المركبات.

إلا أن التساؤل الأعظم يدور حول مدى عظم قناعات الناس بآثار هذه المركبات في طبقة الأوزون نتيجة للحشد الإعلامي المتواصل لجماعات حماية البيئة، مع ضعف اطلاعهم ـ لأسباب متعددة ـ على حقائق قد تكون مذهلة وتقلب الانطباع السائد، وقد تعكس المواقف القائمة حول هذه المسألة.

لقد حاولت دكسي لي ري رئيسة وكالة الطاقة الذرية الأمريكية سابقاً وحاكم ولاية واشنطن من عام 1977-1981م في كتابها الذي صدر لها ـ مؤخراً ـ تحت عنوان «المبالغة البيئية في القتل» 1993م، أن تبرز المغالطات الكبيرة في ادّعاءات البيئيين، وأن توضح الحقائق العلمية للمواطن العادي وراء ما يُسمَّى بـ«ظاهرة السخونة العالمية وثقب الأوزون وخلافه». وشددت الدكتوره ري على أهمية إدراك النقاط المهمة بالنسبة لحركة البيئيين ومنها: «أن طروحاتهم لا تعتمد على حقائق علمية أو منطلق فكري، كما أن هدفهم هو الوصول إلى نظام عالمي جديد أو حكومة عالمية تحت مظلة الأمم المتحدة باستغلال ما يسمى «البيئة العالمية» أساساً لإلغاء دور الحكومات المستقلة، ومن ثم إعادة هيكلية القوّة العالمية».

وتثير الدكتوره لي الانتباه إلى أن حركة البيئيين لا تفرق بين دَور العلم والعلماء من جهة، ودور الساسة والقياديين من جهة أخرى.

فمن المعروف أن دور العلم والعلماء ينصب فقط على تحديد الحقائق وتجميع الأدلة الثابتة من دون أي توجه مسبق، ومن ثم الوصول إلى النتائج التي تقود إليها تلك الحقائق والنتائج. وأن دور الساسة والقياديين هو تقرير الخطوات التي يجب اتّخاذها بناء على تلك الحقائق. وتحذر الدكتورة ري في كتابها من مغبة سقوط العلم ضحية لمعتقدات أو أهداف مسبقة، كما تتعجب من التزام الكثير من العلماء الصمت أمام ما يرون من تغطرس وتسلط مَنْ يُسمَّون بالخبراء والمتحدثين الرسميين لتلك الحركات، ربما خوفاً من ألسنتهم ودرءاً لشرورهم، خاصة لما لهم من سيطرة إعلامية هائلة وتأثير كبير داخل أروقة السلطة، بما يمكنهم من حجب المنح البحثية وكذلك الترقيات الوظيفية عمن لا يؤيدهم.

ويستعرض كتاب «ثقوب في الرعب الأوزوني» الصادر عام 1992م لمؤلفيه روجيليو ماديرو ورالف شورهامر مجموعةً هائلة من الأدلة العلمية الموثقة عن ظاهرة ثقب الأوزون، وكيف أنها ظاهرة طبيعية تظهر وتختفي سنوياً، ويدحض المزاعم التي تنسبها إلى مركبات الكلوروفلوروكربون التي حُرِّم استخدامها نتيجة بروتوكول مونتريال عام 1990م بعد أن استخدمت الدول الكبرى كل الضغوط على دول العالم الثالث للتوقيع والتزام تنفيذ هذه الاتفاقية التي تُعدّ كارثة عليها، لاستنزافها أموال هذه الدول وإلزامها الاستغناء عن منشآتها الصناعية المنتجة لهذه المركبات، ومن ثم شراء المنتجات البديلة التي احتكرت الدول الكبرى تصنيعها، وبأسعار مجهضة لاقتصاديات الدول النامية.

وينبه مؤلفا الكتاب القارئَ على السيطرة الهائلة للحركات البيئية، ويسلطان الضوء على التعاون الوثيق بين هذه الحركات والشركات الكيماوية العملاقة في حملتها لحظر مركبات الكلوروفلوروكربون. ويسبب الكتاب صدمة كبيرة لقرّائه حين يكشف حجم الثروة الضخمة التي تملكها الجماعات البيئية، وخاصة أن هؤلاء القرّاء يعتقدون أن هذه الجماعات تكونت للمصالح العامة، وأنها لا تقصد الربح في أعمالها، وأنها تقدم تضحيات كبيرة من أجل المحافظة على كوكب الأرض من الكارثة الوشيكة التي سببتها أوجه النشاط البشري، والحق أن الحركة البيئية هي أحد أكثر الأعمال التجارية قوّة وأوفرها ربحاً.

وأمام هذين المثالين ألا يجب أن نقف ونتأمل كيف تحولت القداسة التي أُسبغت على العلوم التجريبية، بحيث جعلت غالبية الناس تسلم تسليماً مطلقاً بكل ما يتوصل إليه العلم، أو ما ينسب إليه، وتتأثر تأثراً بالغاً بكل خبر يحمل مضامين ومظاهر العلم المبني على التجربة والاختبار؟!

إن ما لا يدركه الكثيرون أن العلم «حمال أوجه»، وقد أستعير هذا التعبير القديم لأعبّر عن ضرورة تَبَيُّن وجهات النظر كافة عند التصدي للمسائل العلمية، وأن الإعلام الموجَّه والمنظماتَ القوية قد تستغل بعض الحقائق لتوظيفها في مسائل لا تمت للعلم بصلة، ولتحقيق مآرب قد بيَّنّا أوجهاً منها في الأمثلة السابقة.

ولأننا ندرك أن هذه المسألة ليست موجهة نحونا فقط، بل إنها تُستثمر على

طروحات البيئيين لا تعتمد على حقائق علمية أو منطلقات فكرية ، وهدفهم الوصول إلى نظام عالمي جديد بإلغاء دور الحكومات المستقلة ، وإعادة هيكلة القوة العالمية !

نطاق أوسع، قد تدفع ثمنه وتصطلي بناره أيضًا الشعوب المتقدمة التي تمارسه، سنورد مثالين آخرين:

أحدهما حول اكتشاف الحياة على كوكب المريخ، فقد تناقلت وسائل الإعلام بتاريخ 1996/8/8م خبرًا يقول: اكتشف فريق من علماء وكالة الفضاء والطيران الأمريكية (ناسا) دليلاً على وجود خلية واحدة حية قديمة مصدرها كوكب المريخ على بقايا نيزك سقط على الأرض قبل 13 ألف سنة.. وأن متحجّرًا واحدًا صغيرًا وجد على بقايا نيزك أشار بوضوح إلى وجود شكل من أشكال الحياة البدائية على المريخ قبل بلايين السنين.. كان هذا الشهاب قد انطلق من المريخ بفعل اصطدام كوكب صغير على سطحه قبل 16 مليون سنة.

يقول الدكتور عبدالله القدهي في مقالة له حول مسألة اكتشاف وجود الحياة على كوكب المريخ: «لم توجد دلائل علمية حتى الآن على وجود مخلوقات أخرى في كواكب أخرى، ويظهر أن وكالة الفضاء (ناسا) والحكومة الأمريكية وبعض الجهات الأخرى تريد الاستمرار في الإنفاق على مثل هذه البرامج (الاستكشافية) لأغراض متعددة. فكيف يمكن إقناع عامة الناس ليؤيدوا هذه الجهود في وقت تقلصت فيه الميزانية وشح الصرف على البرامج الاجتماعية المهمة كالتعليم والطب والرعاية الاجتماعية؟ لعلنا رأينا كيف تسلسلت الأحداث فيما بعد الإعلان عن «اكتشاف وجود حياة على المريخ» بأسبوع، تم عقد المؤتمرات، والتحضير لعقد ندوات، وإعداد برامج طموحة تكلف ملايين أو بلايين الدولارات.

إنهم يعلمون - أو معظم العلماء يعلمون - أن جو المريخ لا يصلح للحياة كما نعرفها، كما أن عينات التربة التي أحضرت من المريخ أثبتت بالدليل القاطع عدم وجود حياة على سطحه، وهم، على ذلك، يخططون للقيام بأبحاث لدراسة الكوكب وإحضار عينات أخرى.

ولعل الرهان هنا أنه ما من أحد ما سيتذكر في المستقبل هذه الأحلام والوعود، فلقد ذُكرت في السابق عدة مرات، ثم أسدل عليها ستار النسيان، فالغاية هنا في الاستمرار في الإنفاق على هذه البرامج، والوسيلة لا ضرر في أن تكون أي أوهام أو أنصاف حقائق، لذا يظهر أنهم سيرحبون بأي شكل من أشكال التأييد لمخططاتهم ومشروعاتهم تلك».

أما دو واين ويكهام فقد كتب في U.S.Today و«الشرق الأوسط» عن دعوة كلينتون لعقد مؤتمر فضائي: «إن الفضول الغريزي عن احتمال وجود حياة على كواكب أخرى، والإثارة التي ترافق هذا الاكتشاف ستقود بالتأكيد إلى الحصول على دعم شعبي واسع دون تمحيص لغرض تكاليف هذه الرحلة والبرامج.

إن الاجتماع المقترح سيتمخض - بكل تأكيد - عن اتّخاذ قرار بإنفاق المزيد لاستكشاف المريخ، ولكن يجب ألا تَعمَى بصيرتنا عن واقع الحال، فالميزانية الفيدرالية الآن في عجز كبير، وهناك تقلص في الإنفاق الحكومي الداخلي في مجال التعليم ورعاية الطفل ومعونات الفقراء، إنه لا يمكن للبلاد أن تنفق المليارات في البحث عن حياة على المريخ مقابل كل تلك الأضرار والآلام التي ستنجم عن تقليص الإنفاق في المجالات الاجتماعية، إن هذا النوع من الأبحاث هو نوع من البذخ والإسراف، وبدلاً من الإسراع إلى عقد مؤتمر فضائي في البيت الأبيض، كان يتعين على إدارة كلينتون أن تتريث حتى تخرج وكالة (ناسا) بدليل أفضل يؤكد أنه كان ذات يوم - أو توجد الآن - حياة في المريخ، وفي حين أنه ليس من المرجح أن تنزل مخلوقات فضائية في فناء البيت الأبيض في القريب العاجل، فإن الأرجح وقوعًا هو تسرعنا في التوصل إلى قرار متعجل سيئ بدعوى تسريع البحث الفضائي، فيما نسرع في تحطيم حياة ملايين الأمريكيين بسبب الفاقة والبؤس».

وقد يكون لنا في مثال آخر ينحو بنا جانبًا مختلفًا عمّا مرّ بنا بعض الشيء، إلا أنه يصب في سياق توظيف بعض الحقائق العلمية لمآرب أخرى: إن مسألة مثل مسألة «الأبقار المجنونة» التي أثارت الفزع في العام الماضي حول إمكان انتقال مرض جنون البقر من الحيوان إلى الإنسان الذي يتغذى على لحومها.. إن هذه القضية بقدر ما ترتبط بأبعادها العلمية التي تعزو انتقال هذا المرض إلى تحوّل الأبقار إلى آكلات لحوم، وبقدر قناعاتنا بهذا الاستنتاج العلمي، إلا أن مثل هذه المسألة قد تُوَظَّف لخدمة اتجاهات وأهداف ليست مرتبطة بالعلم حتمًا.

إن بعضهم يذهب إلى أن ما حصل حول هذه المسألة لا يعدو أن يكون حلقة جديدة ومثيرة من صراع أكثر حدة بدت معالمه بوضوح سنة 1982م، ولم تكن بريطانيا إلا طرفًا ثانويًا في هذا الصراع، أما بطلاه الحقيقيان فهما فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، وما يحدث اليوم في بريطانيا هو حلقة في هذا الصراع وضربة قاسية يتلقاها أحدهما يغتبط بها الآخر.

ويشير الأستاذ محمد الحداد في مقاله المنشور بجريدة الحياة بعنوان «الأبقار المجنونة: وجه آخر للنظام العالمي الجديد» إلى أن سياسة إغراق السوق بالمنتجات الزراعية التي تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية حتى تصبح قواعد اللعبة الاقتصادية المرتبطة باتفاقية «الجات» في يدها، أدت إلى تدعيم آلة الإنتاج المجنونة، واستعمال كل التقنيات الصناعية في المجال الزراعي، لتصبح الأبقار - مثلاً - من آكلات اللحوم كما علمنا مؤخرًا، ولم تكن بريطانيا إلا حلقة صغيرة في هذا الصراع، لأن إنتاجها متواضع. وقد حظيت منذ 1976م بمعاملات أوربية خاصة، لكن حظها السيئ جعلها اليوم الضحية الأولى لهذا الصراع. حيث دفعت ثمن موالاتها للولايات المتحدة على حساب شريكاتها في المجموعة الأوربية، لذلك فإن المنتصر فرنسا التي ثأرت لهزيمتها في أثناء مفاوضات «الجات».

الأموال التي تنفق على بحوث اكتشاف الحياة على كوكب المريخ، أدت إلى عجز شديد في الميزانية الأمريكية، وتقليص الإنفاق على برامج التعليم والرعاية الطبية!

إن كل ما يدور حول هذه القضية الآن يربط إشكاليتها بمنطقة إنتاج محدودة هي بريطانيا، فيما يظهر أن هذه التقنيات المستخدمة في أعلاف الأبقار تتجاوزها لتضع الغرب كله أمام مسؤولية سياسته الزراعية الإنتاجية التي أصبحت لا تؤمن بشيء أكبر من مسألة حجم الإنتاج والتحكم فيه، بما في ذلك استخدام وسائل أعلاف يكون الإنسان المتضرر الأكبر منها.

إن ذلك كله لا يظهر عند معالجة هذه المسألة، وكل ما يبدو لنا من معطياتها العلمية هي الجزئية المرتبطة بواقعة اكتشاف هذا المرض، ومحاولة فرض حصار على بضعة آلاف من تلك الأبقار.

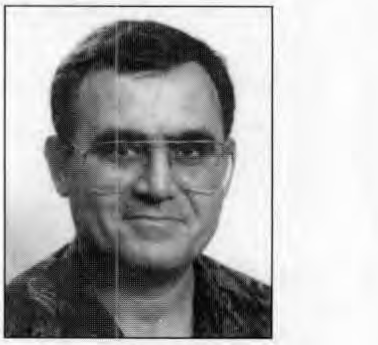
إن تلك المعطيات كلها لم تكن سوى محاولة لتأكيد أن القداسة التي حظي بها العلم في الغرب لا تعني التسليم بكل ما يصل إلينا منه. لا جدال في أن العلم حقق قفزات هائلة، وأنه في معظمه مبني على أساس سليم من التجربة والتحقيق والاستنتاج، ولكن يجب ألا يغيب عنّا أنه بدأت تظهر حالات خاصة يُستخدم فيها العلم ستارًا ليحقق مآرب معينة، وخاصة ونحن أحوج - ونحن نتعرض يوميًا لقضايا علمية تثير إشكالات تمس حياة الناس ومستقبلهم - إلى أن نتبين أن القداسة العلمية التي ينظر من خلالها بعضهم إنما قد تكون أنصاف حقائق، ونحن في أمس الحاجة للبحث عن النصف الآخر لتبدو لنا الحقيقة جلية واضحة.

قراءة نقدية

الغذامي وتثوير اللغة

قراءة في كتاب "المرأة واللغة"

1



د. بشير العيسوي

أمامي كتابان يمثلان توجهًا عربيًا متميزًا نحو إعادة تشكيل الفكر العربيّ المعاصر والتأطير له على أسس علمية، وقواعد يحكمها المنطق والعقل. الأول هو كتاب «مقدمة في علم الاستغراب» (1992م) للأستاذ الدكتور حسن حنفي(1)، حيث يتعامل مؤلفه مع الغرب من الزاوية نفسها التي تعامل منها الغرب مع شرقنا العربي. والكتاب ضخم حافل تصل صفحاته إلى ستمئة وثلاثين صفحة من القطع الكبير.

ومن بين (الاستراتيجيات) التي يتبناها الدكتور حسن حنفي لمهام علم الاستغراب: «فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر، والقضاء على مركّب العظمة لدى الآخر الغربي بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس، والقضاء على مركّب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس. مهمته القضاء على الإحساس بالنقص أمام الغرب، لغة وثقافة وعلمًا، مذاهب وآراء ونظريات، مما يخلق فيهم إحساسًا بالدونية»(2). وثمة استراتيجية أخرى هي: «إنهاء أسطورة كون الغرب ممثلاً للإنسانية جمعاء وأوربا مركز الثقل فيه»(3).

أما الكتاب الثاني فهو «المرأة واللغة» (1996م) للأستاذ الدكتور عبدالله الغذّامي(4). وهو صغير إذا ما قوبل بحجم كتاب حنفي، حيث تصل صفحاته إلى مئتين وأربعين صفحة من القطع المتوسط، ولكن الحجم ليس أساسًا للمقابلة، إنما الموضوع هو الأساس.

يُصنَّفُ «مقدمة في علم الاستغراب» محاولةً جادَّةً لإعادة النظر في أحوالنا الثقافية، واستحضار الغرب بين دفتي كتاب، ثم إعادة تقويمه، والانطلاق من هنا إلى نظرة جديدة إلى حياتنا الثقافية. وبذا يكون ممكنًا إيجاد فكر عربي يستقل عن الغرب، وليس حتمًا أن يدور في فلكه، أو ينبع منه، أو يكون تابعًا له. أما كتاب الغذّامي «المرأة واللغة» فيمكن تصنيفه ضمن المحاولات الجادة التي تحاول البحث عن دور المرأة في لغتنا العربية: أهي مجرد ملهمة للرجل؟ أهي مجرد بادئ الإشعال لبنات أفكاره، ومن ثم يتوقف دورها عند ذلك ويقتصر على «الحكي» في أحسن الأحوال؟ أم إن المرأة العربية - وقد حققت كثيرًا من الانتصارات في العلوم والتربية والثقافة، وحظيت بالوظائف الكبيرة منها والصغيرة، حتى أصبح لدينا وزيرات عربيات يطمح بعضهن إلى رئاسة وزارة بلادهن - عليها أن تسهم في لغتنا بقدر أكبر حتى تصطبغ بأنثوية العربية، ومن ثم تكسر حدة التحكم الذكوري في توجيه اللغة العربية؟

محاولتا الغذّامي وحنفي لا تتعديان دفتي الكتاب، والرجلان لا يعلنان عن نتائج واعدة، ولا يفرحان كثيرًا بما توصلا إليه على صفحات كتابيهما، لأنهما لو فعلا ذلك لقيل إن الغرور أصابهما، ومن ثم أُخرجا من دائرة البحث العلمي الجاد، ذلك أن الإحساس بالذات يفسد أصول البحث. وإذا كان حنفي يحاول تثوير الفكر العربي الراكد حول نظرية «تَسَيُّد الفكر الغربي» لجميع أنماط الفكر في العالم، فإن الغذامي يحاول جادًا تثوير اللغة العربية حتى تضم بين دفتيها لغة المرأة: بلفظها ومدلولها، ولا يكفي أن تكون الكاتبة امرأة. ولنر كيف يتناول الغذامي هذه القضية الشائكة؟

بداية نقسم تناولنا لكتاب الغذامي قسمين:

أولاً: «المرأة واللغة» شكلاً

أ - يتكون الكتاب من ثمانية فصول تكاد تتساوى في عدد صفحاتها، وينتهي بثبت للمراجع الإنجليزية والعربية وليس له خاتمة. الكتاب من الحجم المتوسط 14سم X 21سم.

ب - على الرغم من امتلاء صفحات الكتاب بالمراجع القيمة؛ إلا أنه لا يورد تواريخ ميلاد أو وفاة الأعلام، ونرى ذلك في الصفحات: 7، 9 (مرتين)، 10، 11، 13، 16، 17، 18 (مرتين)، 19، 20 (مرتين)، 21، 23 (مرتين)، 24 (أربع مرات)، 27، 28، 29، 30 (مرتين)، 31، 32، 33، 34، 35، 38، 39، 41، 42، 43، 44 (مرتين)، 45، 46، 47، 48، 49 (مرتين)، 50، 51، 52، 53 و45.



غلاف الكتاب

جـ - الهوامش الإنجليزية في ذيل صفحات الكتاب ليس فيها أي من القواعد المتبعة للتوثيق. وقد فات الأستاذ المراجع والمدقق أن يسترعي نظر المؤلف إلى هذا الخطأ الذي يتكرر أيضًا في ثبت المراجع الإنجليزية. فمثلاً، في الصفحة 18 نرى هذا الهامش:

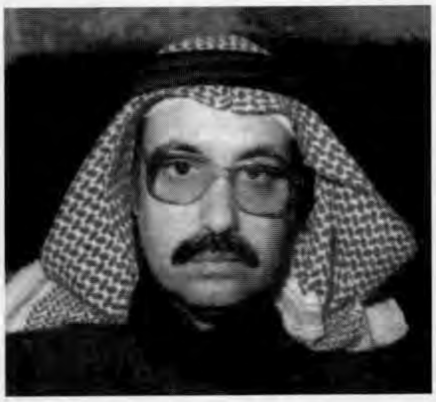
انظر:

Marilyn French: The War Against Women p 163 Ballantine, books, NewYork, 1992.

وصحته:

Marilyn French, *The War Against Women* (New York : Ballantine Books, 1992), p. 163.

والمفروض أن يكون عنوان الكتاب إما بخطوط مائلة Italics أو بوضع خط تحته كما في صحة المثال الذي معنا. وكلا الأمرين متيسر جداً مع وجود الحاسوب (الكمبيوتر) واستخداماته المختلفة(5). ويتكرر هذا الخطأ في جميع الهوامش الإنجليزية التي تأتي في ذيل الصفحات في الكتاب كله، ومنها: 9، 13، 23 (ثلاثة هوامش)، 29، 30، 31، 33، 36، 38، 42، 44 (هامشان)، 45



د. عبدالله الغذامي

(هامشان)، 47، 48، 51، 52، 53 (هامشان)، 58، 64، 75، 80، 123، 125، 136، 137، 138، 139، 168 (هامشان)، 169 (ثلاثة هوامش)، 171 (هامشان)، 172 (هامشان)، 173، 182، 189 و229.

د - لا يوجد نظام موحد للهوامش. ففي حين تستخدم معظم صفحات الكتاب نظام الهوامش التي في ذيل الصفحة، إلا أن بعضها تأتي هوامشه في نص الكتاب نفسه. بمعنى أن المؤلف يضع رقم الصفحة إلى جوار المقتطف الذي يستند إليه بين قوسين. وهذا مما يشتت القارئ ولا يعطي انطباعًا بالتزام قواعد البحث العلمي. فكان على الكاتب التزام نظام واحد في هوامشه، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها الصفحات: 24 (هامشان)، 25، 38، 40، 60، 61، 86، 87 (ثلاثة هوامش)، 88 (هامشان)، 89 (خمسة هوامش)، 90 (هامشان)، 91 (هامشان)، 96 (هامشان)، 97، 101 (هامشان)، 103 (ثلاثة هوامش)، 107 (ثلاثة هوامش)، 160 (هامشان)، 172، 173 (هامشان)، 174، 175، 176، 177، 181، 185(أربعة هوامش)، 186، 187 (ثلاثة هوامش)، 188 (أربعة هوامش)، 189 (هامشان)، 193 (ثلاثة هوامش)، 194 (أربعة هوامش)، 195 (أربعة هوامش)، 196 (هامشان) 197، 198، 199، 200 (أربعة هوامش)، 201، 202، 204 (خمسة هوامش)، 223، 224، 226، 230 (ثلاثة هوامش)، 231 (هامشان) و233.

هـ - الصفحات من 85 إلى 92 تستخدم نظامًا موحدًا للهوامش، وهو كتابة أرقام الصفحات إلى جوار المقتطف بين قوسين في جسم النص. ثم يعود المؤلف من صفحة 93 وما بعدها إلى تبني النظامين: الهامش في ذيل الصفحة، وكذا الهامش في جسم النص بين قوسين.

ثانيًا: «المرأة واللغة» موضوعًا

يتفق كل من الدكتور حسن حنفي والدكتور عبدالله الغذّامي في أسلوب تناول القضيتين اللتين يعالجانهما في الكتابين كلاً على حده. فكما أسلفنا في مقدمة هذه الدراسة، فإن حنفي يحول الغرب من «ذات دارس إلى موضوع مدروس». والغذّامي يتبنى الأسلوب نفسه عند تحليله لعمل أحلام مستغانمي، حيث يقول: «وفي لعبة اللغة بين الأنثى والفحل نجد المرأة وقد وضعت الرجل على ورقة بيضاء، وعلقته بين قوسين في جملتين، إحداهما في مطلع النص، والأخرى في الختام، ونجدها وقد جعلته كائنًا ورقيًا، رجلاً من ورق. لقد اصطادته بمجازها وكتبته داخل هذا البياض لتجعله «حرفًا» أسود على ورقة بيضاء»(6).

والغذّامي في تحليله السابق لرواية مستغانمي يفطن إلى حرص البطلين على اللغة العربية وأهميتها في التكوين الثقافي العربي، حيث «طفق بطلا النص يكتشفان اللغة العربية، يعودان إليها ويدخلان في سحرها حيث تكون اللغة، لتكون هي الأنثى وهي الذاكرة وهي الأم وهي الوطن، وتكون العربية رمزًا وقوّة ونضالاً من أجل الحرية وسلخ المستعمر. والهروب عن اللغة هو هروب من الذاكرة ومن الذات...»(7).

ويحدد الغذّامي استراتيجيتين لتناوله قضية تأنيث اللغة، هما أن ذاكرة اللغة هي «ذاكرة فحُولة»(8)، ومن ثم يجب تناولها من هذه الناحية والانطلاق إلى محاولات التأنيث منها. أما الاستراتيجية الثانية فهي تتعلق بمحاولات نبش ذاكرة اللغة التي هي ذاكرة فحولة.

فإن صراعًا ينشأ دومًا بين الأنثى وتلك الذاكرة تكون المرأة فيه منتصرة حينًا ومنهزمة حينًا آخر «إلى درجة أننا نجد نساء لا يكتبن سوى نصوص ذكورية ذات وجه مذكر وضمير مذكر، وليس للمرأة سوى اسم مؤنث يتوج الخطاب الذكوري»(9).

في أحد المداخل إلى تناول قضيته يطرح الغذّامي اسم جورج إليوت(10) كواحدة ممن تمكّن من الدخول إلى عالم الكتابة، الذي هو - كما يقرر - عالم الفحول، عالم الذكورية، لذا تتخذ اسم رجل بدلاً من إعلان إسمها. وفي الحقيقة أن هذه المعلومة ينقصها إضافة. ذلك أن ماري آن إيفانس التي

عُرفت باسم جورج إليوت (1819-1881م) عاشت في جو بريطاني محافظ، وبيئة دينية ملتزمة، إلى أن أتت إلى كوفنتري عام 1841م مع أبيها، وعندها هبت رياح التغيير على ماري آن إيفانس التي أصبحت محررة لمجلة ويستمنستر، وكان لها قراؤها ومحبّوها من عامة المثقفين والمفكرين في بريطانيا وغيرها.

كانت رياح التغيير عاتية، وتراجعت ماري آن عن المعتقد النصراني، وأخذت تعيد النظر في كل ما تعلمت، وعاشت في علاقة مفتوحة مع رجل متزوج هو جورج هنري لويس(11). وذلك في حد ذاته أكبر جرم، في ذلك الوقت، ترتكبه امرأة نصرانية أو رجل نصراني. بعدها ساءت سمعتها، واضطرت إلى أن تتخذ اسم رجل حتى يقبلها الناس، وحتى تهرب من أهلها، ولا يعرفوا أين تعيش. لذا لم تكن الكتابة فقط هي الدافع الوحيد لأن تتخذ ماري آن إيفانس اسم رجل. وبذا يكون الدكتور الغذّامي قد أسس مدخله إلى تأنيث اللغة على حجة مجروحة. إلا أنه يكرر الشيء نفسه عند تناوله مهرجان القيس قائلاً: «ومازالت الثقافة تؤكد أن الرجل استطاع على مر الزمن إحكام سيطرته على اللغة، وذلك بتذكيرها وتذكير مستخدميها، ولذا فإن المرأة لكي تكتب وتمارس اللغة لابد أن تكون رجلاً. وهذا بالضبط ما فعلته النساء في مهرجان القيس، وهو ما فعلته جورج إليوت وجورج صاند، حيث توسلتا بأسماء الرجال لكي تدخلا إلى عالم اللغة والكتابة»(12).

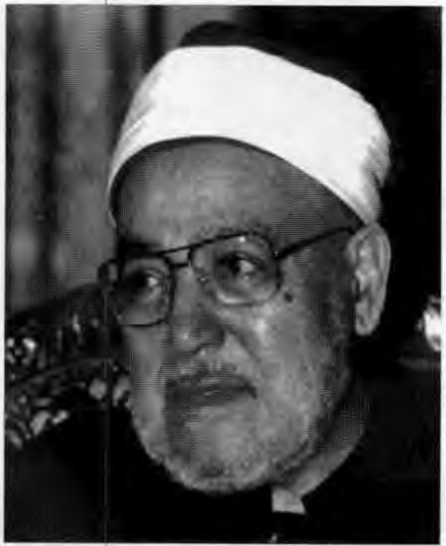
وضمن أسئلة البدايات يستغرب الدكتور الغذّامي غياب النص المكتوب(13) في مهرجان القيس(14). وهذا الاستغراب لا محل له. فمهرجان القيس يدخل ضمن (الفلكلور)؛ ومن الخصائص الرئيسة للفلكلور أن مؤلفه مجهول، فهو يظل يُتداول مشافهة حتى يأتي من يسجله ويدوّنه. ولكنه لا يُنسب إلى المسجِّل أو المدوِّن. وعلى أن الغذّامي يعطي مهرجان القيس كثيراً من الاهتمام حتى إنه يخصص له عنوانًا جانبيًا «تخييل الواقع/ توقيع الخيال»(15)، إلا أنه غير راض عما وصلت إليه المرأة في ذلك المهرجان. فهو يقول: «غير أن المجاز ظل مجازاً ذكوريًا، ولكي تبدع المرأة لابد أن تكون رجلاً. مما يعني أن النص الحقيقي هو النص الذكوري، ويعني أيضًا أن حياة المرأة لا تنطوي على رصيد إبداعي»(16).

هذا الاستنتاج يوحي بكثير من اليأس والإحباط من محاولة التغيير، والتي يؤطرها الغذامي في سعي إلى تأنيث ذاكرة اللغة. وبداية يتخذ من تأنيث اللغة على يد المرأة مدخلاً له. وتظل وقفات الانبهار بتأنيث النص - كما سنرى - قائمة، ويعقبها في كل مرة حالة من اليأس والإحباط من محاولة التغيير.

إلا أن الغذّامي يحمِّل الأمور أكثر من طاقتها حينما يؤكد أن مفتاح دخول المرأة إلى عالم الكتابة هو الاقتداء بالرجل. وهذا ما يجعل المرأة التي تحاول ذلك كمن يدور في حلقة مفرغة لا أول لها ولا آخر. وهو يدلل بحالة غادة السمان التي تعاملت مع النص الأنثوي الجديد «بالتعالي على الأنوثة والهروب من الجسد المؤنث، لتضع مكانه صورة سيدة المجتمع، تلك المرأة المرمرية ذات الجسد الذي لا ينتفخ»(17).

إن هذا المدخل مغلوط؛ وإلا فما قول الغذّامي في كليوباترا في مسرحية «أنتوني وكليوباترا» لشكسبير؟ لقد سعت كليوباترا، وهي ملكة مصر، إلى أن تكون أنثى فقط. وعلى الرغم من الواجهة الاجتماعية التي لا مثيل لها - ملكة - فإنها وجدت أن أمضى سلاح هو أن تكون أنثى في وجه أنطونيو. كان بإمكانها أن تدخل معه معركة بالسلاح الحقيقي من سيف ورمح في ذلك الوقت، إلا أن العودة إلى أنوثتها كانت سلاحًا أكثر فتكًا وأكثرة حدة وإنجازاً من سلاح جنودها وجيوشها. وهذا ما جعل شكسبير نفسه يتخذ موقفًا خاصًا منها ومن المرأة المصرية وقتها؛ فوصفها بألفاظ: الداعرة والعاهرة وفتاة الليل، لأنها ببساطة شديدة وظفت أنوثتها في وجه الروماني أنطونيو(18). إذن فالتعالي على الأنوثة ليس مدخلاً موفقًا للحصول على نص أنثوي يقف إلى جانب النص الذكوري أو يحاول الصراع معه في معركة من أجل البقاء.

ويترفق الغذّامي بالنساء، ويحاول البحث في رقّة بالغة عن أسباب عدم قبول النص النسائي أو الكتابة المؤنثة، ويورد تلك الأسباب تحت مسمى: وسائل الضغط التي واجهتها المرأة الكاتبة، والتي منها: «اتهامها بأن رجالاً يكتبون لها - تزهيدها في الكتابة وتخويفها منها - تعريضها لليأس من شباة القلم - إيصالها إلى حافة الجنون كما حدث لباحثة البادية ومي زيادة - اتهامها بالتطفل على الكتابة، وأن العلم والثقافة ليسا للمرأة، وأن كتابتها دلع»(19). قيل هذا عن تجارب نساء لهن وزنهن في



الشيخ محمد الغزالي

الثقافة العربية أمثال باحثة البادية (ملك حفني ناصف) وميّ زيادة، فماذا يكون الحال لو تناولنا كتابات كثيرات من النساء في أيامنا هذه؟ في رأيي أن كتابات كثير منهن سوف تُصنَّف تحت البند الأخير - من المقتطف الأخير - ولن ترقى إلى غير ذلك. وهاكم العقاد يحكم على ميّ زيادة، ويؤيد ذلك الحكم الغذّامي نفسه الذي يعيد صياغته بكلماته هو: «إنها صالون أنيق وليست قلمًا كاتبًا، وهي جسد جميل وليست عقلاً جادًا. والكلام عن أدبها مازال ضربًا من التغزل والتعشق مثلما هو الحديث عن جسدها. وكل قول عن المرأة يتحول - أخيرًا - إلى جسدها، ويكون النقد والفكر غزلاً وتشبيبًا إذا ما كان موضوع الحديث هو كتابة المرأة»(20). فهل حاد العقاد عن الحق عندما لم يضع ميّ زيادة في أي مكان من الثقافة على تجمله وتلطفه معها؟

ويصادق الغذّامي على عبثية النص الأنثوي مصادقة نهائية، حين يقول في موضع آخر: «كانوا - أي رواد صالون ميّ - يعشقون الجسد الفضي الجميل، واتخذوا ميّ وصالونها وسيلة إلى ذلك الجسد، وتملقوا عقلها وثقافتها محاباة واستهتاراً بها، وكان الغرض والغاية غير العقل وغير الثقافة»(21). وعلى أن هذا الحكم يشير إلى عبثية النص الأنثوي على يدي ميّ زيادة، إلا أننا نقدر للغذّامي تعاطفه مع الكاتبات العربيات، ومحاولة إنصافهن من كل من يتملقهن أو يحاول التقليل من إنتاجهن نثرًا كان أو شعرًا. ونحن نفهم سبب

قراءة في كتاب «المرأة واللغة»

1



شكسبير

سخط الغذّامي على العقاد وصبري والرافعي وشكري وغيرهم من روّاد صالون ميّ. ربما لو أن توجههم في الحكم عليها، وخصوصًا توجه العقاد، كان أكثر موضوعية لكانت صورة ميّ زيادة ككاتبة أنثى أفضل مما هي عليه، ولكانت بداية طيبة لدخول المرأة العربية - في القرن العشرين - عالم الكتابة مرة أخرى. ومن ثم تظل محاولات النص النسائي - وأنا هنا أتفق مع الغذّامي - في حاجة إلى لغة الفحل الذكورية حتى يُكتب لها النجاح.

بعد عشرين صفحة من كتابه، يصل الغذّامي إلى خلاصة أخيرة حول طرحه العلاقة بين المرأة واللغة فيقول: «التذكير - إذن - هو الأصل، ولن يكون التذكير أصلاً إلا إذا صار التأنيث فرعًا»(22). ومن هنا نسأل: لماذا استمر في عناء البحث حتى نهاية الكتاب؟ ولماذا تكبد مشقة الغوص في موضوع شائك كهذا؟ إنها روح الباحث المجتهد التي لا تفارق أستاذًا فاضلاً متميزًا مثل الدكتور الغذّامي. وإن أصابه كلل أو ملل فليسترح هنيهة في ردهة هنا أو هناك، ويستأنف بعدها ركوب صهوة جواده عله يظفر بأجر المجتهد.

وإذا كان ثمة اتفاق على أن الأصل في العربية هو التذكير، وهذا مما يجعل النص الأنثوي صعب التحقيق، فإن ما تسميه الدكتوره عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) «الوأد العاطفي والاجتماعي» يشارك أيضًا في تجذير تلك المشكلة وتعميقها. والوأد الذي تعيشه المرأة العربية سبقته مرحلة مزدهرة كانت المرأة فيها صاحبة كلمة، وكانت أستاذة للرجال. كانت المرأة العربية في حقبة مضت ذات ثقافة عالية، وذات علم وفير، لكن عصور الاضمحلال والتخلف التي أعقبت ذلك جعلت دور المرأة الثقافي ينزوي جانبًا، وقصرت دور المرأة على عمل البيت وخدمة الرجل.

ولقد سعدت كثيرًا حينما قرأت للشيخ محمد الغزالي (1917-1996م) في كتابه «تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل» (1991م)، أن هناك العشرات من راويات الحديث ومدوّناته اللاتي تتلمذ عليهن العشرات من ثقات الرواة، وعلماء الحديث من الرجال في القرن السادس الهجري. ويعدد الغزالي منهن تسعة أسماء: «شهدة بنت الإبري الكاتبة، وممن سمع منها أبو سعد السمعاني، وروى عنها الحافظ أبو القاسم بن عساكر، وهو المؤرخ المشهور، والموفق بن قدامة الفقيه الحنبلي الثقة، كما حدّث أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي أنها من شيوخه!! وابن الجوزي من أرسخ الوعاظ قدمًا، وهو مؤرخ ومفسّر ومحدّث له مكانة سامقة»(23).

ومن بين الراويات المدّونات الأخريات: شمس الضحى (ت:588هـ)، وقد صحبت الشيخ أبا النجيب السُهرَوَردي، وضوء الصباح بنت المبارك البغدادية المدعوة بخاصة العلماء، وتزوجها الشيخ أبو النجيب السُهرَوَردي، وروى السنة عنها أبو سعد السمعاني. ثم بلقيس بنت سليمان بن أحمد بن الوزير نظام الملك (517-592هـ) وحدّث عنها يوسف بن خليل وغيره. ثم أم الحياء حفصة (ت:608هـ) وهي راوية موثقة دارسة، قال المنذري عنها: ولنا منها إجازة. ثم أم حبيبة الأصبهانية عائشة بنت الحافظ معمر بن الفاخر القرشية العبشمية، قال عنها المنذري: «حدثت الناس ولنا منها إجازة». ثم زينب بنت الشعرى وتدعى حرّة (524-615هـ) قال عنها ابن خلكان «لنا منها إجازة». وبعدها عاتكة بنت أبي العلاء (ت:609) وتتلمذ عليها محب الدين النجار. «ونختتم بتاريخ فاطمة بنت سعد الخير الأنصاري الأندلسي التي ولدت بالصين سنة 522هـ وتوفيت بالقاهرة سنة 600هـ، تلقت العلم عن والدها، وعن غيره من المحدثين الكبار ببغداد، ثم قامت بالتدريس في القاهرة ودمشق، وسمع منها جماعة من الشيوخ، منهم شيوخ المنذري الحافظ الضخم، الذي يقول عنها: سمع منها شيوخنا ورفقاؤنا ولنا منها إجازة»(24). إن هذه الصفحات المشرقة من تاريخ المرأة العربية أُريد لها أن تُطْمَرَ وأن تُدفن مع صاحباتها حتى تظل المرأة حبيسة اهتمامات أقل بكثير من تعليم الرجال. ولذا فنحن نتفق مع بنت الشاطئ، ومن ثم مع الغذّامي، على أن المرأة العربية عانت الوأد العاطفي والاجتماعي. والبحث في أسباب ذلك ذو شجون وهذا ليس محله.

وعلى أية حال فإن الغذّامي يدرك أن حال المرأة العربية أفضل بكثير من حال المرأة في الغرب. وهذا يُذكر له لأن الكثيرين ممن يدخلون في موازنات من هذا النوع ينجرفون تحت سحر التغريب الذي تناوله الدكتور حسن حنفي في كتابه المذكور في بداية دراستنا هذه. يقول الغذّامي: «إن الحالة العربية حالة فصاحة فحسب، أما الحالة الغربية فهي حالة إلغاء تام من جهة وإدماج تام من جهة ثانية. وفيها يكون التذكير في المضمر والمعلن معًا»(25). ذلك أن المرأة في الغرب حين تصبح زوجة - وهو أول دخولها إلى عالم الفصاحة/ الذكورة تفقد اسمها وتُلحق باسم زوجها وعائلته «لكي تكون جزءًا من ممتلكاته المسجلة باسمه والمتحركة تحت مظلته»(26).

الهوامش:

1- بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
2-3- د. حسن حنفي، «مقدمة في علم الاستغراب»، ص24، 33.
4- الدار البيضاء/بيروت: المركز الثقافي العربي.
5- في هذا الصدد يمكن الرجوع إلى كتابين أساسيين في كتابة البحث والأوراق العلمية، وهما:
- Joseph Gibaldi and Walter S. Achtert, *MLA Handbook for Writers of Research Papers, Theses, and Dissertations*. New York: *Modern Language* Association, 1980.
- Cleanth Brooks and Robert Penn Warren, Modern Rhetoric, 4 th edn. New York: Harcourt Brace Jovanovich, Inc., 1979.
6-10- د. عبدالله الغَذّامي، «المرأة واللغة»، الصفحات 197، 194، 202، 203، 24.
11- George Eliot, Adam Bede (Penguin Books, 1980) pp. 13-16.
12-13- الغَذّامي، السابق، ص124، 121.
14- وهو مهرجان كان نساء مكة يقمنه عند خروج الرجال إلى الحج يوم التروية. تلبس فيه كل واحدة ملابس رجل معين: حارس، شرطي، خباز...، وكأنهن في حفل تنكري ، ويخرجن إلى الحواري، حيث تخلو من الرجال (الغَذّامي: 115-116).
15-17- الغَذّامي، السابق، ص ص115-121، 121، 17.
18- G. Blakemore Evans, ed., *The Riverside Shakespeare and Cleopatra 1. iv, 2. i-v* (Boston: Houghton Mifflin Company, 1974), pp. 1352-1360.
19-22- الغَذّامي، السابق، ص142، 149، 155، 21.
23- محمد الغزالي، «تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل»، (القاهرة: دار الشروق، ط.1، 1991م)، ص ص159-160.
24- السابق، ص ص158-168.
25-26- الغَذّامي، السابق، ص22.

السّيّدُ الإدريسي يمدحُ الملكَ عبدَالعزيز ويُكاتبُهُ 1340هـ



د. عبدالله أبو داهش

وطّأ السيد محمد بن علي بن محمد الإدريسي (1293-1341 هـ) لإحدى قصائده في مدح الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (1297-1373هـ) بقوله: «.. وفوق ذلك لأني أحبك في الله عزّ وجل، ختم الله لنا ولكم بالحسنى، وأحسن المنقلب في العقبى... وقد شفعنا هذا النثر بهذه المنظومة مادحًا بها جنابكم المعظم، ومشيرة إلى ما تقدم، وليس الباعث على ذلك، إلاّ المحبة والوداد، إرضاء لمالك العباد»(1)، ثم ابتدر الإدريسي نظمه بقوله مُنشدًا:

حبّذا جيرة كرامٌ بنجد
سكنوا في ظلاله ورماله
ليتهم عرّجوا بي يوم بانوا
هاجري ليس لي عن مثاله
فاسمحوا لي لو في البعاد بطيف
للعميد المعنّى في خياله
ياسميري شُدَّ المطيَّ وهيّا
للمصلّى ذات النقاء وضاله
صادح البان في الربى قد تغنّى
عن معنّى يهوى ربى أطلاله
باقتفاء الرسول حقًا قفيتم
بالهدى ناصحين مَنْ في ضلاله
وبتوحيد ربّنا قد أبنتم
في سناء الكتاب من أمثاله
حبّذا حبّذا الداعي أني
شائق عاكف لنهج مقاله
دعوة الحق قد أتانا شذاها
عبق الكون تائهًا في جلاله
أنبأتنا بحال ذاك المطلسم
هل لنا عن هجره بوصاله
فبذا كان صحب الرسول قديمًا
زمرة التابعين هم من رجاله
ليس لي عن ودكم بسُلُوٍّ
فأميطوا الحجاب عني لخاله
فمناتي أنتم ولاة ودادي
ودوائي عن علتي بوصاله(2)

لقد أتت هذه القصيدة معبّرة عن موقف السيد محمد بن علي الإدريسي من شيوع الاتجاه السلفي في تهامة عند أواخر العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري، فلقد أخذ هذا المد السلفي يغشى بأثره تلك الأنحاء، ويؤثر بقدر في حياة الأدب التهامي، حيث صدر بعض نتاجه عندئذ عن هذه الروح الجادة.

والحق أن هذا الشاعر الأمير كان من أبرز مَنْ أيّد هذا الاتجاه الإصلاحي، ومال إلى منهج الملك عبدالعزيز عند سعيه في توحيد هذه البلاد، ورأى في نهضته تلك فلاحًا لهذه الجزيرة.

يقول عبدالله بن علي العمودي(3) (1278-1398هـ)، في حديثه عن الإدريسي: «حتى إنه أشار لسان حاله إلى أن أُحرِّر منشورًا إلى الملك ابن سعود فيما يقوّي الرابطة...»(4)، وحيث نلمح حماسة الإدريسي في توثيق الصلات الأخوية، وتأييد هذا الاتجاه الإصلاحي، فإن ذلك قد تحقق في قول الإدريسي الآتي، إذ يقول: «وعلى الأمير المعظم، والشهم المفخم القائم بتجديد الدين، وتوحيد ربّ العالمين: عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود: سدد الله أفعاله، وصدق مقاله، ولازال قائمًا بنصر الدين الحنيف لإعلاء مناره في إيراده وإصداره، وعليه منّا السلام، ورحمة الملك العلام، وتحياته ومرضاته على الدوام، أما بعد:

فإنا وجهنا إليكم هذه الجملة لحضرتكم الشريفة، ومعاليكم المنيفة، لأنه قد سرّنا ما أنتم عليه من الدعاية إلى الله تعالى، ونشر دعوة الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

وإظهار شعائر الدين، ومن مهماته: الصلاة التي هي منه بمنزلة الرأس من الجسد، والأمان الساري في القفار والبراري، والعدل المساوي بين الضعيف والقوي الضاري، والسير على الاتّباع، ومجانبة الابتداع، فجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين ما هو أهله...»(5).

ولئن أتى هذا الإسهام الأدبي بمثل هذه الروح الأخوية المنصفة ليدلن الأمر على حقيقة شاعرية الإدريسي، ومنزلته الأدبية التي عرف بها في مطلع حياته حينما كان يدرس بالجامع الأزهر أواخر الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري، إذ أفاض بشيء من الشعور الصادق على مقامه هنالك.

ولّما عاد إلى وطنه واشتغل بمهام إمارته انصرف عن الشعر، فلم يُعرف له وفرة فيه عبر تلك الرحلة السياسية، ولكنه لما أدرك سعي الملك عبدالعزيز في توحيد هذه البلاد ولمّ شعثها، واستعادة ملك أجداده، أخذ يكاتبه ويمدحه بما دلل على هذا العطاء الشعري المتصل الذي لم يخفت أو يتوقف. إنها نظرات أدبية جادة تصلح لبناء التاريخ الأدبي المأمول في هذه الجزيرة العربية، بل هي ومضات سياسية منصفة تصلح للحديث العلمي الجاد، وبخاصة أن هذه المادة العلمية تصدر عن حقيقة توثيقية مؤكدة، وأنها ليست معروفة لدى الباحثين من قبل، مما يجعلها مفيدة للتأريخين الأدبي والاجتماعي، وهي أيضًا مفيدة لعصرها، حيث كشفت عن واقعه بوضوح، ودللت على مستوى أدبه وفكره في الميدانين أيضًا: الشعر، والنثر، وكل ذلك يصلح لدراسات فكرية أدبية مأمولة.

الهوامش:

1- عبدالله بن علي العمودي: «الأدارسة في تهامة»، تحقيق عبدالله أبو داهش، 130.
2- المصدر نفسه، 130، 131، 132.
3- انظر ترجمته في هذا المصدر نفسه 16.
4- المصدر نفسه 121.
5- المصدر نفسه 122-123.

وجهة نظر

الكتب والطعام

د. حمد زيد الزيد

كلما **دخلت مكتبة تذكرت مائدة (بوفيه) الطعام المفتوحة في بعض الفنادق أو الحفلات.. مما يجعلني أوازن بين الكتب والطعام، وأنصح نفسي وغيري باختيار الملائم منهما لسنّه وصحته وذوقه!**

وكثيرًا ما سألني بعض الشباب عن أي الكتب أفضل وأولى بالقراءة والاقتناء، وكنت دائمًا أقول لهم: إن الكتب كالطعام فاختاروا منها ما يروق لكم!

ولعل من تحصيل الحاصل أن نقول: إن الكتب غذاء العقول والطعام غذاء الأجسام، ولكن بعض الكتب كبعض الطعام يحدث البِطنة أو السمنة أو التُخمة!! كما أن بعضها كبعض الطعام أو الدواء له نتائج ضارة على الصحة. فإذا كان الطعام يفيد ويضر بالنسبة للصحة الجسمية فإن الكتب تفيد أو تضر الصحة العقلية والنفسية. وإذا كان بعض الطعام له دور أساس في تكوين الأنسجة والخلايا في الجسم البشري مما يُعدّ أساسيا لبقاء النوع البشري، فإن بعض الكتب تؤسس المعرفة لدى الفرد وتطهر وجدانه، كما أنها تصوغ أفكاره من جديد، وتبلور مواقفه ومبادئه في الحياة.

فمن الكتب الأساسية كالبروتينات والكالسيوم: كتب الموسوعات والمعاجم، ثم كتب العلوم الأساسية (البحت والإنسانية) والتي تسمى بالأمهات أو المصادر أو المراجع، إذ يصبح الفكر والعقل من دونها واهنين عليلين لا يقويان على التحمل، ويفقدان المناعة اللازمة كما يفقدها الجسم الإنساني.

وبعض الكتب كبعض الطعام لا يفيد ولا يضر، وبعضها كالدواء قد يضر، ولا تحتاج إليه دائما، ولكنك حتمًا ستحتاج إليه أحيانًا كما تحتاج إلى المسكنات أو المقويات!.

وإذا كان الطعام لايكون جيدًا أو لذيذًا إلا إذا كان الطباخ ماهرًا.. فكذلك الكتب، فعندما يكون المؤلف غير حاذق يصبح إنتاجه حبرًا وورقًا فقط!!

وفي رأيي أن أخطر ما في الطعام أو الكتب أن تتعرف إلى الطباخ أو الكاتب، أو تزور أماكن عملهما!!

فبعض الطباخين ستجد مطبخه قذرًا تملؤه الصراصير! وفيه بعض الأمراض المعدية! كما ستجد هندامه متسخًا، وأظافره غير مقلّمة، ويديه متسختين.. وبعض الكتّاب كذلك!!

يحيى شولستكه

الإسلام ومواجهة حقائق الحياة

وُلد يحيى شولستكه ذات ليلة شتائية باردة من عام 1931م في ألمانيا، لأبوين نصرانيين، وشب على دينهم معتنقًا النصرانية، دون أن يكون لاعتناقه أي أثر داخلي في ذاته، فالأمر لا يعدو أن يكون أنه فتح عينيه على الحياة فوجد عقيدة جاهزة لأن يتوارثها عن أهله.

وحتى سن الثلاثين لم يكن شولستكه قد سمع شيئًا ذا قيمة عن الإسلام، ولم يكن ذلك مهمًا عنده، ولماذا يهتم فيما عقيدته التي ورثها تبيح له كل شيء، ولا تفرق بين ما هو مباح، وغير مباح، بل يقيس أنصارها الحياة بمقاييس مادية بحت، لا علاقة لها بالشريعة النقية التي جاء بها عيسى عليه السلام من لدن ربه عز وجل.

حروب دامية

فالأمور في النصرانية قد اختلطت، وأسهم في زيادة تباعد معتنقيها عن جوهرها ما مرُّوا به من حربين ضروس، خلال النصف الأول من القرن الميلادي الحالي، أتيح ليحيى في صباه أن يشهد ثانيتهما بما احتوت عليه من مرارة ودماء، فشهد بلاده تستبيح في ذروة انتصارها كل ما حرَّم الله، وترتكب من الفظائع ما يندى له الجبين، ثم عاش لحظة انكسارها وتمزقها وانهيار كل الأحلام وسط قنابل الحلفاء وأزيز طائراتهم ووقع أقدام جنودهم.

وقتها لم يكن الصبي شولستكه يدرك لماذا قامت هذه الحرب؟ ولماذا يقاتل جنود بلاده أناسًا آخرين، يفترض أنهم يشاركونهم العقيدة ذاتها، ويؤمنون بالرب ذاته؟ ولم يستطع أن يستوعب - وهو في تلك السن الغضة - ما يجري حوله من أحداث أحرقت اليابس والأخضر، وأتت على مظاهر الحياة في أوروبا.

مع القاديانيين

كان عام 1963م نقطة تحول في حياة شولستكه، ففي ذلك العام، وفيما كانت ألمانيا بقيادة إديناور تخوض حربًا سلمية لإعادة بنائها، وبناء اقتصادها، وصياغة الحياة والبشر فيها، سمع - للمرة الأولى - عن الإسلام، عبر ترجمة لمعاني القرآن الكريم أعدها رجل يدعى صدرالدين، ولم تكن ترجمة دقيقة أو سليمة، بل حافلة بالعديد من الأخطاء العلمية والفقهية، لكنها - مع ذلك - أعطته فكرة عن الإسلام، إذ عرف من خلالها أن ما يراه من سلوك بعض المسلمين شيء والإسلام شيء آخر.

بعد هذه الترجمة قرأ شولستكه ترجمة أخرى هي تلك التي قامت بها الجماعة القاديانية الضالة، التي تدَّعي الإسلام، والإسلام منها براء، وتدَّعي أنها حامية دين الله ثم لا تكف عن هدم هذا الدين عبر ما بثه من سموم في نفوس أتباعها مؤسسها الميرزا غلام أحمد القادياني - لعنه الله -، وعبر المعبد الذي أقامته تلك النحلة الضالة وأسمته - كذبًا وزورًا - مسجدًا. كانت البوابة التي من خلالها اجتاز شولستكه سرداب النصرانية ونفق القاديانية المظلم إلى نور الإسلام الساطع.

أشهر شولستكه إسلامه - أو هكذا ظن - في دار عبادة القاديانية، معتقدًا أنهم مسلمون، مغترًا بتلك التسمية التي يتسمون بها وهي الطائفة الأحمدية، غير مدرك أن هذه التسمية نسبة إلى متنبئهم الملعون الميرزا غلام أحمد، وليس إلى العقيدة الصافية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم.

تصحيح المسار

إلا أن لقاء جرى مع بعض الطلبة المسلمين من المملكة العربية السعودية كان بداية لانتشال روح المهتدي الجديد من شرك القاديانية قبل أن يتردى ويسقط في حبائله، إذ استطاع هؤلاء الطلبة بمذهبهم السني النقي أن يكشفوا له كذب ادعاء القاديانيين بأنهم مسلمون، وكشف حقيقتهم له، الأمر الذي أثار حنق القاديانيين، فحاولوا - عبثًا - التأثير فيه مجددًا، لكنه كان قد وعى الحقيقة، ولم يعد صيدًا سهلاً، وبخاصة وقد علم من طلاب مسلمين آخرين من جنسيات مختلفة حقيقة الإسلام، وبُعد القاديانية منه تمامًا، وكونها نحلة ضالة لا إيمان لها ولا اعتقاد، لأنها بعيدة كل البعد من التوحيد الخالص الذي هو جوهر عقيدة الإسلام وأصل العقائد جميعًا.

مبدأ التوحيد

كان مبدأ التوحيد الذي فهمه شولستكه من سورة الاخلاص سببًا في هدايته، إذ لم ير مثيله في الشرائع الأخرى، فالنصرانية - كما هو معروف - تدين بالتثليث، واليهودية المحرفة تحرف مبدأ التوحيد وتبعده من جوهره، فلا

يصبح له معنى، وحده الإسلام الذي وجد فيه التوحيد خالصًا، فآمن به عن قناعة واقتناع كاملين، وتسمى باسم «يحيى» تيمنا بالنبي يحيى عليه الصلاة والسلام، الذي يسميه النصارى يوحنا المعمدان.

لقد وجد يحيى شولستكه في الإسلام مواجهة حقيقية لحقائق الحياة، فهو - أي الإسلام - يعترف بواقع الدنيا ولا يتصادم معها، بل يحث على العمل الصالح، ويدعو إلى بذل الجهد من أجل خير البشرية، بينما عقيدته السابقة - النصرانية - تصطدم بالواقع والحياة، وفي الوقت نفسه لا تقدم حلولاً منطقية لكسب هذا الصدام، بل تقدم نظريات خيالية تضر ولا تنفع، مثال ذلك فالقساوسة يرددون ما جاء في الإنجيل: «من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر»، بينما ماراه من حروب دامية بين النصارى يتعارض مع هذا القول، لكن الإسلام يدعو إلى البر والإحسان، وفي الوقت ذاته يأمر المسلم بأخذ أهبته والحذر من عدوه، فهو يتعامل مع الحياة بمنطق سليم متجدد، يعطي كل حالة ما يناسبها من ردود فعل.

الإسلام.. عمل وسلوك

ويرى يحيى شولستكه أن الدعاة المسلمين يخطئون حين يقصرون كلامهم على المبادئ فقط، ولا يتحدثون عن العمل، بينما العمل هو ثمرة العقيدة. فغير المسلم حين يرى أعمال المسلمين وسلوكهم إما أن يُقبل عليها حين يراها خيرًا، أو ينفر منها حين يراها شرًا، ويرى أن هذا يفسر معنى قوله تعالى: *إنَّ اللَّه لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتَّى يُغَيِّروا ما بأنفسهم*.

فالعمل أساس العبادة، والمسلم الحق الذي يعرف الإسلام جيدًا يدرك هذه الحقيقة، ويعرف أن إيمانه مرتبط بعمله وسلوكه، فلا جدوى أن يقال إننا مسلمون دون أن نقدم بسلوكياتنا وأعمالنا النموذج والقدوة، التي تتيح لنا الوصول إلى الغاية المرجوة، وهي الدعوة إلى دين الله، دين الحق.

قصة قصيرة

الكفة الشائلة

د. محمد أحمد الشافعي

كان قد جاوزهم بمسافة بعيدة، تهامسوا ساخرين منه، حسبوه لم يسمعهم، لكن حديثهم كان أبين من صليل الجلاجل في رقاب الخيل. واصل سيره وهو يتفرى من الغيظ. أسرته الكآبة، ظل يتلوى في أغلالها، وكلما اجتر الإهانة، تبدت مرارتها في طعم جديد، هؤلاء السفلة، ندم على أنه لم يصق ضيقه على وجوههم.

مسكة من الحياء تسْجُرُه في تنّور العذاب، كلما تسرب إلى أذنه ما ينم عن خباياهم. افترسه الهم، ذبلت رغبته في الحياة، طبعها الاحتقار والتوجس، ودّ لو يتفجر من الغيظ، يدك عنق أحدهم، ليست هذه أول مرة وليست المرة المئة، لشدَّ ما عانى من تفوق الحاسة، يكاد يسمع دبيب النملة، ومن ها هنا الابتلاء.

ذات ليلة، كان عائدا إلى البيت في وقت متأخر، سمعهم من بعيد في هدأة الليل، أصوات جوفاء محشوة بنكات مصطنعة وعبارات يوهم بعضها بالترفه وبعضها بالصعلكة والفتك، جَمْع من الشباب الذين لفظتهم البيوت على نواصي الشوارع، كما تلفظ الأسماك بيضها في المياه الراكدة.

كانوا يهرفون بكلام فارغ حين اقترب، فلما مر بحذائهم سكتوا، حين بعد عنهم قال أحدهم بصوت خفيض: يا له من أبله. ثقب الوصف المقذع أذنه، رجع إليهم، وَهَزَ أول من انبرى له، ضاعت رهافه سمعه بعد توالي طرق هذا النفر من الحثالة على رأسه بلكماتهم، فانزلقت أفكارها المتحذلقة على أرض الشارع.

أدركه لطف الله، أقبل بعض المارة ممن أفرغتهم حافلة آخر الليل قرب الناصية، وما إن حاولوا أن يكفوهم عن ضلالهم حتى كفوا.

عاود سيره، في الطريق أخذ يتحسس جراحاته وأنفه الراعف، شعر بالرضى عما ظهر من حميته ورباطة جأشه، وامتعض لكلالة سواعده، وأدرك مدى حاجته إلى الحكمة.

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

الحنّاء والوضوء

استعمال الحناء، هل يمنع الوضوء؟

مي جمال عوض، الرياض.

الحناء ليس حائلاً يمنع وصول الماء إلى البشرة، فقد كان بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - يخضبون لحاهم بالحنّاء ويتوضؤون للصلاة.

صفر ليس شهرًا مختلفًا

يتردد في بعض أوساط العامة أن شهر صفر شهر شؤم، فهل ورد شيء في هذا الأمر؟

محمد الصباغ، القاهرة، مصر.

بكر عدناني، جازان، السعودية.

بل الذي ورد خلاف هذا، فقد جاء في الحديث الصحيح النهي عن التشاؤم من صفر: «لا هامة ولا صفر»، وذلك أن بعض العرب في الجاهلية كانوا يتشاءمون؛ فلا يسافرون ولا يتزوجون، ويمسكون أنفسهم حتى يخرج هذا الشهر. ودلت الحوادث السلبية والإيجابية على أن صفر كغيره من الشهور ليس فيه مزية في حصول شر أو خير.

ولعل هذا الاعتقاد - كما حصل لغيره - جاء من طريق الخوف الوهمي لتعلق حدث ما بطير أو شهر أو مكان في الجاهلية العربية.

والقلب إذا خلا من اليقين الصحيح، والتوحيد الواعي يكون محلاً للوهم والوسواس. انظر مثلاً ما ابتليت به الحضارة المعاصرة من الأمراض النفسية والعصبية وتصديق المنجمين والكهنة. والله المستعان.

الظهر أولاً، أم العصر مع الجماعة؟

إذا دخل الرجل المسجد ليصلي الظهر، ووجد الجماعة يصلون العصر، ماذا يفعل؟

إسلام شريف، الخرطوم، السودان.

هذا مما وقع فيه خلاف بين أهل العلم حتى اليوم، والذي أجتهد فيه حسب فهمي للسوابق، أنه إذا دخل صلّى الظهر أولاً، ثم صلّى العصر بعد ذلك، وهذا يقتضيه الترتيب العلمي الذي ورد به الكتاب، وفعله الرسول صلى الله عليه وسلم. والله أعلم.

التوسل بأصحاب القبور دون عبادتهم!

يتوسل كثير من الناس بأصحاب القبور، وهم في الوقت نفسه لا يعبدونهم، ما حكم الشرع في ذلك؟

التجاني محمود، الرياض.

م. ع، طنطا، مصر.

ليس فوق الأرض أفضل من الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولا ضَمَّت الأرض خيرًا منهم، ومع هذا، فلم يحصل أن توسَّل صحابي بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، أو جاء إلى قبره يقصد التوسل به عليه الصلاة والسلام، ولا فعل هذا التابعون الأخيار. لكن ما يحصل اليوم إنما هو من آثار الفاطميين، ومن تبعهم من أهل البدع في القرن الثالث الهجري وما بعده.

والعبادة - قولاً وعملاً - أصلها القطع، أي المنع إلا ما شرعه الله ورسوله، والتوسل بصاحب القبر نوع من العبادة. وأكبر من هذا الذهاب إلى القبر والتمسح به أو الطواف والبكاء. لكن قد دلّ الشرع على التوسل الذي يمكن أن يكون عبادة، كأن يتوسل العبد بصالح عمله الخالص، وبصدق محبته للرسول صلى الله عليه وسلم، ومتابعته له؛ ولهذا ورد رَدُّ هذا الأمر المذكور حكاية عن أهل التوسل الذين لم يعرفوا حقيقة التوحيد الصحيح، فقال سبحانه: *ألا لله الدينُ الخالصُ والذين اتَّخذوا من دونه أولياءَ ما نعبدُهم إلاَّ ليقرِّبونا إلى الله زُلفى*. **الزمر**:3، والإسلام كما هو نص الكتاب والسنة لا يجعل بين الله والعبد وساطة، فيحتاج إلى التوسل بها، كلا إنما يلجأ العبد الصالح إلى الله تعالى دائمًا، ولهذا كان النص واضحًا دون ذكر للوسيلة، قال تعالى: *أمَّن يُجيبُ المُضْطَرَّ إذا دعاهُ ويكشفُ السُّوءَ*. **النمل**:62. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ولادة الصحافة اليهودية وموتها

في البلاد العربية حتى النصف الثاني من القرن العشرين

مأمون كيوان

ظهرت الصحافة اليهودية في البلاد العربية في أواسط العقد السادس من القرن التاسع عشر الميلادي، وشكلت اهتماماتها جزءًا من اهتمامات المجتمعات العربية في تلك الحقبة من الزمن. ولا ينفي هذا الأمر اهتمام هذه الصحافة بشؤون اليهود كطائفة؛ ولكن ليس بغرض صهينتهم. وهذا ماسندلل عليه من خلال عرضنا لنشأة أهم نماذج الصحافة اليهودية وتطورها في البلاد العربية.

البدايات في العراق

نبدأ بالعراق؛ إذ يعود صدور أول صحيفة يهودية فيه إلى العام 1863م، وهي صحيفة «هادوفر» ـ أول صحيفة يهودية في البلاد العربية ـ الناطقة باللغتين العربية والعبرية، والتي اهتمت بشؤون الطائفة اليهودية. وجاء ظهورها تعبيرًا عن اهتمام يهود العراق بالطباعة وامتلاكهم عددًا مهمًا من المطابع مثل: مطبعة «ميخور» ومطبعة «دنكور».

وفي العام 1910م ظهرت مجلة Jeshurun ومجلة Hamaggid. ونتيجة لتصاعد سيطرة اليهود على صناعة الطباعة ـ عبر شركات ومطابع كبرى مثل: مطبعة «إيشاع»، والمطبعة الوطنية، وشركة الطباعة والتجارة المحدودة ـ انتشرت في العراق عدة صحف ومجلات يهودية اهتمت بشؤون اليهود والشؤون الاقتصادية للعراق، مثل: «النشرة الاقتصادية» و«الحاصد» و«الدليل» و«البرهان».

ولم يكتف يهود العراق بإصدار صحف ومجلات خاصة بهم؛ بل امتد نشاطهم الإعلامي إلى ميدان الصحافة العربية سواء منها الحزبية أو الخاصة. ففي مجال الصحافة الحزبية سيطر «نعيم قطان» على صحيفة الحزب الوطني الديمقراطي، وأشرف اليهودي جاكسون على جريدة التايمز Times العراقية. كما برز الصحفي «سليم بصون» الذي عمل في عدة صحف عربية؛ منها: «الشعب» و «البلاد».

التطور في مصر

أما في مصر فيعود ظهور أول صحيفة يهودية إلى العام 1877م، إذ ظهرت في ذلك العام صحيفة «أبو نضارة زرقا»، وهي صحيفة هزلية فكاهية أصدرها صاحبها يعقوب بن رافائيل صنُّوع (1255- 1330هـ=1839- 1912م). ولكن نظرًا لحساسية موضوعاتها وعلاقتها المباشرة بشؤون مصر، وُضعت موضوعات هذه الصحيفة وأفكارها موضع الشكوك بحسبانها منبرًا فرنسيًا. ويعود ذلك إلى ترويجها لأفكار مؤيدة للسياسة الفرنسية إزاء مصر، في حين عدّها آخرون مجرد وسيلة للارتزاق، استخدمها ابن صنوع، الذي أيد الأفكار الصهيونية، إلا أنه لم ينشر في صحيفته شيئًا عن الصهيونية وأفكارها.

وكانت صحيفة «الكوكب المصري»، ثاني صحيفة يهودية تصدر في مصر، أصدرها «موسى كاستيلي»، وهي صحيفة سياسية علمية أدبية تجارية عمرت لمدة أربع سنوات (1879-1883م). أما صحيفة «الميمون» الأدبية الفكاهية فقد صدرت عام 1889م باللغة العربية الفصحى والعامية. وقُصد من إصدارها الكسب المادي فقط، في حين اهتمت صحيفة «الحقيقة» ـ التي صدرت في الإسكندرية في العام ذاته ـ بالمسائل اليهودية البحت؛ فمنذ صدورها بدأت في نشر قصة مسلسلة امتدت عشرين عددًا تحت عنوان «السلسبيل في أسرار بني إسرائيل»، تتحدث عن الاضطهاد والعنف اللذين يتعرض لهما

اليهود في الشتات بعيدًا من أرض آبائهم وأجدادهم، وعن الاضطهاد الذي لاقوه على يد «بختنصر». كما اهتمت هذه الصحيفة بنشر أخبار اليهود في مصر وفي باقي دول العالم.

وأصدر «دافيد يارص» صحيفة «اليانصيب» عام 1894م، وأصدر «سليم رومانو» صحيفة «حظ الحياة» عام 1895م، والأخوان «زكي وروفائيل كوهين» صحيفة «النصيب» عام 1898م. وتوالى صدور الصحف اليهودية. ففي عام 1937م أصدرت «جمعية الشبان القرّائين» في القاهرة مجلة «الشبان القرَّائين»، وتولى إدارتها ورئاسة تحريرها «توفيق إبراهيم عبد الواحد». وكان الغرض منها العمل على نهضة تلك الطائفة اليهودية ورقيها، وتكوين وحدة ورابطة «قومية» للطائفة القرائية، وإيجاد رابطة متينة بين القرائين في شتى بقاع العالم والعمل على الاتصال بهم.



يعقوب صنوع

كما أصدر «إبراهيم يعقوب مزراحي» الشهير بـ«ألبرت مزراحي» عام 1944م صحيفة مهمة هي صحيفة «التسعيرة»، وهي أسبوعية سياسية جامعة خاصة بنشر تسعيرة المواد التموينية. ويذكر «مزراحي» أنه ما إن صدر من «التسعيرة» سبعة أعداد؛ حتى بلغ عدد المشتركين فيها خلال هذه المدة القصيرة نحو 14ألف مشترك، جميعهم من التجار وأصحاب المصانع والشركات الذين يهمهم اقتناء هذه الجريدة. لكنه اضطر إلى إغلاق باب الاشتراك فيها، ابتداءً من العدد الثاني عشر، إسكاتًا لمن ادَّعوا أنه يسلك سبلاً غير شريفة في الحصول على الاشتراكات. وتحولت «التسعيرة» - فيما بعد - إلى صحيفة فكاهية هزلية، لكنها لم تستمر في لهجتها الساخرة طويلاً؛ إذ عادت إلى الصدور كجريدة انتقادية عام 1946م، وخاضت الجدل الذي كان دائرًا حول النشاط الصهيوني في مصر ومشكلة فلسطين. ومنذ البداية أوضحت الصحيفة أنها ضد فكرة تدخل اليهود المصريين في مشكلة «الوطن القومي»، وناشدتهم الابتعاد من تلك المشكلة حتى تظل العلاقات بينهم وبين مواطنيهم المصريين على ماهي عليه من متانة وإخلاص متبادل. أي إن هذه الصحيفة انتهجت خطًا معاديًا للصهيونية. وواصلت صدورها حتى العام 1954م، إلى أن صدر القرار الوزاري رقم64 بشأن عدم انتظام بعض الجرائد والمجلات، ومن بينها صحيفة «التسعيرة».

وسارت مجلة «الكليم» التي أصدرتها «جمعية الشبان الإسرائيليين القرائين» على النهج ذاته الذي سارت عليه «مجلة الشبان القرائين» بالتعبير عن شؤون طائفة القرائين، وتعزيز الروابط مع طائفة اليهود الربانيين.

وبعد الإعلان عن قيام الكيان الصهيوني، استمرت «الكليم» في تجاهل الموضوعات المتعلقة بـ«الوطن القومي»، وظلت تصدر حتى شهر أبريل/ نيسان 1956م، مرة كل شهر بدلاً من مرتين، ثم توقفت عن الصدور اعتبارًا من 1957/5/4م وذلك لسحب تأمينها بناءً على طلب أصحابها.

وتُعدّ صحيفة «الصراحة» التي صدرت عام 1950م آخر صحيفة يهودية تصدر في مصر، وثاني صحيفة يهودية يومية يصدرها يهودي في مصر - «صول مزراحي» - وهي صحيفة يومية سياسية وفدية، انتقدت حكومة الوفد لكنها تجاهلت الثورة المصرية.

وبالنظر إلى موضوعات الصحافة اليهودية في مصر عمومًا، يبدو واضحًا أن يهود مصر لم يهتموا بإصدار صحف طائفية خاصة بهم، وذلك في المرحلة التي سبقت انعقاد المؤتمر الأول للحركة الصهيونية عام 1897م، باستثناء صحيفة «الحقيقة» وصحيفة «نهضة إسرائيل» التي تخصصت بالشؤون اليهودية. وتلتها في الاهتمام مجلة «التهذيب» الناطقة بالعربية لمحررها «مراد فرج» أحد أعضاء اللجنة المِلّية للطائفة اليهودية. وقد حدثت خلال المدة التي ظهرت فيها «التهذيب»، نزاعات طويلة بين اللجنة المِلّية للطائفة و«فرج يعقوب شماس» و«موسى إبراهيم منشه» حول يانصيب المدرسة الخيرية لطائفة القرائين؛ فأصدر الأخيران صحيفة «إظهار الحقيقة» هاجما فيها اللجنة الملية و«مراد فرج»؛ مما دفع حاخام الطائفة إلى التقدم بشكوى إلى نيابة محكمة مصر الابتدائية ضد الصحيفة بسبب مافيها من قبائح. ولكن تمت تسوية هذه المسألة واحتجبت الصحيفة عن الظهور.

التنوع في فلسطين

يعود صدور أول صحيفة في فلسطين إلى العام 1865م، وهي صحيفة «الزنبقة» (هاحفتسيليت) التي تناولت شؤونًا عامة تتعلق باليهود، وكانت العبرية لغتها. وكذلك كان حال صحيفة «الأخبار» التي أصدرتها «أستير مويال» في مدينة يافا عام 1913م، ثم تلتها في الصدور صحيفة «صوت العثمانية» التي أصدرها الدكتور «شمعون

بعض الصحف اليهودية في البلاد العربية تدخلت في سياسة تلك البلاد مثل صحيفة الصراحة في مصر؛ بينما استطاع صحفيون يهود - مثل نعيم قطان - السيطرة على بعض المطبوعات العربية

مويال» وعُدّت لسان حال اليهود في فلسطين.

وفي العام 1933م صدرت مجلة «البناءالحر»، وهي مجلة تبحث في الموضوعات الأخلاقية والعلمية والماسونية، وصاحبها هو «روفائيل أبو العافية» ومحررها الرئيسي الدكتور «حاييم هراري»، وكانت تصدر مرة في الشهر باللغات العبرية والإنجليزية والعربية. وفي العام ذاته صدرت جريدتا: «دوارهايوم» و «هادار»، صدرت الأولى عن شركة «دوارهايوم المحدودة» بالقدس، وحررها كل من: «ا. تمارين آفي» و «ا. دوف دروري»، وهي جريدة تبحث في الشؤون السياسية والأدبية والاقتصادية، وصدرت بشكل يومي باللغات العبرية والعربية والإنجليزية. أما الجريدة الثانية فأصدرها وحررها «روكاخ» و«بريفر»، وهي جريدة تبحث في الأمور المتعلقة بالصناعة الفنية لتجارة الحمضيات.

بعد ذلك صدرت جريدتا «عين دافار» و«هادور آر هاكلكالي في هاكسبي»، بحثت الأولى في الموضوعات الاقتصادية والسياسية والأدبية، في حين تخصصت الثانية بالموضوعات الاقتصادية والمالية.

وأصدر «مندل كروبنيك» عام 1935م جريدة «أومر» التي تبحث في السياسة والاقتصاد ، وكانت ناطقة بخمس لغات. وفي الوقت ذاته صدرت جريدة «إسرائيل» التي ملكها وحررها الدكتور «ألفونسو باسيفيكي»، وهي جريدة تبحث في حياة إسرائيل وغيرها من الأمم. وصدرت مرة كل أسبوع بعشر لغات، هي: العبرية والإنجليزية والعربية والطليانية والفرنسية والألمانية والجركونية (السكناجية) والبولونية والإسبانية والروسية.

وصدرت بعد ذلك صحف متخصصة بشؤون علمية كالهندسة وغيرها من العلوم، مثل جريدة «هابنيان باميزراح هاكاروف»، و «لفانت راديو»، و «صدى طب الأسنان في فلسطين»، وجريدة «بالستين بيزنس دايجست». كما اهتمت صحف أخرى مثل: «تلاميم» و«هيكه» و«هاعيتون هاديمقراطي» بالشؤون الثقافية والسياسية، وجميعها صدرت بلغات متعددة.

هذه الصحف اليهودية المتنوعة تميزت من غيرها بازدياد درجة اهتمامها بالشؤون السياسية نتيجة لتزايد قدوم المهاجرين اليهود إلى فلسطين من شتى بقاع العالم.

ظهور متباعد ومحدود

كما ظهرت عدة صحف يهودية في بلدان عربية أخرى منها: لبنان وتونس. ففي لبنان يعود صدور أول صحيفة فيه إلى العقد السابع من القرن التاسع عشر الميلادي؛ إذ صدرت صحيفة «هلفانون» (جبل لبنان). بينما ظهرت أول صحيفة يهودية في تونس عام 1907م، وهي صحيفة «المستقبل» الناطقة بالفرنسية. وفي العام 1921م ظهرت في بيروت صحيفة «العالم الإسرائيلي» التي أصدرها «سليم المن» باللغة العربية، وبحث من خلالها في شؤون الطائفة اليهودية في لبنان. أما في تونس فصدرت صحيفة «العدالة» عام 1908م و«النجمة اليهودية» عام 1920م، اللتان بحثتا في شؤون الطائفة اليهودية في تونس بشكل عام.

ولادة الصحافة اليهودية وموتها في البلاد العربية حتى النصف الثاني من القرن العشرين

مسرد لأهم الصحف اليهودية

ولإيضاح وتيرة صدور الصحف اليهودية في البلاد العربية وتأثرها بتقلبات الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ نقدم مسردًا عامًا (ببليوغرافيا) لأهم الصحف والمجلات والنشرات اليهودية التي صدرت في مختلف البلاد العربية:

المطبوعة:	مكان وتاريخ صدورها:	صاحبها أو رئيس تحريرها:	لغتها:
1- هادوفر	بغداد 1863م	؟	عبرية- عربية
2- هاحفتسيليت (الزنبقة)	فلسطين 1865م	؟	العبرية
3- أبو نضارة زرقا	القاهرة 1877م	يعقوب بن صنوع	العربية
4- هلفانون	لبنان 1878م	؟	العبرية
5- الكوكب المصري	القاهرة 1879م	موسى كاستيلي	العربية
6- الميمون	القاهرة 1889م	موسى كاستيلي	العربية
7- الحقيقة	الاسكندرية 1889م	فرج مزراحي	العربية
8- نهضة إسرائيل	القاهرة 1890م	؟	العربية
9- اليانصيب	القاهرة 1894م	؟	العربية
10- حظ الحياة	القاهرة 1895م	سليم رومانو	العربية
11- النصيب	القاهرة 1898م	روفائيل كوهين	العبرية
12- العائلة	القاهرة 1899م	أستير مويال	العبرية
13- هامجيد	بغداد 1900م	؟	العبرية
14- التهذيب	القاهرة 1901م	مراد فرج	العربية
15- مصر	القاهرة 1904م	إسحق كارمونا	العربية
16- المستقبل	تونس 1907م	؟	الفرنسية
17- المُدافع	تونس 1908م	نسيم حداد	الفرنسية
18- العدالة	تونس 1908م	ماردخي سماجة	الفرنسية
19- الإرشاد	القاهرة 1908م	فرج سليم اليشع	العربية
20- العصا	القاهرة ؟	أفراهام جالانتي	العبرية/اللادينو
Jeshurun -21	بغداد 1910م	؟	العبرية
22- إسرائيل	القاهرة 1910م	؟	العربية/العبرية/الفرنسية
23- المجلة الإسرائيلية لمصر	الاسكندرية 1912م	جمعية أصدقاء الثقافة العبرية	الفرنسية
24- النهضة اليهودية	القاهرة 1912م	؟	الفرنسية
25- الأخبار	يافا 1913م	أستير مويال	العربية
26- صوت العثمانية	يافا 1914م	شمعون مويال	العبرية/العربية
27- إسرائيل	القاهرة - الاسكندرية 1920م	ماتيلدا موصيري	عربية/عبرية/فرنسية
28- النجمة اليهودية	تونس 1920م	؟	الفرنسية
29- العالم الإسرائيلي	بيروت 1921م	سليم المن	العربية
30- الأخبار الماسونية	القاهرة 1924م	موسى جرونشتين	العربية
31- الاتحاد الإسرائيلي	القاهرة 1924م	طائفة القرائين	العربية
32- فلسطين	القاهرة 1924م	لوسيان سيكوتو	الفرنسية
33- الحياة اليهودية	القاهرة 1926م	؟	الفرنسية
34- التلفون	القاهرة 1927م	إيلي عزرا كوهيلا	العربية والفرنسية
35- الوطن	القاهرة 1928م	؟	العربية

ولادة الصحافة اليهودية وموتها في البلاد العربية حتى النصف الثاني من القرن العشرين

36- البريد اليهودي	بغداد 1928م	؟	العربية
37- العدد اليهودي	البصرة 1928م	؟	العربية
38- أنفورماسيون	الاسكندرية 1929م	إيلي بوليتي	الفرنسية
39- الصوت اليهودي	الاسكندرية 1931م	البرت ستراتسلسكي	الفرنسية
40- البرهان	بغداد ـ أوائل الثلاثينيات	؟	العربية
41- الحاصد	بغداد ـ أوائل الثلاثينيات	؟	العربية
42- الدليل	بغداد ـ أوائل الثلاثينيات	؟	العربية
43- النشرة الاقتصادية	بغداد ـ أوائل الثلاثينيات	؟	العربية
44- البناء الحر	تل أبيب 1933م	روفائيل أبو العافية ود. حاييم هراري	العبرية والإنجليزية
45- دوار هايوم	القدس 1933م	شركة دوارهايوم وا. تمارين أفي	العبرية والعربية والفرنسية والإنجليزية
46- هادار	يافا 1933م	روكاخ وبريفر	العبرية والعربية والإنجليزية
47- بريد العراق	بغداد؟	؟	العربية
48- دليل العائلة	البصرة؟	؟	العربية
49- عين دافار	تل أبيب 1934م	مندل كروبنيك و دافيد زكاي	العبرية والإنجليزية والعربية والألمانية والجركونية
50- هادور آرهاكلكاني في هاكسي	تل أبيب 1934م	موشي ماتالون وأفير أبو العافية	العبرية والإنجليزية والعربية
51- أومر	تل أبيب 1935م	مندل كروبنيك و إسحق بازيف	العبرية والإنجليزية والعربية والألمانية والجركونية
52- إسرائيل	القدس 1935م	الفونسو باسيفيكي	ناطقة بعشر لغات
53- هابيان بامبزراح هاكاروف	تل أبيب 1935م	موريتز زيليرشتاين وإسرائيل ديكر	العربية والعبرية والإنجليزية
54- لفانت راديو	القدس 1935م	ماتياس كرونبرغ ود. هيرش فرديم	العبرية والإنجليزية والعربية
55- كاديما (إلى الأمام)	القاهرة 1936م	؟	العربية
56- المنبر اليهودي	الاسكندرية 1936م	مندل كلكشتين	الفرنسية
57- الشبان القرائين	القاهرة 1937م	جمعية الشبان القرائين	العربية والفرنسية
58- صدى طب الأسنان في فلسطين	القدس 1937م	شارلوت بلسكي وجاكوب بسات	العبرية والعربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية
59- تلاميم	تل أبيب 1939م	ناديا يهودا (كرينبرك)	ناطقة بست لغات
60- هيكه	تل أبيب 1939م	إسحق لايب أهارونوف	العبرية مع ملاحق بلغات أخرى
61- التسعيرة	القاهرة 1944م	البرت مزراحي	العربية
62- هاعيتون هاديمقراطي	تل أبيب 1944م	مردخاي شتاين	عبرية/عربية/إنجليزية
63- الكليم	القاهرة 1945م	جمعية الشبان القرائين	العربية
64- الكاتب المصري	القاهرة 1945م	إخوان هراري	العربية
65- المصباح	القاهرة 1946م	البرت مزراحي	العربية
66- بالستين بيزنس دايجست	حيفا 1947م	كوستاف ب ايخلكرون	العبرية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والعربية
67- الصراحة	القاهرة 1950م	صول مزراحي	العربية
58- حقيقة الأمر	القدس ـ أوائل الأربعينيات	ميخائيل آساف	العربية

استنتاجات

يشير العرض الموجز الذي قدمناه لنشأة الصحافة اليهودية وتطورها واندثارها في البلاد العربية إلى أن العدد الأكبر من الصحف اليهودية ظهر في مصر؛ إذ بلغ عدد الصحف والمجلات والنشرات التي صدرت في مصر في المدة من 1877-1950م قرابة 33 مطبوعة. وكان ذلك بسبب ازدهار الطباعة فيها. أما في فلسطين فقد صدرت 17صحيفة ومجلة اختلفت مجالات اهتماماتها مابين القضايا اليهودية والسياسية والاقتصادية والعلمية. ويعزى هذا التنوع، الذي ترافق مع تعدد اللغات التي نطقت بها تلك الصحف والمجلات، إلى ازدياد عدد المهاجرين اليهود القادمين إلى فلسطين وتعدد أصولهم العرقية، وارتفاع وتيرة عملية بناء المستوطنات اليهودية في فلسطين.

أما في العراق، فقد صدرت 11صحيفة ومجلة في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، انصب اهتمام أغلبها على شؤون الطائفة اليهودية والشؤون الاقتصادية العراقية.

تنوعت اهتمامات الصحف اليهودية بين الشؤون السياسية والاقتصادية والأدبية والعلمية؛ إلا أن بعض الصحف اهتمت بالمسائل اليهودية فقط، مثل صحيفة الحقيقة، ومجلة الشبان القرّائين

وكانت غالبية الصحف اليهودية ـ مع بعض الاستثناءات القليلة ـ لا تهتم بالأفكار الصهيونية، وخاصة الفكرة الرئيسة المتعلقة ببناء «وطن قومي» لليهود في فلسطين. بمعنى أن الصحافة اليهودية في البلاد العربية كانت نتاجًا لتطور المجتمعات العربية في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

ويعزى موت هذه الصحافة واندثارها إلى جملة من العوامل، من أهمها: الدور الذي قامت به الصحافة الصهيونية التي صدرت في بعض البلاد العربية، وعملت على دفع اليهود في البلاد العربية نحو الهجرة إلى فلسطين، أي صهينتهم وزرع الشقاق بينهم وبين مواطنيهم من العرب. وهذا ماأثار حفيظة الحكومات العربية، وعمل على عدم التمييز بين اليهودي والصهيوني، ومن ثم تزايد الشكوك حول دور الصحافة اليهودية، ومدى تعميمها للأفكار الصهيونية. ومما أدى إلى تزايد الشكوك في صهيونية تلك الصحافة تناقص أعداد اليهود في البلاد العربية، وتراجع اهتمام الصحافة اليهودية بالشؤون اليهودية، ومن ثم احتجاب غالبية تلك الصحف عن الصدور أو منعها من الصدور لأسباب قانونية حينًا، ومالية في أحيان أخرى.

المصادر:

1- الهادي التيمومي، النشاط الصهيوني بتونس (1897-1948م) تونس 1982م.
2- د. علي إبراهيم عبده ود. خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، مركز الأبحاث (م.ت.ف)، بيروت 1971م.
3- سهام نصار، اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية، دار الوحدة، بيروت 1980م.
4- يوسف ق. خوري، الصحافة العربية في فلسطين (1876-1948م)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، الطبعة الثانية، بيروت1986م.

الإحساس بالاغتراب عند الشعراء

د. نوره صالح الشملان

الاغتراب

من المفاهيم الفكرية الحديثة، ويعني - باختصار شديد - الانفصال عن المجتمع أو تصدع الانتماء إليه، والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة فيه، والعجز أمام قوى الطبيعة وقوى المجتمع. وقد كثرت الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة في حياة بعض الأدباء والشعراء والفنانين.

وإذا بحثنا عن مسببات الاغتراب، كما بسطتها الدراسات والبحوث التي قامت حول هذه الظاهرة، وجدناها كثيرة، منها الظلم الاجتماعي الذي يجعل الفرد يميل إلى العزلة عن المجتمع بسبب ظلم هذا المجتمع له لأسباب لا دخل له فيها، مثل: اللون، أو الانتماء القبلي أو الأسري، أو دمامة الخلقة، أو نبذ المجتمع للفرد لأي سبب من الأسباب. كما أن إيمان الإنسان بمبدأ معين أو مفهوم معين ورفض المجتمع لهذا المفهوم، يسبب له شعوراً بالانفصال عن هذا المجتمع ورفضه، والتطلع إلى مجتمع آخر يحقق له ما يريد، ويتجاوب مع آماله وتطلعاته. والإنسان الذي يشعر أنه صاحب حق لا يستطيع الحصول عليه؛ لا لقصور فيه بل لاختلال الموازين الاجتماعية أو السياسية، يشعر بنوع من الانفصال أو عدم الرغبة في الانتماء إلى مجتمع كهذا. ولا نغفل التكوين الفردي للشخص وما يتسم به من الحساسية أو الاضطراب في العواطف، مما يجعله يؤثر العزلة ويفضل صحبة نفسه على صحبة الآخرين.

والشعر يزخر بما يؤكد إحساس الشعراء بالاغتراب للأسباب التي ذكرناها، ولعل المتنبي (ت:354هـ) يعد في طليعة الشعراء الذين عانوا من الاغتراب الروحي، وقد عبّر عن ذلك في أبيات كثيرة، منها قوله:

وهكذا كنتُ في أهلي وفي وطني
إن النفيس غريب حيثما كانا

فهو يعلل إحساسه بالاغتراب بالتفوق الذي يتمتع به في مجتمع لا يرقى إليه في العلم والذكاء والموهبة.

ولو بحثنا عن أسباب الاغتراب عند أبي الطيب لوجدناها كثيرة تتلخص في سوء الحالة السياسية والاجتماعية، وفقر الحال الذي جعله يطرق أبواب ممدوحين لا يؤمن بهم، وموهبته الشعرية الفذة وإحساسه بتفوقه وطموحه الشديد إلى المعالي، وقلة حيلته في الوصول إلى ما يريد، كل ذلك أكسبه نوعًا من الإحساس بالانفصال عن مجتمعه وإعلان ذلك في أشعاره، فهو يقول:

وحيدٌ من الخُلّانِ في كل بلدة
إذا عَظُم المطلوبُ قلَّ المساعدُ

ورفض مجتمعه الذي صوره قائلاً:

إذا ما النّاس جرَّبهم لبيب
فإني قد أكلتُهُم وذاقا
فلم أرَ ودَّهم إلا خداعًا
ولم أر دينَهم إلا نفاقا

وأبو فراس الحمداني الشاعر الأمير (ت:357هـ) الذي قاسى اليتم المبكر بسبب قتل والده من قبل عمه، وعاش في كنف أمه الرومية الغريبة، ثم انتقل إلى ابن عمه سيف الدولة (ت:356هـ) فنسي في رحابه ما كان يعانيه، ولكن سرعان ما وقع في أسر الروم، فعانى الاغترابين الروحي والمكاني، وعبّر عن ذلك في شعر كثير يعكس معاناته الصادقة. من ذلك قوله:

غريبٌ وأهلي حيثما كرّ ناظري
وحيد وحولي مِن رجالي عَصَائب

وعاش في خوف من الروم والعرب معًا في أسره؛ فعمّق ذلك إحساسه بالاغتراب، يقول معبرًا عن ذلك:

أقمتُ بأرضِ الرومِ عامَيْنِ لا أرَى
من الناس مَحزونًا ولا متصنّعا
إذا خِفتُ من أخوالي الرومِ خطَّةً
تخوفتُ من أعمامِيَ العُرْبِ أربعا

والشـــريف الرضي (ت:406هـ) يعج ديوانه بما يشير إلى غربته الروحية، مثل قوله:

فما لي طولَ الدهرِ أمشي كأنني
لفضلي في هذا الزمان غريبُ
إذا قلتُ قد عَلّقتُ كَفّي بصاحب
تَعُود عَوَادٍ بيننا وخُطُوبُ

وإحساسه بالاغتراب يعود إلى فقدان الثقة بالناس، يعزّز ذلك قوله:

لأي حبيب يحسن الرأيُ والودُّ
وأكثُر هذا الناسِ ليس له عهدُ

ويقول:

فلست أرى إلا عدوًّا مكاشفًا
ولست أرى إلا صَديقًا مُداجيا

ويقول:

تجاذبني يَدُ الأيّامِ نفسي
ويوشكُ أن يكون لها الغِلاَبُ
وتغدُرُ بي الأَقَارِبُ والأدَاني
فلا عَجَبٌ إذا غدر الصّحابُ

إن الشاعر أكثر إحساسًا من غيره بتناقضات المجتمع وعيوبه، وأقدر على رؤية عيوب الآخرين، ولسانه أبلغ في الإفصاح عن ذلك.

أثر الرواية والكت

في أصالة الثقافة العربية

محمد سعيد المولوي

ما من أمة على وجه الأرض اتصل ماضيها بحاضرها بيسر وسهولة كالأمة الإسلامية، فالعربي المسلم اليوم يستطيع أن يقرأ الشعر الجاهلي المنظوم قبل خمسة عشر قرنًا ويفهمه، وأن يسير مع ركب الثقافة الإسلامية عبر هذه القرون دون أن يحس بأي انقطاع فلا يغيب عنه شيء من معالم الفكر العربي الإسلامي.

ولقد عملت عوامل عديدة على هذا الاتصال الثقافي، من أهمّها القرآن الكريم الذي حفظ اللغة العربية وردّها إلى أصالتها كلما حاولت الأيام أن تخرج بهذه اللغة إلى اللهجات العامية. ومن هذه العوامل أن الله قد حبا أجدادنا من قدرة الحفظ والرواية ما تفخر به هذه الأمة(1).

وقد تبدت هذه الحافظة فيما نقل إلينا الرواة من أشعار العرب وأخبارهم وأيامهم وحروبهم وأنسابهم... إلخ. فتركوا لنا صورة واضحة عن الحياة العربية الإسلامية عبر التاريخ. ويعجب الإنسان من وفرة هذه المرويات وكثرتها، التي كانت مدينة إلى قوّة الحافظة التي حبا الله بها هذه الأمة.

حرص الإسلام على تعلم المسلمين الكتابة

والحقيقة أن حياة الترحال التي فرضت نفسها على العرب فجعلتهم ينتقلون في رحاب الصحراء طلبًا للكلأ أو الغزو، لم تترك فرصة كافية لانتشار الكتابة. وكان على العرب أن يعتمدوا على الذاكرة والحافظة في نقل علومهم وأخبارهم وأشعارهم وأنسابهم، وعلى وجود بلدان استقر فيها أقوام كثير، إلا أن الكتابة كانت في هذه البلدان نادرة؛ فلقد روى البلاذري (ت:279هـ) عن الواقدي (ت:207هـ)، أن الإسلام دخل المدينة المنورة وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون(2).

ولقد حرص الإسلام منذ البداية على الكتابة إلى جانب الرواية. فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتلو ما يوحى إليه على المسلمين فيحفظونه، وتعمل الصلوات في تثبيت ما حفظوه، وكان المسلمون يكتبون ما يُتلى عليهم من آيات الله، بينما اتّخذ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتّابًا للوحي يسجلون آيات القرآن الكريم(3). وكان من حرص الإسلام على الكتابة أن الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ جعل فداء أسرى بدر أن يُعلِّم الواحد منهم عشرة من أولاد المسلمين(4).

وانتشرت الكتابة إلى حد كبير في سنوات معدودة، حتى إنه في وقعة صفين رفع أصحاب معاوية المصاحف على رؤوس الرماح. والخبر يدل على أن عدد المصاحف كان كبيرًا جدًا، لأنه لا معنى لرفع المصاحف في معركة كثر فيها المتحاربون لولا أن هذه المصاحف ستكون بارزة ولافتة للنظر. وما كان لمسلم أن يحمل مصحفًا لولا أنه يقرأ فيه.

وتشير الرواية الحديثية إلى أن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ نهى عن كتابة الحديث الشريف في بداية عهد الإسلام، فقال: «من كتب عني غير القرآن فليمحه»، وذلك خشية الالتباس(5) على الناس بين القرآن والحديث. ولكن هذا المنع لم يستمر، فقد اتّخذ بعض الصحابة لأنفسهم كتبًا سجلوا فيها ما سمعوه من رسول الله، منهم عبدالله بن العباس وعبدالله بن عمر. وهذه الكتب كانت بداية التدوين لعلم الحديث. والتي اتّسعت وعظمت فيما تلا من قرون.

نشأة علم الحديث

ومع العناية الشديدة بالتدوين، كانت هناك عناية أعظم بالرواية، فلقد كان الدين الجديد في عنفوانه، والمسلمون ملزمون بإيمانهم معرفة أحكام هذا الدين وتطبيقها، فحرص المسلمون على حفظ القرآن الكريم. وإذا كانت حروب الردة قد أدّت إلى مقتل سبعين من حفظة القرآن الكريم(6)، فإن الأيام التالية، كانت كفيلة أن ينتشر حفظ القرآن الكريم بين المسلمين انتشارًا عظيمًا، وصار أمرًا طبيعيًا لا يدعو إلى الغرابة.

ولما كان الإسلام قرآنًا وسنة، فقد حرص المسلمون على حفظ حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتتبعه من أفواه مَنْ سمعه مِنْ رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ، أو ممن تلاهم، وكان ذلك بداية نشوء علم الحديث، واتّساع هذا العلم وتنظيم أصوله. وظهرت طبقات المحدِّثين من رواة للحديث، أو نقاد في الجرح والتعديل.

والشعر العربي في الجاهلية ديوان العرب ومجمع علومهم(7)، ومعجم ألفاظهم وسجل حياتهم وسفر تاريخهم، وكانوا يهتمون به كثيرًا ويحفظونه ويروونه، وكان لكل شاعر راوية

ـابـة

يحفظ شعره ويرويه في المشاهد والمجالس والأندية. وحين جاء الإسلام وقف المسلمون أمام القرآن الكريم يتفهمون معانيه ويفسّرون ألفاظه، ولم يكن أمامهم سوى الشعر يرجعون إليه ويجعلونه مصدرًا أساسيًا لاحتياجاتهم اللغوية والمعنوية، وهذا ما عبّر عنه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بقوله: «الشعر ديوان العرب».

نشأة طبقة رواة اللغة والشعر

وتتابعت الرواية من الجاهلية إلى الإسلام في مجال الشعر، ولاسيما مع ازدياد الحاجة إلى ذلك في تفسير القرآن، وشرح الحديث وتفهّمه، واتّسعت الرواية، وزاد الاهتمام بها، وظل لكثير من الشعراء رواة يروون شعر شعرائهم(8)، ونشأ إلى جانب ذلك طبقة أخرى من الرواة، والرواة العلماء كحماد الراوية(9)، وخلف الأحمر، وأبي عمرو بن العلاء، وأبي عبيدة، وعبدالملك بن قريب الأصمعي(10)، وغيرهم اشتهروا بقوّة الحافظة. ولم يكن هؤلاء بدعًا في قوّة الحافظة، فالجاهليون نقلوا لنا أدبهم حفظًا من شعر وخطابة وأنساب، والمسلمون اعتمدوا على حافظتهم في نقل القرآن الكريم، والحديث الشريف إلى جانب الكتابة، وبرز من المسلمين كثير من أصحاب الحافظة لعل من أشهرهم عبدالله بن العباس رضي الله عنهما، وقصته مع عمر بن أبي ربيعة وواصل بن عطاء خير دليل على قوّة حافظته، فقد روى المبرد في الكامل(11) «أن ابن الأزرق أتى ابن عباس يومًا، فجعل يسأله حتى أملّه، فجعل ابن عباس يظهر الضجر، وطلع عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة على ابن عباس، وهو يومئذ غلام، فسلّم وجلس، فقال له ابن عباس: ألا تنشدنا شيئًا من شعرك فأنشد:

أمِن آلِ نُعْم أنت غادٍ فمُبكرُ
غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجِّرُ
بحاجة نفسٍ لم تقل في جوابها
فتبلغ عذرًا والمقالةُ تعذر

رأت رَجلاً، أمّا إذا الشمس عارضت
فيضحى، وأمّا بالعشي فيخصر

حتى أتمها وهي ثمانون بيتًا. فقال له ابن الأزرق: لله أنت يابن عباس!! أنضرب إليك أكباد الإبل نسألك عن الدين فتعرض، ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفهًا فتسمعه؟! فقال: تالله ما سمعت سفهًا، فقال ابن الأزرق: أما أنشدك:

رأت رجلاً أمّا إذا الشمس عارضت
فيخزى وأمّا بالعشي فيخسر؟

فقال: ما هكذا قال، إنما قال: «فيضحى وأمّا بالعشي فيخصر»، قال: أو تحفظ الذي قال؟ قال: والله ما سمعتها إلا ساعتي هذه، ولو شئت أن أردها لرددتها، قال: فارددْها فأنشده إيّاها كلها.

وروى الزبيريون أن نافعًا قال له: ما رأيت أروى منك قط، فقال له ابن عباس: ما رأيت أروى من عمر، ولا أعلم من علي».

ولقد بلغ من شعور العلماء والرواة بالحاجة إلى حفظ وتسجيل ما حفظته العرب ورووه أن خرجوا إلى البادية يلتقون الأعراب ويحفظون عنهم ما يروونه ويكتبونه، ويغنون به معارفهم، ويزهون به في المجالس، ويجعلونه مصدرًا للمعرفة ومنهلاً للواردين وطالبي المعرفة ممن استغلق عليهم لفظ أو احتاجوا إلى بيت أو قصيد، أو أرادوا معنى أو حكمة.

وعرف الأعراب قيمة ما يملكون من محفوظات وروايات، فوفد بعضهم على المدن، وتصدّر للإجابة والرواية وتفسير الألفاظ والاستشهاد عليها بما يحفظون من شعر أو مثَل أو قول(12).

من عجيب حفظ الإمام البخاري

وازدادت الحاجة إلى الحفظ من جهة، والتدوين من جهة أخرى؛ باتّساع علم الحديث حفظًا ورواية، وكان علم الرجال فاعلاً ومحركًا لحركة التدوين، وتضافرت هذه العوامل مجتمعة ليبرز في تاريخنا العلمي والفكري علماء عظام اشتهروا بقوّة الحافظة والقدرة على الاختيار والانتقاء والتمييز والحكم، وقصة الإمام البخاري حين تعرّض للامتحان من علماء عصره خير دليل، حيث ألقوا على سمعه مئة حديث اختلفت أسانيدها عن متونها، فردّها وهي مغلوطة كما ألقوها عليه، ثم أعادها وقد رد متن كل حديث إلى سنده.

وفي الحقيقة أن علماء الحديث كانوا أعجوبة الدنيا في الحفظ والرواية والإدراك والدراية والتسجيل والكتابة، وقوّة الذاكرة، وكانوا مفخرة هذه الأمة وموطن الإعجاب.

وإلى جانب هؤلاء المحدِّثين برز عظماء آخرون لا يقلون عن المحدثين تمتعًا بالمواهب والقدرات المماثلة، فكان هناك شعراء عظام، ورواة عظام، وعلماء عظام في آن واحد، جمعوا إلى موهبة العلم برواية القديم من لغة وشعر موهبةَ الحفظ، ومن ينظر في مؤلفات المعري أو ابن سيده يدرك معنى ما نريد، فقد كان كل منهما أعمى لا يبصر، ولكنه جمع في مؤلفاته من العلوم والرواية ما يعجز عن حصره وإدراكه المبصرون اليوم وقد خضعت لهم المكاتب بما فيها ووسائل استحضار العلم والمعرفة من حاسوب وطباعة وكتب ومجامع.

ولم يقتصر الأمر على علوم الحديث أو اللغة والشعر والأخبار، بل تعدى ذلك إلى علم الفقه وعلوم الدين الأخرى، يشهد لذلك كتاب المبسوط في الفقه الحنفي الذي أملاه الإمام محمد بن أحمد بن سهل السَّرَخْسي (ت483هـ) على تلامذته في ثلاثين جزءا من حافظته وهو سجين في الجُبِّ، وما تركه الإمام ابن تيمية من مؤلفات كثر عددها وعظمت فائدتها، تشهد له بقوّة

تضافرت الرواية والكتابة على حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من الضياع، الأمر الذي يبين قوة الدين الإسلامي وسلامته من التحريف والتبديل والنقص الذي اعترى كتب غيره من الأديان

الحافظة والذاكرة. ولو أردنا أن نستقصي أسماء في هذا الميدان لضاق عنا المكان.

أثر الرواية والتدوين في حفظ اللغة

وبناءً على ما قدمنا من عرض نستطيع أن نقرر أن تضافر الرواية والقراءة قد أسهما في إثبات النتائج التالية:

1ـ لقد كان القرآن الكريم فوق كل شبهة بالزيادة أو النقص أو التبديل أو التغيير، فإلى جانب اعتقادنا بأن الله تعالى قد تكفّل بحفظ القرآن الكريم، فإن أسبابًا أخرى تجعل من المستحيل أن ينال القرآن الكريم أي تحريف؛ فإن الرسول عليه الصلاة والسلام اتّخذ كُتّابًا للوحي يكتبون ما أنزل الله، وسارع المسلمون ممن عرف الكتابة إلى استنساخ ما أوحى الله إلى نبيّه، كما أن جبريل عليه السلام كان يراجع القرآن الكريم مع الرسول عليه الصلاة والسلام كل سنة، وكان المسلمون يتعبّدون الله بتلاوته في صلواتهم وغير صلواتهم، فحفظوا ما أوحي إلى نبيّهم إلى جانب ما كتبوه. ولما كان الإسلام دينًا يجمع بين القول والعمل، فإن تطبيق الإسلام كان يقتضي بالدرجة الأولى معرفة القرآن الكريم وحفظ آياته وإدراك مقاصدها كي يتم تطبيقها دون نقص.

وبذلك عمل كل من الحفظ والتلاوة والرواية والإقراء مع الكتابة والتسجيل في حفظ القرآن من الضياع ـ كُلاًّ أو جزءًا ـ أو التبديل والتغيير.

2ـ ولقد أسهم تضافر الرواية والكتابة أيضًا في حفظ الحديث الشريف والسنة النبوية من الضياع، فكانت العوامل البشرية والجهد المبذول من المحدّثين والفقهاء سببًا في حفظ السنة النبوية، وتزامل ذلك مع الوعد الإلهي بإبلاغ الرسول عليه الصلاة والسلام ـ الذي لا ينطق عن الهوى ـ شريعة الله إلى البشر، فلو ضاع حديث واحد لكان الدين ناقصًا والله تعالى يقول: *ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا*. **المائدة**:3. والدين جماع الكتاب والسنة. فكان تضافر الرواية والكتابة للحديث حافزًا آخر إلى زيادة الإيمان بسلامة هذا الدين، وحفظ السنة النبوية وسلامتها، مما يبين قوّة هذا الدين ومخالفته لما سواه من الأديان التي أصاب كتبها التحريف والتحوير والزيادة والنقص؛ فالمسلم اليوم يحتك بالنصوص كأنه موجود في زمن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يفقد آية من آيات الكتاب الكريم، ولم يغب عنه حديث من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم.

3ـ تضافرت الكتابة والرواية على تسجيل اللغة العربية وحفظها من الضياع أو اختلاط معانيها. ولقد شدّ من عزيمة الرواة والمسجلين حرصهم على معرفة معاني القرآن الكريم، وحقيقة مفرداته، كما كان ذلك حافزًا للعلماء والفقهاء، فرجعوا إلى ما قدمه اللغويون والرواة، وجعلوا ذلك مرجعًا لهم في فهم القرآن الكريم والسنة النبوية، وحسن استنباط الأحكام الفقهية بما يحقق إرادة الله عز وجل من تشريعه.

وبرز من اهتمام اللغويين بالاستفادة من فيض الرواية والتسجيل ظاهرة تأليف المعاجم اللغوية التي أسدت إلى اللغة العربية خدمة عظيمة، حيث جمعت في طياتها مجمل المفردات العربية، ودعمتها بما أوردته من أشعار وأقوال وأمثال، إلى جانب آيات الكتاب الكريم والسنة المطهّرة.

وتفرعت المعاجم وتنوّعت، فكانت المعاجم اللغوية العامة للمفردات التي شق طريقها الخليل بن أحمد حين وضع أساس معجم العين، وتبعه علماء عظام كابن منظور والصاغاني والجوهري والفيروزآبادي الذين كانت لهم جهودهم المشكورة. وكانت معاجم المعاني التي تهتم بتخصيص المفردات اللغوية في جانب واحد من جوانب الحياة، كالمخصص لابن سيده، وفقه اللغة للثعالبي، وكانت المعاجم التي تعنى بإبراز المعنى المجازي للكلمات كأساس البلاغة للزمخشري. وكانت المعاجم التي تعنى بالغريب كما فعل أبو عبيد القاسم بن سلاّم في غريب القرآن وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث.

وما أوردناه من كلام عن المعاجم لم نقصد منه الاستقصاء، وإنما ضرب المثل على تلك الجهود العظيمة التي كانت ثمرة تضافر الكتابة والرواية.

4ـ ولقد كان من أهم الأمور التي قدمتها الرواية والحفظ والتدوين ذلك الاتصال اللغوي والأدبي المستمر والدائم على مدى خمسة عشر قرنًا دون أن يكون هناك أي انقطاع، أو فجوات تقطع الحاضر عن الماضي، فإذا الثقافة العربية كُلٌّ متماسك دائم لا يتيه آخره عن أوله. ولا يمكن أن ندرك عظمة هذا الاتصال إلا إذا أجرينا مقابلة مع اللغات العالمية الأخرى، كالفرنسية والإنجليزية والألمانية والفارسية والإيطالية؛ فمن الثابت أن أي دارس أو متكلم في واحدة من هذه اللغات اليوم لا يستطيع أن يفهم من هذه اللغة نصًّا كُتب منذ خمسة قرون. بينما طالب المرحلة الإعدادية أو الثانوية في البلاد العربية يستطيع أن يقرأ شعر عنترة وامرئ القيس، وحسان بن ثابت وعلي بن أبي طالب وبشار بن برد قبل أربعة عشر قرنًا، أو ثلاثة عشر قرنًا دون أن يحس بأي اغتراب أو عنت.

إن وحدة الثقافة العربية التي كان عمادها والعامل على المحافظة عليها القرآن الكريم، والتي كان الرافد فيها جهود العلماء من رواية وكتابة وتسجيل أعطت هذه الأمة وحدة فكرية شاملة وحدت بين الأفهام وربطت بين العقول، ووحدة شعورية شاملة ربطت بين عواطف أبناء هذه الأمة في الماضي والحاضر، وأصبح لهذه الأمة ضمير فكري وثقافي واحد تغلغل في وجدانها وثبت في قلوبها، وانعكس في سلوكها، وكان المرآة العاكسة لذلك الماضي المجيد الذي يدفع إلى الاعتزاز والفخار، والباعث المحرك لتغيير سلبيات الحاضر وإعادة الرواء له حتى يبقى لهذه الأمة وحدة متماسكة تصل بين الماضي والحاضر.

إن هذه الأصالة التي تأتّت لهذه الأمة أعطت هذه الأمة هوية خاصة بها تقوم على الاعتزاز بخصائصها والمحافظة عليها، والاعتزاز بالشخصية العربية الثقافية والتعلق بمميزاتها، وإنكار العوارض الغريبة أو الشاذة أو المسيئة لهذه الشخصية الثقافية. وما نلحظه اليوم من بعض الصراع بين

قدرة اللغة العربية على استيعاب ما يفيد وطرح ما لايفيد تقتضي وجود شرطين: أولهما: الحفاظ على الهوية الثقافية للأمة، وثانيهما: بقاء اللغة صافية قادرة على التعبير عن متطلبات العصر

أثر الرواية والكتـــابة في أصالـة الثقافـة العربيـة

أصالة الثقافة العربية وبعض الدعوات إلى العناية بالعــاميّـة أو هجر الأصــالة العـربيــة من طريق التحديث والحداثة، ليس إلا تعبيـرًا كبيـرًا عن التمسك بأصالة الشخصية الفكرية والهوية الثقافية، ورفضًا لمنهج التغريب الفكري الذي يريد أن يطمس هذه الهوية وهذه الشخصية.

ومن المهم أن نشير إلى أن هذه الأصالة، في ثباتها وقوّتها ورسوخها في ضمير الأمة، تدفع إلى الطمأنينة على مستقبل هذه الأمة ومستقبل اللغة العربية وآدابها، فقد قبلت هذه الأصالة كل تحديث وتغيير وتطور يتناسب معها وينضوي تحت لوائها فيطعمها بروح جديد ويرفدها بغدران جديدة، ولكنّه لا يغيّرها ولا يقضي عليها، وأهملت كل بدعة لغوية أو أدبية لا تتناسب معها، فقبلت التحديث في الشعر على يد مسلم بن الوليد وأبي نواس وأبي تمام، وهضمت هذا التحديث وصبغته بصبغتها وجعلته جزءًا منها غمره تيارها، وقاءت ما لم تستطع هضمه من الزجل والدوبيت والقوما وكان وكان، فجعلته حجرًا في متحف الأدب العربي وأخرجته من ميدانها.

وهي اليوم تتلقى البدع الجديدة من دعوات إلى الكتابة بالعاميّة(13)، أو بالأحرف اللاتينية(14)، وإلى إسقاط علامات الإعراب، والخروج إلى مستنقع الحداثة الغربية في الشعر، وذلك بتحطيم كل معنى، وإغراب كل صورة، وتكسير كل وزن. والصياغة لكل هذر وكلام فارغ لا يدل إلا على حقد دفين على العربية، أو ضعف أكيد فيها. فتقف العربية في وجه هذه البدع سدًا منيعًا؛ فتبين زيغها وخطرها وانعدام جمالها وفقدان روائها، ولكنها تفتح صدرها لبدع أخرى ترى فيها خيرًا كثيرًا ودمًا جديدًا لا يخرجها عن أصالتها، ولكنه يزيد حيويتها، فقبلت المدارس الأدبية المدرسية والإبداعية والرمزية والواقعية، وتبنت فنونًا أدبية كانت بذرتها مستجنة فيها كالقصة والمسرحية.

5- على أن قدرة هذه اللغة على استيعاب ما يفيد وطرح الشاذ وما لا يفيد يقتضي وجود شرطين مهمّين حتى تتمكن هذه اللغة من أداء مهمتها على مدى الأيام، وأول هذين الشرطين أن المعارك اللغوية والأدبية ليست هي المعارك الصاعقة التي تتم بين عشية وضحاها، بل إن هذه المعارك تستغرق زمنًا طويلاً، والمعركة اليوم بين اللغة العربية وآدابها والنزعات الغربية تقتضي صبرًا عظيمًا وترقبًا حذرًا وانتباهًا جيّدًا حتى تصل هذه اللغة إلى تحقيق أصالتها، والتغلب على التغريب الفكري الذي يسعى إلى محو الهوية الثقافية لهذه الأمة. وهذا الصبر الطويل يجب أن يصاحبه يقين بأن هذه اللغة ستصل إلى غايتها، وتبقى مستمرة في أداء رسالتها التي بدأتها منذ أكثر من خمسة عشر قرنًا. وهذا اليقين وذاك الصبر سيشحذان همة العاملين من حراس هذه اللغة ويجعلانهم صامدين في مواقفهم في الدفاع عن هذه اللغة وآدابها. وبذلك يتحقق الشرط الثاني وهو التصميم على إبقاء هذه اللغة صافية متألقة قادرة على التعبير بما عرف عنها في الماضي من حيوية وأصالة.

6- وفي سبيل إنشاء هذا الجيل الذي يحرص على لغته الأصيلة وأدبه، لابد من الاستفادة من تلك المواهب التي حبا اللّه بها أطفالنا وشبابنا، ولاسيما موهبة الحفظ. فبدلاً من أن نرى أبناءنا يحفظون تلك الأغاني التافهة السخيفة الهابطة، ونسمعهم يرددونها، فإنه جدير بنا أن نصرفهم إلى حفظ القرآن الكريم أوّلاً، لأنه يهذب اللسان والروح ويغني الثقافة اللغوية والأدبية، ويمتن صرح الاعتزاز باللغة العربية والحفاظ عليها، ويدفع إلى الفصاحة، ويعلم البلاغة، ويمتن الصلة بالثقافة العربية القديمة، ويجعل حلقات هذه الثقافة متصلة غير ذات انقطاع.

ولقد مرت بعض البلاد العربية بمثل هذه التجربة الناجحة التي أعطت أعظم النتائج في عصرنا الحاضر، ونضرب لذلك مثلاً - لا على سبيل الحصر - ما فعلته المملكة العربية السعودية من إنشاء مدارس تحفيظ القرآن الكريم. فإن المطّلع على ما تصنعه هذه المدارس يحس بالإعجاب والتقدير لهذه المدارس التي استطاعت أن تجعل أطفالاً في سن السادسة والسابعة يحفظون أكثر من نصف القرآن الكريم، ويحسنون تلاوته وتجويده وترتيله. بينما ترى شبابًا في الرابعة عشرة قد حفظوا الكتاب الكريم كلّه.

ومشت سورية على النهج نفسه، فكانت مدارس تحفيظ القرآن التي انتشرت في الأحياء وبين البيوت؛ تستقطب الفتيان وتجمعهم على حفظ الكتاب العزيز، وأقيمت المباريات بين الحافظين وبذلت الجوائز والمشجعات، وأصبحنا نرى بين الشباب حفظة أتقنوا الروايات ووصلوا حاضرهم بماضي هذه الأمة.

ومن المفيد جدًا أن نوجه أبناءنا إلى حفظ ما أمكن من الأشعار العربية والقصائد والخطب والأمثال والأحاديث الشريفة، فإنها كلها تذكي السليقة العربية، وتغني الثقافة الفردية والعامة، وتثبت دعائم الأصالة. ولقد كان عجبي شديدًا حين اتصلت بالمتعلمين من أهل موريتانيا، فوجدت لديهم ثروة نحوية ولغوية كبيرة. وزال هذا العجب، حين علمت أن التعليم يعتمد على حفظ المتون وشروحها، وكتب الأدب والعديد من مجموعات الأشعار.

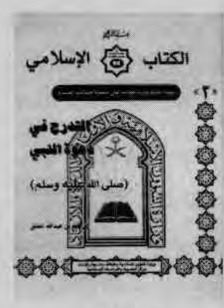
وحبّذا لو حرصت المدارس على إقامة المسابقات التي تختبر غزارة المحفوظات لدى الطلاب وتثيب المجيدين. وسيكون من المفيد أيضًا لو فسحت الإذاعات المسموعة والمرئية صدرها واسعًا لمثل هذه المسابقات.

إن البداية التي سلكتها الثقافة العربية والتي اعتمدت على الرواية والكتابة ومارستها فيما تلا من القرون والأزمنة، وكتبت لنفسها الكمال والخلود، جديرة بأن تكون اليوم هي المنهج الذي تتبعه هذه الثقافة في وجه جميع التحديات، حتى نسلم هذه الثقافة إلى الأجيال القادمة أصيلة وسليمة.

الهوامش:

1- الكامل للمبرد 965/2 تحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة مصطفى البابي الحلبي.
2- فتوح البلدان للبلاذري، ص479، طبعة مصر.
3- طبقات ابن سعد 4/1- 154، طبعة ليدن.
4- المرجع السابق 2/1- 14.
5- أورد الخطيب البغدادي في كتابه تقييد العلم، ص29 وما بعدها، بتحقيق الدكتور يوسف العش تعليلاً لهذا النهي، كان مما قاله فيه: «لأن أكثر الأعراب لم يكونوا فقهوا في الدين، ولا جالسوا العلماء العارفين، فلم يؤمن أن يلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن».
6- الكامل في التاريخ لابن الأثير 46/3.
7- طبقات فحول الشعراء: 22.
8- كان أبو ذؤيب راوية لساعدة بن جؤية الهذلي، وكان الأعشى راوية المسيّب بن علس: الشعر والشعراء 635 و127، والموشح 51. وكان ذو الرّمة راوية الراعي: طبقات فحول الشعراء 467.
9-10- طبقات فحول الشعراء: 40، 3.
11- الكامل للمبرد، 965/3.
12- الأغاني 91/3.
13- كما فعل ميشال طراد في ديوانه: جلنار.
14- كما فعل سعيد عقل في ديوانه: يارا.

العنوان: التدرج في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم.
المؤلف: إبراهيم بن عبدالله المطلق.
الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، مركز البحوث والدراسات، ط1، 1417هـ، 168ص.



غلاف الكتاب

محور هذا الكتاب هو حث الدعاة في عصرنا الحالي على الاغتراف من معين المنهج النبوي في الدعوة إلى الإسلام حتى يتحقق التأثير الإيجابي المفضي إلى الإقناع، وهو مبتغى كل عملية اتصالية وإعلامية، بوصف الدعوة إعلامًا.

ولذلك ذهب المؤلف في بحثه - الذي نال به درجة الماجستير من كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض - إلى إثبات وجود قواسم مشتركة بين حال الناس اليوم، وحالهم في العصر النبوي، فيقول: «لا شك أن حال الناس اليوم في جوانب عديدة، وخصوصًا الانحراف الفكري والسلوكي، يشبه حالهم وقت بعثته صلى الله عليه وسلم»، وبذلك وضع الباحث الأساس الذي انطلق منه في هذا الإصدار لإجراء الموازنات في تطبيقات الدعوة؛ وصولاً إلى تأكيد أن المنهج الذي صلح به الأولون جدير بأن يُطبَّق ويأخذ به الدعاة اليوم وفي كل عصر؛ فإنه «وإن اختلف الزمان، لم يختلف الإنسان المدعو».

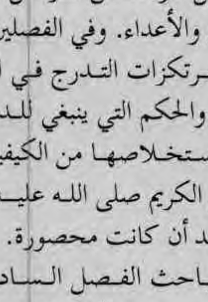
عالج الباحث الموضوع في ستة فصول، تناول فيها الكيفية التي تعامل بها الرسول صلى الله عليه وسلم في كل مرحلة من مراحل الدعوة حتى سطعت شمس الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجًا. كما بيَّن الباحث مفهوم التدرج وهو الابتداء بالأهم، فالأهم في بيان أحكام الله وشرائعه وتطبيقها في واقع الحياة، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، والتدرج في تبليغ الدعوة «من حيث الموضوع، ومن حيث اتخاذ الوسائل المناسبة، ومن حيث الأساليب المناسبة، ومن حيث المدعوين».

وقد فصَّل الباحث مفهوم التدرج في الدعوة وتطبيقاته، وأفرد الفصل الأول لبيان تدرجه صلى الله عليه وسلم في الدعوة باعتبار الموضوع مركزًا على التوحيد والشريعة، وفي إيضاح أبعاد التدرج باعتبار الوسيلة. ويشير في الفصل الثاني إلى أن تأمل السيرة العطرة يبين أن وسائله صلى الله عليه وسلم في تبليغ الدعوة وحمايتها «قد جاءت متدرجة كأنها حلقات في سلسلة، كل حلقة تقود إلى التي تليها»، وهي التي بدأت بوسيلة القول واستمرت طوال العهد المكي، ثم لما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، وأقام دولة الإسلام اتخذ وسيلة السرايا والغزوات لحماية الجماعة المسلمة والدفاع عن الدعوة، ثم بعد أن هادن العدو في الحديبية اتخذ وسيلة بلاغية هي الكتب والرسائل لتبليغ الدعوة إلى العالم الخارجي، ثم كانت آخر الوسائل بعث البعوث ليقوموا بمهمة البلاغ والتعليم.

وفي الفصل الثالث عرض لجوانب من منهج المصطفى صلى الله عليه وسلم في التدرج في الدعوة باعتبار الأسلوب وفقًا لمقتضيات كل مرحلة من مراحل الدعوة وأحوال المسلمين والأعداء. وفي الفصلين الرابع والخامس بيَّن مرتكزات التدرج في الدعوة باعتبار المدعو، والحكم التي ينبغي للدعاة في عصرنا الحالي استخلاصها من الكيفية التي وسَّع بها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم نطاق الدعوة، بعد أن كانت محصورة.

وضمن الباحث الفصل السادس من كتابة إجابات عدد من العلماء عن أسئلة متعلقة بالتدرج في الدعوة موضوعًا ووسيلة وأسلوبًا ومدعوًا، فأضاؤوا جوانب عديدة من هذه المسائل الحيوية لكل داعية حريص على استكمال أدوات التأثير والإقناع وتحقيق الغاية، وهداية الضالين، وتصحيح العقيدة، ونشر كلمة الله عز وجل.

العنوان: نظرات إسلاميّة حول قارون والمال.
المؤلف: د. نوّاف بن صالح الحليسي.
الناشر: المؤلف نفسه، ط1، 1415هـ/ 1995م، 450ص.



غلاف الكتاب

يقع الكتاب في تقديم وخمسة مباحث وثبت للمراجع والفهرس. وقد ناقش المؤلف في المبحث الأوّل قصّة مال قارون والتاريخ الاقتصادي، وقصة قارون من صفوة التفاسير، والمناخ التاريخي في عصر قارون. وخصّص المبحث الثاني لتشريع الأموال للوظائف الاقتصادية. وكان تفصيله في موضوعات، هي: قارون والمال والمفاهيم الإسلامية، وأموال قارون في ظلّ التشريع

الإسلامي، ومَصدر مال قارون، والرّغبة الإنسانية في إنماء المال، ومقارنة بين عهد عبدالرحمن بن عوف وعصر قارون.

بينما كان المبحث الثالث بعنوان قارون وطرق الإنفاق في الاقتصاد الإسلامي، وجاء نقاشه وفق تغيّر الإنفاق لحركة النّشاط الاقتصادي، والكفاية الاقتصادية من الصدقة والزكاة، وتوازن رزق الأموال في التنمية الاقتصادية، والحوافز المالية في الإنفاق، والملك لله تعالى كتشريع للاقتصاد الإسلامي.

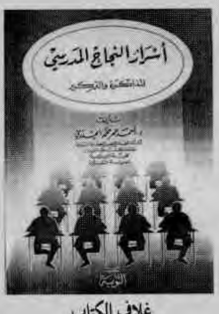
أمّا المبحث الرابع فقد جاء في إعاقة الأنشطة الإنمائية في اكتناز قارون للمال، وجعل نقاط نقاشه فيه تنحصر في معوّقات التنمية الاقتصادية في اكتناز الأموال، والمال العاطل وتسلّطه عقبة أمام الاستقرار الاقتصادي، والإسراف إخلال في الموازين الاقتصادية، والرّبا والاحتكار إعاقة للميزان التجاري، والاستكبار من عوامل التعثّر في بناء الاقتصاد السّليم.

وختم مباحثه بالمبحث الخامس الذي شملَ جَدْولة تخطيط توظيف الأموال، وعدم اكتنازها، حيث عالج هذا المبحث تحت موضوعات هي: المنهج التخطيطي للمال وتنشيط الدورة الاقتصادية، وتوازن الإنفاق في جدولة التخطيط النقدي، والقيمة المالية للعمل الصالح في انتعاش التبادل التجاري، والتوظيف الكامل للثروة المالية في المجتمع، وحركة توزيع استثمار الأموال، وختم ذلك كله ببيان منهاج تدريس حكمة الله في قصة قارون وكنزه للمال بالجامعات الإسلامية، والنّظرة الإسلامية للأموال وحق الله فيها. ثم جاءت المراجع والفهرس.

وقد تناول الكاتبُ مباحثَ كتابه هذا تحت منظار الاقتصاد الإسلامي، حيثُ عالج هذه الموضوعات علاجًا إسلاميًا واضحًا، وسند آراءه وما طرحه فيها بالآيات والأحاديث وقصص القرآن والقضايا الإسلامية الواضحة. وكان نقاشه قويًا مُؤَكّدًا ومسنودًا بالشّواهد والأدلّة، ولُغَتُه جاءت متماسكة واضحة بيّنة. وفي كثير من المواضع يعرضُ حديثه في نقاط مرتبة متسلسلة تسلسلاً منطقيًا.

ولعلّ الناظر في هذا الكتاب يرى أنه ملائم لكلّ دارسٍ لقضايا الاقتصاد الإسلامي، وأنه مَرجعٌ صالحٌ لحل هذه القضايا. وتأتي فائدته كذلك من تلك الموسوعة الشاملة من المراجع التي يحثّك الكتابُ على الرجوع إليها.

العنوان: أسرار النجاح المدرسي.
المؤلف: د. أحمد عمر محمد الحيدري.
الناشر: مكتبة التوبة، الرياض، 1417هـ / 1997م، ط1، 180ص.



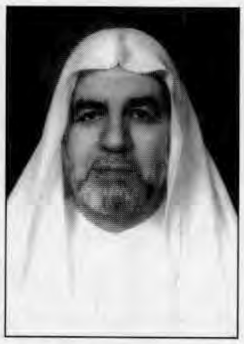
غلاف الكتاب

على الرغم من أن المؤلف قد استهل إصداره بالتنبيه على أنه «لا يقدم وصفة سحرية» لتحقيق النجاح، إلا أنه بوصفه أحد التربويين الذين يعملون في حقل التعليم (أستاذ اللغة الإنجليزية وآدابها المساعد، بجامعة الملك عبدالعزيز، كلية التربية، المدينة المنورة) يجيب في كتابه عن جملة من التساؤلات التي تدور في أذهان الطلبة وتشغلهم فيما يختص باستذكار دروسهم. ويطرح المؤلف طرائق عديدة تعين الطالب على رفع قدراته في المذاكرة للحصول على أكبر فائدة من مراجعة الدروس، وهو يشدد على أنه «لا يقدم نظريات» بقدر ما يعوّل على التطبيق العملي؛ بمعنى حث الطالب على اكتشاف مشكلاته والعمل على حلها. ومحور الكتاب هو كيفية إتقان الطالب فن التركيز.

يشتمل الكتاب على خمسة فصول وخاتمة وثبت بالمراجع وملحق. تناول المؤلف في الفصل الأول العلاقة بين الوقت والتركيز، ودور الطالب في اختيار الأوقات المناسبة لاستيعاب الدروس وفهمها. وفي الفصل الثاني أجاب عن سؤال: ما المكان المناسب الذي يحصل فيه الطالب على أعلى قدر ممكن من التركيز عند مراجعة درسه فيه؟ وفي الفصل الثالث تناول طرائق رفع القدرة على التركيز ومكافحة النسيان، وعرض الفصل الرابع بعنوان: المهارات الدراسية والتركيز. وخصص الفصل الخامس لتقديم بعض التطبيقات المساعدة على تعرف الطالب قدراته الذاتية والمشكلات التي يعاني منها، وكيفية حلها.

يقوم الكتاب على ركيزتين، أولاهما: عدم التفاعل مع المشكلات الشخصية بسلبية، وفي ضوء ذلك يؤكد المؤلف «أنه على الرغم من أهمية الشعور بالمشكلة إلا أن الأهم هو محاولة حل هذه المشكلة». أما الركيزة الثانية فإيضاح أبعاد إهمال الطالب تنمية قدراته الكامنة والركون إلى ما يعتقده مسلمات، وكذلك أهمية تبيان الفرق بين القراءة والمذاكرة. ولذلك فهو يرى أن كتابه لا يطرح حلولاً جاهزة؛ بل يقدم مفاتيح، والأمر في النهاية متوقف على الاقتناع الذاتي بالاستفادة مما جاء في الكتاب. فعلى حد قول المؤلف: «فمهما كان المؤلف متحمسًا، ومهما بلغ حجم الجهد الذي يبذله في كتابه، ومهما كان الكتاب جيدًا، فلن يؤدي الكتاب الغرض منه إذا لم تقتنع أنت بفائدته، وتحاول تطبيق ما جاء فيه لا قراءته فحسب».

وقفات وذكريات



محمد حسن بريغش

ثمة أشياء صغيرة تمر في حياة الإنسان دون أن يأبَهَ لها، لأنه لا يعلم - آنذاك - مدى تأثيرها في حياته ومستقبله، ولكنه بعد مرور السنوات الطويلة، قد يتذكر بعض اللحظات والأحداث التي بقيت عالقة في ذهنه، وحيَّة في ذكرياته، فإذا تأملها بعمق أدرك أنها كانت محطات وعلامات بارزة، كان لها تأثيرها في وجهته ومستقبله.

ولعل من المفيد الرجوع إلى بعضها، والتوقف عندها، لمعرفة الصورة الحقيقية التي سارت بها حياة الإنسان، والمؤثرات التي كان لها الأثر الفاعل في تشكيل الصورة التي آلت إليها حياته.

فضلاً عن هذا، فإن الوقوف أمام هذه المؤثرات، سيضيء طريق الأجيال المتعاقبة في خطواتها نحو المستقبل، لأن قراءة حياة الآخرين نوع من إضافة الحيوات الأخرى وتجارب الآخرين إلى حياتك وتجاربك.

في قريتي - التي كانت صغيرة قبل خمسين عامًا(1) - كان أكثر سكانها من آبائنا وأجدادنا يعملون في مهنة النحت والبناء، وهي مهنة شاقة متعبة، يتعامل فيها الرجال مع الأحجار والصخور القاسية، يقلعونها من الجبال، وينحتونها، ويصنعون منها الأشكال الهندسية والفنية المختلفة بأحجام متنوعة، ثم يرفعونها على ظهورهم إلى الجدران والأبنية العالية، ويضعونها في أمكنتها المناسبة. وما بين مصادرها في الجبال، ومواضعها في الأبنية رحلة طويلة شاقة من الجهد والصبر والعمل. وهي تشكل قطعًا فنية جميلة، وألوانًا متعددة، مصقولة، ومنقوشة بشتى الأشكال والأحجام.

هذه المهنة علمت آباءنا الصلابة والصبر والثقة، وعوّدتهم تحمل المشقات ومجابهة الصعاب، واليقين بأن تحقيق كثير من الآمال ليس بالأمر الصعب، مادامت هناك ثقة وإرادة وصبر، فالحياة عندهم تشبه البناء الذي يبدأ صورة في مخيلتهم، ورسمًا بسيطًا أمامهم، ثم يستمر بالظهور حتى يغدو عمارة شاهقة جميلة، أو مسجدًا واسعًا رائعًا(2).

لقد كان لهذه الصورة المتكررة دون شك أثرها في نفسي وأنا أرى والدي، ورجال بلدتي يشيدون الأبنية الرائعة، ويبنون المشاريع الضخمة في مدينة دمشق، وعمان، وطرابلس، وبنغازي، والرياض، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة، والكويت، والإمارات العربية المتحدة.. وقبلها في المدن الفلسطينية: صفد، والقدس، وحيفا، ويافا(3) قبل أن تغتالها يد الغدر والخيانة، وتصبح أسيرة في أيدي يهود.

والرحلة ما بين الصخرة القاسية الكبيرة في الجبل المنيع، والحجر المنحوت والمنقوش بأشكال هندسية وفنية بديعة، تركت في أعماقنا كثيرًا من دروس الصبر والتعاون والأمل.

وأصبح التعاون بين أبناء البلدة ورجالها خُلقًا، تحقق بفضله كثير من الإنجازات المفيدة. ومن ذلك بناء المدارس، وشق الطرقات، وإقامة المساجد، وتحسين أوضاع القرية. كان هذا التعاون صورة فريدة ومشرقة جعل البلدة تتطور سريعًا، وتتحول من بلدة لا تعرف التعليم إلى بلدة تضج جنباتها بالمدارس والطلبة والطالبات، فضلاً عن المركز الثقافي، والأندية الرياضية وغيرها.

وكان هؤلاء الذين يتعاملون مع الصخور، رواد العلم الحقيقيين، حينما اهتموا ببناء المدارس وتجهيزها بتعاونهم، ومن أموالهم، وتقديمها لوزارة التربية لتشرف عليها، هدية من البلدة وإنجازًا من إنجازات أبنائها البنائين.

وأصبح التعليم مزدهرًا، وتحولت البلدة من قرية صغيرة إلى مركز لمنطقة واسعة، ونشأ جيل الأبناء متعلمًا مثقفًا.

هذا المحيط الجاد المتعاون كان له أثر كبير في نفوس الأبناء، ومازلت أذكر كلمات سمعتها من والدي - رحمه الله - وهو واحد من جيل الآباء الصابرين، وهو يدفعني مع إخواني للتعليم، ويبين لنا أهميته فقال: «لا أريد جمع الثروة، أو امتلاك العقارات، ويكفيني من الثروة حصولكم على التعليم، وإذا رأيت أحدكم يقف ويخطب في الناس، ثم سقطت ميتًا، أكون راضيًا..»(4).

وكان لهذه الكلمات فعل السحر في نفسي، حيث بعثت فيَّ العزم والتصميم، وفتحت أمامي آفاق المستقبل. إنها كانت تحمل قوة روحية خاصة، لأنها من أب يصارع الصخر، ويذهب ويجيء في الحر والبرد، ويسافر ويعود لينشأ أولاده متعلمين. وأصبح التعليم في نفسي أمرًا عظيمًا، وتحقيق أمل والدي أمنية غالية جدًا، ولعل ذلك الموقف الإنساني الواعي النبيل كان ذا أثر كبير في نفسي، وطموحي الطفولي، وظل يصاحبني ويدفعني، حتى إذا ما استطعت تحقيق بعض هذه الآمال في نشر أول كتاب لي، أهديته لوالدي وكتبت في الإهداء ما يلي:

«والدي، لقد فتحتُ عينيَّ على الحياة، لأراك تنقش على الصخر، وتعارك الجبال، وتذوق مرارة الحياة، لكي تشعل ضوءًا في كوخ مظلم. لقد عزَّ عليك أن تنال ما طمحتَ إليه، فقصدت - بعناد - أن

تقهر الجهل، وتخرق قلب الصعاب، وتصارع الفقر لكي تنيلني مع إخوتي هذا النور الذي عزّ عليك مناله. أبي إليك - أنت - أقدم هذه الباكورة، هذا العمل المتواضع، علّك أن تجد فيه شيئًا من زهورك التي أنبتّها في قلب الصخر، وسقيتها دمًا ودمعًا وعرقًا.

إليك، وأنت في صبرك وجلدك، أقدم هذا الكتاب إكبارًا لإخلاصك، ووفاء لوفائك، وكلمة عرفان لأبوتك، من ابنك»(5).

ومرة أخرى أتوقف عند حادثة ثانية ذات دلالة على محيط النشأة الذي كان له أثر كبير في حياتي. فلقد كان والدي - رحمه الله - محبًا للعلم، مشغوفًا بالقراءة، متذوقًا للكلمة الجميلة الطيبة، لقد حُرِمَ الحصول على التعلّم والشهادات(6)، ولكن الرغبة في التعلم وحب العلم، ظلت تدفعه للقراءة والمطالعة، وشراء بعض الكتب بين حين وآخر، وكان يقرأ كثيرًا من الكتب بشغف، ويكتب بصورة جيدة. ومن الأمور المؤثرة ذات الدلالة، أنه حرص على شراء بعض الكتب التراثية لي ولإخوتي بعد عودته من السفر، وكم كان لهذه الهدية من أثر في زرع الحب للكتاب والعلم في نفوسنا ونحن صغار. ولاشك أن مثل هذه الأمور كان لها أثرها الكبير في دفعي لحب العلم، والقراءة، والحرص على الكتاب. فضلاً عما ورثته عنه من تذوق لجمال الكلمة، وحرص على إدراك المعنى واستخلاص الأفكار مما أقرأ، والغوص وراء الغاية والعبرة.

أما التعليم فقد كان بسيطًا بأسلوبه ووسائله، والصفوف الدراسية ليس فيها إلا المقاعد الخشبية، التي يجلس عليها ثلاثة طلاب أو أكثر، والسبورة، أما الأجهزة والوسائل التعليمية فقد كانت بسيطة ونادرة.

والأثر الأكبر في المدرسة للمعلم. وكان للمعلم آنذاك مكانته وهيبته وأثره. ومهما تطورت تقنيات التعليم، فإن المعلم - في نظري - يبقى الركن الأساس في العملية التعليمية، يقابله الطالب كركن آخر. فإن تضاءل دور المعلم، وانعدمت مسؤوليته أصبح التعليم في خطر، لأن التعليم - قبل كل شيء - تعامل إنساني، وتواصل بين الأجيال، وتفاعل بين الكبير والصغير، ومشاركة في الخبرات، وتعاطف وحنو ليكون الآتي - الابن - امتدادا للنائي - الأب.

وإذا انعدمت هذه الصورة، وغاب الجانب الإنساني، والأبوي، ذو الوشائج الأسرية، يصبح المتعلم آلة قد يتقن كثيرًا من المهارات، ولكنه يغدو بلا قلب ولا قيم.

والتلميذ - ولاسيما في المرحلة الابتدائية - يتأثر سلبًا أو إيجابًا بالمعلم، وقد تزول وتتلاشى رويدًا رويدًا صور المعلمين الكثيرين الذين أسهموا في تعليم الناشئ الصغير، ولكن بعضهم تظل صورته ماثلة، وذكرياته مؤثرة لسنوات طويلة. وهذا ما أذكره بعد مرور السنوات الطويلة التي قضيتها متعلمًا، ومعلمًا، وطالبًا للعلم، وموظفًا باحثًا..

ففي المرحلة الابتدائية، لا زلت أذكر بعض المعلمين الأفاضل الذين تركوا أثرًا لا أنساه، من التشجيع، والرعاية، والتأثير. وفي هذه المرحلة لا يكون للمعلم تأثير علمي، لأن المعلم لا يحتاج إلى علم غزير، ومعلومات كثيرة، ولكنه يحتاج إلى شخصية المربي الناجح، الذي يقوم بدور الأب الحاني الشفوق، والمربي المخلص، والأخ الواعي المسؤول. والذي يعطي بصدق، وتؤرّقه المسؤولية العظيمة التي يحملها أمانة أمام الله عز وجل، ثم وفاء لمجتمعه لكي تتفتح بين يديه تلك الأكمام الصغيرة، وتنشأ الشجيرات المثمرة طيبة قوية.

ومثل هذا المعلم هو الذي تتحقق على يديه آمال التربية والتعليم، لأنه صاحب رسالة، وليس طالب وظيفة، لذلك ترى تلاميذه لديه أبناءً وإخوة، يستجيبون لإرشاداته، ويتفاعلون مع أسئلته ومناقشاته، ويتعلقون بنصائحه وإرشاداته، ويستجيبون لتوجيهاته، ويتحولون معه إلى خلية عمل وعلم تجني الطيب المفيد، وتبني المستقبل، وتصنع المجتمع المأمول.

وفي هذه المرحلة كان لثلاثة من المعلمين تأثيراتهم الأبقى في نفسي، ولا زلت أذكر صورهم، وتوجيهاتهم، وتشجيعهم لي، وملاحظاتهم وكتاباتهم في سجل درجاتي وأعمالي.

وكان أحدهم أكثر تأثيرًا، لأنه كان يتمتع بشخصية قوية مؤثرة، ويحمل هم التعليم كهمِّ الحياة ذاتها. التعليم عنده رسالة يعيش لها ومعها كل وقته، لذلك كان ينام أكثر أيام الأسبوع في المدرسة كي يوفر أكبر وقت لنشاطات مختلفة مع تلاميذه خارج أوقات الدوام.

وكان يحرص على اكتشاف قدرات تلاميذه، ومعرفة مواهبهم، والاطلاع على ظروفهم ومشكلاتهم، ومن خلال نشاطه الجم استطاع أن يرتفع بتلاميذه إلى مستوى آخر غير مستوى التلاميذ الذين يُشغلون بقراءة ما تحويه الكتب المدرسية فحسب، وأن يفتح أبصارهم على الثقافة، والعلم، والفكر.

لقد حرص هذا المعلم على استغلال أوقات فراغنا بأنشطة مختلفة، رياضية وثقافية وفنية. ففي حصص النشاط(7) كان يختار لنا القراءة في كتاب. ومما اختاره لنا في هذه القراءة كتاب «محمد» لتوفيق الحكيم، وهو مشاهد حوارية مختارة من سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وكان ماهرًا في اختيار الفصول التي يقرؤها لنا، مع جودة الإلقاء ليكون مؤثرًا، وبشكل يتيح لنا - ونحن صغار في الصف الخامس - فهم هذه الفصول والمشاهد، والتفاعل معها. بل كان حريصًا على قراءة ما تنبئ عنه عيوننا ونحن نصغي، فإذا شعر بفتور الإصغاء، أو



عباس محمود العقاد



إبراهيم عبد القادر المازني

تعب الصغار تحول إلى نشاط آخر، أو توقف عن القراءة لنظل مشغوفين، متعلقين بتتمة القراءة.

وكنا نتابعه بنشاط وشغف، ونصغي إليه بشفافية، فإذا توقف عن القراءة، تطلعنا للفرصة الآتية.

كان معلمنا الذكي الماهر، يغرس في نفوسنا حب المعرفة والمطالعة، ويدربنا ويبعث في داخلنا شغفًا جديدًا بالتفكير يتعدى حدود الكتب المدرسية والصف والمدرسة إلى المجتمع والحاضر والمستقبل.

ولأول مرة بدأنا نشعر أن لكل واحد منا شخصيته المستقلة: يفكر ويختار ويناقش.

وتحولت المدرسة - بفضل هذا النشاط - إلى منتدى أدبي وثقافي ورياضي، يجمع بين طلبة البلدة كلها، صغارًا وكبارًا، وليس تلاميذ هذه المدرسة وحدها، وخرج بالمدرسة من وضعها التقليدي إلى فضاء المعرفة والفكر، والأنشطة المختلفة. بل تعدى تأثيره هذه المدرسة إلى البلدة التي بدأت تتحدث عن

الأستاذ المتميز بنشاطاته المختلفة، وتناقش تأثير هذا المعلم في مجتمع القرية وأبنائها المتعلمين.

لقد تفتح الوعي مبكرًا لدى التلاميذ والطلاب آنذاك، بسبب هذا الأسلوب الجريء الناجح، الذي نقل فيه التلاميذ الصغار إلى حالة التفكير والمشاركة والإبداع في مجتمعهم الذي يعيشون فيه.

لقد أفادتني تجربة معلمي هذا كثيرًا، ولاسيما أنه كان يخصّني بكثير من اهتمامه، ويبعث في نفسي الثقة، ويحثني على استخدام كل قدراتي.

وأذكر أنني - لأول مرة - أقصد مدينة دمشق القريبة من بلدتي لأبحث عن الكتاب الذي كان يقرأ فيه الأستاذ، وهو كتاب محمد - صلى الله عليه وسلم -، وتجولت في السوق والمكتبات حتى ظفرت بكتاب عن محمد - صلى الله عليه وسلم -، ولكنه لم يكن ذاك الذي استمعت إليه في المدرسة. لكنه يظل في ذاكرتي، أول كتاب أشتريه من نقودي القليلة، وأنا في الصف الخامس الابتدائي، وهذه نقلة مهمة - ولا شك - فتحت أمامي عالم القراءة حتى صرت بعدها، أجمع ما يمنحني إياه والدي من قروش قليلة، لأشتري بها كتبًا أقرؤها، وأستعير كتبًا أخرى من الطلاب الذين يكبرونني ولديهم بعض الكتب الثقافية. ومن تلك السنوات، وهذه الحادثة، أصبح الكتاب رفيقي أينما ذهبت، وأصبحت القراءة غذاء لا أستغني عنه في إقامة أو سفر.

أليس في ذلك ما يدل على أثر المعلم حين يصبح التعليم لديه رسالة، ويتحول التلاميذ عنده إلى إخوة وأبناء؟

في المرحلتين المتوسطة والثانوية أصبحت الدراسة عندي أمرًا آخر.

لم تعد مقتصرة على الكتاب المدرسي، بل كانت الكتب الثقافية المختلفة تنال نصيبها من الاهتمام، حتى إن عدد الكتب التي كنت أقرؤها في أثناء الدراسة تزيد كثيرًا على عدد الكتب المدرسية.

كنت أقرأ ما تصل إليه يدي، فلم يكن هناك منهج محدد لاختيار الكتب.

لذلك قرأت الكتب التاريخية، ولاسيما ما يتعلق منها بالتاريخ الإسلامي، وتراجم الرجال والشخصيات، والكتب الثقافية والفكرية، والكتب الأدبية - من شعر وقصة ومسرحية ودراسة أدبية - وكتبًا فلسفية وتربوية، وكتبًا في الدراسات النفسية، وكتبًا مترجمة ولاسيما في القصة والمسرح، وبعض القضايا الفكرية.

وصاحب هذه القراءة شغف بالكتابة، وهذا الشغف جعلني استثمر قراءاتي وأستفيد من مطالعاتي، وكانت كتاباتي تدور حول بعض الذكريات الخاصة، أو المناسبات الاجتماعية والوطنية التي تمر بنا، وكثيرا ما كنت أكتب الخطب والكلمات لألقيها في الطلبة والمعلمين في هذه المناسبات.

ثم صرت أكتب بعض الموضوعات والبحوث الصغيرة لأقدمها إلى بعض الأساتذة كنشاط ثقافي، وبعد إجازتها من الأستاذ كان يجمع صفوف المرحلة الدراسية كلها في حصص النشاط لأقرأ عليهم هذا الموضوع.

وكانت بعض الموضوعات تدور حول غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو عن بعض الشخصيات التاريخية، أو بعض الشعراء والأدباء.

وكنت أعمد - أحيانًا - إلى تلخيص كتاب كامل مما يعجبني في أثناء القراءة.

لن أستطرد للتحدث عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية آنذاك، ولكنني أشير إلى أن الضائقة التي كانت تمر بنا، كادت تحرمني من إتمام دراستي الثانوية. ولكن حبي للعلم، والقراءة، جعلني، مع بعض إخواني المخلصين، أتجاوز هذه العقبات، وأستمر في الدراسة.

هذه الرغبة وهذا الجد، وهذا الصبر والتصميم الذي ورثته عن أبي وأمي وبلدتي ذلّلت لي كثيرًا من الصعاب. إن شعلة الأمل لم تخمد يومًا في داخلي، والطموح الذي رافقني كان يحثني على الاستمرار والصبر، ففي العطلة الصيفية كنت أعمل مساعدًا في التمديدات الكهربائية، أو غيرها من الأعمال اليدوية، وأجمع هذه النقود لأستعين بها - بعد الله عز وجل - على تلبية حاجات الدراسة.

كان والدي مثقلاً بالأعباء، ومتطلبات الحياة كثيرة، وتكاليف دراستي مع إخوتي تفوق طاقته، ولم يكن لديه مورد إلا ما يناله من أجر في عمله اليومي. وهذا الأجر لا يكفي لإعالة أسرة من بينها خمسة طلاب في المدرسة واثنان آخران ينتظران دورهما(8).

ولذلك كان لابد من إعانته بهذا القدر القليل من المال لإكمال الدراسة.

لم يمنعني العمل في العطلة الصيفية من المطالعة، فلقد كنت أقرأ في كل يوم بعد مجيئي من العمل مساءً، إلى ما بعد منتصف الليل، وحينما كان والدي يزجرني عن السهر للقراءة كنت أتألم، لأنه يحرمني من سعادة تبث فيّ العزم وتغمرني بالسعادة، ولا أحس بطعم الحياة من دونها.

ماذا أقرأ؟ سؤال لم يخطر على بالي في يوم من الأيام، لأن حبي للقراءة كان يدفعني لقراءة مختلف الكتب. ربما كانت قراءتي ذاتها ترسم لي بعض التوجهات، فمثلاً عندما قرأت لكاتب من الكتاب وأعجبتني كتابته، أو شدتني موضوعاته رحت أتابع كل ما كتب، وهذا ما فعلته مع العقاد الذي تابعت أكثر كتاباته، وكان لدي أكثر من ثمانين كتابًا له أو عنه، بل كان تعلقي بكتاباته موضع استغراب، لأنه كان في عبارته جفاء، وفي أسلوبه بعض الصعوبة، كان همه الفكرة، دون اكتراث بالأسلوب، بل كان أسلوبه صورة من شخصيته العنيدة المتأبّية، ومع ذلك شدني إليه، حتى كتبت عنه محاضرة وأنا في أواخر المرحلة الثانوية، أو بداية المرحلة الجامعية، وألقيتها في المركز الثقافي، وكانت بعنوان «العقاد: رائد فكر وأدب».

وأفادتني قراءة العقاد كثيرًا، لأنها عودتني الاهتمام بالفكرة، والصبر على وعورة الأسلوب، وصعوبة العبارة، ولم تعد مُشوّقات الأسلوب دافعًا لي للقراءة.

وقرأت كل كتب الرافعي وأنا في المرحلة الثانوية، وأكثر كتب المازني، وبعض كتب المنفلوطي، والقليل من كتب طه حسين، وأكثر كتب سيد قطب، وكثيرًا من الكتب التاريخية والفكرية، والإسلامية.

وقرأت الكثير من القصص والمسرحيات العالمية التي كانت تصدر عن وزارة الإعلام في الكويت، أو تصدر عن مؤسسات ومكتبات بمصر وغيرها.

وقرأت كثيرًا مما صدر عن كتاب الهلال،

مهما تطورت تقنيات التعليم، فإن المعلم يبقى الركن الأساس في العملية التعليمية، يقابله الطالب كركن آخر

وقفات وذكريات

محمد حسن بريغش.. في سطور

- من مواليد بلدة التل، محافظة دمشق، سورية 1942م.
- حاصل على ليسانس لغة عربية من جامعة دمشق، ودبلوم عامة في التربية من جامعة دمشق.
- عمل في التدريس في سورية والسعودية، ويعمل باحثًا تربويًا بالوكالة المساعدة للتطوير التربوي، قسم المناهج - الرئاسة العامة لتعليم البنات.

المؤلفات المنشورة:

- مصعب بن عمير.. الداعية المجاهد، أبو بصير، ظاهرة الردة في المجتمع الإسلامي، ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر، نسيبة بنت كعب (أم عمارة)، المرأة المسلمة الداعية، في الأدب الإسلامي المعاصر، خالد بن سعيد بن العاص، ديوان هاشم الرفاعي (الأعمال الكاملة) جمع وتحقيق، من الشعر الإسلامي الحديث: جمع واختيار، أدب الأطفال، في القصة الإسلامية المعاصرة، دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة مع عرض ودراسة لعدد من قصص الدكتور نجيب الكيلاني، الأدب الإسلامي: أصوله وسماته، عدد من الكتب المدرسية. كما أن له مقالات منشورة في الصحف المحلية والعربية.

له تحت الطبع:

أم أيمن بركة (حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم)، الصحوة وآفاق التربية الإسلامية.

وسلسلة اقرأ، وسلسلة الألف كتاب.. وقرأت كثيراً من كتب التراث الأدبية والشعرية، وعدداً كبيراً من كتب التربية والدراسات النفسية، وغيرها.

ولست هنا بصدد تعداد ما قرأت، ولكنني أشرت إلى بعضها لأبين أن دافع حب القراءة والاطلاع، وشغفي بالكتب جعلني أصبر على ما يعترضني في أثناء القراءة، أو للحصول على الكتب التي أقرؤها. ولا زلت أحتفظ بذكريات جميلة لعدد من الكتب والكتّاب، الذين أثّروا فيّ، وأغْنوا معلوماتي، وقد حاولت في مرحلة مبكرة تقليد بعضهم فيما أكتب لشدة تأثري بأساليبهم، وقد كان لهذه القراءة ثمرات وفوائد كثيرة، مثل العقاد، والعلايلي، ومصطفى صادق الرافعي، وسيد قطب، ومالك بن نبي، وغيرهم.

في سنوات المرحلة المتوسطة، والمرحلة الثانوية كنت أسجل أسماء الكتب التي أقرؤها في كل سنة، وبعد مرور سنوات طويلة، عدت إلى هذه الذكريات فعجبت من عدد الكتب التي كنت أقرؤها في كل عام مع التزامي وجدّي في دراستي المدرسية، وعجبت أيضا لنوع الكتب ومستواها، وإذا دلّ هذا على شيء فإنما يدل على تأثير الرغبة والجد في الإنسان، وفوائد القراءة في فتح آفاق أوسع أمام الشاب.

ومن الفوائد التي جنيتها، وكان لها أثر في قراءاتي، أنني لم أبدأ منذ صغري بقراءة القصص ذات الأسلوب المشوق، أو الكتب السهلة الجذابة.

بل كنت أقرأ كل ما تصل إليه يدي من الكتب الثقافية والفكرية والأدبية، والنفسية والتربوية، مما رسّخ لدي حب القراءة للتعلم والمعرفة، وليس للتسلية والمتعة، وجعلني أصبر على قراءة الكتب المختلفة في اللغة، والشعر، والنقد، والسير والتاريخ والمجتمع دون ملل أو إكراه.

وكان من نتائج هذه القراءات ظهور الرغبة في الكتابة منذ وقت مبكر، فلقد كنت أستجيب لهذه الرغبة كلما أحسست بها في كتابة ذكريات أو موضوعات مستمدة من واقع تجربتي في الحياة..أو كتابة موضوعات مستخلصة من قراءة عدد من الكتب، أو عمل ملخصات للكتب أعجبتني، أو اختيار مقاطع وفقرات استوقفتني.

ولعل هذا العمل يدرب الإنسان على الاختيار، ويقوي عنده حاسة النقد، والتذوق، وتتشكل شيئًا فشيئًا بعض الأفكار التي تصبح فيما بعد آراءً، ووجهات نظر، فضلاً عن تدريب القارئ الناشئ على فهم ما يقرأ، وتحديد أفكار الموضوعات، وتعرف الغرض من الكتاب، واستخلاص النتائج منه. ولو عاد الإنسان إلى هذه الملخصات والاختيارات لاستطاع أن يقرأ من خلالها معالم شخصية الناشئ، وبدايات تشكل ثقافته وأفكاره، وذوقه، ومدى قدراته وإمكاناته، مع القدرة على اختيار المسار المناسب له، والاختصاص الملائم لمواهبه وإمكاناته وميوله.

ولكم أضعنا في عالمنا العربي والإسلامي طاقات لم تلق مثل هذا الاهتمام وهي في مرحلة النشأة والتشكل، فماتت هذه المواهب، أو اصطدمت بالواقع المتجمد، الواقع النمطي، والتعليم الذي لا يكترث إلا بالذاكرة، أو السُكون الذي يُترجم إلى مصطلح «مؤدب، أو هادئ، أو...» في المدرسة، أما ذاك الطالب المتحرك، المتحفّز، الطُّلعة، الباحث عن آفاق أرحب، فهو المؤرق للمدرسة والمعلمين، الذي يحتاج إلى ضبط وتأديب، وهذه قضية تحتاج إلى وقفات طويلة.

كنت أجلس مع أخوين عزيزين، نتحاور ونتشاور، ويعرض كل واحد ما عنده، فكانت هذه الجلسات البسيطة موطنًا ودافعًا لغرس الثقة، والاستمرار في الكتابة، لأنني - ومن دون شعور أو افتعال - أحس أن ما يقال في هذه الجلسة الأخوية نوع من التقويم للموضوعات التي تطرح، فإذا ما لقي الموضوع المقروء، أو الفكرة المطروحة استحسانًا عرف صاحبه أنه قابل للتداول.

ومع أن أعمارنا متقاربة جدًا، وثقافتنا كذلك، فإن هذا المعيار ظل صالحًا، وكان نافعًا، لأنه أعطانا الثقة، وكان أحد العوامل التي أثرت في استمرار الكتابة والمناقشة، حتى بدأنا في نشر الكتب.

صورة، لا شك أنها بسيطة، وكانت ساذجة وطفولية في بدايتها. لكنها أضحت ذات تأثير كبير في تشكيل مستقبلنا، وتحقيق بعض طموحاتنا في المستقبل.

وهي في الوقت ذاته تعطي صورة إيجابية للصداقة التي تتجه نحو استثمار الثقة، والمحبة والتعاون، والعاطفة، والجرأة لتحقيق الآمال والطموحات الطيبة، بدلاً من استخدامها في تبديد الطاقات الشابة، وقتل الوقت، والعبث. إنه الإسلام الذي جمع هؤلاء الصبية صغاراً، ووثق بين قلوبهم، وهذّب أخلاقهم، وأثّر في عقولهم وسلوكهم حتى باتوا يبحثون عن الخير، وزرع العمل الصالح، وقد يخطئون في مسيرتهم، ولكنهم يجنون الخير الكثير أيضًا.

إن محب الثقافة، والأدب والكتابة، يعيش لحظات سعادة وانتشاء عندما يقرأ أو يكتب ما يعبر عن أعماقه، وهو لا يعرف تفسيراً لمبعث سعادته: هل هي الفكرة، أم هو نوع من إرضاء عواطفه، أو تحقيق شيء من ذاته؟ لكنه يشعر على أي حال بالسعادة،

وقفات وذكريات

محمد حسن بريغش

ويشعر بكثير من الراحة النفسية. وحين يُخضع هذه التجربة للتفكير والتحليل لا يصل إلى رأي واضح في تفسير التجربة التي يمر بها في أثناء الكتابة، ولا البواعث التي تقف خلف النشاط والسعادة التي يمر بهما، ولكنه يحس بآثارها في حياته ومشاعره، وقد تكون كبيرة وعميقة، على ما يقول عنها الآخرون. إنها تمثل جزءًا من حياته وكيانه، ولكنها بالنسبة للآخرين لا تمثل شيئًا، أو تمثل تجربة من آلاف التجارب الإنسانية التي تُنشر هنا وهناك.

ولو أن صاحب التجربة صدمته هذه الحقيقة وهو يُخرج تجربته لتوقف عن العطاء، وانكفأ كسيفًا من قساوة الآخرين، أو عدم اكتراثهم.

ولكنه - في أكثر الأحيان - يعيش تجربته بمشاعره الخاصة التي تخيم على فكره، وتأثيرات محيطه، ويظل في نشوته وكأنه قدّم للعالم شيئًا ثمينًا يستحق التقدير، وبذلك يستمر.

وقد يهيّئ الله له من ينظر إلى تجربته بعين الاهتمام والتقدير، فيثني عليه، ويبرز إيجابياته، فيعطيه قدرًا من الثقة للاستمرار، ويفتح له في الأفق البعيد كُوة يرى منها ضياء النجوم البعيدة.

بين الماضي البعيد، والحاضر الماثل يمتد خط لا يغيب عن ناظري، فالكتابات البسيطة، وتدوين الخواطر والذكريات، وكتابة المقالات المدرسية للصحف المعلقة على جدران المدرسة، وإلقاء الكلمات في المناسبات المختلفة، والإكباب على المطالعة المستمرة، كل ذلك أثمر بفضل الله عز وجل، وأصبحت المقالات بحوثًا، والكتابات كتبًا. أليس ذلك نهجًا يستحق أن ينظر إليه الناشئون، ويهتم به المعلمون والمربون والمهتمون برعاية الأقلام الواعدة، فلا يستصغرون تلك السطور البسيطة التي يكتبها الصغار، بل ينظرون إليها نظرة الباحث عن الروح والجوهر، فإذا رأوا فيها ما يدل على موهبة كامنة، أو استعداد حقيقي، مدوا إليه يد النصح والمعونة، حتى يقوى ويشتدّ، ويصبح قائمًا على سوقه، ناضج الثمر، حلو الطعم.

ولكم تفعل الكلمة البسيطة، والتشجيع المخلص، والفرصة في نشر بعض الكلمات في نفس الناشئ، حيث تعطيه القوة والثقة والاندفاع حتى يصل إلى غايته.

من الذكريات التي لا أنساها، أنني في إحدى الأمسيات صعدت إلى السيارة التي تنقل الركاب من دمشق إلى بلدتي، وجلست في أحد المقاعد بانتظار انطلاقها نحو البلدة، وكانت الظلمة تغشى المكان، وليس في السيارة إلا عدد قليل من الركاب، فإذا الأفكار والخواطر تعجّ في داخلي، أجلس في المقعد، وحولي بعض الركاب ولكنني في عالم آخر، في عالمي الداخلي. وأحسست بالرغبة في الكتابة، فأخرجت ورقة وقلمًا، وبدأت أكتب ما دار في نفسي، وملأت قرابة صفحتين، كنت أكتب ولا أتبين السطور، ولما انتهيت كانت السيارة قد بدأت بالسير، فطويت الورقة، ولما وصلت إلى بلدتي، أسرعت إلى البيت، وفتحت الورقة وأعدت نسخها قبل أن تضيع مني، لعجزي عن قراءة ما كتبت في الظلمة. ثم أرسلت هذه السطور في اليوم التالي إلى إحدى الصحف اليومية في دمشق، ووضعت لها عنوانًا هو «غدنا المأمول» وفوجئت بعد يومين بنشرها في الجريدة، وكم كانت فرحتي عندما تلقيت التهنئة من بعض الزملاء والأصدقاء، وشعرت أنني - في ذاك اليوم - قفزت من فوق حاجز كبير كان يمنعني من الكتابة.

وبعد سنوات قليلة من هذه الحادثة، كتبت ثلاث حلقات في الجريدة ذاتها عن الكاتب الجزائري مالك بن نبي، يرحمه الله(9)، وعن كتابه الثمين «شروط النهضة»، وعرضت في هذه الحلقات هذا الكتاب وما فيه من أفكار، ونظرات اجتماعية، وفكرية مهمة.

وشاء الله عز وجل أن يأتي الكاتب ذاته زائرًا إلى سورية، وأن يزور بلدتي ويمكث فيها نحو خمسة عشر يومًا، نلتقيه، ونسمع منه ونستفيد من ثقافته الموسوعية، وأفكاره التي كانت استنارة لنا عما كتبه في كتبه المتعددة. وكانت استفادتنا من ندواته هذه معنا أكثر وأكبر من استفادتنا من قراءة كتبه، مما جعلنا ندرك ما كان يعنيه أسلافنا في تلمذهم على شيوخهم في مختلف التخصصات والفنون العلمية، ومعنى إجازة الشيخ لتلميذه.

وفي إحدى الجلسات تجرأت على عرض ما كتبته عنه وعن كتابه ذاك في الجريدة أمامه، وكنت أتوجس خيفةً مما سيقوله عن هذه الكتابة.

ولما انتهيت من قراءة هذه الحلقات، نظر إليّ، وعلى وجهه علامة الراحة والسعادة، وخاطبني مع بعض الأصدقاء فقال: إن كتاب شروط النهضة كتب عنه الكثيرون في القاهرة وبيروت وغيرها، وتناوله عدد من الكتّاب بالتحليل والتعليق، وهذا الذي كتبته أفضل ما كُتب عن الكتاب لأنه عرضه بشكل صحيح، وناقش ما فيه بطريقة سليمة.

كانت هذه الكلمات كافية لتملأ نفسي بالثقة، وتزرع لدي الأمل والاستمرار في هذا الطريق، لأنها - في ذلك الوقت - كانت شهادة نجاح غالية.

وفي ختام هذه الخواطر، لابد من التأكيد أن طريق الثقافة والفكر والأدب، طويل، يبدأ به الناشئ بدافع الأمل، وتحقيق الذات، ولكنه بعد عشر سنوات يشعر أنه ذرة في محيط، وكلما أوغل في سفره ازداد يقينًا بأن عالم الفكر أو عالم الثقافة، أو عالم الأدب، عالم رحيب وكبير، وأنه مهما صنع الفرد فلن يستطيع أن يصل إلى الغاية التي يريد، فإذا ازدادت معرفته، وقويت تجربته، زاد إحساسه بأنه ما يزال جهولاً بعيدًا من الغاية، ولهذا تخبو عنده تلك المشاعر الطفولية التي دفعته في بداية الطريق، وتحل محلها دوافع القيام بالواجب، والإسهام بقدر الطاقة في الوصول إلى الحقائق وتربية الأجيال، وبناء المجتمعات، ومحاربة الزيف والباطل، وحماية الأمة من اعتداءات الشياطين والدعوات الماكرة.

ويصبح هذا الدافع مهمازًا قويًا، يؤصل العمل، ويقوي الفكر، ويجلّي الصورة، مهما امتد الزمن.

الهوامش:

1- أصبح عدد سكانها الآن يقارب السبعين ألفًا، وهي تبعد من دمشق 15كم، وتقع على تلال مرتفعة شمال العاصمة، واسمها (التل).

2 - هذا الأمر عندما لم يكن هناك وسائل وأجهزة وآلات تستعمل في الأبنية، وكل أمر كان يعتمد على القوة الجسدية، والمهارات الشخصية.

3 - كان ذلك قبل عام 1948م.

4 - حيث كان الخطيب، أو من يتكلم في المناسبات رمزًا للمتعلم الناجح، والمثقف الحائز الشهادات.

5 - إهداء كتاب «مصعب بن عمير» الذي نشر في أولى طبعاته عام 1392هـ/ 1972م في سلسلة أعلام المسلمين، وتوالت طبعاته حتى اليوم.

6 - لم يكمل في دراسته سوى سنة ونصف السنة، أي خرج وهو في الصف الثاني الابتدائي.

7 - كانت هناك حصتان في الأسبوع للنشاط باسم (أعمال حرة) ماعدا حصتي الرياضة، وحصة الرسم والأشغال.

8 - كانت تكاليف الدراسة كبيرة، فالطالب يشتري الكتب المدرسية، والدفاتر والأقلام، وما يلزمه للأنشطة، ويدفع مع هذا مبلغًا للمدرسة يسمى (صندوق التوفير أو الصندوق التعاوني).

9 - ولد مالك بن نبي في مدينة قسنطينة في الجزائر عام 1905م، وانتقل بعد دراسته الثانوية إلى باريس، ودرس الهندسة، واتجه إلى تحليل الأحداث، واتصل بالثقافات العالمية، وتميز بالقدرة على التحليل. أصدر عددًا من الكتب من أهمها: شروط النهضة، مشكلة الثقافة، الظاهرة القرآنية، ميلاد مجتمع، دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين، وجهة العالم الإسلامي، فكرة الأفريقية الأسيوية، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، وغيرها..

عندما يدور الشهر.. أو يستدير القمر
أنت على موعد دائم مع

الجيل

«الصحافة الشابة لكل الأجيال»

AL JEEL





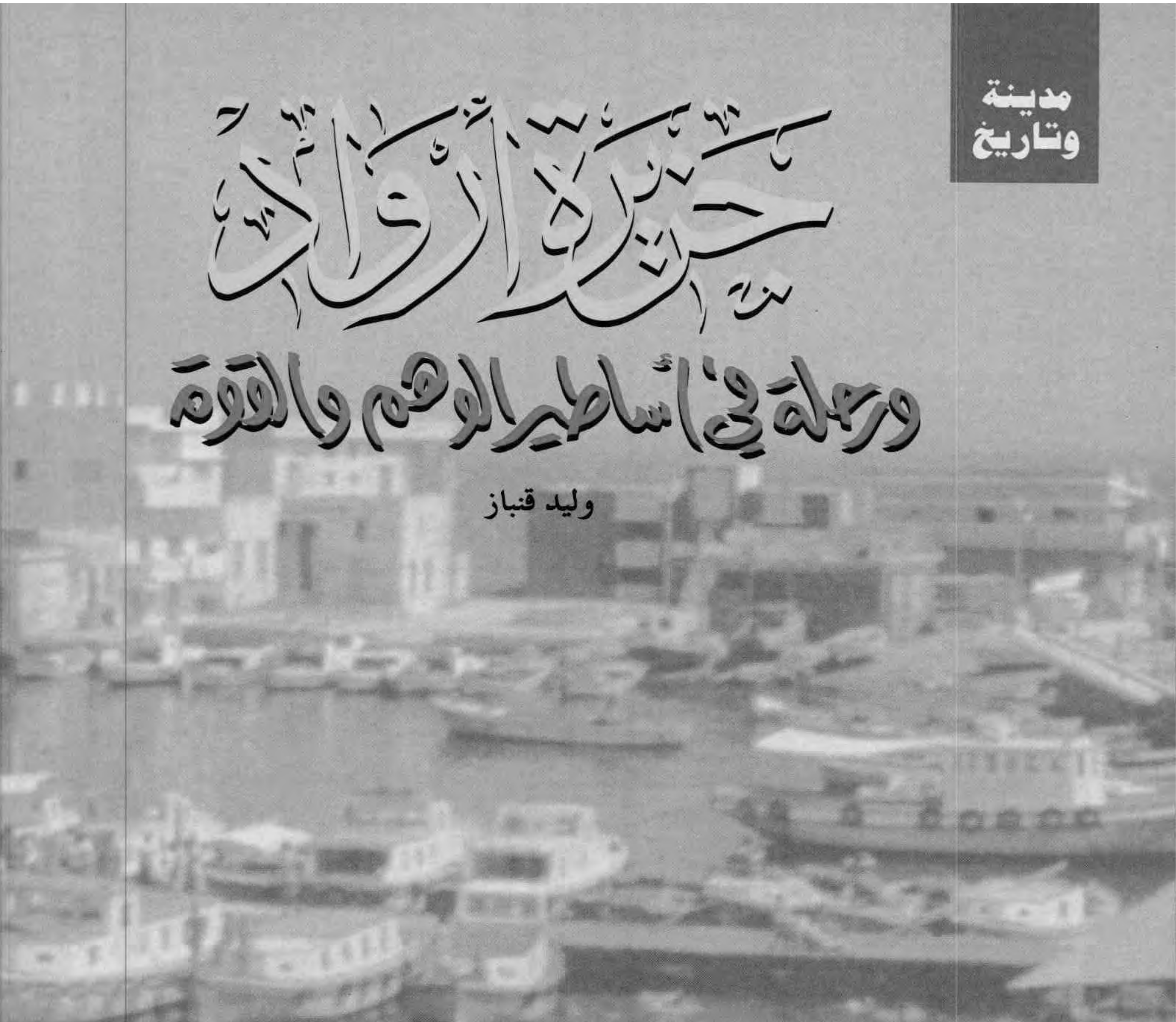


تقرأ فيها باستمرار:

- معالجات عميقة وجادة وشيقة لأحداث الرياضة السعودية والعربية والعالمية.
- لقاء مع نجوم الرياضة في مختلف الألعاب.
- تحقيقات في مختلف المشكلات والقضايا الاجتماعية الشبابية.
- حوارات مع كبار المفكرين والأدباء والفنانين.
- دراسات نقدية لروائع الأدب، ومتابعات لأحداث الفن والثقافة.
- إبداعات الشباب في مختلف الفنون الأدبية.
- كل ما يهم الأسرة من طب وعلوم وتربية واقتصاد.

لكل ذوق.. ونحن نرضي كل الأذواق
مع «الجيل».. أنت تقرأ في كشكول الحياة

مدينة وتاريخ



جزيرة أرواد

ورحلة في أساطير الوهم والقوة

وليد قنباز

ونمر السنوات، وهي تتألق في كل شيء، حتى كان أحد الأيام الذي كساها مسحة من التشاؤم واليأس، ثم مالبثت أن وقعت فريسة مرض أفقدها الحسن والرواء، وسلبها الذكاء والعطاء. وحاول الأب جاهداً شفاء وحيدته وإنقاذها وإعادتها إلى سابق عهدها؛ فما ترك علاجًا يُستطَب به، أو طبيبًا ذائع الصيت، أو كاهنًا بارع الحيلة إلا واستقدم، وبذل، وأمَّلَ، ولكن من دون جدوى، حتى وصلت الفتاة إلى حالة سيئة للغاية.

وأتى من يقول للملك: إن في رأس الجبل القريب من المملكة كاهنًا عجوزاً يشفي العلل المستعصية والأمراض المعقدة، فما كان منه إلا أن استحضره، ورغب إليه أن يعود ابنته. وفعل الكاهن، وقال من بعد المعاينة والفحص: «إن ابنتك تعاني مرضًا داخليًا ثقيلاً يؤثر في قلبها ونفسها وعقلها، وهو يحتاج إلى علاج خاص لا يتم إلا إذا انفردت وحيدة في جزيرة خالية من جزر هذا البحر المحيط مدة شهر على أقل تقدير».

وأذعن الملك للرأي، ولاسيما بعد أن رأى ابنته شارفت على الهلاك، فأرسلها مع قائد جيشه وبعض جنده إلى أقرب جزيرة، وحين وصلوا إلى شاطئها، أنزلوها هناك مع بعض الزاد، وتركوها وحيدة بين الحشائش والأصداف وهدير الأمواج والصخور.

وما كاد الشهر تنقضي أيامه حتى هرع قائد الجيش والجند إلى الجزيرة ثانية، فإذا هم يرون ابنة مليكهم في عافية تامة، فتملكتهم الدهشة، وحملوها فرحين إلى ملكهم الذي ثَلَج صدره، وعمّه السرور والبهجة لرؤية وحيدته معافاة هانئة، فما كان منه إلا أن أطلق على الجزيرة الشافية اسم وحيدته الفاتنة الأميرة «أرواد». وهكذا كانت جزيرة «أرواد» الحلم والخيال والأسطورة.

جغرافية أرواد

أرواد جزيرة صغيرة تتوسط الشاطىء الشرقي للبحر المتوسط أمام مدينة طرطوس، وتقع على خط الطول 35 شرقًا، وخط العرض 34 شمالي خط الاستواء، وتبعد من اليابسة مايقارب 3كم، وتبدو للناظر إليها من الجو صخرة تطفو على سطح البحر الذي كاد يغمرها، فطولها لا يزيد على 750م، وعرضها على 465م،



المغازل في لقطة قريبة، وتبدو فتحة التنقيب الأثرية

ما أجمل أن يخفق المرء بجناحيه في أجواء الأمس، ويضـــرب في آفـــاق الماضي، ويرهف مسمعيه إلى كلمات العجائز والرواة وأصحاب الأساطير.. وهي تحكي أن أحد الملوك الغابرين كان له ابنة وحيدة اسمها «أرواد»، وكانت آية في الذكاء والعطاء والحسن والرُّواء، فغدت قرة عين أبيها، وأمله الكبير في الحياة.

وأعلى نقطة فيها لا تتجاوز 14م، ومساحتها تقارب الـ 20 هكتاراً، والمساحة المأهولة منها تقرب من 14هكتاراً ليس غير.

كان عدد سكانها في الثلاثينيات من هذا القرن لا يتجاوز أربعة الآلاف، وفي عام 1995م وصل إلى 15918 نسمة، يعيش منهم في الجزيرة مايقارب ستة آلاف، أما الباقون فيتناثرون في موانئ البحر المتوسط، فهم العمود الفقري للعمل البحري فيها.

ولو تساءلنا من أين يأكل سكان أرواد لوجدنا أن طعامهم جميعه - ماعدا السمك - مجلوب من طرطوس وطرابلس الشام، حيث تحمله المراكب يوميًا إلى الجزيرة.

أسماؤها

يضبط ياقوت الحموي في معجم البلدان اسم أرواد على النحو التالي: «أرواد: بالفتح ثم السكون وواو وألف ودال مهملة». ولعل هذا الاسم هوَ أقدمَ الأسماء التي وصلت إلينا، وقد ورد على هذا الشكل في التوراة، كما دعيت فيها أيضاً باسم (آراد)، وجاء اسم (الآرادين) علماً على سكانها.

وتسمى أرواد في اللغة العبرية «أرفاد»، في حين دعيت في نص آشوري قديم «أرواد التي في وسط البحر»، ثم مالبثت أن دعيت في العهد اليوناني باسم «أرادوس»، كما سميت في العصور الوسطى «صخرة طرطوس».

وكلا الاسمين (أرواد - آراد) يعني التيه، أو ملجأ الهاربين من سكان صيدون (صيدا) وصور.

وإذا ما أتينا إلى المؤلفات العربية القديمة والحديثة وجدنا اسم (أرواد) من دون غيره، ويرى الباحث أكرم ساطع أن هذا الاسم غير سامي، وتتكاثر الأساطير حول معناه وسبب إطلاقه، وهذا الاسم (أرواد) مايزال نفسه الاسم الرسمي للجزيرة حتى الآن، وهو يتردد على ألسنة العامة في أيامنا ولكن بحذف الألف منه، وكثيراً بحذف الجيم من كلمة جزيرة فيقولون: جزيرة رْواد، ويقولون: زيرة رْواد من باب حذف التخفيف.

قدمها ونشأتها

تؤكد الموسوعة البريطانية أن «أرواد جزيرة موغلة في القدم»، وقد ورد اسمها في سفر التكوين من التوراة، وفي نصوص مصرية وآشورية قديمة، مما حمل أحد الرحالة الباحثين الغربيين على القول: «تبدو لنا جزيرة أرواد كآخر مدينة فينيقية ترسل رجالها عبر المحيطات، وهي لم تزل كذلك منذ أقدم العصور».

ويرى باحثون - ومنهم السيدة «هنورفروست» - أن أرواد كانت أكبر مماَ هي عليه الآن، وأن الزلازل والعوامل الطبيعية الأخرى قد عملت على خسف أجزاء منها وإغراقها تحت الماء، وطالبت باكتشافها والتنقيب عنها وفيها.

أرواد عبر التاريخ

مع نهايات الألف الثالث قبل الميلاد اتجهت هجرات كنعانية من شبه الجزيرة العربية إلى الساحل السوري وداخل سورية الجنوبية، وأسّس الكنعانيون ممالك عديدة منها مملكة أرواد، وأُطلق على الذين قطنوا منهم الأجزاء الوسطى والشمالية من الساحل اسم «الفينيقيين» وهي تسمية يونانية، ومعناها الشعب الأحمر، لأن الفينيقيين اشتهروا بالاتّجار بسلع ذات لون أحمر، وبخاصة الأرجوان.

وفي عام 2340 ق.م اجتاح الملك صارغون الأول (سارجون) مؤسس الدولة الأكادية بالعراق سورية بكاملها، وكانت أرواد آخر ما بسط سيطرته عليه. وبعد الدولة الأكادية وقعت سورية - بما فيها جزيرة أرواد - تحت نفوذ المصريين. ويؤكد هذا ما



أحد أبراج القلعة وقد تحول إلى مسجد ومئذنته شامخة

جاء في نصوص تل العمارنة من وصف لأرواد. ثم انتقلت أرواد إلى سيطرة الحثيين الذين عقدوا معاهدة صلح مع المصريين.

وبعد غزو شعوب البحر البربرية للإمبراطورية الحثية انتقلت أهمية أوغاريت - التي سقطت واندثرت حضارتها - إلى جزيرة أرواد التي غدت أبرز مدينة في المنطقة، لكنها وقعت تحت سلطة الآشوريين بعد ذلك. وكانت أرواد في تلك الحقبة ترتبط بعلاقات سياسية وتجارية مع جزيرة قبرص وجزر بحر إيجه، كما أثّرت في السياسة الدولية منذ فجر الألف الثاني قبل الميلاد.

بعد سقوط الإمبراطورية الآشورية عام 612ق.م، دخلت أرواد وبقية المدن السورية تحت سيطرة الإمبراطورية الكلدانية التي استطاع ملكها نبوخذ نصر توحيد سورية تحت نفوذه.

وحين سقط الكلدانيون على يد الفرس عام 539ق.م، ضموا أرواد إليهم، وأصبحت جزءاً من الولاية الفارسية الخامسة المسماة (فينيقيا)، واشتركت مع الفرس ضد اليونان بأسطولها في المعركة البحرية المعروفة باسم «سلاميس» عام 480ق.م وكان النصر حليف اليونان.

وحين غزا الإسكندر المقدوني الإمبراطورية الفارسية وحطّمها، احتل أرواد عام 332ق.م، وقام «جيروسترات بن ستراتون» ملك أرواد بتقديم مفاتيح الجزيرة إليه، وأمضى في ضيافتهم عدة أيام، وضربت أرواد لأول مرة نقودها باسمه، وكانت تُضرب باسم ملوكها.

وفي عام 64ق.م تبعت أرواد الحكم الروماني، وأصبح الساحل السوري جزءاً من الولاية الرومانية الأولى.

أرواد في ظلال الإسلام

بعد انقسام الإمبراطورية الرومانية قسمين: غربي وعاصمته روما، وشرقي وعاصمته بيزنطة (القسطنطينية) تبعت أرواد بيزنطة، وبقيت كذلك حتى عام 28هـ - 649م حين دخلها العرب المسلمون بقيادة جُنادة بن أبي أمية (ت:80هـ) بطلب من معاوية بن أبي سفيان (ت:60هـ) والي الشام بعد احتلال قبرص بعام واحد، وكانت آخر حصون الروم وأقواها على سواحل بلاد الشام. في حين تذكر كتب تاريخية أخرى أن الفتح التام كان عام 54هـ.

وفي العهد الأموي قسمت سورية إلى أربعة أجناد هي: جند دمشق، جند حمص، جند الأردن، جند فلسطين، وأصبح الساحل - بما فيه أرواد - تابعاً لجند حمص.

أرواد والصليبيون

لعل جزيرة أرواد كانت دائماً مفتاح الغزو الشمالي والبحري، فهي أول جزء من سورية تعرّض للغزو الصليبي عام 1097م.

وحين شرع العرب المسلمون في طرد الصليبيين من البلاد كانت أرواد آخر معقل خرجوا منه، فقد تمكن السلطان المملوكي قلاوون من طردهم من قلعة المرقب عام 1285م، ومن اللاذقية 1287م، ومن طرطوس



حصن سليمان: آثار رائعات



1291م، ولكنهم بقوا صامدين في جزيرة أرواد مدة اثنتي عشرة سنة حتى تمكن العرب المسلمون من استعادتها عام 1303م.

وفي عهد المماليك قُسِّمت سورية إلى ست نيابات هي: دمشق وحلب وحماة وطرابلس وصفد والكرك. وكان الساحل جميعه ومن ضمنه أرواد جزءاً من نيابة طرابلس.

وبعد معركة مرج دابق بين المماليك والعثمانيين وقعت أرواد تحت السيطرة العثمانية وذلك في الرابع والعشرين من آب/ أغسطس عام 1516م.

أرواد والاحتلال الفرنسي

كان أول جندي فرنسي يدخل سورية هو ذلك الذي دخل أرواد في أول أيلول/ سبتمبر1915م.. وفي تشرين الثاني/نوفمبر من عام 1917م قذف الجنود الألمان بمعاونة الأتراك بمدافعهم من مدينة طرطوس جزيرة أرواد، فاضطر الفرنسيون إلى إخلائها، ورحلوا هم وسكانها إلى قبرص عبر عشرات من المراكب، وبقيت أرواد خالية من السكان عامًا وبعض العام. وبعد عودة الفرنسيين إلى الساحل السوري جعلوا من أرواد مركز اعتقال لعدد كبير من الزعماء السوريين واللبنانيين نذكر منهم: شكري القوتلي، عبد الحميد كرامي، عبداللطيف بيسار، عبدالرحمن شهبندر، حسن الحكيم، سعيد حيدر، خالد الخطيب، عبدالوهاب العقيقي، منير ذكي شيخ الأرض، فارس الخوري، فوزي الغزي، جميل المؤيد، عبدالمجيد الطباخ، نجيب الريس، سعدالله الجابري، عادل حتاحت، فهمي المحايري، نادر الساطي، عبدالحميد الدركزلّي، عمر البيطار، نورس طيبة، وغيرهم.

وكان آخر جندي فرنسي غادر سورية هو ذلك الذي اعتلى الباخرة من جزيرة أرواد في السادس عشر من نيسان/ أبريل عام 1946م.

معالم أرواد وأوابدها

كي نحاول معًا تعرُّف معالم أرواد.. فعلينا أن نمتطي مركبًا من ميناء الأروادين في طرسوس الذي يقع غرب الكورنيش..

ميناء أرواد:

ويصل بنا المركب إلى أرواد، وندخل ميناءها الجديد، ويبدو الميناء القديم على يميننا بأحجاره الرملية الضخمة. ولقد كان هناك جسر يصل بين الميناء القديم وجانب الجزيرة اليساري وله عدة قناطر، ولكن بناء الميناء الجديد عمل على هدمه منذ ثلاثين عامًا ونيِّف.

ويجذب نظرنا من الناحية اليسارية الرصيف وقبة الزاوية البيضاء وأعداد كثيرة من المراكب الأروادية متوقفة بتناسق فني بديع. ومن بعد عليك أن تنزل من المركب إلى الرصيف وستفاجأ بأن أحدًا لن يطلب منك أجور الرحلة.

الكورنيش السياحي (الرصيف):

وندلف من الرصيف إلى شارع عريض على طول الناحية الشرقية من الجزيرة، إنه الكورنيش السياحي (الرصيف) الذي انتهى إنشاؤه عام 1976م، ويضم عددًا من المطاعم والمقاصف، ويرتاده يوميًا العشرات من السيّاح العرب والأجانب.

القلعة الساحلية:

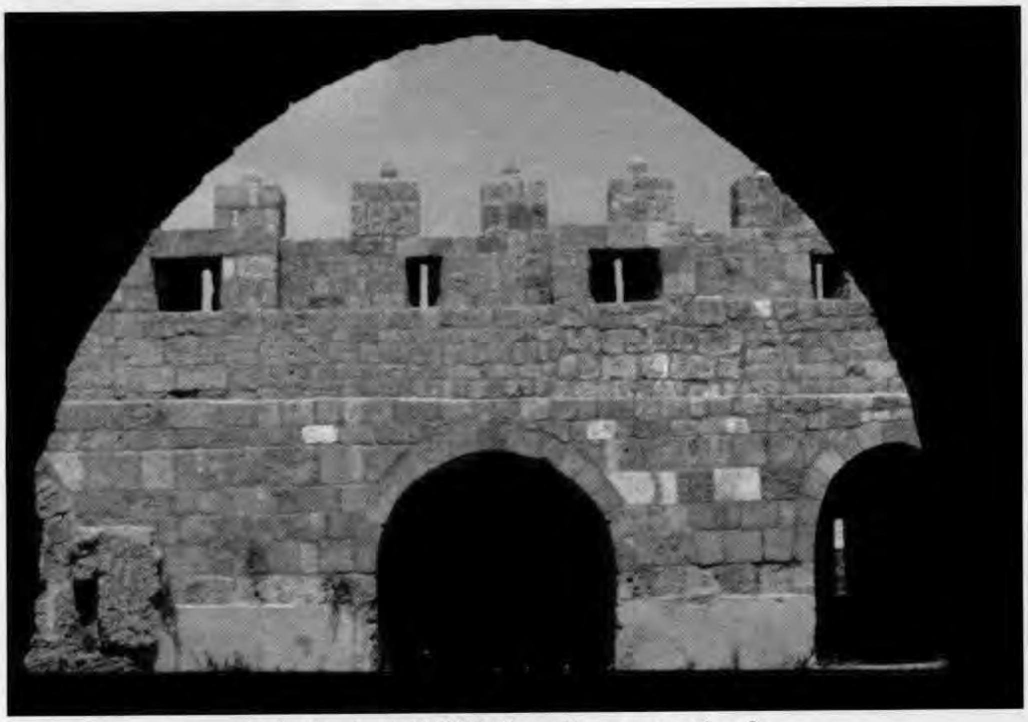
وتدعى البرج العربي أو البرج الأيوبي، وتقع شمالي المرفأ القديم والرصيف السياحي، ويلاحظ في هذه القلعة برجان لا برج واحد، أحدهما في الشمال والثاني في الجنوب، وكانا يشكلان في الماضي نقطتي المراقبة على الطريق البحري الواصل بين اليابسة والجزيرة، وقد أقيمت هذه القلعة مع البرجين في العهد الأيوبي على يد الملك الأفضل نور الدين بن صلاح الدين بين عامي 1193-1196م. أما وسط القلعة فيعكس لنا الفن المعماري الأيوبي، شأنه شأن البرجين الآنفي الذكر، فهو بَهْوٌ محاط من جهاته جميعًا بغرف استخدمت للسكن، ومستودعات، وملاجئ في حالة الهجوم. وتتوّج الأقسام العلوية لجدران القلعة مسنّنات من الحجر، وفي وسطها مرامي السهام، وأما المسافات المفتوحة بين المسنّنات فهي أماكن رمي الكتل الملتهبة على المغيرين.

القلعة المركزية:

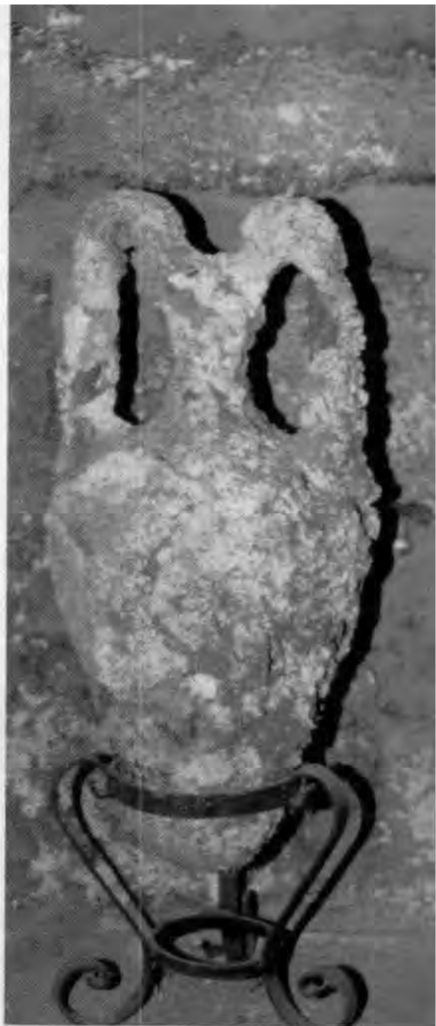
وهي في العهد الفرنسي معتقل الأحرار، وحاليًا مقر متحف أرواد، ويعتقد أن هذه القلعة أقيمت مكان حصن أو برج مراقبة يعود إلى عصور ماقبل الميلاد.

وتقوم هذه القلعة على صخرة طبيعية ماتزال بعض أجزائها ماثلة للعيان كما تبدو إلى اليمين من المدخل الرئيسي للقلعة، وفي الجدار الجنوبي منها. والأقسام الخارجية للبناء الحالي للقلعة كافة بما فيها الأبراج الأربعة التي تتوزع زواياها هي عربية تعود إلى العصر الأيوبي، أما الأقسام الداخلية فمعظمها من العهد العثماني، وقد أقيمت مكان المنشآت الأيوبية.

ويطالعنا في المدخل المركب الأروادي القديم في لوحة نافرة رائعة. وأما ساحة القلعة فقد زرعت بالزنابق



قوس رائع وجزء من سور المتحف (القلعة المركزية) وتبدو فيه مرامي السهام



من معروضات متحف أرواد ـ فخاريات منتشلة من أعماق البحار

التي تتخللها بعض القطع الأثرية، ويحيط بهذه الساحة غرف استُخدمت لأغراض مختلفة في عصورعديدة، فقد كانت هذه القلعة في العهدين العثماني والفرنسي ثكنة عسكرية.

وأما أبراج القلعة فلقد تحول البرج الشمالي إلى مسجد في العهد العثماني بعد أن ضُمَّت إليه أقسام ملاصقة وعلته مئذنة وقباب، كما تحول البرج الغربي إلى منارة كانت ومازالت تهتدي بها السفن في الليالي الحالكات، وبقي البرجان الآخران على حالهما.

وفي القلعة غرفتان كانتا مقراً لسجن الزعماء السوريين واللبنانيين من قبل السلطات الفرنسية، وفي الغرفة الداخلية نظم نجيب الريس قصيدته اللاهبة:

يا ظلام السجنِ خيِّمْ
إننا نهوى الظلاما
ليس بعد الليل إلا
فجر مجد يتسامى

متحف أرواد:

في عام 1981م افتُتح مُتحفُ أرواد في مبنى القلعة المركزية، ولعل من أبرزمحتوياته لوحة فسيفسائية عُثر عليها في «عمريت» التابعة لمملكة أرواد، وهي أرضية غرفة الولائم في أحد البيوت، ويعود تاريخها إلى القرن الأول قبل الميلاد، وتمثل الخصب، إذ ترى شخصاً يعلو رأسه تاج من الخضار والفواكه (رمان، موز، تفاح)، ويحيط بهذه اللوحة إطاران، الأول عادي، والثاني مزخرف بزخرفة هندسية.

وأما القمع المقلوب فهو أيضاً من أبرز مقتنيات المتحف، فهناك بين طرطوس وأرواد فوّارات مياه عذبة تحت البحر، وعددها خمس، ولقد تنبه لها أبناء أرواد منذ أكثر من ألفي عام فابتكروا طريقة القمع المقلوب، وكان يتصل بأنبوب نحاسي يصل إلى الجزيرة ويصب الماء في حوض رصاصي، ولقد انتشل هذا القمع من أعماق البحر الغطاس «صلاح بهلوان».

ومن معروضات متحف أرواد كذلك: ثوب الغطاس على الإسفنج، فخاريات انتُشلت من أعماق البحر بالقرب من أرواد بوساطة الضابط الغطاس «حسين حجازي»، الأصداف البحرية، نقود سُكَّت في أرواد، عقود، حلي.

منطقة الأطلال:

وتقع هذه المنطقة غربي الجزيرة، وقد توصل الباحثون إلى أنها أساس البيوت ذوات الطبقات الخمس من طرف، وأنها أصل أحجار سور أرواد الضخم من طرف آخر، وعلى أطراف منطقة الأطلال من الجهة الشرقية نلمح الكهوف التي أصابت الباحثين بالحيرة، فهل هي بيوت الإنسان البدائي، أم هي مستودعات لتخزين البضائع المستوردة والمصدرة من قبل الأرواديين القدماء، أم هي خزانات لمياه الأمطار التي مازالت تنساب إليها من مزاريب تتصل بأسطحة بيوت أرواد كلها حتى يومنا هذا؟ قد تكون واحدة من هؤلاء، وقد تكون هؤلاء جميعًا..؟!

سور أرواد والسور المزدوج:

إن سور أرواد من أضخم الأسوار القديمة، ولقد كان بشموخه يحيط بالجزيرة من أطرافها كافة، ومازال بعض أجزائه بادية للعيان في يومنا الحاضر، ولقد أدهش هذا السور المبني بالحجارة الرملية الضخمة كل العلماء والرحالين الذين زاروا الجزيرة، وقام العالم الآثاري «إيرنست رونان» بدراسته عام 1861م، ونقّب في منطقته، وعثر على بعض التماثيل والنقود والكتابات اليونانية، فكتب عنه دراسة واسعة شاملة أنهاها بقوله: «لا أعتقد أنه يوجد في العالم غرائب تفوق أرواد في العظمة».

وفي عام 1959م قام الباحث السوري «جبرائيل سعادة» بدراسة الفخار الموجود بالقرب من السور، ويوجد قسم كبير منه ملتصق بالصخر، فتبين له أن قسمًا منه يعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد، في حين أن قسمًا آخر يعود إلى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي).

ولكن كيف بني سكان أرواد سوراً بهذه الضخامة، ومن أين أتوا بحجارته التي يبلغ وسطي كل منها مايقارب 20طنًا، والتي تتوضع بعضها فوق بعض بحيث كانت تصل إلى ارتفاع 25مترًا فوق الحافة الصخرية؟!

الحقيقة أن الأرواديين اقتطعوا الحجارة من الصخور التي تحيط بجزيرتهم، فنشأ عن ذلك الخندق، ثم بنوا السور على حافة الخندق من جهة البحر، وبهذه الطريقة تجنبوا نقل الحجارة من مكان بعيد، فأمّنوها من الجزيرة نفسها، ولكن من أطرافها لكيلا يتعرضوا للمباني القائمة، وربحوا الخندق الذي نتج من هذا العمل إذ أصبح خطًا دفاعيًا ثانيًا يأتي بعد السور. ولقد كان لهذا السور فضل كبير في حماية الجزيرة من ناحيتين: الأولى: الوقوف في وجه الغزاة والقراصنة الذين كانوا يهاجمون الجزيرة طمعًا في خيراتها. والثانية: درء أخطار العواصف والأنواء التي تهب على الجزيرة منذ أقدم العصور.

وليس هذا فقط، بل إن الأرواديين بنوا من الناحية الغربية في جزيرتهم سورًا مزدوجًا لاتقاء أمواج البحر العاتية من طرف وأفواج المهاجمين من طرف ثان، ولعل هذا السور المزدوج نوع فريد في العالم كله.

الحمّام التركي:

ويقع هذا الحمام في شرقي منطقة الأطلال، ويعود تاريخ بنائه إلى العهد العثماني، وكان خاصاً بالقائد التركي، وهو حمام مثالي في البناء والتوزيع والأناقة، وله قبة تخترقها من جوانبها



البرج والمعبد





صناعة المراكب البحرية في أرواد

جميعًا مناور من الآجر أسطوانية الشكل، وجدرانه الداخلية مطلية بألوان مختلفة.

ولقد تهدم قسم من الحمام في أثناء العاصفة البحرية المدمرة التي هبت عام 1968م وأصبح هو الآخر أطلالاً وبقايا.

أزقة أرواد وكرم أهلها

وتتميز أزقة أرواد بالتوائها وضيقها وجمالها، ونجد تضاريس الجزيرة بادية واضحة في أطرافها، وأكثر هذه الأزقة مسدود في نهايته، وكم تسمع من نافذة نداءً لطيفًا يقول: عفواً.. الطريق مسدود.. فعد من حيث أتيت، واتجه غربًا.

وتدخل أي بيت، فيستقبلك أهله بالترحاب، فالأروادي كريم مضياف، ويعرفك منذ الوهلة الأولى، ويعرف أنك لست من أرواد، وحق عليه إكرامك، وتقديم ماتطلب.

ممالك أرواد

اصطلح العلماء والباحثون على تسمية الممالك الصغيرة الواقعة على اليابسة والتي كانت تابعة لأرواد باسم «ممالك أرواد» وأهمها: عمريت (ماراتوس)، وحصن سليمان (بيتوخيخي)، وسيميرا (كرنين)، وبالاتوس (عرب الملك)، وبانياس (بانالا). ولسوف نقصر الحديث على اثنتين منهما لأهميتهما الفائقة:

أ. عمريت:

وتقع إلى الجنوب من مدينة طرطوس وتبعد منها 6كم، وكانت تمثل القسم القاري لجزيرة أرواد، ولقد ورد ذكرها في حملات تحوتمس الثالث تحت اسم «قرط عمروت»، وذكرت في حملات الإسكندر المقدوني باسم ماراتوس، وفيها استقبل الإسكندر مبعوث كسرى الفرس داريوس (دارا) وتبودلت الرسائل الدبلوماسية بينهما.

وقامت المديرية العامة للمتاحف والآثار بعمليات تنقيب في عدة مواسم متعاقبة، وحصلت بذلك على عدد كبير من اللُّقى والمكتشفات الأثرية عرضت في متاحف دمشق وطرطوس وحلب، واكتشفت معبداً يعود إلى القرن الخامس الميلادي، وهو حوض صغير محفور في الصخر، ومقاييسه 38x48م، وعمقه 3أمتار، وتتوسطه كتلة مركزية ارتفاعها 5,5م، ويحيط بالحوض رصيف عريض فوقه رواق سقوفه محمولة على عضادات. ويُملأ الحوض من نبع يتفجر من جدار الرواق الشرقي، ويضم قناة محفورة في الجدار الجنوبي تستخدم للتطهير، وأخرى حفرت في أرض الرواق تستعمل للشرب.

كما اكتشفت شواهد شيدت بالكتل الحجرية الضخمة كالمغازل، وهي أنصاب جنائزية وشواهد قبور ضخمة من الصخر الرملي كانت





مستخرجات البحر أساس لصناعة التحف في أرواد



تخص ملوك أرواد وعمريت وكبار الأغنياء، وتعود للقرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، وهي مختلفة الأشكال والأحجام، وبعضها يحمل تزيينات أسود ومسننات، ولقد تم حديثًا اكتشاف مجموعة آثار رائعة (تيجان أعمدة، جرار، تماثيل، نقود..).

ب ـ حصن سليمان:

وهو من أهم المناطق الأثرية والأوابد التاريخية التي يجب ألا نغفل ذكرها، ويقع وسط الخضرة والجبال المنيعة، وله تاريخ طويل وعريق مع الزمن، ولقد عرف في التاريخ باسم «بيتوخيخي» أو «بيتوسيسي» وكان يتبع جزيرة أرواد، ويمتد بطول 144م، وبعرض 90م، ويمكن الدخول إليه من أبواب أربعة مزينة بنقوش وكتابات ومحاريب صدفية وتماثيل رائعة لـ«فسفورس» أي نجم الصباح و«هسبورس» أي نجم الماء والطائر المقدس وربة النصر وغيرها.

وفي وسط الحصن يقوم الهيكل (معبد كبير الآلهة زيوس) وإلى غربيّه بناء الكنيسة. وحجارته ضخمة جدًا يبلغ طول أكثرها مايزيد على تسعة أمتار، ولا يوجد في بلاد الشرق جميعها ـ باستثناء بعلبك في لبنان ـ حجارة بهذه الضخامة.

بنات أرواد:

هناك جزر ثلاث صغيرات إلى جانب جزيرة أرواد اصطلح على تسميتها باسم «بنات أرواد» وهي: جزيرة الحبّاس (أبوالعباس): طولها 200م، وعرضها 150م، وتقع على بعد كيلومتر واحد من أمها، وهي موطن لطيور النوارس، ويوجد فيها مدافن وقبور منحوتة في أرضها الصخرية. جزيرة أم علي (أبوعلي): وهي أصغر من الأولى، وقد تغطيها الأمواج في حالة هيجان البحر. جزيرة المخاريط (موشارة): وهي مجموعة جزر انفصلت بعضها عن بعض نتيجة عوامل طبيعية وكانت في السابق جزيرة واحدة.

بناء المراكب:

كانت أرواد منذ آلاف السنين ومازال مكانًا لبناء المراكب على اختلاف أشكالها، ومن العجيب أن أبناءها جعلوا منها منبعًا للمراكب وهي التي لا تحوي بين حناياها إلا بضع شجيرات متوزّعة في البيوت!! الحقيقة أنهم يستوردون الأخشاب بأنواعها، ويقومون بصناعة المراكب بقياسات مختلفة وهي آية في الدقة والإتقان.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن الأروادين مهروا في صناعة المراكب الصغيرة يدويًا، وماتزال هذه الصناعة حية نشطة، وهي تستقطب عددًا من الصنّاع المهرة، وتعرض في السوق السياحي ومحلات العرض بأشكالها وأنواعها وأحجامها وألوانها المختلفة، لتأخذ طريقها إلى بيوت الزائرين من مختلف الجنسيات.

ولقد قام «عبد المجيد سليمان» ـ رحمه الله ـ وهو في التسعين من عمره بتصميم المركب الأروادي القديم، واستغرق إنجازه عامًا كاملاً، وهو نموذج حي للمراكب القديمة التي كانت موجودة في أرواد منذ خمسة قرون، وكان لها دور مهم في الحرب العالمية الأولى، وهو محفوظ الآن في متحف أرواد.

شباك الصيد والأسماك:

وشباك الصيد من أبرز ممتلكات أبناء أرواد، وكانت خيوطها قديمًا من الكتّان وأضحت الآن في غالبيتها العظمى من خيوط النايلون لمتانتها وتكاليفها القليلة، وسرعة جفافها، وترى صانعيها ومرمميها وناشريها في كل مكان من الجزيرة.

وأما الأسماك فهي المحصول الرئيسي والأساسي والوحيد للأروادين، ويبدأ موسم الصيد عادة في أيلول/سبتمبر من كل عام وحتى بداية شهر تشرين الثاني/نوفمبر، وبعد ذلك يجري على مدد متقطعة، ومداه من ساحل طرابلس الشام جنوبًا وحتى رأس البسيط شمالاً، ويمتد إلى مايزيد على 15كم في عرض البحر. ومحصول صيد الأروادين من الأسماك قد يتعدى 350طنًا سنويًا، ومن أهم الأنواع التي يصيدونها: السلطان إبراهيم، الفريدي، البوري، اللُّقُس، الجربيدي، الرملي.

وحتى الصناعة اليدوية استلهمت الأسماك والقواقع والأصداف، فعملت على تحنيطها وتصنيعها للزائرين والسياح على شكل تعليقات ومجامع وعقود ومصابيح، وماشاكل ذلك، وتعرض في المحلات العامة وسوق التحف الذي يزخر بكل رائع وطريف وعجيب.

الأدب والشعر والفن في أرواد:

وما أجمل الأدب والشعر والفن تتدفق من أرواد، فهي غنية بها جميعًا، فمنها ظهر العالم الشيخ عثمان العسيلي، والشاعر الأديب عبدالقادر الشامي، والشاعر محمد عبدالله صبرا، والشاعر أحمد الحاج سليمان، والرسام الفنان علي الشيخ ديب، والمطرب الملحن صفوان بهلوان، والفنان خالد محمد أمون، والفنان أحمد صبرا.

ولقد غزت أرواد دواوين الشعر والقصص، ولهج بذكرها كثيرون؛ فها هو الشاعر أحمد سليمان الأحمد يجعل عنوان أحد دواوينه «أرواد وحلم آخر في العيون»، والأستاذ محمد المجذوب يكتب قصة بعنوان «ربان من أرواد»، وغيرهما كثير..



شباك الصيد تصادفك في كل مكان من أرواد



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألّفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

فضل الكلاب على كثير ممَّن لبس الثياب

تأليف: أبي بكر محمد بن خلف بن المَرْزُبان

المتوفى سنة 309هـ =921م.

أما المؤلف، فكان مؤرخًا أديبًا مترجمًا، ينقل الكتب من الفارسية إلى العربية، فترجم أكثر من خمسين كتابًا، كما أنه ألّف الكثير من الكتب التاريخية والأدبية والشرعية.

ومن طريف تآليفه: «ذم الثقلاء»، و«من غدر وخان»، و«من توفي عنها زوجها فأظهرت الغموم وباحت بالمكتوم»، وهذا الكتاب الذي نعرض له، وهو: «فضل الكلاب على كثير ممَّن لبس الثياب».

وقد يبدو الكتاب غريبًا من عنوانه، فكيف تُفضَّلُ الكلاب على بني البشر؟! وما الصفات التي تميزها منهم، وما الدواعي التي دعت المؤلف إلى تأليف كتابه ووسمه بهذا العنوان؟ أسئلة يجيب عنها ابن المرزبان، فيقول: ذكرتَ - أعزَّك اللّه - زماننا هذا، وفسادَ مودَّة أهله، وخسَّة أخلاقهم، ولؤمَ طباعهم، وأنَّ أبعد الناس سفرًا مَنْ كان سفرُه في طلب أخ صالح. ومَنْ حاول صاحبًا يأمَن زلَّته ويدوم اغتباطُه، كان كصاحب الطريق الحيران، الذي لا يزدادُ لنفسه إتعابًا، إلاَّ ازداد منْ غايته بُعدًا، فالأمر كما وصفت، وقد رُوي عن أبي ذر الغفاري رضي اللّه عنه أنه قال: «كان الناس ورقًا لا شوك فيه، فصاروا اليوم شوكًا لا ورق فيه».

ويقول أيضًا: وسألتني - أعزَّك اللّه - أن أجمع لك ما جاء في فضل الكلب على شِرارِ الإخوان، ومحمود خصاله في السِّر والإعلان، فقد جمعت ما فيه كفاية وبيان.

كما يذكر قصَّة الذي بعث إلى إبليس كتابًا في قضاء حاجة له، وإن كان العقل يدفع ذلك الخبرَ، فهو مَثَلٌ حَسَنٌ يُعَرِّف الناس، كما يقول المصنف، ويقول: إن الكتاب وصل إلى إبليس، فقرأه وقبَّله، ووضعه على عينيه، وسأل الرجل عن حاجته، فقال: لي جارٌ مُكرمٌ لي، شديد الميل إليَّ، شفوقٌ عليَّ وعلى أولادي، إن كانت لي حاجة قضاها، أو احتجتُ إلى قرضٍ أقرضني وأسعفني، وإن غبتُ خَلَفني في أهلي وولدي، يبرُّهم بكلِّ ما يجد إليه سبيلٌ، من غير أن يناله منَّا عوَضٌ أو شكر. وإبليس كلَّما سمع منه يقول: هذا حسنٌ، وهذا جميل، وهذا جيِّد. فلمَّا فرغ منْ وصفه، قال إبليسُ: فما تُحبُّ أن أفعلَ به؟ قال: أريدُ أن تُزيلَ عنه نعمته وتفقره؛ فقد غاظني أمرُه وكثرةُ ماله وبقاؤه وطول سلامته. فصرخ إبليسُ صرخةً لم يُسمع مثلها منه قطُّ، فاجتمع إليه عفاريته وجنُّه، وقالوا له: ما الخبر يا سيدهم ومولاهم؟ فقال لهم: هل تعلمون أن اللّه عز وجلَّ خلق خلقًا هو شرٌّ مني؟ قالوا: لا. قال: فانظروا إلى صاحب هذا الكتاب القائم بين يدي، فهو شرٌّ مني.

ويعقِّبُ ابن المرزبان على هذه الحكاية قائلاً: ولو فتشت في دهرنا، لوجدت مثلَ صاحب الكتاب كثيرًا ممَّن نعاشره، إذ لقيكَ رحَّبَ بك، وإذا غبت عنه أسرف في الغيبة، وتلقَّاك بوجه المحبة، ويضمر لكَ الغشَّ والمسبَّة.

والمؤلف - رحمه اللّه - ينظر نظرة قاتمة إلى مجتمعه الذي عاش فيه، فلا يرى مَنْ يصلُح للمعاشرة، فقد ذهبَ الخيِّرون منه واندثروا، ولم يبق إلاَّ القليل منهم. وهو يستخدم كلمة «ذهب» في أربعة عشر موضعًا من أبيات شعرية استشهد بها للتدليل على اضمحلال الخير من نفوس الناس، فمن ذلك قول لبيد:

ذهب الذين يُعَاشُ في أكنافهم
وبقيتُ في خلف كجلد الأجرب

وقول أبي بكر السدوسي:

ذهب الذين همُ الغياث المسبلُ
وبقى الذين همُ العذابُ المنزَلُ

وبعد المقدمة التي بيّن فيها المؤلف سبب تأليف هذا الكتاب، وبيّن فساد ما عليه أهل زمانه، عرضَ للصفات الحميدة في الكلاب، وما انطبعت عليه من وفاء وأمانة، «فالكلب لمن يقتنيه أشفقُ من الوالد على ولده، والأخ الشقيق على أخيه؛ وذلك أنه يحرسُ ربَّه، ويحمي حريمه شاهدًا وغائبًا، ونائمًا ويقظانًا، لا يقصِّرُ عن ذلك، وإن جفَوْه وخذلوه».

ويورد في هذا الشأن بعض القصص والحكايات، فمنها:

- حدثني صديق لي أنه كان له صديق ماتت امرأته وخلَّف صبيًّا، وكان له كلبٌ قد ربَّاه، فترك يومًا ولده في الدار مع الكلب، وخرجَ لبعض الحوائج، وعاد بعد ساعة، فرأى الكلب في الدِّهليز وهو ملوَّثٌ بالدَّم، فظنَّ الرجل أنه قد قتل ابنه وأكله، فعمد إلى الكلب فقتله قبل أن يدخل الدار، ثم دخل الدار، فوجد الصبي نائمًا في مهده، وإلى جانبه بقيَّة أفعى قد قتلها الكلب، وأكل بعضها، فندم الرجل على قتله أشدَّ ندامة، ودفن الكلبَ.

- قال الأصمعي: كان لمالك بن الوليد أصدقاءُ لا يفارقهم ولا يصبر عنهم، فأرسل أحدُهم إلى زوجته فأجابته، وجاء ليلاً واستخفى في بعض دُورِ مالك عند امرأته، ومالك لا يعلم بشيء من ذلك، فلمَّا أخذا في شأنهما، وثبَ كلبٌ لمالك عليهما فقتلهما، ومالك لا يعقلُ منَ السُّكْر، فلمَّا أفاق وقفَ عليهما، وأنشأ يقول:

كلُّ كلب حفظتُه لهو أرعى
ما بقي لو بقي ليوم التَّنادي
من خليل يخُونُ في النَّفسِ والمَا
ل وفي العِرْس بعدَ صفو الوداد

وقد طُبع الكتابُ غيرَ ما طَبعة، أفضلها وأتمّها بتحقيق الأستاذ زهير الشاويش في المكتب الإسلامي ببيروت، معتمدًا على أكثر من نسخة خطية.

الدكتور شكيب الجابري:

أخيرا ثوى في الثرى عاشق الثرى!



د. شكيب الجابري

د. حسام الخطيب

نودعهم الوداع الأخير واحدًا إثر الآخر، أولئك الكبار الشامخين الذين تسلّموا الشعلة من نجوم الجيل الأول للنهضة العربية، ورفعوها عاليًا كلٌّ على طريقته، وظلوا لمبادئها ومقاصدها أوفياء، وصمدوا في مواجهة الجحود والإهمال وخيبات الأمل والمآسي القومية المتلاحقة. ولولا صمودهم، أولئك الرواد، لكدنا ننسى أنبل ما من أجله يحيا الإنسان، وفي سبيله يسعى ويكد ويكافح، وهو ذلك الأفق البعيد المشرق من وراء لقمة العيش وزهوة المنصب وعَرَض الدنيا وفخفخة السلطان.

نقلت الأنباء من الرياض وفاة الدكتور شكيب الجابري - غفر الله له - يوم الأحد غرة جمادى الآخرة عام 1417هـ (الموافق لـ 1996/10/13م)، ولم يكن لهذا الخبر الذي طوى الجزيرة، حتى جاء أطراف الشام، وبلغ حلب المتنبي وحلب الجابري، من الدويّ ما يستحقه لو كان كل شيء على ما يرام، أو على نصف ما يرام. ولكن وسط الأنباء الدامية عن المذابح والمجازر المتكررة في أصقاع دنيا العرب والإسلام من أواسط آسيا إلى أطراف أفريقيا، ومن بيت المقدس إلى سرايفو، هل يبقى في وجدان هذه الأمة رسيس من طاقة لتَذَكُّر علمٍ من الأعلام، أو الحزنِ على رائد فذّ تواريه الأيام؟!

من هو الجابري؟

ولد شكيب الجابري في حلب عام 1912م لأسرة ثرية نبيلة (أرستقراطية) معروفة في سورية، وطُلِّقَتْ أمه يوم ولادته، وعانى كثيرًا في طفولته.

درس في مدارس خاصة في لبنان، وبعد تخرجه أخذ يتنقل بين سورية وأوربا من أواخر العشرينيات حتى أوائل الأربعينيات، وكان أول عربي أتيح له أن يعمل في سكرتارية عصبة الأمم في جنيف عام 1931م.

حصل على شهادة الدكتوراه في الكيمياء من جامعة برلين مع تخصص بالتعدين. وأتقن اللغات الألمانية والفرنسية والفارسية، وعرف الإنجليزية.

مارس النضال الوطني ضد الصهيونية في أوربا ولاسيما في ألمانيا، كما شغل مناصب سياسية عليا في سورية، في حقول الدبلوماسية والإعلام والصناعة، وأسهم في العمل السياسي في مراحل متعددة من حياته.

وقد أدّت به السياسة إلى الخروج من سورية عام 1963م، حيث عمل مدة من حياته في المملكة العربية السعودية مستشاراً للملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز

- يرحمه الله ـ. وفي التسعينيات انتقل إلى بيروت، وأخذ يتنقل بين بيروت ودمشق، وكان يقصد منتجع بلودان في الصيف، وشكّل العملُ في تشجير طبيعة بلودان وإعمارها هوايته الأساسية في أخريات أيامه.

بدأ الجابري حياته متحمّسًا للكتابة، ونشر في الأربعينيات قصصًا قصيرة، كما أصدر مجلة «أضواء» مدة قصيرة. وله من الروايات المنشورة:

- «نهم»، دمشق 1937م، (وهي أول رواية فنية في سوريا).
- «قدر يلهو»، دمشق 1939م.
- «قوس قزح»، دمشق 1946م.
- «وداعًا يا أفامية»، دمشق 1960م.
- «قدر يلهو»، طبعة معدلة، بيروت 1980م.

- وقد شغلته حياته العملية الخصبة عن متابعة الكتابة، وكان يتشهّى أن يعود إليها إلا أن الطبيعة أيضًا نفسَت عليه ذلك، فكان في العقدين الأخيرين من حياته أميلَ إلى مغامرة تجميل الطبيعة في بلودان والزبداني واكتشاف بدائعها المخبوءة. وقد صرف همّه في السنوات الأخيرة لبناء «قصر الكوكو» في السفح الجبلي المقابل لبلودان، وأقامه فوق ـ ومن حول ـ تلة صخرية قاسية يعدُّ هو مكتشفها، لكن فسحة العمر لم تمهله لإكمال هذا المشروع الذي يعدُّ من أعاجيب فن العمارة.

قسمات من شخصية الجابري

وهكذا كانت حياة الجابري حافلة بالوقائع والأحداث والتنقلات الوظيفية والجغرافية والمغامرات في مجالات السياسة والأفكار والكتابة وإعمار الطبيعة. ومنذ أيام شبابه الأولى، كان ذلك الفتى العربي الذي يأبى الضيم ولا يقبل أن يُغمز من جانب قومه أو دينه أو عروبته أو تاريخه، ولاسيما في بدء مجابهته للرأي العام الأوربي في مطلع الثلاثينيات، إذ اكتشف عالمًا أوربيًّا كاملاً قائمًا على مقولات التفوق العرقي والتاريخي والحضاري، ومنطلقًا من أوهام المركزية الأوربية التي تصور لأصحابها أن العالم كله كان ـ ويجب أن يظل ـ دائرًا في فلك الفكر الأوربي والحضارة الأوربية. إلى ذلك كانت هناك مشكلته اليومية مع غُلاة الصهيونيين الذين أمعنوا في تشويه صورة العرب والمسلمين، ولم يكن هناك ما يمنعهم من التصدي اليومي بأساليب التحدي والعنجهية والاحتقار لمن يصادفون من الأفراد العرب القلائل في أوربا آنذاك، ولم يكن الجابري من الصنف الذي ينزوي مؤثرًا السلامة على الكرامة، فإذا به يواجههم ويتعرّض لأذاهم وحبائلهم وهم الأعلَوْن في بلاد لا تسمع إلا منطقهم، وتسد الأذان عن منطق الحق والإنصاف. ويكتب الجابري عن هذه التحديات والمواجهات قصصًا قصيرة مثيرة من مثل: «هكذا سنقاتلكم في فلسطين». كما يضمن رواياته شذرات من الأحداث الفعلية التي خاضها أو أُجبر على خوضها جوابًا عن تحدياتهم اليومية. وهي بالطبع تُروى من زاويته الخاصة، وتنبئ عن بطولة ورجولة وشهامة عربية أصيلة، وليس هناك ما يدعو إلى الشك في صحتها، على الأقل من ناحية الموقف العام، بل حتى من ناحية التفاصيل التي ليس لها قيمة بحد ذاتها أصلاً، لأنها مجرد تعبير عن الموقف والنفسية.

كان الجابري شهمًا جريئًا، معتدًا بنفسه وبقومه وبتاريخه وحضارته وعروبته ودينه و(شرقيته). وكان أنوفًا يكره الذل، ولكنه إلى ذلك، لم يكن متعجرفًا ولافظًّا، بل كان له قلب إنساني عطوف، حتى إنه في أواخر حياته كان يُخدع ويُسرق ويُستغفل ممن حوله من الأعوان، وفيهم شاب طموح استولى على الكثير من ممتلكات الجابري وأراضيه بالحيلة والتلاعب، وكان أهل بيت الجابري يلومونه، بل يقرّعونه لتهاونه، وكان لسان حاله يقول: إنه فتى مغامر فليأخذ فرصته ولماذا نحد من طموحه(1) مادام يُعمِّر الأرض ويبني؟ ولكنه كان يأخذ عليه تهاونه في حق الأرض والعمران واستهانته بالنواحي الجمالية والذوقية، وكان يأسف لذلك أشدّ الأسف وربما أكثر مما يأسف لخسارته الأرض، فكأنه موكل بفضاء الله يعمره ويزرعه (وأيضًا يذرعه).

وكان الجابري يعاني من حسرة دائمة، كامنة في أغلب الأحيان، ولكنها كانت تطفو على السطح وتظلّل عينيه وجبينه، كلما أتت مناسبة تحريضية، ذلك أنه كان ـ على كل ما حققه في حياته ـ بعيد الطموح نائي المقاصد، وكلما تقدمت به السن ازداد شعوره بأن ما حقّقه من إنجاز لا يداني شيئًا مما كانت تحلم به روح الفنان في وجدانه، وروح رجل الدنيا والسياسة في إهابه، وروح عاشق الطبيعة في فؤاده.

فمنذ أن أصدر روايته الأولى «نهم» عام 1937م، مفتتحًا بذلك عهد الرواية الفنية في سورية، كان واعيًا لأهمية المشروع الأدبي الذي خطط له وأراد به أن يحدث حدثًا جديدًا في حياة الآداب العربية المعاصرة، وفي رواياته الأخرى التي تلت حاول الاستمرار في المشروع، ولكنه شُغِلَ بطموح الرجل عن طموح الفنان في داخله، وانخرط في الحياة العملية والسياسية والوظيفية، وعينُه الداخلية شاخصة إلى مشروعه الفني منتظرة اللحظة المناسبة لتنهض به من جديد... ولكن هيهات، فتجربته الحياتية وحاسته النقدية ومطامحه المتوالدة كانت محرضات دافعة، وعوائق كابحة في وقت واحد، إذْ كانت تدفّعه دفعًا لأن يعود إلى امتطاء القلم، أو يعيد القلم إلى امتطاء أصابعه، وكان كل من حوله من أقارب وأصدقاء وخلان ومعجبين يؤازر هذه القوة الدافعة، ويحثه



د. محمد حسين هيكل



جوستاف فلوبير

حثًّا(2) على العودة إلى الكتابة. وفي الوقت نفسه كانت كل هذه العوامل الدافعة تحمل له قوة كابحة أو طاردة عن المركز بالمصطلح الفيزيائي، فقد كان ازدياد نضجه ونموّ ذائقته الأدبية والفنية وخوفه الدائم من أن يهبط عن المستوى المنشود، بل عما سبق أن قدمه من إبداع، كل تلك العوامل ـ مضافًا إليها انقطاعه الطويل عن تطورات لغة الإبداع ـ ربما سببت له فَرَقًا وترددًا، وأوقعته في شرك التأجيل والتسويف، لعل اللحظة المنشودة تأتي يومًا ما. وقد كان يتعذب كثيرًا ويألم ويعاني من الداخل، وفي أخريات أيامه بدأ يغطي هذا العجز بالزعم أن كل ما يُنتج في أيامه هراء وهباء، وإن كان ـ والحق يقال ـ لم يفتر لحظة واحدة عن التعاطف مع أهل الحرفة من مختلف الأجيال، وكم كانت سعادته تتوهج حين يزوره مثلاً أدباء شباب، يتحدثون إليه ويهدون له بواكير إنتاجهم. وكان يقرأ بضع صفحات مما يُهدى إليه، ويبدي شيئًا من الإعجاب النسبي في البدء، ثم ينصرف عن تلك الأعمال انصراف من لا يجد فيها كبير غناء.

هذا من الناحية الفنية، أما من الناحية السياسية والوطنية، فقد كانت حياته ـ مثل سائر أبناء جيله ـ

سلسلة من الخيبات، بدأت بالحماسة الشديدة للحكم الوطني والاستقلال في سورية منذ أواسط الأربعينيات، وانتهت إلى سلسلة من السلبيات التي هدّت جانبًا كبيرًا من كيانه الوطني الداخلي. ثم كان خروجه من سورية عام 1963م، وانتقاله إلى المملكة العربية السعودية. وقد أعادت له الأمل صحبته للمغفور له الملك فيصل في الرياض، وكان معجبًا به، بل كان يعدّه النموذج المنشود للملك العربي الذي ستعود على يديه الأمجاد، ويتحرر الأقصى وينتفض

استشهاد الملك فيصل - يرحمه الله - عرّض الجابري لهزة نفسية لم يبرأ منها قط، فقد كان يراه النموذج المنشود للملك العربي الذي ستعود على يديه الأمجاد

العرب من الذل والاستعباد. وبعد استشهاد الملك فيصل تعرض الجابري لهزة نفسية لم يبرأ منها فيما بعد، كأنما الجذوة الداخلية أصيبت بعطب في صميمها وكفت عن التوهج... وفيما بعد زاده التقدم في السن ابتعادًا من عالم السياسة، وزاده في الوقت نفسه نزوعًا إلى أحلام مرحلة الثلاثينيات والأربعينيات وتطلعاتها الوردية المطرزة بالمشروع القومي الوحدوي الحاسم.

وأما من ناحية التعلق بالطبيعة، فقد كانت الطبيعة عشقه الأكبر، ويتضح في رواياته ذلك الشغف الرومنتي بالطبيعة الذي يحيل كل شيء فيها إلى سحر ومعنى وروح وغائية، فالطبيعة هي عالم القوة، وعالم الجمال، وعالم النقاء، والملاذ الحقيقي للقلوب الخيرة النابضة بالإحساس والخير والنبل. وتعد بطلته القروية «نجود» في رواية «وداعًا يا أفامية» نموذجًا رومنتيًا يصل إلى درجة الكمال التام شكلاً، وقوامًا، وروحًا، ومضمونًا، وجمالاً، وبراءةَ فطرة، وقوّة احتمال، وصواب رؤية.

وإذا تركنا عالم الرواية - الذي انتظمته رؤية متماسكة(3) - وانتقلنا إلى عالم الواقع فسوف نجد أن الجابري ألف أعظم رواية واقعية على تراب مصيف بلودان، وفوق تلال الزبداني، وهما منتجعان متقابلان على مسيرة خمسة وأربعين كيلو مترًا من مدينة دمشق. وهناك قرر الجابري أن يصنع مجده الحقيقي، فاشترى الأراضي وغرسها بأشجار الصنوبر والسرو، وبالتفاح والتين، وبالورود والفل والقرنفل، ولو كان للشجر أن ينطق لهمس باسمه في كل مكان. وهناك أيضًا اكتشف مناطق اصطياف بكر غير مأهولة، وجعلها مغامرته الشخصية، وكان بعض الناس يسخرون من أحلامه، ولاسيما من إعمار جبل الزبداني المقابل لجبل بلودان والذي كان قفرًا مجهولاً موعرًا قبل ذلك. وفوق تراب هذا الجبل الصغير أقام معجزته العمرانية فوق تلة الكوكو التي تناولها بروح فنان لا يبالي بالمال الذي ينفق والوقت الذي يبدد، حتى إن البنائين ملوا لكثرة ما كان يهدم الجدران والأقواس والأبواب والمطلات، ويعيد بناءها تحقيقًا للتناظر والانسجام والجمال حسب رؤيته الخاصة. وكان في سنواته الأخيرة يتمنى أن يمد الله في عمره حتى يكمل مشروعه، وكان يشعر أن الزمن أقوى منه، ولكن عزيمته لم تكل، إلا أن الإمكانات التي وضعها في المشروع لم تكن في مستوى الطموحات التي رسمتها مخيلته.

وإن كان لنا أن نلخص حياة شكيب الجابري في جملة واحدة فلتكن هذه الجملة نفسها أو شيئًا من هذا القبيل"

رؤيا مجنحة وطموح صارخ وعزيمة متجددة، وإنجاز يقصر عن المنشود.

إنها بمعنى من المعاني مطلوب المتنبي غير القابل للتحقق:

أهُمُّ بشيء والليالي كأنها
تطاردني عن كونه وأطارد

ريادة الجابري في الأدب الروائي

وسط جيل الرواد السباقين من كتاب الرواية في سورية العربية يقف الدكتور شكيب الجابري شامخًا كالطود لا يكاد يناطح منكبيه أي موهوب آخر من أقرانه. وما ذاك لأنه مؤلف أول رواية سورية حديثة فقط يمكن أن تصمد أمام معايير فنية مقبولة - «نهم» 1937م - وما ذاك فقط، لأنه قدم لونًا من ألوان الفن القصصي من خلال خط فكري - فني متماسك ومتصاعد (مما هو غير مألوف في أعمال الرواد عادة)، بل لأنه أيضًا كان من البدء واعيًا أهمية محاولته وخطورتها، مخلصًا لفكرة إحداث حدث جديد في حياة الأدب العربي المعاصر.

ومثلما يؤرِّخ للقضية الفنية في مصر بظهور «زينب» الرومنتية لمحمد حسين هيكل 1913م. فإن القصة الفنية في سورية يُؤرَّخ لها بظهور «نهم» سنة 1937م. وكانت «نهم» - كما اعترف الجابري فيما بعد - محاولة متعمدة لإحداث هزة في أوساط القُرّاء العرب، وجذب نظرهم إلى لون من الأدب الروائي الغربي الشائع وقتذاك. ويبدو أنه كتبها في أوربا، مثلما كان شأن الرواد الروائيين المصريين الأوائل. وبدت كأنها رواية غربية كتبت بالعربية، إذ إن أحداثها تدور في جو أوربي تمامًا، وأسماء الأبطال والمواقع فيها ألمانية غالبًا، وبطلها «كازاروف» مثقف ثقافة غربية أدبية وفنية، وحين يرى حبيبته مثلاً «يخيل إليه أنها ألفير الشعرية، تلك التي علقها لامارتين في البلدة نفسها، والتي لاتزال ذكراها تتردد في قصائده، حتى أصبحت خالدة على الدهر»، ص ص 111-112. وتستقي هذه الرواية القصيرة حبكتها من علم النفس الفرويدي، في حين أن موضوعها يوضح أحد الأقوال السائرة للشاعر الألماني غوتة، وقد أثبت هذا القول في تصدير الرواية (أي على الغلاف):

«الأنوثة الخالدة تجذبنا أبدًا».

وقد قوبلت الرواية باستنكار شديد في سورية ومصر، وعُدّت من «الأدب المكشوف». ثم هدأت الزوبعة، وانجلت الغمامة، وظهرت مقالات نقدية جيدة مال معظمها إلى تقدير أهمية الرواية وحسبانها تجربة جديدة في الأدب العربي. ومما يذكر أن مجلة «المقتطف» نشرت بحثًا طويلاً حول «نهم» اختتمته بالعبارة التالية:

«هو ذا نجم أشرق في سورية يشير إلى ميلاد جديد في عالم القصة، وينقل الرواية العربية إلى مستوى عالمي».

على أن الجابري اكتفى بالضجة التي أثارها لكي يجذب النظر إلى أهمية ما يحاوله، وأقلع في روايته التالية عن الخط الغربي الغرامي في الرواية. وظهرت بعد ذلك بسنتين رواية «قدر يلهو» 1939م، وأعقبتها رواية رديفة تكاد تكون متممة لسابقتها بعنوان «قوس قزح» 1946م. ويوضح الجابري أن الرواية الرديفة تأخرت في الظهور بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية، وكان يريد لها أن تظهر مباشرة. وموضوع الروايتين حب شاب شرقي لفتاة ألمانية، فهو «عصفور آخر من الشرق»، ولكنه أكثر حيوية من عصفور توفيق الحكيم، وأقل تجريدية وأقوى رجولة. وفي الروايتين

أخيرا ثوى في الثرى عاشق الثرى!

الدكتور شكيب الجابري:

يستمر الطابع الغربي، ولكنه يختلط في هذه المرة بمناخ عربي شرقي، ويعبر عن فكرة حلم بها الجابري منذ شبابه، هي المزاوجة بين الحضارة العربية الإسلامية الروحية وحضارة الغرب المادية، لما في ذلك من حل لأزمة الطرفين، بل من إنقاذ للعالم كله ومستقبله ومسار تطوره. وتكشف الروايتان عن تمكن المؤلف من الثقافة العربية الإسلامية والتاريخ العربي، وكذلك عن تمكن حقيقي (غير سطحي، كما عُرفَ عن جيل الجابري) من المنطلقات الفكرية والأدبية والفنية للحضارة الغربية، وأصولها الكلاسيّة. وتعج الروايتان بالإشارات الثقافية المتطورة للتاريخين العربي والغربي. كما يستدعي النظر عمق تذوق الجابري للموسيقى الغربية، وتأثر بطله بأوبرا فالكيري لفاغنر.

والمهم أن علاقة الحب بين الفتى العربي والفتاة الألمانية «إلسا» تنتج مولودًا مبشّرًا سماه المؤلف محمد علي، وأراد له أن يكون نقطة التقاء الحضارتين الشرقية والغربية... إلا أن المحاولة تموت باضطرار الفتى العربي للعودة إلى بلاده، ووقوع إلسا فريسة الجوع والمرض، وعجزها عن تربية محمد علي وفق مبادئ أبيه النبيلة. ويموت محمد علي، ثم تموت إلسا في بيروت وهي تبحث عن أبيه، وكانت وفاتها بسبب مرض السل، وهو المرض الرومنتي النمطي الذي قضى على كثير ذكَّر الناس بالوقع المدوي الذي أحدثته رواياته الأولى، وانبرى عدد من الكتّاب للإشادة بعبقرية الجابري الفنية، وساورهم ثانية أمل بأن تكون «وداعًا يا أفاميا» خطوة حاسمة في سبيل بروز الأدب القصصي في سورية من النطاق القطري إلى النطاق العربي، بل إلى العالمي. وأشار أحد النقاد إلى أن الكاتب الوحيد الذي يمكن أن يقارن بالجابري هو فلوبير. كما أصر أحد كتاب القصة البارزين على أن أيًا من الروايات السبع الأخيرة (منتصف الستينيات) التي حازت جائزة نوبل لا ترتفع عن مستوى رواية الجابري، وأردف يقول: «بل إن هذه الرواية أعمق فكرة، وأعظم فتنة، وأوسع آفاقًا إنسانية من كل ما قرأت».

ومن المؤسف أن توقعات المتحمسين لم تتحقق، ربما بسبب صمت المؤلف بعد ذلك وغيابه الأدبي والشخصي عن الساحة السورية. وللزمن حكم عجيب في مصير الأعمال الفنية. على أنه مهما قيل في «وداعًا يا أفاميا»، فإنه لا يجوز تناولها فقط من زاوية تاريخ تطور الرواية في سورية، لأنها تحمل من القيمة الفنية والإمتاع الجمالي ما يؤهلها لأن تقف على قدميها أمام أية دراسة فنية خالصة. وإنها لتشكل ذروة حقيقية في ميدان الرواية الرومنتية، وذلك بفضل ما فيها من نظرات نافذة ومتعاطفة في نسيج الشريط

وسط جيل الرواد السباقين من كتاب الرواية في سورية، يقف شكيب الجابري طودًا شامخًا لا يناطح منكبيه أي موهوب آخر من أقرانه!

من الشخصيات النسائية الروائية. وجوُّ الروايتين رومنتي مفعم بالإشارات الثقافية، ويمثل غالبًا الرومنتية الألمانية (العاصفة والشدة) وإن كان لا يخلو من تأثيرات الرومنتية الفرنسية.

والجدير بالذكر أن الجابري أعاد كتابة «قدر يلهو» في ضوء تطورات تفكيره وتجربته في الحياة، ونشر الطبعة المعدلة في بيروت عام 1980م، إلا أن الرواية المجددة ناءت بالحمل الثقيل الذي أوكل إليها فكريًا وفنيًا.

وبعد «قوس قزح» صمت الجابري طويلاً وانتظر أربع عشرة سنة حتى أخرج روايته الرابعة - والأخيرة - عام 1960م بعنوان: «وداعًا يا أفاميا». وقد أثار ظهورها من التهليل والضجيج في سورية ولبنان ما الإنساني، ومزج رائع بين الإنسان والطبيعة، وخيال فسيح غني التلاوين، وإشادة بالجمال الطبيعي والجسدي، وربط لكل أولئك بجو من السحر التاريخي (أفاميا نفسها موقع أثري قديم)؛ كما أنها لا تقل قدرًا عن أرفع الأعمال الكلاسية من حيث العناية بالضبط والإتقان، ووضوح القصد وفخامة التعبير وجهارة الصوت ومتانة النَّجْر اللغوي. وإنها لتمزج مزجًا مثيرًا بين التألق الرومنتي والتألق الكلاسي، وبين الطبيعة والعلم، وبين الشرق والغرب، وبين البداوة والحضارة، كل ذلك في تقنية فنية متطورة ومحكمة، وربما سابقة لعصرها، وحسبنا أن نختم حديثنا بتقديم المقطع التالي من وصف الجابري لبطلته الريفية «نجود» الذي يمثل أروع تطابق، بل تلاحم بين الإنسان الجميل والطبيعة البديعة:

«ويحلو لنجود أن تنعم جلدها الحنطي، الصافي النسيج، بما في مخمل الصخرة من برودة رطبة، ونعومة لذيذة الملمس، فتسترخي للصخرة المبتلة، ممطوطة الحركات، فاترة التثني، خفيفة الاضطجاع، وتبتسم لصورة ركزت في خيالها. وتغرق في شبه غيبوبة... أما الأهداب المكحلة الوطفاء فمطبقة، بينها وبين الثغر سر. تكاد تقرأ حكايته على أسلاك البسمة الفائضة الغامضة التي غمرت وجهها الحالم». ص ص227-228 من الرواية.

الأرض تستعيد فتاها

قدمت في الصفحات السابقة صورة شخصية للجابري مبنية على قراءة إنتاجه أولاً، ثم على مصاحبته ولاسيما في أيام المصيف في بلودان ثانيًا. وقد تجنبت الطابع الشخصي للحديث اللهم إلا حين تَطَلَّب سياق الكلام شهادة شخصية. وقد ودعته في العاشر من أيلول/ سبتمبر 1996م، أي قبل شهر وثلاثة أيام من وفاته. وكان يبدو عليه الشحوب والإعياء نتيجة النقص المستمر لخضاب دمه. ولكن ذهنه كان يقظًا نسبيًا. أما حماسته للعروبة والإسلام وللوطن والتحرير والمقاومة، فكانت في أوجها، وبدا أنه لا يريد أن يغادر الدنيا ويترك العرب والمسلمين في حال من التمزق والبلبلة؛ كما أنه كان يتمنى لو تتاح له فسحةٌ من أَجَل ليحرر مذكراته التي كان بدأها قبل نصف قرن من الزمان، ثم أودعها أدراجه، وكان يعود إليها من حين لآخر فينفض بعض غبارها، ثم يشغله شاغل عنها فيؤجل. إلا أن حديثه بوجه عام كان حديث مودع، وقد وعدني وكرر الوعد أنه سيباشر العودة إلى الكتابة. وأخيرًا ودعناه ونحن نغالب دموع القلب قبل دموع العين، إذ كان واضحًا للجميع أنه متشبث بأحلامه حتى النهاية. ثم نقل إلى الرياض، حيث وافاه الأجل في غرة جمادى الآخرة 1417هـ، ودُفن في البقيع محققًا بذلك حلمه الأخير الأعز على نفسه.

جسدي خرقه تُخاط إلى الأر
ض فيا خَائط العوَالِم خِطْني

الهوامش:

1- سمعت منه شخصيًا كلامًا من هذا القبيل، وشهدت مواقف له يشفق فيها على سارقيه.
2- ما أكثر ما وعدني أمام أهله الأقربين أن يعود إلى الكتابة، وما أكثر المرات التي نبشنا فيها معًا أوراقه التي كانت تتآكل، ولكن النتيجة كانت لا شيء.
3- انظر دراسة مفصلة لكاتب هذه السطور حول روايات الجابري في: «روايات تحت المجهر»، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1982م.



تأليف:

كريستوف بيتر باومان

وكريستيان ياجي

Christoph Peter Baumann,

und Christian J. Jaeggi

تقديم:

هانس كينج

Hans Kueng

الناشر:

دار ريكس لوتسرن وشتوتجارت

Rex-Verlag Luzern/Stuttgart

1991م

ترجمه عن الألمانية وعرضه ولخصه وقدم له:

ثابت عيد

مسلمون بين ظهرانينا

الإسلام في سويسرا

2

هل يمثل الإسلام تهديداً للغرب؟

لم تكن حرب الخليج، بصفة عامة، ولا تزايد أعداد المسلمين في أوربا، بصفة خاصة، هما سبب ظهور مخاوف الغرب من الإسلام. فحتى سنة 1987م كانت معظم مخاوف الغرب من الإسلام موجودة بالفعل على المستوى الشخصي؛ فمن خلال التقارير الصحفية عن استخدام بعض المسلمين السكاكين في نزاعاتهم فيما بينهم، أو مع جنسيات أخرى، ازدادت التصورات الخاطئة والمتحيزة عن «الأجانب الأشرار» انتشاراً، وظهرت معادلة تقول إن المسلم يساوي طعنات سكين، وعلى الرغم من أن هذه المعادلة يمكن نقضها وتفنيدها بسهولة، إلا أنها انتشرت مدة طويلة. ولا حاجة بنا إلى إثبات أن الإسلام يرفض الجريمة بشدة، ربما أكثر مما ترفضها به النصرانية، لكن الخوف من العنف يطفو على السطح في حالات محددة مثلما يحدث عند إثارة فكرة افتتاح مركز جديد للاجئين.

الدعوة الإسلامية كتهديد للتبشير النصراني

الصراع بين الإسلام والنصرانية حقيقة ثابتة، حيث يدَّعي كل منهما بأنه الدين الحق. ويوجد لدى النصارى عدد من الجمعيات التبشيرية المختلفة، غرضها الرئيسي تنصير المسلمين. وقد أصدر البابا يوحنا بول الثاني منشوراً بابوياً في يناير/ كانون ثان 1991م، طالب فيه بتكثيف الحملات التبشيرية. وعلى الرغم من كل هذه الجهود التبشيرية النصرانية، فالحقيقة هي أن الإسلام هو أكثر أديان العالم انتشاراً، وهذا يشير إلى نجاح جهود الدعوة الإسلامية. وعدد المسلمين الذين يعيشون في الغرب في تزايد مستمر. فقد تعدى عددهم في سويسرا المئة ألف، وفي ألمانيا أكثر من مليون ونصف المليون. وقد انتشرت المخاوف من أن هذه الأعداد المتزايدة من المسلمين قد جاءت إلى سويسرا وألمانيا بغية نشر الإسلام في هذين البلدين. ويمكن تفنيد هذا الادعاء كما يلي: إن تزايد أعداد المسلمين على مستوى العالم له ما يسوّغه من أسباب مفهومة. فنسبة المواليد في دول العالم الثالث التي ينتمي إليها المسلمون، مثل بانجلاديش، مرتفعة جداً. وبزيادة عدد السكان، يزداد الفقر أيضاً؛ أي إن المسلمين يزدادون عدداً وفقراً في آن واحد. ولهذا السبب يتطلع هؤلاء المسلمون الفقراء إلى الهجرة إلى الدول الغنية، وبخاصة دول وسط أوربا، بحثاً عن فرص عمل، وسعياً لتحسين مستوى معيشتهم.

هذا هو سبب هجرة المسلمين إلى أوربا، وليس الدعوة الإسلامية؛ أي إنهم يسافرون بحثًا عن عمل، وليس لغرض نشر الإسلام. فمعظم العمال المسلمين في سويسرا هم عمال بسطاء، غير مثقفين، أو من طالبي اللجوء السياسي. وهم، إذا كانوا متدينين، لا يتطلعون على الإطلاق إلا إلى ممارسة شعائر دينهم مع إخوانهم في الدين. فهم لا يريدون، ولا يستطيعون، القيام بالدعوة إلى الإسلام، ونشره بين السويسريين. ولفظ التبشير في النصرانية يكاد ينطبق على لفظ الدعوة في الإسلام. وعلى الرغم من أن التبشير فرض في النصرانية، من خلال ما ورد في إنجيل مرقص (16-16): «اذهبوا إلى العالم أجمع، وأكرزوا (= بشّروا) بالإنجيل للخليقة كلها»؛ إلا أن الواقع عند المسلمين يختلف. فالمسلمون في وسط أوربا يقومون بالدعوة، لكنها دعوة داخلية؛ أي تقتصر على المسلمين فحسب، بمعنى محاولة إحياء الحس الديني لدى المسلمين غير الملتزمين.

المخاوف وأسبابها

يؤدي اختلاف العقليات، وعدم إتقان لغة الآخر، إلى صعوبة الفهم المتبادل. وتبرز مخاوف السويسريين من الإسلام إلى حيز الوجود عندما تبحث مجموعة من المسلمين عن مكان تمارس فيه عبادة اللّه، فلأن السويسريين يخشون الإسلام، فهم يرفضون منح المسلمين التصاريح اللازمة لبناء المساجد. ومن ضمن المزاعم التي يسوقها السويسريون للدفاع عن موقفهم، قولهم بأن المسلمين لا يُحسنون معاملة النصارى في العالم الإسلامي.

فقدان الهوية النصرانية

تبلغ نسبة الأطفال الأجانب في بعض دور الحضانة السويسرية 75٪ من عدد الأطفال. ومن هذه النسبة يوجد عدد كبير من الأطفال المسلمين. وهذا في حد ذاته يمثل حقيقة مزعجة جدًا للكثير من السويسريين، حيث يتساءل بعضهم: كيف يمكننا تدريس الثقافة النصرانية، وتأصيلها لدى أطفالنا في الحضانة، في حين أن معظم الأطفال ليسوا نصارى؟ ولا تقلق هذه الأوضاع السويسريين المعادين للأجانب فحسب، بل إن هناك فئة كبيرة من السويسريين الآخرين يخشون فقدان الهوية من خلال هذه التغيرات: كيف يمكن لأطفالنا أن يتلقنوا تعاليم النصرانية، إذا كانوا يسمعون عن الإسلام، أكثر مما يسمعونه عن النصرانية؟ والواقع أن فقدان التدين، والابتعاد من النصرانية، قد بدأ في عائلات سويسرية كثيرة قبل ذلك بوقت طويل. فمن السهل جدًا اتخاذ الأجانب كبش فداء، ولكن هذا لن يحل المشكلة. وإذا كان التدين غير موجود أصلاً في الأسرة، فمن الصعب على الحضانة، أو المدرسة أن تعوض هذا النقص.

المسلمون والنصرانية

مستوى المعلومات عن دين «الآخر» متواضع عند المسلمين والنصارى على السواء. فالمسلم العادي لا يعرف في الغالب عن النصرانية، إلا القليل. ونادرًا ما يكلف المسلم نفسه عناء معرفة النصرانية بقراءة الإنجيل، كما يرفض المسلمون عقيدة التثليث. ويجهل المسلمون تاريخ الكنيسة مثلما يجهل النصارى تاريخ الإسلام. يضاف إلى ذلك أن معظم المسلمين في سويسرا وألمانيا لا يتمتعون إلا بقدر ضئيل من الثقافة، ومعرفتهم بالإسلام محدودة جدًا، على الرغم من تمسك بعضهم بالعبادات. ويشمل هذا الجهل، أو نقص المعلومات أيضًا، هؤلاء الذين يعلنون إسلامهم، فغالبًا ما تكون معلوماتهم عن النصرانية متواضعة جدًا.

تحسين مستوى المعلومات

لا بد من التفريق - في النصرانية والإسلام جميعًا - بين الدين وأتباعه. فلا ينبغي الخلط بين ديانة ما، والطريقة التي يعيش بها أصحاب هذه الديانة. ولا يمكننا أن نستنتج تعاليم ديانة معينة من خلال سلوك أتباعها. ومن ناحية أخرى فهناك كثير من المسلمين والنصارى يجهلون أصول عقيدتهم، على الرغم من أنهم قد يذهبون بانتظام إلى الكنيسة، أو المسجد. كذلك لا يمكن الاستدلال على فاعلية دين ما من خلال حياة فرد واحد تابع لهذا الدين، أو من طريق التقارير الصحفية التي تميل إلى المبالغة والتهويل. فالفرد المسلم، أو النصراني، لا يمكن عدّه ممثلاً لكل الإسلام، أو كل النصرانية. فكما توجد اتجاهات مختلفة في النصرانية، يوجد في الإسلام أيضًا اختلافات ثقافية، واجتماعية، وسياسية نتيجة الاتجاه العقدي، وبحسب البلد. وأحسن طريقة لفهم العقيدة هي دراسة الكتب السماوية مباشرة، أو كتب تعطي القارئ فكرة، أو صورة عامة، عن تلك العقائد.

تحسين العلاقات بين النصارى والمسلمين

يقول هانس كينج في كتابه الجديد «مشروع أخلاق عالمية»: «لا سلامَ عالميًا، بلا سلام بين الأديان». فإذا كانت سويسرا لا تستطيع أن تسهم في تحقيق السلام العالمي، فينبغي على الأقل أن تعمل على تحقيق التعايش السلمي بين مختلف الأديان والجنسيات والأجناس في ارضها. ولا

معظم المسلمين في سويسرا وألمانيا لا يتمتعون إلا بقدر ضئيل من الثقافة، ومعرفتهم بالإسلام محدودة، إضافة إلى قلة معلوماتهم عن المجتمع السويسري وعاداته

يختلف اليوم اثنان على استحالة تجاهل وجود المسلمين في أوربا: في سويسرا أكثر من 130 ألفًا، وفي ألمانيا أكثر من مليون ونصف المليون من المسلمين، وهناك تطورات إيجابية تشير إلى التفهم المتزايد للإسلام في سويسرا. فليس المطلوب اليوم إدخال المسلمين إلى النصرانية، ولكن المطلوب أكثر هو الحوار: «فالسلام يهمنا جميعًا، ولا سلام، بلا سلام بين الأديان». كان هذا شعار جمعيات التبشير البروتستانتية السويسرية في اجتماعها سنة 1991م. وصارت هذه الجمعيات لا تبحث عن «مبشرين للتبشير بالنصرانية في مختلف دول العالم»، ولكن عن «موظفين يتقنون الحوار».

المهاجرون المسلمون في سويسرا

مثل كل المهاجرين في الدول الصناعية المتقدمة، يواجه المهاجرون المسلمون أيضًا في البداية مشكلة التأقلم مع المجتمع الجديد. فالناس في سويسرا يتحدثون لغة أخرى، ولهم سلوك وآداب مختلفة، وملامحهم قد تكون غريبة أيضًا، وهم يلبسون ملابس غير معتادة، وطعامهم غير مألوف، وعلاقة الرجال بالنساء غير عادية، ونظم التعليم مختلفة، والأجور التي تبدو مرتفعة، تتضاءل بسرعة عند دفع الإيجار الكبير، والاكتواء بنار الأسعار. فضلاً عن ذلك، فالعمل مختلف، وكذلك أوقاته، وآدابه، وقوانينه. وله طرق إدارية حديثة، وعادات عجيبة. كل هذه المشكلات يواجهها جميع المهاجرين. وكما أثبت عالم الاقتصاد والاجتماع يوخايم هوفمان نووتني، فالقاعدة أن وضع المهاجرين الاجتماعي في بلد المهجر يكون دون وضع سكان البلاد الأصليين. وتصنيف المهاجرين في مرتبة ثانية يجعلهم يواجهون مشكلة مزدوجة. فمن ناحية يجد المهاجرون الجدد أنفسهم أمام تحدٍّ جديد، يجعلهم يكافحون من أجل تحسين وضعهم الاجتماعي في بلد المهجر. ومن ناحية أخرى عليهم أن يظهروا دائمًا أمام أبناء بلدهم الذين لم يهاجروا، والذين هاجروا معهم، بمظهر صحيح وأصيل. وهذا يعني للبعض مساعدة الأهل، والتضامن مع الوطن، ويعني للبعض الآخر المحافظة على شرف العائلة وسمعتها، فيما يخص البنات والنساء، حتى لو أدى ذلك إلى مشكلات شائكة في مجتمع يمارس نظام التعليم المختلط.

سويسريون يعلنون إسلامهم

عدد السويسريين الذين يدخلون الإسلام ليس معروفًا. فمن خمسة الآلاف مسلم تقريبًا الذين يحملون الجنسية السويسرية، يوجد عدد كبير ليس سويسري الأصل، بل نشأ في عائلة مسلمة. أما السويسريون الذين يعلنون إسلامهم، فلا يذهبون إلى المساجد كثيرًا. إذ إن اللغة مازالت عائقًا كبيرًا أمامهم، على كل ما يشعرون به من جاذبية تجاه الإسلام. وبعكس ألمانيا، فلا يوجد في سويسرا جمعيات إسلامية للمسلمين الناطقين بالألمانية.

المسلمون في سويسرا

يبلغ عدد المسلمين في سويسرا أكثر من 130 ألف مسلم، أي نحو 2٪ من عدد السكان المقيمين في سويسرا. والمسلمون في سويسرا يمثلون - تقريبًا - جميع دول العالم التي وصل الإسلام إليها. وتوجد نسبة من هؤلاء المسلمين حصلت على الجنسية السويسرية. كما يوجد عدد غير قليل من السويسريين أعلنوا إسلامهم، وتزوجوا من المسلمين. ولكنّ هناك أيضًا عددًا كبيرًا من السويسريين يشهرون إسلامهم، دون أن يكون الزواج من مسلم، أو مسلمة، هو الدافع لذلك. وعدد السويسريات اللاتي يدخلن الإسلام، دون الارتباط بزوج مسلم، في تزايد مستمر. وأثر الأقلية المسلمة في سويسرا على الساحة السياسية والثقافية ضئيل جدًا، إذا وضعنا نسبة هذه الأقلية من عدد السكان في الحسبان.

وضع الأقلية المسلمة

على الرغم من أن الإسلام يُعدّ ثالث

لا يختلف اثنان على استحالة تجاهل وجود المسلمين في أوربا، وهناك تطورات إيجابية تشير إلى التفاهم المتزايد للإسلام في سويسرا

أكبر دين في سويسرا، إلا أنه لا يمثل إلا حالة أقلية دينية. والمسلمون في سويسرا لم يأتوا من دول مختلفة فحسب، بل أيضًا من ثقافات متباينة، نعم إن الإسلام غير مرتبط بثقافة معينة، ولكنه نشأ في ثقافة واحدة. ويذهب عدد كبير من المسلمين غير الملتزمين إلى المساجد في الأعياد. كما أن صلاة الجمعة يؤديها عدد كبير من المسلمين. والصلاة في دولة المهجر ليست بمثل سهولة الصلاة في دولة إسلامية، حيث يوجد في كل قرية مسجد أو أكثر. أما أطفال المسلمين في سويسرا، فيواجهون مشكلة الانقسام والتشتت بين ثقافة علمانية غربية، وأخرى إسلامية شرقية.

المسلمون ودنيا العمل

لا يضطهد السويسريون المسلمين في أماكن العمل بسبب الدين. فالدين يُنظر إليه بحسبانه من الأمور الشخصية التي لا علاقة لها بالعمل. ونادرًا ما يتم السؤال عن الديانة عند الالتحاق بعمل جديد. فما دام الدين لا يسبب أي مشكلات في مكان العمل، فهو لا يهم أحدًا، ولا يكلف أحد نفسه عناء الاستفسار عنه، ولكن إذا رفض أحد العمال المسلمين مثلاً أن يغسل الأطباق، لأنها تُستخدم في تقديم لحم الخنزير، فمن الممكن أن يفقد وظيفته.

الصيام في دولة صناعية

من المشكلات التي يواجهها المسلمون في سويسرا الصيام في شهر رمضان. فشهر رمضان قد يأتي أحيانًا في فصل الصيف، حيث ترتفع درجة الحرارة، وتزداد ساعات



مسلمون بين ظهـ...

الإسلام في سويسـ...

النهـار، مما يزيد الصيـام صعـوبة. وتأدية فريضة الصيام في دولة إسلامية لا تمثل صعوبة كبيرة للمسلم، حيث يصوم الجميع، وحيث يراعي أفراد المجتمع حالة الصيام، فتقل ساعات العمل، ويسود المجتمع جو ديني، وشعور مشترك. أما الصيام في دولة صناعية نصرانية مثل سويسرا، فيكون فرضًا شاقًا على المسلمين، لأنهم لا يمثلون إلا أقلية صغيرة وسط مجتمع علماني، غير مسلم، لا يصوم رمضان، بل يمارس حياته بصورة عادية. ونظرًا لأن معظم المسلمين في سويسرا يمثلون عمالة غير مؤهلة، تقوم بالأعمال الشاقة، فتأدية فريضة الصيام بالنسبة لهؤلاء العمال تكون شاقة جدًا، لأن المجتمع ينتظر منهم الإنتاج نفسه، والطاقة نفسها التي يعملون بها في الأوقات العادية. والمحظوظ من المسلمين في سويسرا من يأخذ إجازته السنوية في رمضان. ليتحاشى الصيام في أثناء العمل، وربما يذهب إلى وطنه، ليقضي شهر رمضان في مجتمع إسلامي.

الصلاة

الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام الخمسة، وتأدية هذه الفريضة ربما لا تمثل أي مشكلة للمسلمات غير العاملات، حيث يستطعن تنظيم أوقاتهن، بطريقة تسمح لهن بتأدية الصلاة في أوقاتها. أما المسلمون العاملون، فيواجهون صعوبة في أداء هذه الفريضة في مواقيتها المحددة. والمشكلة هنا تنحصر في صلاة الظهر والعصر فقط، وأحيانًا صلاة المغرب أيضًا. ويرفض مديرو الشركات والمصانع منح العمال المسلمين فترة راحة يؤدون فيها صلاتهم. والسبب الأول في ذلك هو الجهل بالإسلام، ومعاداة الأجانب، والخوف من كل ما هو غريب. يقول أحد المديرين: «لابد أن يتأقلم هؤلاء «المحمديون» على الحياة هنا، هل يعتقدون أننا نريد أن يصبح الإسلام دين الدولة في سويسرا؟». وتزداد المشكلة وضوحًا، إذا عرفنا أن معظم المسلمين في سويسرا ينتمون إلى الطبقات غير المثقفة، أي إنهم لا يتقنون أي لغة أوربية، ومن ثم يعجزون عن التعبير عن حاجاتهم، وشرح قضيتهم. ومما يزيد هذه المشكلة تعقيدًا أن معظم المسلمين في سويسرا يجهلون قواعد العبادات في الإسلام، ويترتب على ذلك أن معظمهم يترك الصلاة كلية، لمجرد تعذر تأدية بعض الصلوات في مكان العمل. والأسوأ من ذلك أنهم يفقدون بعد ذلك كل ما يربطهم بالإسلام، ويتبع ذلك التخلي عن أخلاقيات الإسلام، وروحه.

مشكلة الحصول على اللحم المذبوح وفقًا للشريعة الإسلامية

على الرغم أن أحكام الطعام في الإسلام أيسر بكثير من مثيلتها في اليهودية، إلا أن المسلمين، في وضعهم كأقلية دينية، عليهم أن يدققوا في كل ما يتخذونه طعامًا. فالكثير من المنتجات الغذائية يحتوي على «الدهن الحيواني»، ولكن القليل من هذه المنتجات يذكر جنس هذا الحيوان: أخنزير، أم جاموس، مثلاً؟ أما اللحم المحلل بالنسبة للمسلمين، فهو لحم الحيوان (عدا الخنزير وبعض الحيوانات أخرى) المذبوح وفق الشريعة الإسلامية. ولكن الذبح في سويسرا ممنوع قانونًا. وهكذا يضطر بعض المسلمين إلى استهلاك اللحوم المتوافرة في الأسواق، على الرغم من أنها غير مذبوحة على الطريقة الإسلامية. بينما تقوم فئة أخرى من المسلمين بشراء ما تحتاج إليه من لحوم من محلات الجزارة اليهودية، حيث لا يأكل اليهود أيضًا لحم الخنزير، ويذبحون الحيوان، ولا يقتلونه بالصدمة الكهربائية، أو الرصاص، أو كما يفعل السويسريون. بيد أن معظم مسلمي سويسرا يفضلون لا محالة اللحم المذبوح على الطريقة الإسلامية. وبعكس الشائعات الرائجة، فليس هناك إلا قلة محدودة من المسلمين تقوم بالذبح على الطريقة الإسلامية، مخالفة بذلك القانون السويسري.

والشائعات المتداولة تقول إن المسلمين في سويسرا يذبحون الماعز والخرفان في حمامات بيوتهم، ولكن هذا كلام باطل. ومنذ 1989م يُسمح في برلين بذبح الحيوان، ولكن بعد قتله أولاً، والتأكد من ذلك طبيًا!! وتقوم بعض محلات الجزارة الإسلامية في سويسرا بالذبح في فرنسا، في مذبح خاص، يستخدمه اليهود أيضًا. وبعد ذلك يقومون باستيراد هذه اللحوم إلى سويسرا بتصريح خاص.

مشكلة تربية الأطفال المسلمين

غالبًا ما يكون الأطفال المسلمون في سويسرا مولودين فيها، ومتشربين، أو متقنين للغة الألمانية، أو إحدى لغات سويسرا الأخرى. وهذا يعني أنهم يتحدثون في الغالب لغة الوالدين في البيت، سواء أكانت هذه اللغة هي العربية أو التركية، أو لغة أخرى. بيد أن هذه اللغة تتحول تدريجيًا إلى لغة أجنبية بالنسبة للأطفال. والشيء نفسه ينطبق على الثقافة والدين. فالأطفال يتحركون بين عالمين، أو ثقافتين مختلفتين، دون أن يشعروا بانتماء كامل لإحداهما. وتواجه بنات المسلمين بصورة خاصة العديد من المشكلات بسبب اختلاف التقاليد الإسلامية عن عادات المجتمع السويسري فيما يخص الاختلاط، والزواج. ولا تقل مشكلات الوالدين عن مشكلات الأبناء

يعاني أطفال المسلمين في سويسرا من ازدواجية الثقافة، حيث يتحركون بين ثقافتين مختلفتين دون أن يشعروا بانتماء كامل لإحداهما!



مسلمون بين ظهرانينا

سويسرا

صعوبة، فتأدية حقوق المجتمع السويسري، ومحاولة التأقلم مع عاداته وتقاليده، غالبًا ما تصطدم من الناحية الأخرى بالتعاليم الإسلامية، والعادات الشرقية.

الحضور السعودي في سويسرا

يتراوح عدد السعوديين المقيمين في سويسرا بين خمسمئة وألف سعودي. وعلى ضآلة هذا العدد، إلا أن نفوذ السعودية في سويسرا كبير، وحضورها قوي، والسبب الرئيسي لذلك هو الميزانية الضخمة التي تخصصها السعودية لشؤون الدعوة الإسلامية. ويبدو أن الدور القيادي الذي تؤديه السعودية في العالم الإسلامي لوقوع الأماكن المقدسة في الأراضي السعودية، لا يروق البعض. فقد أخفق مشروع تأسيس مسجد جديد في برن، لرفض السلطات السويسرية إصدار التصاريح اللازمة له. ويقول هاينتس جيسترين، المعروف عنه معاداة الإسلام والعرب، معلقًا على هذا الحدث: «لأن السعودية لا تطبق مبدأ حرية الأديان، ولا تسمح لأصحاب الديانات الأخرى في السعودية بممارسة دياناتهم، فلا يمكن لسويسرا إلا أن تعاملها بالمثل». ومن مظاهر الحضور السعودي في سويسرا ذلك المسجد العظيم الذي قامت السعودية بتشييده في جنيف، ويعدّ أفخم مساجد سويسرا وأعظمها. فهو يتسع لعدة مئات من المصلين، وهناك مكان خاص للنساء. ويحتوي هذا المسجد على مكتبة، وقاعة للاجتماعات، وأخرى للمحاضرات، ومعمل لغات، ومطبخ. كما أنه يضم مكانًا لحفظ جثث موتى المسلمين. وقد افتُتح هذا المسجد سنة 1987م. وتم تحويله إلى وقف إسلامي مستقل عن الحكومات الإسلامية. وتُلقى خطبة الجمعة فيه بالعربية، وتترجم ترجمة فورية إلى الإنجليزية والفرنسية.

تزايد موجة التديّن بين المسلمين

أحسن مثال يوضح هذه الظاهرة هو مثال منطقة بازل. ففي سنة 1971م أدى المسلمون لأول مرة صلاة جماعة. وكان عددهم في ذلك الوقت بين عشرة وثلاثين مسلمًا، كانوا يجتمعون في أيام الجمعة والسبت والأحد في مبنى متواضع في منطقة بازل. أما اليوم، فيوجد في بازل فقط خمسة مساجد، يجتمع فيها لصلاة الجمعة بين 500 و900 مسلم. وتتراوح نسبة المتدينين من مسلمي سويسرا بين 20 و25٪، وهي في تزايد مستمر. وإذا قابلنا بين عدد المسلمين في سويسرا، ونسبة المتدينين منهم، وموجة التدين المتزايدة بينهم، من ناحية، والأعداد المخيفة من نصارى سويسرا الذين يتخلون عن الكنيسة، والنسبة الضئيلة منهم التي تذهب إلى الكنائس أيام الآحاد، من ناحية أخرى، نستطيع أن نتفهم السؤال الوجيه الذي يطرحه السويسريون: هل سنسمع في المستقبل القريب، بدلاً من أجراس الكنائس، صوت المؤذن ينادي للصلاة باللغة العربية؟

الاختلافات الثقافية

كلما كانت الاختلافات الثقافية بين بلد المهجر وبلد المنبع كبيرة، ازدادت مشكلات المهاجرين صعوبة. وكمثال لذلك نجد أن بعض أصحاب العمل السويسريين يفضلون تشغيل العمال البرتغال على الأتراك، لأن العمال البرتغال لا يسببون أي مشكلات في مكان العمل، بعكس الأتراك الذين يواجهون صعوبة في التأقلم على نظم العمل السويسرية، وإطاعة أوامر القيادات النسائية. ومعظم مسلمي سويسرا - باستثناء الألبان - ليسوا أوربيين، بل يختلفون جدًا عن الأوربيين. وفي حدود علمنا لا توجد أي دراسات عن الصدمة الحضارية التي يواجهها المهاجرون إلى سويسرا من مختلف بلدان العالم. ولكن من المرجح أن هذه الصدمة تكون شديدة عند المهاجرين المسلمين الذين نشؤوا في مجتمعات إسلامية محافظة. والعودة إلى الإسلام بين المهاجرين تعدّ إلى حد ما تعبيرًا عن احتجاج هؤلاء المسلمين على ما يواجهونه في بلد المهجر من تمييز واضطهاد. ولا يواجه المسلمون المتعلمون - كطبقة الأطباء، والمهندسين، وأساتذة الجامعة - أي صعوبة في التأقلم مع المجتمعات الحديثة. في حين أن أصحاب التعليم المتواضع، والثقافة السطحية الشديدة التمسك بالشكليات يعانون من مشكلات التأقلم مع هذه المجتمعات.

المسلمون في سويسرا وألمانيا

يختلف وضع المسلمين في سويسرا عنه في ألمانيا مثلاً، ففي سويسرا - هذه الدولة الصغيرة - مازال عدد المسلمين ضئيلاً. نعم إنهم يتزايدون، ولكن ليس بسرعة. ومن هنا يبدو كل شيء منسجمًا وهادئًا. أما في ألمانيا، فالحال مختلف، حيث يعيش هناك مسلمون أكثر، معظمهم من الأتراك. ومما يزيد المشكلة تعقيدًا هناك قلة اختلاط المسلمين بالألمان.

وبعد، فيهمنا أن نختم هذا المقال بالدعوة إلى الارتقاء بأحوال المسلمين، أي التركيز على الكيف، لأننا نرى أن من أسباب انحطاط المسلمين هو أنهم يتزايدون بسرعة، ولكن بلا كيف. فصارت الزيادة لا قيمة لها. وليس مستبعدًا أن يكون هذا هو أحد أسباب مخاوف الغرب من الإسلام. ألم تر أن القدماء كانوا يفضلون عدوًا عاقلاً، على صديق جاهل؟

الحضور السعودي في سويسرا قوي، ومن مظاهره مسجد جنيف الذي قامت المملكة بتشييده، ويعد أفخم مساجد سويسرا وأعظمها


إبداع صحفي جديد
صباح كل سبت
أنتم على موعد مع
مجلة
الشرق
AL-SHARQ
نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين
الجديد والمفيد من الموضوعات التى تهم كل أفراد الأسرة

قراءة في المحكي الشعبي

الحسن بنمونة

نشير إلى أن مبدأ الواقعية لا يعني المحاكاة أو مفهوم الانعكاس. فذلك المبدأ قد عرف تطوراً، حتى إن هناك من يرى أن لكل كاتب «واقعية» خاصة. إنه يهتم بالتعرف إلى «كيف تحولت الواقعة الاجتماعية بفضل الكاتب إلى عمل من اللغة والخيال»(1).

وهذا التحول بطبيعة الحال له قوانينه وأسسه. فالراوي لا يقصر اهتمامه على التطرق إلى تناقضات الواقع الاجتماعي أو النفسي، بل إنه يسعى إلى إضفاء طابع الجدة على الصياغة والتعبير. إن هذا سيدفعنا إلى تناول خاصة الخيال الواسع الذي تتمتع به الذاكرة الشعبية؛ حتى وإن كان الأمر متعلقًا بمعالجة قضايا لها صلة بالواقع المحسوس. فالخيال أساس التركيب اللغوي والدلالي للحكاية الشعبية.

تقول د. نبيلة إبراهيم: «فالتعبير الشعبي بصفة عامة يرتكز، في أخص خصائصه، على التحرك في سرعة من الواقع إلى المثال. ولهذا، فإن الإنسان الشعبي قادر على التقاط الزمن في كل مجال من مجالات حياته»(2). وتضيف قائلة وهي تتحدث عن دور الاستعارة في التعبير الشعبي: «فإن التعبير الأدبي الشعبي الذي يصاحب الحياة - على نحو ما يصاحب الفن الحياة بصفة عامة - يقوم أساسًا على الاستعارة القادرة على نقل الشيء من مستواه النفعي إلى المستوى الرمزي»(3).

إن الاستعارة كامنة في كل أشكال التعبير الشعبي. وهي دالة على سعة الخيال عند الراوي المجهول. ووجودها أو وجود التشبيه والأشكال البلاغية الأخرى يضفي عليها طابع الجدّة والصدق. هناك أسئلة تتبادر إلى أذهان السامعين أو القُرَّاء تخص - بصفة خاصة - صدق الأحداث السردية أو كذبها.

فالحكاية الشعبية زاخرة بالأغوال والسعالي والكائنات الخفية التي تمثل دور المساعدة أو العداء للبطل العجيب. هل ثمة وجود لذلك كله؟!. إن الإجابة ستكون أكثر سخافة من السؤال. فالأمر كله يعود إلى الراوي الذي أبدع، وجعل تلك الخرافات متداولة قادرة على الذيوع والانتشار.

ولأن الحكي لغة. واللغة رموز فـ«إن قبضة اللغة على الوجود، وقبضة الوجود على اللغة تتحققان عبر قنوات عدة»(4). الحكاية الشعبية في واقعيتها أو خيالها ترميز، أو هي لعب بأسرار الحياة العصيّة على الفهم. يقول پول ريكور: «إن علة وجود الرمزية هي فتح تعدد المعنى على غموض الذات»(5). إن شهرزاد تتوقف عن الحكي عند إشراق الصباح. أيكون هذا خوفًا من النهار؟! من الوضوح. فالحكي عادة ما يكون في الليل. أيوجد سر في ذلك؟ هذا التعارض بين حكي الليل وحكي النهار، هو في الحقيقة تعارض خفي بين السّتر والفضيحة. بين الحياة والموت. وقد قال ليڤي شتراوس ما معناه إن الأسطورة تكشف عن التعارض الحاصل بين حبّ البقاء والفناء.

يكشف الراوي عن علاقات وتحولات اجتماعية، تخص الكائن البشري في علاقته بالجان والأغوال، وعلاقته بذاته وبالآخر. بالشر والخير، والكيد والصبر والعفة. هناك - في المحكي الشعبي - تتجلى قيم إنسانية تخوض صراعًا مستمرًا. ولأن الراوي يطمح إلى الإفهام والإمتاع في الوقت ذاته، فإنه عارف بقواعد اللعبة. لعبة إثارة الانتباه إلى الوقائع الغريبة التي يمر بها البطل: «الرمز الذي يسعى إلى خلق معادل له في المجتمع الإنساني». قد يكون الأمر متعلقًا بجحا العربي، أو عنترة، أو شهرزاد، أو شهريار، أو غيرهم.

وتتخذ لعبة الحكي طرقًا عدة. أحيانًا تكون الحكاية جدًا، وأحيانًا هزلاً. وفي بعض الحكايات يختلط الجد بالهزل، البكاء بالضحك، المأساة بالملهاة. يقول الجاحظ: «إن لكل نوع من العلم أهلاً يقصدونه ويؤثرونه. وأصناف العلم لا تحصى، منهما الجزل ومنها السخيف، وإذا كان موضع الحديث على أنه مضحك ومُلْه وداخل في باب حَدِّ المزح، فأبدلت السخافة بالجزالة انقلب عن جهته، وصار الحديث الذي وضع على أن يَسُرَّ النفوس يُكْرِبها ويغُمّها.

ومن كان صاحب علم مَمَرَّنًا مُوَقَّحًا... لم يضره النظر في كل فن من الجد والهزل، فإن الأسماع قد تمل الأصوات المطربة، والأوتار الفصيحة والأغاني الحسنة، إذا طال ذلك عليها»(6).

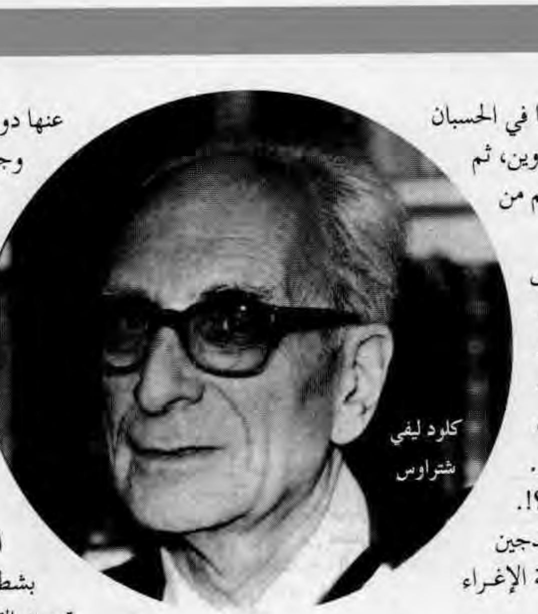
ويورد الجاحظ كلامًا لأبي الدرداء رضي الله عنه، يقول فيه: «إني لأستجم نفسي ببعض الباطل مخافة أن أحمل عليها من الحق ما يملها»(7). والباطل في كلام أبي الدرداء يعني الهزل .

في الجد ترمي الحكاية إلى غاية الموعظة، وفي الهزل، يتوخى منها الهزء من السلوك الإنساني. وما أكثر الحكايات المروية على ألسنة الحيوانات، سواء في الأدب المكتوب أو في الأدب الشفهي، والتي طغى عليها طابع الجد والهزل.

إن القول إن الواقعية منهج قابل لقراءة مثمرة، لا ينفي نجاعة باقي المناهج الأخرى، بل إنها كلها - إن اجتمعت في آن واحد - تستطيع أن تقدم رؤية شاملة في قراءة الحكي الشعبي. وتشير د. نبيلة إبراهيم إلى : «أن العمل في الحقل الفولكلوري دأب متواصل. فإذا قام الباحث بجمع مادة من التراث الشعبي في فترة من الزمن، فإنه لا يستطيع أن يدّعي أن هذه المادة تعكس شخصية الشعب في جميع العصور»(8). وقد حسمت الباحثة المذكورة الإشكال في أنها أخضعت المتن الحكائي بدراسة واقعية، حيث شملت: «حكايات الواقع الأخلاقي، حكايات الواقع الاجتماعي، حكايات الواقع السياسي، حكايات تكشف عن موقف الإنسان من العالم الغيبي، حكايات المعتقدات، ثم الحكايات الهزلية»(9). ومما يثير الانتباه أنها درست حكايات المعتقدات والعالم الغيبي من

خلال الواقعية؛ إلا أن الغموض ينجلي إذا أخذنا في الحسبان المرحلة التي ألفت فيها كتابها، وإشكالية التدوين، ثم طبيعة الحكاية التي تتقبل أكثر من قراءة. فكم من خرافة تظنها حكاية والعكس صحيح.

إن المحكي الشفهي، كسائر الأجناس الأدبية، يطمح إلى تشكيل صياغة أدبية للعالم. إن الأمر جائز. يكتب جاك دوبوا -JACK DU-BOIT قائلاً: «يشدنا أدب الطبقات الشعبية إليه بمظهره الخرافي، وذلك كوعاء وترجمة لنزوات ومخاوف وعصابيات وأحلام الضمير الشعبي. لكن هل هذا الأدب «يخرّف» أم إنه يخادع؟!. لأننا قد نرتاب في وظيفته. كأن يلجأ إلى تدجين الشعب. وأن هذا الأخير سيسقط ضحية الإغراء الاجتماعي»(10).



كلود ليفي شتراوس

لقد توقف كثير من الدارسين والمهتمين بالحقل الفولكلوري عند ظاهرة الواقعية في المحكي الشفهي تبعًا لما يضمره من أحداث لها علاقة بالواقع في تحولاته وخفائه ووضوحه. فالمؤلف المجهول الذي ذاب في ذات الجماعة كانت له غاية تشكيل الوعي الممكن. وعلى هذا الأساس تكون مهمة النقد الاجتماعي الكشف عن «مشكلة العلائق بين الوعي الممكن والوعي القائم لدى جماعة ما»(11).

إن الحكاية الشعبية بسبب انتمائها إلى الشعب الذي يَجِدُّ ويهزل، تمثل بحق اللسان المعبِّر عن حاله. إذ لا تتعدى حدود الهموم التي تقض مضجع الإنسان، سواء أكانت مرتبطة بالعيش أو بالحياة أو بالأحلام.

الحكاية والمسرح

الإنسان العربي ميال إلى المرح والترفيه. إن الأسواق التي كانت أمكنة لسرد الحكايات القديمة تشهد على ذلك. يقول د. خليل أحمد خليل: «إن الترفيه الشعبي Le loisir populaire يرشدنا إلى حركة الإمتاع وشفافية العلاقات الاجتماعية في حالات الكشف عن الذات من خلال علاقة طبقة مع أخرى»(12). هناك حكاية ينتصر فيها جحا العربي على جحا اليهودي والرومي، وقد استخدم خزان الحيل الذي يقتات منه. (شطارة) جحا العربي أدت إلى استلام هبات السلطان و(غباء) الثاني والثالث أدى بهما إلى أن ينالا ضربًا مبرّحًا.

ولكن، هل يمكن الوقوف عند ظاهر الحكاية؟ إنها إعادة إنتاج للصراع التاريخي بين الأجناس الثلاثة: «الحروب التي دارت رحاها بين العرب والروم، والعرب واليهود». ألم يكن من حق الراوي أن ينقل الحرب من الواقع التاريخي إلى الواقع الأدبي؛ جاعلاً منها حربًا تثير الضحك والمرح، مع أنها أثارت الفزع والرعب.

الحكاية والشطارة

«قال الشاعر:

أقسمت أن المستحيل ثلاثة

الغول، والعنقاء، والخلّ الوفي

وفي الأصل المستحيل هو الباطل الذي لا يمكن وقوعه. ومستحيلات الدهر عجائبه. وعليه فالمحال هو ما تجمع في جوفه وثناياه بين المتناقضات. أو استحال وقوعه»(13).

إن الغول من المستحيلات التي لا يمكن حدوثها، ولكن الإنسان يبحث عنها دومًا، إما بقصد تعرفها من قرب، وإما بقصد التحقق من وجودها. ومما لاشك فيه أن المخيلة تجعله يتصور وجود كائنات خرافية انطلاقًا من الواقع المحسوس أو من المعتقدات الكامنة في اللاشعور الجمعي.

في حكاية شعبية مغربية: رجل له سبعة أبناء، أضرَّ بهم الجوع فقرروا الرحيل بحثًا عن مأمن منه. عندما يتعب أحد أبنائه يضرب له خيمة، ويعطيه أكلاً، ثم يتركه وحيدًا. وهكذا دواليك. إلى أن جاء دور الابن الصغير. طلب من أبيه أن يبني له بيتًا من حديد. فحقق له ما طلب. تأتي «الغولة» الكائن المخيف، فَتَلْتَهِمُ الأبناء الستة، إلا الابن السابع الصغير الذي استطاع القضاء عليها بشطارته. إن المستحيل «الغولة» هو الذي يتعقب الممكن بقصد القضاء عليه، وما رحلة الأب سوى محاولة مجابهة الواقع. وبما أن أبناءه الستة يجهلون حقائق الحياة وقواعدها، فقد وجدوا أنفسهم وجهًا لوجه أمام الموت البشع. ذهاب الأب يمثل ترك المهمة لأبنائه، حتى يتبين له حسن تصرفهم أو سوءه. والواقع أن كثيرًا من الحكايات تركز على دور الابن الصغير الذي يحتقره الأب أو المجتمع، وفي النهاية، تكشف الأحداث عكس ما تصور.

وفي إحدى حكايات ألف ليلة وليلة يتمكن الرجل البسيط من المكر بالعفريت، فيدخله إلى الزجاجة، ثم يصير سلطانا عليه. إن الخداع لابد منه إزاء المستحيلات للقبض عليها أو نفيها من الوجود.

الرمز يُؤَوَّل. وتأويله يتبع شروط العصر الثقافية، والقيمة الأدبية المهيمنة. قد يسود في مرحلة زمنية معينة قلب الرمز على ظهره، حتى تكشف الحقيقة عن نفسها، وهي - في العادة - حقيقةٌ تنتمي إلى الواقع التاريخي أو السياسي أو الاجتماعي. وقد ينبى التأويل على تعدد المعنى انطلاقًا من طريقة منهجية تتوخى في دراستها الانتهاء إلى التشكيل الاستعاري.

هل يمكن لنا الاكتفاء بقراءة واحدة للحكي الشفهي؟! ما الغاية التي ترومها القراءة، أي قراءة؟! فالإنسان عادة ما ينجز معنى ويضمر معاني أخرى تبعًا لمحيطه الاجتماعي والسياسي.

إن الواقع يؤثر في بناء الحكاية وصياغتها شئنا أم أبينا. وإلا، لماذا وجدت الحكايات المروية على ألسنة الحيوان؟!

الهوامش:

1- نقلاً عن: «نحو نقد أدبي سوسيولوجي». من كتاب «البنيوية التكوينية والنقد الأدبي»، مقال جاك دوبوا، ترجمة بشير القمري. مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط2، 1986م، ص57.
2- د. نبيلة إبراهيم: «الرمز والأمثولة في التعبير الشعبي»، من كتاب: «المجاز والتمثيل في العصور الوسطى»، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص135.
3- المرجع نفسه، ص135.
4- بول ريكور: «إشكالية ثنائية المعنى بوصفها إشكالية هرمنطيقية وبوصفها إشكالية سيمانطيقية»، ترجمة د. فريال جبوري غزول، من كتاب «الهرمينوطيقا والتأويل»، دار قرطبة للطباعة والنشر، ط2، الدار البيضاء، المغرب 1993م، ص140.
5- المرجع نفسه، ص141.
6- الجاحظ: «رسائل الجاحظ»، ج2. شرح عبد. أ. مهنا، دار الحداثة، لبنان، ط1، 1988م، ص61.
7- المرجع نفسه، ص61.
8- د. نبيلة إبراهيم: «قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية»، دار العودة، لبنان 1974م، ص171.
9- المرجع نفسه، ص172.
10- نقلاً عن مقال: «نحو نقد سوسيولوجي»، مرجع سابق، ص88-89.
11- نقلاً عن: «الوعي القائم والوعي الممكن». لوسيان غولدمان، ترجمة: محمد برادة، من كتاب «البنيوية التكوينية والنقد الأدبي»، مرجع سابق، ص36.
12- د. خليل أحمد خليل: «نحو سوسيولوجيا للثقافة الشعبية: نموذج لبنان»، دار الحداثة لبنان. ط1، 1979م، ص163.
13- عيسى الجراجرة: مجلة «التراث الشعبي» العدد 7، السنة الثانية 1977م، ص73.

أعضاء جسم الإنسان في القرآن الكريم

إعداد:
موسى إبراهيم عطية أبو رياش

أ

الأحلام (العقول)، قال تعالى: *أم تأمرهُم أحلامهُم بهذا أم هُمْ قومٌ طاغُون*. **الطور**:32.

الأذن، قال تعالى: *لِنجعلَها لكم تذكرةً وتَعِيها أُذُنٌ واعيةٌ*. **الحاقة**:12.

الأرحام، قال تعالى: *ونُقرُّ في الأرحام ما نشاءُ إلى أجلٍ مسمى*. **الحج**:5.

الألباب (العقول)، قال تعالى: *إنّما يَتذكَّرُ أُولو الألباب*. **الزمر**:9.

الأمعاء، قال تعالى: *وسُقُوا ماءً حميمًا فقطَّعَ أمعاءَهم*. **محمد**:15.

الأنامل، قال تعالى: *وإذا خَلوا عضُّوا عليكُمُ الأناملَ من الغَيظ*. **آل عمران**:119.

الأنف، قال تعالى: *أنّ النَّفسَ بالنَّفسِ والعَينَ بالعَينِ والأنف بالأنف*. **المائدة**:45.

ب

البدن، قال تعالى: *فاليومَ نُنجِّيك ببدنكَ لتكُون لِمَنْ خَلْفَكَ آيةً*. **يونس**:92.

البطن، قال تعالى: *واللهُ أخْرجكم من بُطون أُمَّهاتكم لا تَعلمونَ شيئًا*. **النحل**:78.

البنان، قال تعالى: *بَلَى قادرين على أن نُسوِّي بَنانَهُ*. **القيامة**:4.

ت

الترائب (ضلوع الصدر)، قال تعالى: *يَخْرُجُ من بينِ الصُّلْبِ والترائبِ*. **الطارق**:7.

ج

الجبهة، قال تعالى: *فتُكوَى بها جِباهُهُمْ وجُنُوبُهُمْ وظُهورُهُم*. **التوبة**:35.

الجبين، قال تعالى: *فلما أسْلَمَا وتَلَّهُ لِلْجَبين*. **الصافات**:103.

الجسد، قال تعالى: *وما جَعَلْناهم جسدًا لا يأكلون الطَّعام وما كانُوا خالدينَ*. **الأنبياء**:8.

الجسم، قال تعالى: *وإذا رأيْتَهُمْ تُعجِبُكَ أجسامُهُم*. **المنافقون**:4.

الجلد، قال تعالى: *وقالوا لجلُودِهِم لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَينا*. **فصلت**:21.

الجناح (ما تحت العضد)، قال تعالى: *واضْمُمْ يَدَكَ إلى جناحِكَ تَخْرُجْ بيضاءَ من غيرِ سُوءٍ*. **طه**:22.

الجُنوب، قال تعالى: *تَتجَافَى جُنُوبُهُمْ عن المَضَاجعِ يَدْعُون ربَّهُم خوفًا وطَمَعًا*. **السجدة**:16.

الجوف، قال تعالى: *ما جعلَ اللهُ لرجُلٍ من قَلْبَيْنِ في جَوفِهِ*. **الأحزاب**:4.

الجيد، (العنق)، قال تعالى: *في جيدِها حَبْلٌ منْ مَسَدٍ*. **المسد**:5.

ح

الحلقوم، قال تعالى: *فَلَولا إذا بَلَغتِ الحُلقومَ. وأنتم حينئذ تَنظُرونَ*. **الواقعة**:83،84.

الحنجرة، قال تعالى: *وإذْ زَاغتِ الأبصارُ وبلغتِ القُلوبُ الحَناجرَ*. **الأحزاب**:10.

خ

الخَدّ، قال تعالى: *ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للناسِ ولا تَمْشِ في الأرض مَرَحًا*. **لقمان**:18.

الخرطوم (الأنف)، قال تعالى: *سَنَسِمُهُ على الخُرْطُومِ*. **القلم**:16.

د

الدبر (المؤخرة)، قال تعالى: *فَكيفَ إذا توفَّتْهُمُ الملائكةُ يَضْرِبونَ وُجُوهَهُمْ وأدْبارَهُمْ*. **محمد**:27.

ذ

الذقن، قال تعالى: *إنَّ الذين أُوتُوا العلْمَ من قَبْله إذا يُتلَى عليهم يَخِرُّونَ للأذقانِ سُجَّدًا*. **الإسراء**:107.

ر

الرأس، قال تعالى: وألقى الألواحَ وأخَذَ برأسِ أخيه يجُرُّهُ إليه. **الأعراف**:150.

الرِّجل، قال تعالى: اركُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ باردٌ وشرابٌ. **ص**:42.

الرقبة: قال تعالى: فإذا لقيتُمُ الذين كفروا فضَرْبَ الرِّقاب. **محمد**:4.

س

السِّنُّ، قال تعالى: وكتبنا عليهم فيها أنَّ النَّفسَ بالنَّفس والعَيْنَ بالعَيْنِ والأنفَ بالأنف والأذنَ بالأذن والسِّنَّ بالسِّنِّ والجُروحَ قِصَاصٌ. **المائدة**:45.

السوأة (العورة)، قال تعالى: فَدَلاهُما بغُرور فلَمَّا ذاقا الشجرة بَدَتْ لهما سَوْءَاتُهُمَا. **الأعراف**:22.

ش

الشفة، قال تعالى: ألم نَجعلْ لَهُ عَينين. ولِسَانًا وشَفتين. **البلد**:8،9.

الشِّمال (اليد اليسرى)، قال تعالى: وأمَّا من أُوتيَ كتابَهُ بشماله فيقولُ يا ليتني لم أُوتَ كتابِيَهْ. **الحاقة**:25.

الشيب، قال تعالى: قال ربِّ إنِّي وَهَنَ العظمُ منِّي واشتعَلَ الرَّأسُ شيبًا. **مريم**:4.

ص

الصدر، قال تعالى: قال ربِّ اشْرَحْ لي صدري. **طه**:25.

الصُّلب (الظهر)، قال تعالى: يخرجُ من بين الصُّلْبِ والتَّرائبِ. **الطارق**:7.

ط

الطرْف (العين)، قال تعالى: مُهْطِعينَ مُقنعي رُؤُوسِهِم لا يَرْتَدُّ إليهم طَرْفُهُمْ وأفئدتُهُمْ هَوَاءٌ. **إبراهيم**:43.

ظ

الظهر، قال تعالى: وَوضَعْنا عَنكَ وِزْرَكَ. الذي أنقضَ ظَهرَكَ. **الشرح**:2،3.

ع

العظم، قال تعالى: وَضرَبَ لنا مثلاً ونسيَ خَلْقَهُ قال مَن يُحيِي العظامَ وَهِيَ رَميمٌ. **يس**:78.

العقب (مؤخر القدم)، قال تعالى: قد كانت آياتي تُتلى عَليكُم فكُنتم على أعقابكُم تنكصُون. **المؤمنون**:66.

العنق، قال تعالى: ولا تجعلْ يَدَكَ مَغْلولةً إلى عُنُقكَ ولا تَبْسُطها كُلَّ البسط. **الإسراء**:29.

العين، قال تعالى: وابيضَّت عَيناهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظيمٌ. **يوسف**:84.

ف

الفرْج، قال تعالى: قُل للمؤمنينَ يَغُضُّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ ويحفظُوا فُروجَهُمْ. **النور**:30.

الفؤاد (القلب)، قال تعالى: وأصبحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسى فَارغًا. **القصص**:10.

الفاه (الفم)، قال تعالى: كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أفواهِهِم إن يَقُولون إلاَّ كَذِبًا. **الكهف**:5.

ق

القدم، قال تعالى: أرِنا اللَّذَينِ أضَلاَّنا مِنَ الجنِّ والإنس نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أقدامِنَا. **فصلت**:29.

القلب، قال تعالى: أفَلا يتَدَبَّرون القُرآن أم على قُلُوبٍ أقْفَالُهَا. **محمد**:24.

ك

الكعب، قال تعالى: وامْسَحُوا برؤُوسِكُم وأرْجُلَكُمْ إلى الكَعْبَين. **المائدة**:6.

الكف، قال تعالى: وأُحيطَ بثَمَرِه فأصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ على ما أنفقَ فيها. **الكهف**:42.

ل

اللحم، قال تعالى: وانظُرْ إلى العِظَامِ كيفَ نُنشِزُها ثُمَّ نَكْسوها لَحْمًا. **البقرة**:259.

اللحية، قال تعالى: يا ابنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بلِحْيَتِي ولا برَأسي. **طه**:94.

اللسان، قال تعالى: فإذا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بألسنة حِدَاد. **الأحزاب**:19.

م

المرفق، قال تعالى: فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأيْدِيَكُمْ إلى المَرَافِق. **المائدة**:6.

ن

الناصية (شعر مقدم الرأس)، قال تعالى: يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بسيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بالنَّواصي والأقْدَام. **الرحمن**:41.

النهى (العقول)، قال تعالى: إنَّ في ذَلِكَ لآيات لأولِي النُّهَى. **طه**:128.

و

الوتين (أحد الشرايين الرئيسة في الجسم)، قال تعالى: وَلَوْ تَقَوَّلَ علينا بَعْضَ الأقاويل. لأخَذْنَا مِنْهُ باليَمين. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتين. **الحاقة**:44-46.

الوجه، قال تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ. ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ. **عبس**:38،39.

الوريد، قال تعالى: ونَحْنُ أقْرَبُ إليه مِنْ حَبْلِ الوَريد. **ق**:16.

ي

اليد، قال تعالى: والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا. **المائدة**:38.

اليمين (اليد اليمنى)، قال تعالى: وألْقِ ما في يَمينكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا. **طه**:69.

قصة قصيرة

القطار والسمكة الذهبية

د. أحمد زياد محبك

-1-

يخرج من غرفة المعتمد الضيقة، وهو يزفر. قبضته مغلقة على الراتب، يمسك به بقوة، يشد عليه أصابعه المتشنجة. عيناه زائغتان. الزحام عند المعتمد شديد، والغرفة ضيقة.

يمضي إلى غرفة المدرسين، يسحب كرسيًا، ويقعد أمام الطاولة التي لم يُمسح عنها الغبار منذ زمن.

يفتح النقود، يعدّها.

لا أعرف كيف نقص الراتب خمس عشرة ليرة؟ أنبّه المعتمد على النقص، فيجيب:

- هذا هو الجدول أمامك، ولا خطأ فيه..

وأحاول محاورته، فيقول:

- راجعني الأسبوع القادم..

أنا أعرف، لا فائدة، حظ نكد.

ويدخل عليه الآذن أبو محمود.

- مرحبا أستاذ حامد.

- أهلاً أبو محمود.

ويخيم صمت ثقيل، الآذن يتظاهر بمسح الطاولة.

الآن قبضنا الراتب، لم يكد يعرق داخل يدنا.

- كم حسابي يا أبو محمود؟

- ثمان وعشرون ليرة.

- هكذا، وبسرعة، ومن غير النظر في ورقة أو دفتر؟

- أنا أحفظ حسابك، وحساب كل المدرسين.

يحسّ بالاختناق.

ثمان وعشرون ليرة مبلغ تافه حقيقة، ربما كان ثمن فنجانين أو ثلاثة في مقهى عادي، بل ربما ثمن فنجان واحد في أحد الفنادق، كما أسمع. ولكن، في الواقع، لا أعرف لماذا أضيق ذرعًا بهذا المبلغ؟!

تبًا لهذه الحياة، مبلغ تافه أغص به، وأكاد أختنق.

- تفضل يا أبو محمود، هذه ثلاثون ليرة.

ويمدّ أبو محمود يده إلى جيبه، يبحث عن ليرتين يردهما إليه، فيقول له:

- احتفظ بالبقية لنفسك.

- شكرًا، هل تشرب الآن شيئًا؟

- لا، شكرًا، أنا خارج بعد قليل.

أبو محمود يطوي الخرقة التي كان يمسح بها الطاولة، ويخرج.

الأستاذ حامد يرسل زفرة طويلة، ثم ينظر إلى ساعة يده.

الساعة الحادية عشرة والنصف، انتهت دروسي لهذا اليوم، إلى أين سأذهب؟ ما أتعس حياة الموظف! ماذا سأفعل في البيت؟ ليس أمامي سوى المرور بالسوق وسداد الديون وشراء بعض الحاجات، ويطير نصف الراتب. وبعد أسبوع، أو عشرة أيام، لابد من أن أستدين من جديد.

ويدخل عليه الأستاذ أمجد..

- مرحبا أستاذ حامد.

- أهلاً.

- ما بك؟ لمَ أنت مستاء؟!

- لا أعرف؟!

ويسحب الأستاذ أمجد كرسيًا ويقعد مقابله.

- أنت في أول الشهر يا أستاذ حامد، ومنذ قليل قبضت راتبك.

- آخر الشهر أحسن من أوله.

- غير معقول؟!

ويرسل الأستاذ حامد زفرة طويلة، ثم يقول:

- على الأقل في آخر الشهر أعرف أنه لا نقود معي، فأتدبّر أمري، ولكن في أول الشهر معي نقود، ولا أعرف كيف أتصرّف بها، وهي ليست لي، ستذهب سدادًا للديون.

ويدخل عليهما الأستاذ سمير، شاب في أول حياته الوظيفية.

- مرحبًا حضرات الأساتذة.

- أهلا أستاذ سمير.

ويناديه الأستاذ حامد:
- تعال إلى جانبي.
ثم يمد يده إلى جيبه، يخرج الراتب، يستل منه ثلاثمئة ليرة، يناوله إياها، وهو يهمس له:
- تفضل، أستاذ سمير.
الأستاذ سمير يتردد في أخذ المبلغ، وهو يقول:
- أرجوك أستاذ، اتركها معك للشهر القادم، أنا شاب عزب، وليس ورائي حتى الآن أية مسؤولية..
ويهمس له الأستاذ حامد:
- شكرًا، شكرًا لك، وعلى كل حال لا تصرفها، احتفظ لي بها، لأنني سوف أستدينها منك مرة ثانية.
الأستاذ سمير يطوي النقود، يضعها في جيبه، وهو يتكلم:
- جئت لأخبركم، الشباب متفقون اليوم على تناول طعام الغداء في مطعم الواحة، فما رأيكم؟.
يخيم صمت ثقيل، يقطعه الأستاذ حامد قائلاً:
- أنتم الشباب، كما قلت، لا مسؤولية وراءكم، ونحن وراءنا زوجة وبيت وأولاد، فاعذرونا.
ويمضي الأستاذ سمير، يغادر غرفة المدرسين.
الأستاذ حامد يسأل الأستاذ أمجد:
- هل تودّ البقاء؟
- لا.
- إذن لنخرج.
- إلى أين؟
- لا أعرف.
ويخرجان، يغادران المدرسة بصمت، الأستاذ أمجد يتكلم:
- ما رأيك في الذهاب إلى السوق؟
- لا بأس، ولكن بشرط؟
- ما هو؟
- للتسلية والفرجة فقط.

-2-

يحتويهما السوق، يغيبان في الصخب والضجيج والضوضاء.
الزحام شديد. الأستاذ حامد ينظر ولا يكاد يرى. يده في جيبه، وهو يمسك بالراتب، يشد عليه أصابعه.
ماذا نشتري؟ وماذا لا نشتري؟ الناس يشترون كل شيء، ونحن لا نكاد نشتري شيئًا، لا أعرف من أين يأتي الناس بالنقود.
زحام، ووجوه، وحاجات، وأصوات.. أصوات.
ويلتفت الأستاذ حامد إلى صديقه، يقول له:
- أرجوك، تعال نرجع، جئنا لنتفرج ونتسلى، وها نحن نكاد نجن..
ويرد الأستاذ أمجد على الفور:
- صدقني، فور دخولي السوق كنت سأقول لك تعال نرجع، ولكن لم أرد إحراجك، أنا أكاد أختنق.
ويرجعان عائدين..
ولكن بعد بضع خطوات، يتوقف الأستاذ حامد، وهو يقول لصديقه:
- اسمح لي، سندخل هذا المحل.
ويشير إلى محل لبيع الألعاب، وهو يضيف:
- أشتهي شراء قطار له سكة وعربات، لولدي أحمد.
ويدخلان المحل.
البائع يفتح علبة كبيرة، يخرج منها خمس عربات وقاطرة، وسكة مقطعة، يصل بعض قطعها ببعضها الآخر، يمسك بجهازالتحكم، يضغط على الأزرار.
القطار يسير، يعبر جسورًا، يدخل أنفاقًا، يتوقف في محطات، ثم يعاود الانطلاق.
القطار يزمجر، يدمدم، يصفّر.
وأنا صغير رأيت لدى أولاد عمي قطارًا، التففنا حوله، قعدنا على الأرض، ذهلنا. سألتهم أن أحرك القطار بنفسي. منعوني. خرجت مع أمي وأنا أبكي. في الطريق قلت لها: أريد مثل ذلك القطار.، وردّت: لا، يا حامد، أنت كبير وشاطر، وعندك مدرسة وواجبات، عليك أن تدرس وتنجح، أولاد عمك أطفال صغار مدلّلون، لا يحبون المدرسة.. أدركت أنها كانت تودّ لو تقول: لا يا حامد، أنا لا أستطيع شراء مثل ذلك القطار، أبوك مات ولم يترك لنا شيئًا، وأنت واجبك أن تجدّ وتدرس، لا أن تلعب..
صديقه الأستاذ أمجد يسأل البائع:
- كم ثمن هذا القطار؟
- مئتان وخمسون ليرة.
الأستاذ حامد يفاجئه صوت البائع، فيلتفت إلى صديقه، يدعوه إلى الخروج. ويخرجان من المحل ذاهلين.
الأستاذ حامد والأستاذ أمجد يغذّان الخطا، يستعجلان الخروج من السوق، ودمدمة القطار ماتزال تملأ منهما الآذان.
وهما يسيران الأستاذ حامد يحدّث صديقه عن القطار الذي رآه في دار عمه، وهو طفل صغير.
وخارج السوق، يتكلم الأستاذ أمجد:
- سأحكي لك، وأنا صغير أيضا، كان عندي سمكة ذهبية من لدائن، كنت أحبها كثيرًا، مرة ذهبت مع أبي في سيارة أجرة، رأيت السائق يعلّق أسفل المرآة التي أمامه سمكة ذهبية من لدائن، قلت لنفسي، وأنا صغير، سأشتري سيارة عندما أكبر، وأعلّق فيها السمكة، ولست أدري كيف احتفظت بتلك السمكة، وكبرت وأنا احتفظ بالسمكة..
ويعلّق الأستاذ حامد ساخرًا:
- لا بأس، أنصح لك أن تهديني السمكة، ليلعب بها ابني.
- للأسف، منذ يومين فقط، أعطت زوجتي السمكة لابني، ابني في الشهر الثامن، أسنانه بدأت بالبروز، أخذ السمكة، وعلى الفور ضغط

بأسنانه عليها، وإذا السمكة تتجعّد وتنثني وتلتوي.
- وتحطم الحلم!
- الحلم تحطّم منذ ألف سنة.
ويخيم صمت ثقيل، وهما يسيران الهوينى على الرصيف، يستمتعان بشمس الظهيرة الدافئة.
وفجأة، يقف الأستاذ حامد، يقول لصديقه:
- اسمع، سأرجع إلى بائع الألعاب، سأشتري القطار، وليكن ما يكون، سأصوم يومين ثلاثة، سأشتري القطار.
الأستاذ أمجد يمسك يده، يهتف به:
- لا، لا أستاذ حامد، لا تتعجل، مئتان وخمسون ليرة تشتري بها ثيابًا لولدك، تفي بها بعض ديونك.
يصمت، يطرق، يكاد يختنق.
يعودان إلى المشي على الرصيف.
عند آخر الشارع يقفان، الأستاذ أمجد يسأل:
- هل ستأتي مساء إلى المقهى لنلعب بالطاولة؟
الأستاذ حامد ينظر إليه، ولا يجيب بشيء، فيضيف الأستاذ أمجد:
- هل ستقعد في البيت؟ ماذا ستفعل؟ هل ستقرأ في المعلقات؟
ويرسل زفرة طويلة، ثم يتابع كلامه:
- وأنا طالب في الجامعة كنت أحلم بدراسة الفيزياء النووية، ولكن الآن لا أحلم بشيء، يكفيني أن أرمي زهر الطاولة وأسمع رنّته.
ويخيم صمت ثقيل، وهما ما يزالان واقفين.
الأستاذ أمجد يسأل مرة أخرى:
- نعم، ماذا قلت؟
الأستاذ حامد يرد:
- عندي مساء درس خاص لتلميذي عماد.
- لا بأس تنزل إلى المقهى بعد الدرس، سأكون هناك في انتظارك.
- لا، اليوم سيدفع لي والد عماد أجور الدروس عن الشهر الماضي، سأنزل إلى السوق بعد الدرس مباشرة، لشراء القطار.
ينظر إليه الأستاذ أمجد مدهوشًا:
- هل عدنا إلى قصة القطار؟
- نعم، سأشتري القطار، ليس لولدي أحمد، فقط، بل لي أنا، أيضًا.
ويشد على يده مودعًا، ثم يمضي.

- 3 -

في المساء، الأستاذ حامد يصعد الدرج، يقرع الباب.
عماد يفتح له الباب، وهو طلق الوجه، فرح، على غير عادته.
- أهلاً أهلاً أستاذ، تفضل..
الأستاذ حامد يدهش.
هل لأول الشهر عندهم أيضا شيء من البهجة؟ لا يعقل؟! الأيام بالنسبة إليهم كلها سواء، والده تاجر كبير، لا يبالي أول الشهر أو آخره، النقود دائمًا تسيل بين يديه.
عماد يخطو أمام الأستاذ حامد، يدعوه:
- تفضل، تفضل أستاذ إلى هذه الغرفة.
ويقوده إلى غرفة أخرى غير الغرفة التي اعتاد أن يعطيه الدروس فيها.
ويدخل الغرفة في إثره، وإذا هي غرفة ألعاب
حوض لأسماك الزينة، ودراجة، وبضع كُرات، وأجهزة للتدريب والألعاب، وفي عمق الغرفة طاولة عليها جهاز تلفاز.
عماد يتجه إلى عمق الغرفة، يقعد أمام الطاولة، وهو يحدّث الأستاذ حامد:
- انظر أستاذ، أبي اشترى لي جهاز ألعاب أتاري.. ويأخذ في اللعب.
وتدخل أم عماد، تحيي الأستاذ حامد:
- أهلا أستاذ.
ثم تضيف:
- أرجو أن تسامح ولدي، فقد اشترى له أبوه يوم أمس ألعاب أتاري، سامحه اليوم فقط، لا أظن أن ذهنه المشغول بالأتاري سيستوعب الدرس.
وتصمت الأم هنيهة، والأستاذ حامد ذاهل، ثم تضيف:
- أطفال اليوم لم تعد ترضيهم الألعاب القديمة، نحن الآن على أبواب القرن الحادي والعشرين، علينا أن نجاري روح العصر.
ويتكلم الأستاذ حامد:
- لا بأس، لا بأس، أرجو أن تسمحي لي بالانصراف.
ويغادر الغرفة.
وعند الباب الخارجي يقف، يلتفت إلى الأم، يتردد، يهمس لها:
- أودّ، إذا سمحت، التذكير بأن دروس الشهر الماضي قد انتهت.
وترد الأم:
- لا تقلق، سنحتسب لك درس هذا اليوم.
- لا، لا أبدًا، ليس مشكلة، وليس هذا قصدي، أنا أعتبر حضوري اليوم مجرد زيارة، ولكن...
ويتردد، يصمت، ثم يتكلم:
- بودي، لا أعرف كيف أعبّر، أنا أقصد إذا كان من الممكن قبض حساب الشهر الماضي، فقط..
وترد الأم، وهي تبتسم:
- آه، الحق معك، ولكن للأسف، أبو عماد سافر صباح هذا اليوم، ولم يحدثني في هذا الموضوع..
وتصمت هنيهة، ثم تضيف:
- على كل حال، الشهر القادم تقبض حساب الشهرين معًا، هذا أوفر لك، وليس في الأمر أي مشكلة.

عودة المعرفة في «المعرفة»



غلاف المجلة



د. محمد بن أحمد الرشيد

إن مجلة المعرفة، التي تصدرها وزارة المعارف، تكتسب أهميتها من أن القضايا التربوية تتسم بكثرتها وتشعبها واتصالها الوثيق بقضايا المجتمع ومشكلاته، حيث كان هذا العمل من أوليات الوزير المربي الذي عُرف بنشاطه واهتماماته في مجال التربية وإدارتها، والتربية وإعلامها، ولا شك أن هذا العمل - من الأعمال التي بدأها معالي الوزير - سيُسَجَّل في سجلٍ نرجو أن يكون حافلاً بمزيد من عطاءاته.

ولم يقتصر المسوغ لإعادة الإصدار - في رأي الوزير - على أن إصدار مجلة مهنية تتوجه إلى أصحاب المهنة يعد عملاً صعبًا، ويرتبط نجاحها بمدى جديتها في مناقشة هموم المهنة، وتبنيها العميق لقضايا المنتمين إليها فحسب، بل لأنه يرى أن التربية، قاعدة الذين تتوجه إليهم المجلة، تتسع باتساع المجتمع كله، وليس المجتمع المحلي وحده؛ بل المجتمع الإنساني على امتداده.

لقد كان إعادة إصدار مجلة «المعرفة» بعد توقف دام 37 عامًا حدثًا يستحق الاهتمام وتعضيد جهود القائمين عليها، لعظم المسؤوليات التي عليها أن تقوم بها.

ومع أن ما صدر من أعداد من هذه المجلة لا يتيح الفرصة للحكم الدقيق عليها أو تقويمها تقويمًا موضوعيًا، إلا أن الملاحظة تشير إلى أن المجلة استطاعت فتح محاور مهمة في قضايا التربية، وهناك ارتفاع في مستوى الأداء والطرح يتضح في الأعداد الأخيرة.

فقد أجرت المجلة حوارًا قصيرًا مع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في عددها التاسع عشر الصادر في شوال الماضي. وضم هذا الحوار - على قصره - كلمات لها دلالاتها العميقة، إذ أوضح فيه خادم الحرمين الشريفين أن العجز عن اللحاق بالركب لا يعني التخلف فحسب؛ بل قد يعني ما يمكن أن يُسَمَّى بالأمية الحضارية، وهذا شيء لا يرضاه لنا ديننا ولا نرضاه لأنفسنا. وفي سؤال عن الارتباط بين تغير الزمان وتغير مناهج التعليم أجاب - حفظه الله -: «إن التعليم فيه عناصر ثابتة وأخرى متحولة، فكل ما يتعلق بالعقيدة والعبادة وثوابت الدين ومكارم الأخلاق، وما إلى ذلك لا يقبل التغيير أو التبديل، أما ما سواه فيتغير. تتغير المناهج والأساليب كلما كشف العلم جديدًا صالحًا كاستخدام الحاسب الآلي في التعليم».

وكانت نصيحته - حفظه الله - للطلاب منهجًا يُحتذى، إذ يقول: «فقد مضى الوقت الذي كان يكفي فيه النجاح لينال المرء حياة كريمة، وجاء وقت التفوق والتألق؛ لأن المنافسة بين الشعوب قد اشتدت، وسلاحها الأول هو العقل والعلم».

وضم العدد - التاسع عشر من «المعرفة» - ملفًا موسعًا عن التعليم في إسرائيل، امتد إلى العدد الثاني والعشرين، وتناول مؤسسات التعليم الإسرائيلية، والتربية عند الجماعة اليهودية، والمناهج الإسرائيلية، والعرب في عيون الإسرائيليين، والجذور الدينية للتعليم في الدولة العبرية، واتجاهات الفكر التربوي، والفكر الصهيوني في الكتب المدرسية الإسرائيلية، والشحن العدواني في برامج تثقيف النشء.

وهذا عمل يستحق الإشادة، لأن معرفة فكر الآخرين، ولاسيما الفكر اليهودي، تُعدّ من مسؤوليات مؤسسات الإعلام والتربية التي عليها أن تقوم بها بفعالية.

وحفلت الأعداد الأخيرة من «المعرفة» بموضوعات تربوية شتي، تطرقت إلى تقنيات التعليم في القرن القادم، وتطوير السُّلَّم التعليمي في المملكة العربية السعودية، ورؤية الرئيس الأمريكي كلينتون للتعليم في أمريكا، وقضية الإشراف التربوي والرضا الوظيفي، ودور الأسرة في التفوق الدراسي للطالب، واقتصاديات التعليم، إلى جانب تسليط الضوء على التجارب التعليمية والتربوية في البلدان العربية والأجنبية.

وناقش معالي وزير المعارف د. محمد بن أحمد الرشيد قضايا تربوية مهمة، ففي إحدى مقالاته نفى أن المعرفة حرفة أو نجومية أو هواية، مؤكدًا أنها علم واجب ورسالة مستمرة، وناقش في مقالة أخرى التحدي الذي يواجهه التربويون في إزالة الملالة عن التعليم العام، وفي ثالثة أوضح المخاطر الناجمة عن أوقات الفراغ، وهي مقالة مع أنها قد كُتبت منذ عشر سنوات، إلا أنها لا تزال حية، تستحق الدراسة العميقة والنظرة الفاحصة، حتى تعي الأمة قيمة الوقت الذي هو الاستثمار الوحيد الذي لا تتكرر فرصته مرة أخرى في حال فقدانها.

وخصصت مجلة المعرفة ملفًا لبحث قضية «التعليم والتوظيف» ودور القطاع الخاص في استيعاب أرتال الشباب الذين تدفعهم المدارس والجامعات إلى سوق العمل، وعرضت المجلة الجزء الأول من هذه القضية في عدد شهر محرم، وتناولته من جوانب عديدة، وبخاصة ما يتعلق منها بخيارات الطالب في المرحلة الثانوية «التي تعد في أغلب الدول العربية مفترق طرق مهم يحدد طريق الطالب لبقية حياته خصوصًا في الجانب الوظيفي». واستطلعت المجلة آراء عدد من طلبة هذه المرحلة الدراسية لإعطاء دلائل عن طريقة تفكير هذه الفئة من الشباب الدارسين، الذين سيكونون جزءًا من الأيدي العاملة، كما أجرت المجلة لقاءات مع عدد من الشباب الباحثين عن وظائف، وعرفت رؤيتهم لعلاقة التعليم والتوظيف، وكتب معالي وزير المعارف د. محمد بن أحمد الرشيد افتتاحية العدد بعنوان «أزمات الشباب وخواطر عن الحلول».

وتضمن العدد مقالة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز المفتي العام للمملكة العربية السعودية، أكد فيها أهمية العلم بوصفه الدعامة الأساسية التي ترتكز عليها مقومات الحياة، وكونه من أصعب المهام وأشرفها لما تتطلبه من الاتصاف بأكمل الصفات، حسب الإمكان من علم نافع وخلق كريم، وعمل صالح متواصل وصبر ومصابرة، وتحمل المشاق في سبيل إصلاح الطالب، والاقتداء في ذلك بالمعلم الأول محمد صلى الله عليه وسلم. وحفل العدد بمقالات وموضوعات ناقشت قضايا تربوية مهمة وملحة مثل: العصا أم القدوة: الأكثر تأثيرًا في تقويم سلوك الطالب؟

ويظل الطموح دائمًا أن يتطور أداء المجلة إلى الأفضل، لتكون منبرًا يعبر من خلاله المعلمون والمربون عن آرائهم في قضايا التربية، وأن يستفيدوا - في الوقت نفسه - مما تطرحه من أفكار ووجهات نظر تغني معارفهم، وتوسع مداركهم، وتعمق رؤيتهم بإجراء الموازنة بين النظم التربوية المختلفة؛ ليستخلصوا منها النتائج التي تعينهم على تطوير قدراتهم وصقل خبراتهم؛ وهذا ما يقتضي من المجلة أن تكون سباقة إلى طرح كل فكر تربوي جديد وتداوله على بساط الحوار الصريح والمناقشة الجادة، حتى تسهم في تهيئة بيئة تربوية مواتية، فعندما تتسم المشاركة بالفعالية من قبل المعنيين بالأمر، تأتي التصورات والحلول نابعة من تحليل دقيق وعميق للقضايا التربوية وأسبابها. ولايمكن تصور أن ينبع فكر راسخ ذو نفع وفائدة للإنسان من غير أن يستند إلى أساس متين من التربية، كما لا يمكن تخيل وجود إبداع إنساني في أي مجال من مجالات الحياة منقطع الصلة والعلاقة بالتربية. فالتربية هي الإعداد للحياة بكل زخمها، وعلى هذا الأساس فإن النظر إلى مجلة المعرفة يكون من هذه الزاوية: «تأسيس أطر وقواعد لحياة أجيال»، لينشؤوا وهم على وعي تام بالدور الذي ينبغي لهم أن يؤدوه لخدمة وطنهم وأمتهم وخوض غمار المستقبل بثقة وثبات.

رئيس التحرير

الحركة الثقافية في شهر

سمو الأمير نايف بن عبدالعزيز يدعو إلى ضرورة معالجة المعوقات التي تحول دون استيعاب المواطنين في المؤسسات الإنتاجية

سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز يضع حجر أساس مشروع تطوير مركز الملك عبدالعزيز التاريخي

بدء الدراسة في معهد الملك فهد الإسلامي الذي أسسته الندوة العالمية للشباب الإسلامي في روسيا

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تعلن عن إنشاء جائزة تقديرية للثقافة وأخرى للإبداع العربي

رابطة الجامعات الإسلامية تنظم مؤتمرا دوليا حول الدراسات الإسلامية عند غير المسلمين

الخويطر ومحاضرة عن المصادر المحلية لتاريخ المملكة العربية السعودية

ضمن الموسم الثقافي لدارة الملك عبدالعزيز ألقى معالي الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر محاضرة عن «المصادر المحلية لتاريخ المملكة العربية السعودية»، أوضح فيها أن أهم المصادر تنحصر في كتب مخطوطة عما قبل الدولة السعودية، أو عن الدولة السعودية الأولى أو الثانية، أو في كتب بحثت في التاريخ والجغرافيا والأنساب، وركزت على منطقة بعينها أو حقبة بذاتها. ثم هناك بعض المخطوطات المكملة لما سبق أن طُبع، وهناك مخطوطات مهمة عن مرحلة تاريخية متقدمة لم تصل إلينا، وهناك كتب لاتزال مخطوطة، وأهميتها محدودة لتأخر زمن مؤلفيها. ومن المصادر المهمة - أيضا - الوثائق الحكومية الرسمية، والوثائق الخاصة لدى الأفراد، والخطابات والمراسلات، والدراسات الحديثة، والكتابات المطبوعة عن أحداث سياسية ومعلومات أدلى بها المعاصرون للأحداث أو المشاركون فيها، والمراسلات بين الحكام الإداريين والسلطة المركزية، ومراسلات بين أفراد لهم أهميتهم من رجال الملك عبدالعزيز - رحمه الله -، وخطابات بين أصحاب مهن مختلفة، وبينهم وبين الحكام، والصحف وما في حكمها، والشعر الفصيح والعامي.

ثم تناول معاليه ما يخص العناية بهذه المصادر، فذكر بعض مظاهر تلك العناية، ومنها السعي لمعرفة هذه المصادر في مظانها، وتحديد أماكن وجودها، ثم في محاولة الربط بين المصادر، ودراسة كل مصدر دراسة وافية، وإكمال ما قد يظهر من نقص فيها، وتحقيق هذه المصادر وشرح نصوصها، ووضع الفهارس المتعددة وترتيبها، وفحص نصوص المصدر فحصًا دقيقًا. ثم أشار د. الخويطر إلى ما تلقاه هذه المصادر - مؤخراً - من عناية الدارسين والمتخصصين العلميين من السعوديين المؤهلين، وهم ليسوا قلائل اليوم على عكس الماضي.

وفي ختام المحاضرة تحدث عن أولئك الذين في أيديهم مخطوطات ورثوها، أو اشتروها أو أهديت إليهم، ويصرون على عضلها؛ فلا هم ينشرونها، ولا هم يسمحون للقادر على تحقيقها ونشرها أن يقوم بذلك، مبينًا أن كاتب المخطوط ما أنحل جسمه بالسهر والتعب ليقبر كتابه في رف أو صندوق، ويبقى عرضه للتلف مع مرور الزمن ومفاجآت الأيام.

الفائزون بجوائز نادي أبها الأدبي ومسابقة للشعر في المدينة

فيما أعلن نادي أبها الأدبي أسماء الفائزين في مسابقته الثقافية السنوية السابعة والعشرين، قرر نادي المدينة المنورة الأدبي فتح باب تلقي المشاركات في مسابقة الشعر الجديدة التي ينظمها النادي.

فاز بجوائز نادي أبها الأدبي كل من: في مجال التراث الإسلامي: د. أحمد عبدالواحد عن بحثه «الترجمة في النثر الأندلسي في المئة الثامنة»، وفي مجال أدب الطفل: د. عبدالرزاق حسين عن بحثه «رؤية في أدب الطفل»، والدكتور سعيد أبو الرضا عن بحثه «أدب الطفل التنموي: رؤية إسلامية حضارية.. المتغيرات والبدائل»، وفي مجال المخدرات وأضرارها: د. عبدالحليم أحمد سواس.

من ناحية ثانية تركز مسابقة الشعر لنادي المدينة المنورة الأدبي على محور واحد يشترط أن تتناوله جميع القصائد المشاركة، هو المدينة المنورة بجوانبها كافة. كما يشترط أن تكون القصيدة باللغة العربية الفصحى، ولا تقل عن ثلاثين بيتًا ولم يسبق نشرها.

وتحددت نهاية شهر ربيع الأول المقبل 1418هـ موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات.

قرية المرسال الثقافية التشكيلية

يُنتظر أن يتم قريبًا افتتاح قرية المرسال الثقافية التشكيلية في جدة.

تهتم القرية بإغناء الساحة الثقافية والتشكيلية والسياحية والحرفية والتراث الشعبي، من خلال نشاطات متعددة لعل أبرزها المعارض الفنية والتراثية والمسابقات.

جائزة جمعية رعاية الأطفال المعاقين

أعلنت الجمعية السعودية لرعاية الأطفال المعاقين بالرياض عن فتح باب تلقي طلبات الترشيح لجائزتها للبحث العلمي في مجال الإعاقة في فرعي: التأهيل والتربية الخاصة، والطب والعلوم الطبية.

تُمنح الجائزة للأبحاث التي أسهمت إسهامًا متميزاً في مجال الإعاقة وتأهيل المعاقين، وتلك التي



بعد أن افتتح فعاليات «أسبوع الجامعة والمجتمع» بجامعة الملك سعود:

سمو الأمير نايف بن عبدالعزيز

يدعو إلى تحقيق المزيد من المواءمة بين احتياجات سوق العمل والهيكل المهني للعمالة الوطنية

أكد صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية رئيس مجلس القوى العاملة أن الإعداد لبناء الإنسان السعودي وتزويده بالمعارف والمهارات الضرورية التي يحتاج إليها سوق العمل يرتبط بقدر من التنظيم والتنسيق بين أجهزة متعددة.

جاء ذلك خلال افتتاح سموه «أسبوع الجامعة والمجتمع» الذي تنظمه جامعة الملك سعود في إطار التنسيق بين مجلس القوى العاملة ومجلس الجامعات.

وقال سموه في كلمة بهذه المناسبة: «.. يسعدني اليوم أن أكون معكم لافتتاح ملتقى ثقافي واعد، ملتقى يجمع بين العلم ورموزه من أساتذة الجامعات وبين رموز الإنتاج من أصحاب المنشآت والقائمين عليها».

وأضاف سموه: «الحضارة الإنسانية على مدى تاريخها، ليست إلا نتاجًا للجهد الإنساني الخلاق الذي تتعاون فيه قوى البشر المادية وقدراتهم الفكرية على الإنتاج، وذلك لإشباع المطالب التي يتسع نطاقها على الأيام والدهور...

وفي هذا السبيل، توجهت القيادة الحكيمة لبلادنا الكريمة إلى بث روح العلم والتعليم بين الناس.. العلم والتعليم كانا البداية الأساسية لحلقات التطور الهادف للمملكة، وذلك قبل أن يصبح التخطيط العلمي أساسًا لكل خطواتنا نحو المستقبل والاستعداد له، وتعلمون أن التجربة السعودية في النماء ثرية في معطياتها وإنجازاتها ودروسها».

وأكد سموه أن «ما حدث على أرض بلادنا الطاهرة من إنجازات وتطور، وما تحقق من نقلات كيفية، إنما هو أولاً وقبل كل شيء توفيق من الله عز وجل، ونتاج لتمسكنا بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم هو بعد ذلك ثمرة لإرادة وتصميم من توالوا على قيادة مسيرتنا المباركة منذ توحيد المملكة على يد الملك عبدالعزيز - رحمه الله -، ونتيجة لجهود أبناء المملكة البررة، وأنتم منهم».

وعن العلاقة بين الجامعة والمجتمع، قال سمو وزير الداخلية رئيس مجلس القوى العاملة:

«إننا ندرك أن التعاون الوثيق بين الجامعة والمجتمع تمليه المصلحة المشتركة في الطموحات والآمال، وينبع من اليقين بأن هذه الأمة تستطيع أن تعقد العزم على تطوير

أدت إلى تطوير وسيلة أو عقار أو أجهزة جديدة لمساعدة الأطفال المعاقين، على أن تكون الأبحاث موثقة ومنشورة، وفي حالة اكتشاف عقار جديد لا بد من ثبوت نجاحه حسب المعايير الصحية العالمية، ويشترط في الوسائل والأجهزة والأدوات أن تكون مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بالإعاقة أو التأهيل، ونجاحها واجتيازها اختبار السلامة طبقًا للمعايير العالمية.

تُرسل الترشيحات مرفقًا بها الأبحاث والدراسات مع معلومات السيرة الذاتية الكاملة للمرشح إلى الجمعية في موعد غايته يوم الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى المقبل 1418هـ الموافق لـ 30 سبتمبر 1997م.

يذكر أن الجائزة تبلغ قيمتها في كل فرع مئة ألف ريال سعودي.

المديرية العامة للبريد تصدر طوابع تذكارية

تخليدًا للفتوحات الإسلامية المجيدة، وبمناسبة

محاضرات وندوات

«الأماكن الجغرافية في حياة الملك عبدالعزيز»، عنوان محاضرة ألقاها في مكتبة الملك فهد الوطنية بدعوة من دارة الملك عبدالعزيز في الرياض الشيخ عبدالله بن محمد بن خميس.

«وجوب التعاون على البر والتقوى»، عنوان محاضرة ألقاها في جامعة أم القرى بمكة المكرمة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

«شاعرية الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز.. أمير منطقة عسير»، عنوان أمسية نظمها نادي أبها الأدبي للشاعر العراقي د. عدنان جواد الطعمة.

«اليونسكو وموقفها من تعدد الثقافات»، عنوان محاضرة ألقاها في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض أحمد مختار أمبو.

«إشكالية التخلف في العالم الإسلامي»، عنوان محاضرة ألقاها في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض د. زغلول راغب النجار.

«الدور الثقافي لجامعة الزيتونة»، عنوان محاضرة ألقاها في السفارة التونسية بالرياض د. عبدالله لوصيف.

«الاستنساخ البشري وآفاق التنمية»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة د. أحمد مستجير.

«نابليون والإسلام»، موضوع محاضرة ألقاها في المركز الثقافي الفرنسي بالقاهرة هنري لورانس.

«زاوية سليمان الرفاعي بالقاهرة»، عنوان محاضرة ألقاها في دار الآثار الإسلامية د. ستيفانو كاربوني.

«تاريخ بداية اختراع الكتابة»، عنوان محاضرة ألقتها في مركز جدة للعلوم والتكنولوجيا د. دينيس سيماند.

«تجربتي الإبداعية»، موضوع محاضرة ألقاها في النادي الثقافي الأدبي في جدة د. عصام خوقير.

نموذج من العلوم والمعارف يعكس أصالتها وقيمها وحضارتها السالفة».

ودعا سموه إلى ضرورة التعاون البناء بين الجامعات وقطاع الأعمال، ومعالجة المعوقات التي تحول دون استيعاب المواطنين في المؤسسات الإنتاجية، واتباع مناهج تكفل مواءمة مهارات القوى العاملة مع فرص العمل المتاحة، وتحقيق المزيد من التوافق بين احتياجات سوق العمل والهيكل المهني للعمالة الوطنية.

وفي لقاء مفتوح بهذه المناسبة، أجاب سموه عن بعض الأسئلة والاستفسارات، فقال:

«إننا نريد خريجين يعملون في المجالات العلمية التي تثري حاجتنا في مجال العمل. وأود أن أقول إن توجهات الدولة في النواحي العلمية والمهنية أكثر بكثير، وليس هذا تقليلاً من شأن الجانب الأدبي».

وأبدى سموه ترحيبه بكل اقتراح يتعلق بوضع ضوابط التوظيف في القطاع الخاص، مشيراً إلى ضرورة التنسيق بين الأجهزة المعنية. وأكد أن السعوديين هم رأس المال الذي يعمل فيه رجال الأعمال لأنه رأس مال وطني، وأن هناك تجاوبًا من القطاع الخاص لتوظيف السعوديين، وقال: «إن رجال الأعمال يريدون أن يوظفوا المواطن السعودي، ويريدون أن يهيئوا الفرص له، كما يريدون أن يكون هناك تأهيل له ليقوم بهذه الأعمال».

وقال سموه: «كل العمل الذي يتم حاليًا وفق توجيهات خادم الحرمين الشريفين، فهذا التوجيه السديد ذو النظرة العميقة والبعيدة المدى يوجب علينا، كمسؤولين في الدولة جميعًا ومواطنين في أي موقع، أن نكون عند حسن ظن خادم الحرمين الشريفين، وأن نحقق ما يهدف إليه - حفظه الله - وإن شاء الله سوف نكون عند حسن ظنه».

وأشار سموه إلى أن وزارة الداخلية تسعى للإفادة من إمكانات الجامعات، لأن الأمن للجميع، والمواطن هو رجل أمن مثله مثل رجل الأمن المنخرط في سلك الخدمة العسكرية، منوهًا بأهمية التعاون بين مجلس القوى العاملة والجامعات، وضرورة الإفادة من نتائج هذا الأسبوع.

وكان الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن أحمد الصائغ مقرر اللجنة الدائمة لأسبوع الجامعة والمجتمع قد ألقى كلمة بيّن فيها حرص الجامعة على فتح أبوابها ومعاملها ومراكزها البحثية وأقسامها العلمية لكي تتاح الفرصة لأبناء المجتمع كافة للاطلاع عن كثب على إمكاناتها البشرية والمادية، والوقوف عن قرب على برامجها وأنشطتها العلمية والثقافية والبحثية والاستشارية والتدريبية والصحية.

وأشار إلى أن من المتوقع أن يبلغ عدد الطلاب الذين يزورون الجامعة خلال هذا الأسبوع قرابة 2500 طالب وطالبة، كما أشار إلى أن عدد العروض الوظيفية المقدمة من قبل الشركات والمؤسسات في القطاعين العام والخاص بلغ 522 وظيفة.

وأوضح معالي مدير جامعة الملك سعود الأستاذ الدكتور عبدالله الفيصل أن الجامعة يعمل بها ثلاثة آلاف خبير ومساعد هم أعضاء هيئة التدريس، وأن الجامعة مصدر استشارة متخصص لكثير من الهيئات الحكومية والأهلية يقدم استشاراتها أكثر من 700 مستشار غير متفرغ.

وأشار رئيس مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية بالرياض الأستاذ عبدالرحمن الجريسي إلى أن رجال الأعمال وهم يثمنون بكل الوفاء والعرفان ما قدمته الدولة وتقدمه لهم من دعم وتشجيع ورعاية لممارسة أنشطتهم الاقتصادية، فإنهم لن يتخلفوا عن تلبية أي توجه لمساندتها في تحقيق الأهداف الوطنية ومنها توظيف العمالة السعودية.

(تغطية فعاليات هذا الأسبوع في العدد القادم بإذن الله).

موسم الحج، أصدرت المديرية العامة للبريد طابعين تذكاريين؛ أحدهما عن غزوة حنين، والثاني عن حج عام 1417هـ.

كما أصدرت كذلك طابعًا بريديًا بمناسبة يوم الصحة العالمي تحت شعار «الأمراض المعدية: تأهب عالمي ورَدٌّ عالمي».

كتب جديدة

التدرج في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم: الموضوع، الوسيلة، الأسلوب، تأليف إبراهيم بن عبدالله المطلق، صدر ضمن سلسلة «الكتاب الإسلامي» عن مركز البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد في الرياض.

ومضى الرماد، ديوان للشاعر محمد توفيق، صدر عن نادي تبوك الأدبي.

القصيم: تراث وحضارة، إعداد خالد محمد أسكوبي وآخرين، راجعه د. سعد عبدالعزيز الراشد، صدر عن الوكالة المساعدة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف.

«قضية الثقافة وإشكالياتها بين الأصالة ومدخلات المعاصرة»، موضوع محاضرة ألقاها في نادي الطائف الأدبي د. إبراهيم محمد العواجي.

«خدمات الإنترنت التي تقدمها وكالة المعلومات التابعة للولايات المتحدة الأمريكية»، موضوع محاضرة ألقاها في جامعة الكويت ستيفان مالينجر.

«حركة النقد في الأدب الكويتي المعاصر»، عنوان محاضرة ألقاها في رابطة الأدباء بالكويت د. نعيم اليافي.

«هل هناك حل نهائي لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين 1948- 1967م»، عنوان محاضرة ألقاها بدعوة من النادي العربي في بريطانيا سليم نصار.

«صورة العربي في الأدب وبرامج التعليم العبرية»، عنوان محاضرة ألقتها في منتدى عبدالحميد شومان بعمان نضال رافع.

«المسرح الإغريقي في مصر»، موضوع محاضرة ألقاها بدعوة من المعهد الثقافي الإيطالي بالقاهرة نبيل الألفي.

«اللياقة البدنية للأطفال»، عنوان محاضرة ألقاها في مركز جدة للعلوم والتكنولوجيا د. جون بريور.

«برامج اليونسكو لتطوير تعليم العلوم والهندسة في الجامعات العربية»، عنوان محاضرة ألقاها في جامعة الكويت د. عمر عزوز.

«بذكر الله تتنزل الرحمات»، موضوع محاضرة ألقاها في مسجد حمزة بن عبدالمطلب بمكة المكرمة فضيلة الشيخ السيد سابق.

«الذكرى الأربعون لرحيل الشيخ العربي التبسي، ودوره في النضال العلمي والسياسي مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»، عنوان ندوة فكرية نظمها المركز الثقافي الإسلامي بمدينة تبسة، وشارك فيها الأستاذة والكُتّاب: محمد مراح، والهادي صالحة، وأحمد عيساوي، ويوسف مناصرية.

«الخرائط البحرية في عصر ابن ماجد»، عنوان محاضرة ألقاها بدعوة من مركز الدراسات والوثائق في رأس الخيمة بدولة الإمارات العربية المتحدة المهندس لطف الله قاري.

«سلامة الطيران في القرن الحادي والعشرين»، عنوان محاضرة ألقاها في المستشفى السعودي الألماني بجدة د. سامي حبيب.

سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز:

يضع حجر أساس مشروع تطوير مركز الملك عبدالعزيز التاريخي ويرعى المهرجان الرياضي لمدارس منطقة الرياض



سمو الأمير سلمان
في احتفال وضع حجر أساس مشروع
تطوير مركز الملك عبد العزيز...

وضع صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض رئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض في الرابع عشر من الشهر الماضي حجر أساس مشروع تطوير مركز الملك عبدالعزيز التاريخي بالرياض.

وقال سموه في هذه المناسبة: «يسعدني أن أعلن عن بدء العمل في تنفيذ هذا المشروع الحضاري الكبير؛ مشروع تطوير مركز الملك عبدالعزيز التاريخي الذي سيتزامن اكتماله، بإذن الله، مع مناسبة تاريخية عزيزة علينا جميعًا، ألا وهي مناسبة مرور مئة عام على قيام المملكة العربية السعودية التي قامت على أسس راسخة من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف».

وذكر سموه أن أهمية هذا المشروع تنطلق من اعتبارات عدة، إذ يقام على منطقة لها أهميتها التاريخية؛ حيث تضم هذه المنطقة قصر المربع الذي كان أول بناء أنشئ خارج سور المدينة، وكان مقرًا لديوان الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ، وشهد هذا القصر إرساء قواعد الحكم في المراحل التأسيسية للمملكة، كما شهد اجتماعات الملك عبدالعزيز مع رؤساء وأمراء الدول العربية والإسلامية الشقيقة والدول الصديقة. وسوف يضم هذا المشروع عددًا من المرافق الثقافية المهمة، مثل المتحف الوطني الذي سيعبر عن الجذور التاريخية للمملكة، ويعرض المعلومات التاريخية عن العالم، كما سيضم دارة الملك

الإمارات

تصنيع جهاز عربي لترميم المخطوطات وصيانتها

نجح مركز جمعه الماجد للتراث والثقافة بدبي في تصنيع جهاز لترميم المخطوطات وصيانتها، ويعتزم توزيعه بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيكو) على ثماني دول إسلامية وعربية تحتاج إليه.

أعلن ذلك مؤسس المركز رجل الأعمال الإماراتي جمعة الماجد، خلال افتتاحه دورة تدريبية حول صناعة المخطوط العربي.

افتتاح متحف الشارقة للفنون

افتتح في الشارقة ـ مؤخرًا ـ متحف للفنون جرى بناؤه في إطار جهد شامل لتحويل منطقة الشويهين القديمة الواقعة بجوار الميناء التاريخي للشارقة إلى منطقة للفنون.

ضم المتحف مقتنيات أمير الشارقة عضو المجلس الأعلى للاتحاد الشيخ د. سلطان بن محمد القاسمي الموزعة على ثماني مجموعات فنية.

يذكر أن منطقة الشويهين يعود تاريخها إلى القرن الثامن عشر الميلادي، وتضم عددًا من الأسواق الشعبية، وتجرى حاليًا عملية ترميم واسعة بها.

البحرين

مهرجان التراث

برعاية ولي العهد القائد العام لقوة دفاع البحرين الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، افتتح في المنامة مهرجان التراث السادس، الذي أقيم هذا العام تحت شعار «الخيل العربية في البحرين» خلال شهر ذي الحجة الماضي، واستمر ثلاثة أيام.

احتوى المهرجان على عدد من النشاطات والبرامج التي ترتبط بموضوعه، من بينها عروض شعبية وفنية، واستعراض للخيل، وعرض نموذج لأسطبل عربي، والحرف المرتبطة بالعناية بالخيل، فضلاً عن محاضرة عن الخيول العربية، وأمسية شعرية.

جوائز جديدة لأبحاث المرأة والطفل

قرر مركز معلومات المرأة والطفل التابع لجمعية رعاية الطفل والأمومة إنشاء جائزة باسم «جائزة الشيخ خليفة بن سلمان بن حمد آل خليفة» للباحثين العرب في مجالي: المرأة والطفل.

يبدأ منح الجائزة هذا العام، وتمنح لأفضل ثلاث دراسات مبتكرة ومتميزة يكتبها باحث ـ أو باحثة ـ ولا يقل عمره ـ أو عمرها ـ عن 25 عامًا، ويستقبل المركز الترشيحات أو الاستفسارات على عنوانه: ص.ب 32526 مدينة عيسى ـ البحرين.

على أن تصل في موعد غايته 27 ربيع الآخر المقبل 1418هـ (31 أغسطس 1997م).

الكويت

مؤتمر العلاقات العامة والإعلام

نظمت جامعة الكويت في رحاب مركز خدمة



.. وفي المهرجان الرياضي لمدارس منطقة الرياض

عبدالعزيز التي مهمتها التوثيق والتعريف بتاريخ المملكة.

ويقع المشروع على أرض مساحتها 374 ألف متر مربع تقريبًا، ويشتمل على متنزه عام، ومبنى المتحف الوطني، ومبنى دارة الملك عبدالعزيز، ومبنى للوكالة المساعدة للآثار والمتاحف، ومبنى للعروض التقنية، إلى جانب ترميم جامع الملك عبدالعزيز وقصر المربع التاريخي، وبعض المباني الطينية الموجودة في المنطقة، إضافة إلى إنشاء المرافق اللازمة للمنطقة ومواقف السيارات، وتحسين الطرق المحيطة بالمنطقة.

وكان صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز قد وقَّع عقود تنفيذ المشروع مع إحدى الشركات الوطنية بقيمة 423,020,000 ريال، ومدة تنفيذ المشروع عشرون شهرًا، أي إنه ينتهي في شهر رمضان من العام القادم 1419م بإذن الله.

وكان سمو الأمير سلمان قد رعى في الحادي عشر من الشهر الماضي حفل ختام النشاطات الرياضية لمدارس منطقة الرياض باستاد الملز، الذي ضم عروضًا رياضية مختلفة قدمها طلاب محافظات منطقة الرياض التعليمية، ولوحات خلفية صاحبها «أوبريت غنائي» حكى مسيرة التعليم وتطوره في المملكة العربية السعودية.

وأشار سمو الأمير سلمان إلى أن أساس التعليم هو المحافظة على العقيدة ومحبة الوطن والإخلاص له، وحثَّ الطلاب على الجد والاجتهاد والتحصيل الممتاز في التعليم حتى يخدموا دينهم ووطنهم.

وتم هذا العرض الرياضي بحضور معالي وزير المعارف د. محمد بن أحمد الرشيد، وبمشاركة أكثر من 30 ألف طالب يمثلون طلاب منطقة الرياض.

وقد ألقى د. عبدالله بن عبدالعزيز المعيلي المدير العام للتعليم بمنطقة الرياض كلمة نوه فيها بما توليه حكومة خادم الحرمين الشريفين من اهتمام كبير بالتعليم.

التنمية المؤتمر الثاني للعلاقات العامة والإعلام.

ناقش المؤتمر 13 ورقة عمل وبحثًا تسعى إلى استشراف مستقبل العلاقات العامة والإعلام في المؤسسات الرسمية الكويتية.

كتب جديدة

الكويت قبل النفط، تأليف ستانلي ج. ماليري، ترجمه إلى العربية د. محمد الرميحي، وصدر عن دار قرطاس للنشر.

ابتسامات ماكرة، مجموعة قصصية لظبية خميس، صدرت عن شركة الربيعان للطباعة والنشر.

موسوعة أعلام الكويت، إعداد ماضي الخميس، صدرت عن دار الحدث للصحافة والخدمات الإعلامية.

مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تأليف مجموعة من الكُتّاب، ترجمه إلى العربية د. رضوان ظاظا، وراجعه د. عبدالمنصف السيوفي، صدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة» عن المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب.

مصر

رحيل سهير القلماوي

فقدت الحياة الثقافية والأدبية العربية أستاذة ورائدة الأدب الشعبي د. سهير القلماوي عن عمر ناهز 84 عامًا.

ولدت في القاهرة لأب طبيب مصري وأم تركية، وتتلمذت على جيل الرواد: مصطفى عبدالرازق، ود. طه حسين، وأحمد لطفي السيد، فهي تنتمي إلى جيل الوسط، وكانت واحدة من أول ثلاث فتيات مصريات يدخلن الجامعة (الأخريان هما: الصحافية الراحلة أمينة السعيد، والوزيرة د. عائشة راتب)، وحصلت على الماجستير بإشراف د. طه حسين في «أدب فرقة الخوارج»، ثم درجة الدكتوراه عن «حكايات ألف ليلة وليلة» عام 1941م فكانت أول عربية تحصل على هذه الدرجة. وبعد حصولها على الدكتوراه عملت بالتدريس بالجامعة، وترأست مؤسسة الطباعة والتأليف والنشر (الهيئة العامة للكتاب حاليا)، كما حصلت على عضوية مجلس الشعب (البرلمان) إلى جانب عضويتها في لجان عدة. ورفضت أربع مرات تولي منصب الوزارة. وإلى جانب الدراسات العديدة التي كتبتها أو نشرتها، والمحاضرات التي ألقتها، كتبت القصة القصيرة، ولها قرابة ثمانين قصة، وللأسف لم تهتم بتجميع مقالاتها ودراساتها، لذلك فإن المطبوع منها لا يتجاوز اثني عشر مؤلفا فقط.

مهرجان القراءة للجميع

افتتحت السيدة سوزان حرم الرئيس محمد حسني مبارك «مهرجان القراءة للجميع» في دورته السابعة الجديدة قبل أيام.

ويتميز مهرجان هذا العام بتكوين أندية مفتوحة للقراءة على الشواطئ وفي أكثر من مكان عام في الهواء الطلق، تضم أركانًا للموهوبين، وتخصص فيها ساعة للقصة بوصفها أحب أشكال الأدب للصغار، وأيضًا «أحاديث الكتب» لتنمية حبهم للقراءة والمعرفة.

كما تقام ورش تجريبية للموهوبين تقوم فكرتها على الإبداع التلقائي للأطفال، فضلاً عن النشاطات الأخرى التي تضمنها المهرجان في أعوامه السابقة، وسلاسل كتب جديدة في إطار «مكتبة الأسرة».

ندوة عن اللغة العربية

نظمت لجنة الدراسات الأدبية واللغوية بالمجلس الأعلى للثقافة - مؤخراً - ندوة حول «اللغة العربية في مصر».

ناقشت الندوة عدة موضوعات، من أبرزها: إشكاليات المعجم العربي الحديث والخروج من الدائرة المغلقة، واللغة العربية المعاصرة والحاسب الآلي، واستخدام الألفاظ في الشعر العربي المعاصر، ولغتنا المعاصرة والثقة الغائبة، والتحليل الآلي للغة العربية على المستوى الصرفي، واللغة العربية المعاصرة والأدوات الحديثة.

الاشتراك في الإنترنت للدفاع عن الإسلام

قرر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الاشتراك في شبكة الإنترنت العالمية.

يرمي القرار إلى العمل على تصحيح صورة الإسلام في الخارج، والرد على ما يثيره المغرضون من الكُتّاب والمستشرقين من افتراءات ضد الإسلام.

ترينالي مصر الدولي للحفر

شارك خمسمئة فنان من 75 دولة بنحو 1500 عمل فني في ترينالي مصر الدولي الثاني لفن الحفر، الذي افتتح بالقاهرة قبل أيام ويستمر شهرين.

وتعد ألمانيا أكثر الدول مشاركة حيث يمثلها 99 فناناً، ثم مصر واليابان بـ 35 فناناً لكل منهما، فإيطاليا 25 فناناً، واسبانيا 20 فناناً.

وتقام على هامش الترينالي ندوة دولية بعنوان «فن الحفر وآفاق القرن العشرين».

يذكر أن الترينالي الذي يقام كل ثلاث سنوات يقدم 30 جائزة تبلغ قيمتها 170 ألف جنيه مصري.

مؤتمر الدراسات الإسلامية عند غير المسلمين

نظمت رابطة الجامعات الإسلامية مؤتمراً دوليا في جامعة الأزهر بالقاهرة حول «الدراسات الإسلامية عند غير المسلمين» خلال شهر محرم المنصرم، يرمي إلى رصد وجهات النظر المختلفة حول الإسلام والمسلمين من واقع بحوث غير العرب في الشرق والغرب.

استمر المؤتمر ثلاثة أيام، وناقش ثلاثة محاور رئيسية هي: التأثيرات الشرقية في الدراسات الإسلامية، وبخاصة التأثيرات الفارسية والتركية والأوردية والعبرية، وغيرها من مدارس الشرق، والتأثيرات الغربية من فرنسية وإنجليزية وإسبانية وغيرها في مختلف الدراسات الإسلامية وبخاصة الفقه والتصوف والفلسفة والتفسير والأدب واللغة والآثار، فيما ناقش المحور الثالث موقف الفكر الغربي في العديد من القضايا مثل: قضية المرأة في الإسلام، والربا والنظام الاقتصادي وغير ذلك.

اكتشاف هرم جديد وآثار لملكة مجهولة

اكتشفت بعثة آثارية في منطقة جنوب سقارة قاعدة هرم غير مكتمل لإحدى ملكات الأسرة السادسة في مصر القديمة؛ أي ما قبل 4200 عام.

وعثرت البعثة على عناصر معمارية منقوش عليها باللغة الهيروغليفية اسم الملكة عنخ يبي الثانية، وورد فيها أنها كانت زوجة للملك يبي الأول أحد ملوك الأسرة السادسة، وهي ملكة لم تعرف قبلاً.

مؤتمر يناقش مستقبل التربية الفنية

نظمت كلية التربية الفنية بجامعة حلوان مؤتمرها العلمي السادس تحت شعار «حاضر ومستقبل التربية الفنية وتحديات القرن الحادي والعشرين».

ناقش المؤتمر على مدى ثلاثة أيام أربعين بحثاً تدور حول دور الفن في تنمية المجتمع، والوعي بالبيئة.

كتب جديدة

المدثر، رواية لأنور الخطيب، صدرت عن دار شرقيات بالقاهرة.

الكون والبحث عن لحظة الميلاد، تأليف هوبرت ريفز، ترجمه إلى العربية درويش الحلوجي، وصدر عن دار المستقبل العربي.

إرادة العجز.. هل هي نهاية التطلعات الدولية والاستراتيجية، تأليف باسكال بونيفاس، ترجمه إلى العربية حليم طوسون، وصدر عن دار العالم الثالث.

خمس خنافس تحاكم الشجرة، مجموعة قصصية لأحمد إبراهيم الفقيه.

الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر، تأليف المستشار طارق البشري.

الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، تأليف د. عبدالوهاب المسيري.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار الشروق.

ابن رشد والتنوير، تأليف مجموعة من الباحثين، تحرير د. مراد وهبة، ود. منى أبو سنة، تقديم د. بطرس غالي، صدر عن دار الثقافة الجديدة.

مناهج تفسير المعرفة، تأليف د. محمد عزيز نظمي، صدر عن مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية.

رسائل جامعية

«أثر البرامج التدريبية على أداء المتدربين.. دراسة ميدانية على مركز التدريب الإداري بالاتصالات السعودية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العليا بأكاديمية الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض، تقدم بها عيد عبدالله الشملاني.

«المقابر الملكية بهضبة الجيزة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآثار بجامعة القاهرة، تقدم بها عاطف عبداللطيف.

«الفلسفة المحاسبية في التحليل المحاسبي لمحددات اختيار السياسة المحاسبية المناسبة لمعالجة تكاليف البحث والاستكشاف في شركات البترول»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التجارة بجامعة القاهرة، تقدمت بها آمال صلاح دردير محمد.

«الفكر الديني والسياسي عند محمد رشيد رضا وفريد وجدي»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب في جامعة جنوب الوادي/ سوهاج بمصر، تقدم بها ناصر المهدي.

«تلَيُّف صمامات القلب الناتج عن الحمى الروماتيزمية في الأطفال»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الطب بجامعة عين شمس، تقدمت بها أميرة باهور.

«فعالية تدريب الكوادر السعودية من حيث الكفاءة الفنية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العليا بأكاديمية الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية، تقدم بها خالد رويشد العنزي.

«نظرية السعادة عند الرواقية وأثرها على الفارابي»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الزقازيق فرع بنها، تقدم بها أحمد الطاهر حسين.

الحركة الثقافية في شهر

الكعبة والمسجد الحرام من عهد إبراهيم عليه السلام إلى الآن، تأليف فتحي فوزي عبدالمعطي، صدر عن دار الرائد.

عالمية الإسلام، تأليف د. شوقي ضيف، صدر عن دار المعارف.

هناك أمل، تأليف أنيس منصور، صدر عن دار نهضة مصر.

وجوه بلا رتوش، مجموعة قصصية لمنى رجب، صدرت عن دار غريب.

القصة في القرآن، تأليف محمد قطب عبدالعال، صدر ضمن سلسلة «مكتبة الشباب» عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

إن تغنت القصائد أو انطفأت فهي بي، مجموعة شعرية لفوزية شويش، صدرت عن دار شرقيات.

المسجد الحرام ورسومه في الفن المصري، تأليف أحمد رجب محمد، صدر عن الدار المصرية اللبنانية.

طريق الحرير، تأليف إيرين فرانك، وديفيد براونستون، ترجمه إلى العربية أحمد محمود، وصدر عن المجلس الأعلى للثقافة.

السودان

البكري مقرراً للجنة عقد التنمية الثقافي

اختارت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) الدكتور بشير البكري مقرراً للجنة عقد التنمية الثقافي التي سيتركز عملها في أن تتواكب التنمية الثقافية مع التنمية الاقتصادية.

وتضم هذه اللجنة عدداً كبيراً من المتخصصين وممثلي الدول والهيئات الثقافية، وقد تقرر عقد مؤتمر عالمي للتنمية الثقافية في العام القادم على غرار قمتي المرأة والسكان.

معرض تشكيلي سوداني

أقامت الفنانة التشكيلية السودانية فتحية عمر بلة معرضاً تشكيلياً في أواخر شهر ذي الحجة الماضي بعنوان «الفلكلور الإفريقي في دراما»، وذلك بقاعة الجمعية الإفريقية بالقاهرة، وقد افتتح المعرض سفير جنوب إفريقيا بالقاهرة.

سورية

وفاة سعد الله ونوس


سعدالله ونوس

توفي في أحد مشافي دمشق الكاتب المسرحي السوري سعد الله ونوس، وذلك في يوم الخميس 15مايو/ آيار 1997م بعد صراع طويل مع مرض السرطان، وشيع جثمانه يوم الجمعة في مسقط رأسه قرية «حصين البحر» التابعة لمحافظة طرطوس على الساحل السوري.

ولد ونوس عام 1941م، وحصل عام 1963م على إجازة في الصحافة من كلية الآداب في جامعة القاهرة، وعمل بعد تخرجه رئيساً لتحرير مجلة «الحياة المسرحية»، ومجلة «أسامه»، ومديراً للمسارح والموسيقى في سورية. وفي عام 1990م حاز جائزة سلطان العويس الثقافية في مجال التأليف المسرحي.

وفي عام 1996م كلفته هيئة المسرح العالمية التابعة لمنظمة «اليونسكو» كتابة كلمة يوم المسرح العالمي التي ترجمت وقرئت في مختلف المسارح العالمية.

أصدر ونوس عدداً من المؤلفات المسرحية منها: «حفلة سمر من أجل 5 حزيران» و«الفيل يا ملك الزمان»، و«مأساة بائع الدبس»، و«الملك هو الملك»، و«رحلة حنظلة من الغفلة إلى اليقظة»، و«بيانات لمسرح عربي» وكتاب «المسرح في مصر».

عانى ونوس من مرض السرطان منذ سنوات عديدة، وعولج في مشافي باريس حتى كاد يبرأ منه. وسرعان ما عاوده المرض الخبيث. وفي مدة مرضه الثانية قرر الانصراف عن التفكير في معاناته بالكتابة والتأليف بعد انقطاع طويل فوضع مسرحيات: «منمنمات تاريخية» و«طقوس الإشارات والتحولات» و«ملحمة السراب» و«يوم من زماننا» و«أحلام شقية» وغيرها.

وفاة جبرائيل سعادة

توفي في مدينة اللاذقية يوم الحادي عشر من محرم الماضي الباحث الآثاري جبرائيل سعادة.

وسعادة من مواليد مدينة اللاذقية عام 1922م، قضى حياته كلها في خدمة علم الآثار والعاديات، كما شغل منصب رئيس فرع اتحاد الكتاب العرب في اللاذقية، وكان قنصلاً فخرياً لدولة اليونان في اللاذقية منذ شبابه وحتى وافته المنية. وعرف عن سعادة انصرافه إلى البحوث الأثرية، وبخاصة منها الدراسات التحليلية التي تولاها حول آثار مدينة «أوغاريت» وتفسير أبجديتها، وكانت له عنها عدة مؤلفات

«ظاهرة التكرار بين النحاة والبلاغيين»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة طنطا في مصر، تقدم بها السيد على محمد خضر.

«الشيخ مصطفى عبدالرازق وتأثره بابن رشد»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الزقازيق فرع بنها، تقدم بها أشرف عكاشة.

«مدام دوستال بين المجتمع والأدب والسياسة»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت ضمن مشروع القنوات العلمية المشتركة بين جامعة طنطا المصرية وفرنسا، تقدمت بها ابتسام السيد دوابة.

«المسؤولية المهنية للإخصائي النفسي الإكلينكي في عمل اللجنة الطبية النفسية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العليا بأكاديمية الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية، تقدم بها عبدالرحمن معتق المعتق.

«العلاقة بين التعرض للمواد التلفازية الأجنبية والاغتراب الثقافي لدى الشباب الجامعي المصري»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدم بها أيمن منصور ندا.

«مفهوم الصحة النفسية عند الإمام ابن القيم الجوزية.. دراسة تحليلية منتقاة»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم علم النفس بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها عبدالعزيز بن عبدالله الأحمد.

«الفعل المسرحي في نصوص ميخائيل رومان»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدم بها حازم شحاته عبدالفتاح.

«اللهجات الاجتماعية في ثلاثية نجيب محفوظ.. دراسة في علم اللغة الاجتماعي»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الاسكندرية، تقدمت بها إيناس حسين محمد محمد.

«تقييم فعالية العلاج التطعيمي السلوكي المعرفي في تبديل السلوك التوتري»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العليا بأكاديمية الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية في الرياض، تقدم بها عبدالقادر آدم كانوري.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تعلن عن:

جائزة تقديرية للثقافة وجائزة للإبداع الأدبي

أعلنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو) التابعة لجامعة الدول العربية عن فتح باب الترشيح للجائزة التقديرية للثقافة العربية، ولجائزة الإبداع الأدبي العربي، وذلك تأكيدًا لرعايتها للمبدعين والمفكرين، وتنفيذًا لما أوصت به مؤتمرات وزراء الثقافة العرب من ضرورة السعي إلى تنمية الثقافة العربية، وتكريم المبدعين فيها والمشاركين في إغنائها.

أما الجائزة التقديرية فقيمتها خمسة وعشرون ألف دولار، وهي مخصصة لتقدير أحد المفكرين العرب على مجموع ما ألفه وأسهم به في مجال «الفكر القومي ومرتكزاته الثقافية».

ويجوز لأي مفكر عربي أن يتقدم بترشيح نفسه للجائزة، أو أن تقوم بترشيحه إحدى المؤسسات الثقافية والعلمية، مثل الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث والدراسات والمجامع العلمية واللغوية، كما يمكن لأي شخصيتين مرموقتين في المجال الثقافي العربي أن ترشحا من تريانه مستحقًا للجائزة.

ومن الشروط التي تُراعى في أعمال المرشح للجائزة أن تكون متميزة بالجدة والأصالة، وأن تكون قد أسهمت في إغناء الفكر القومي ومحققة لـلقيم الإنسانية، وأن تتوافق مع رسالة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وميثاق الوحدة الثقافية العربية.

يرسل المرشح أو الجهة المرشحة مع طلب الترشيح ثماني نسخ من كل عمل من أعمال المرشح، وترفق معها سيرة حياته ونشاطه ونتاجه، مع ذكر مسوغات الترشيح للجائزة.

وتحددت نهاية شهر أكتوبر/ تشرين أول 1997م آخر موعد لقبول الترشيحات واستلام الأعمال المرشحة.

وتضم لجنة التحكيم خمسة أعضاء من الشخصيات الثقافية العربية المتميزة إلى جانب عضو يمثل المنظمة.

وقد خصصت جائزة الإبداع الأدبي العربي التي أعلنته المنظمة لعمل أدبي عربي متميز من إبداع الشباب العرب أو الشابات العربيات في مجال النقد الأدبي.

تبلغ القيمة المادية للجائزة عشرة آلاف دولار أمريكي، ويجوز لأي ناقد عربي شاب لم يتجاوز سن الخامسة والعشرين أن يتقدم بترشيح عمل أو أكثر من أعماله النقدية لنيل الجائزة، أو تتقدم إحدى المؤسسات الثقافية والعلمية بترشيح من تراه.

وينطبق على هذه الجائزة الشروط نفسها الواردة فيما يتعلق بالجائزة التقديرية.

تُرسل الترشيحات للجائزتين إلى عنوان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: إدارة برامج الثقافة والاتصال، ص.ب 1120، تونس، القباضة الأصلية، فاكس 2161784965.

ترجمت إلى العديد من اللغات العالمية. كما أصدر عددًا من المؤلفات حول تاريخ مدينة اللاذقية والمواقع الأثرية الشهيرة الأخرى في سورية، بالإضافة لعدة مؤلفات حول التراث الموسيقي العربي.

كتب جديدة

أكرم الحوراني: دراسة حول السياسة السورية ما بين 1943- 1954م، تأليف جوناثان أوين، ترجمته إلى العربية وفاء حوراني، وصدر عن دار المعارف في حمص.

تاريخ الخلفاء، تأليف الإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق إبراهيم صالح، صدر عن دار البشائر في دمشق.

الفولغا الأزرق، رواية لفؤاد يازجي، صدرت عن دار الأهالي.

القصة العربية في الكويت، تأليف إسماعيل فهد إسماعيل، صدر عن دار المدى.

القصة الألمانية الحديثة في ضوء ترجمتها إلى العربية، تأليف د. عبده عبود، صدر عن اتحاد الكُتّاب العرب في دمشق.

لبنان

رحيل محمد شلهوب

توفي الشاعر والناشر ومحقق التراث محمد واكب شلهوب عن عمر ناهز 55 عامًا.

ويعد شلهوب، الذي عُرف بشاعر قانا وتولى رئاسة تحرير مجلة «أوراق شرقية»، واحدًا من المهتمين بالتراث، وكان يشرف قبل وفاته على إصدار موسوعة د. حسن الباشا حول الآثار والعمائر والفنون الإسلامية.

كتب جديدة

صوت من الخليج، تأليف د. غازي عبدالرحمن القصيبي، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

محاضرات في السياسة والمعرفة، تأليف غسان تويني.

أمن الخليج بعد الحرب الباردة، تأليف عبدالجليل زيد مرهون.

صدر الكتابان السابقان عن دار النهار للنشر.

قصيدتنا النثرية: قراءات لوعي اللحظة الشعرية، تأليف محمد العباس، صدر عن دار الكنوز الأدبية.

ألمانيا الموحدة، تأليف اسكندر الديك، صدر عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

الإسلام والفكر السياسي المعاصر، تأليف حسن الزين، صدر عن دار الفكر الحديث.

سوسيولوجيا الجنون السياسي والثقافي، تأليف خليل أحمد خليل، صدر عن دار الطليعة.

الميراث، رواية لسحر خليفة، صدرت عن دار الآداب.

الأردن

مشروع جميستون الإعلامي

شارك 35 إعلاميا في برنامج جميستون الإعلامي، أحد أكبر برامج ميد ميديا، التابع للاتحاد الأوربي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

وخصصت ورشة العمل التي عقدت في عمان لتقديم البرنامج بغية تطوير المهارات الصحافية والإدارية والتقنية لـلمؤسسات الإعلامية في الشرق الأوسط.

يذكر أن البرنامج يعد حاليًا لإنتاج قاموس صحافي باللغة العربية لاستخدامه في المؤسسات الإعلامية والصحافية بالوطن العربي.

توزيع جوائز الحسن بن طلال

وزعت - مؤخرًا - جائزة «الحسن بن طلال للتميز العلمي» في عمان على الفائزين بها هذا العام.

وفيما حجبت الجائزة الأولى، نالت الجامعة الأردنية (قسم الهندسة الصناعية) الجائزة الثانية عن مشروعها الذي يتناول الإدارة الهندسية والتصنيع،

الحركة الثقافية في شهر

وفاز قسم دراسة المسكوكات الإسلامية في معهد الآثار والأنثربولوجيا بجامعة اليرموك بالجائزة الثالثة عن دوره في تصميم المعلومات عن المسكوكات التراثية والإسلامية

اكتشاف مقبرة بيزنطية

عثر في بلدة مؤتة قرب الكرك على مقبرة أثرية تعود إلى العهد البيزنطي 395م.

ضمت المقبرة المكتشفة مجموعة من الأواني الزجاجية وقطعاً أثرية مختلفة، إضافة إلى نقش عليه كتابة باللغة اليونانية.

كتب جديدة

الأسلوبية ونظرية النص، تأليف د. إبراهيم خليل، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في عمان.

العين المعتمة، رواية لزكريا محمد، صدرت عن وزارة الثقافة.

تونس

الفائزون بجوائز كومار للرواية

أعلنت أسماء الفائزين بجائزة كومار الذهبية التي تمنحها ـ للمرة الأولى هذا العام ـ للروايات الصادرة بالفرنسية مؤسسة تأمينات كومار.

فاز بالجائزة الأولى الروائي علي بشر عن روايته «أيام الوداع» الصادرة باللغة الفرنسية، تلته تركية العبيدي عن روايتها «منفيون في فالنسيا». فيما نال الجائزة الخاصة للجنة التحكيم الروائي هادي بوراوي عن روايته «الرجوع إلى طينة».

وتقرر أن تمنح الجائزة في الدورة المقبلة للروايات المكتوبة باللغة العربية.

ملتقى المبدعات العربيات

احتضنت مدينة سوسة ـ مؤخراً ـ ملتقى عربياً تحت عنوان «ملتقى المبدعات العربيات حول جماليات الصورة في الإبداع النسوي العربي».

الملتقى افتتحه وزير الثقافة عبدالباقي الهدماسي، وتم خلاله تكريم الشاعرة الكويتية د. سعاد الصباح. وقدمت المشاركات مداخلات حول صورة المرأة العربية في مختلف ألوان الإبداع من نثر وشعر ومسرح ورسم وسينما، كما أقيمت أمسيات شعرية وقصصية.

الجزائر

رحيل شريف شناتلية

عن عمر ناهز 40 عاماً، وبعد مرض عضال ألزمه الفراش عدة أشهر، توفي القاص الأديب شريف شناتلية الذي يُعد أحد أبرز أقلام الشباب في الشعر والقصة القصيرة والكتابات التاريخية.

ومن أهم مؤلفاته: «علماء منطقة أم البواقي وعين البيضاء» في علم التراجم؛ ورواية «ناموسة».. وقد نال المرتبة الأولى في جائزة الأديب أحمد رضا حوحو بمدينة بسكرة من بين 117 قصة مشاركة.

وكان الراحل عضو اتحاد الكُتّاب الجزائريين، وقد عمل صحفياً متعاوناً ومراسلاً مع العديد من الصحف اليومية والأسبوعية الجزائرية.

صدور مجلة «حضور»

صدر ـ مؤخراً ـ العدد الأول من مجلة «حضور»، وذلك عن جمعية حضور الثقافية بولاية الجلفة.

وأشارت الجمعية إلى أن الغرض من هذه المجلة تحريك الحياة الثقافية والإعلامية المحلية.

المغرب

المائدة المستديرة توصي بتنمية المجتمعات الإسلامية ثقافياً

أوصت حلقة المائدة المستديرة التي نظمتها في الرباط ـ مؤخراً ـ المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) بالعمل على تنمية المجتمعات الإسلامية ثقافياً، وصولاً لتحقيق النهوض الحضاري.

دعت المائدة التي شارك في أعمالها صفوة علماء العالم الإسلامي ومفكريه إلى تنفيذ الخطط المشتركة التي تمت الموافقة عليها، وفي مقدمتها الخطة الثقافية، والخطة الشاملة للثقافة العربية، والخطة الإسلامية للتربية والخطة الإسلامية للإعلام، كما أوصت بإنشاء وحدة في الإيسيسكو لرصد ما يبث ويكتب في أجهزة الإعلام عن الإسلام من معلومات مشوهة والرد عليها.

وكانت الندوة التي أقيمت برعاية العاهل المغربي الملك الحسن الثاني قد عالجت خمسة محاور، هي: العمل الثقافي العام في إطار المتغيرات الدولية، وتحديات البناء الحضاري على مستوى المنظمات الإقليمية والدولية، والتحديات المتوقع أن تواجه الإيسيسكو في القرن الميلادي المقبل، ومسؤوليات العالم الإسلامي في دعم الايسيسكو، ومسؤوليات الإيسيسكو في تنمية العالم الإسلامي.

خلية للدراسات الأندلسية المغربية

أسس مركز الدراسات والأبحاث الغرناطية بمدينة وجدة خلية مشتركة لتأطير الأبحاث التراثية والدراسات الأندلسية المغربية.

أعلن ذلك مدير المركز أحمد بن عبدالله خلال افتتاح ندوة علمية حول «البحث في التراث الغرناطي: حصيلة وآفاق».

يذكر أن المركز نسق مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط من أجل مزيد من التعاون مع باحثيه في مجال الدراسات الأندلسية.

جائزة «الحواس الخمس» الشعرية

تنظم جمعية الماس للثقافة والفنون بالتعاون مع رابطة الأدباء وجمعية الوفاء البيضاوية للأشخاص المعاقين مسابقة جائزة «الحواس الخمس» للإبداع الشعري.

يشترط لدخول المسابقة ألا يزيد عمر المشارك على ثلاثين عاماً، وأن تكون المشاركة بنص واحد لم يسبق نشره مع تقديم 3 نسخ منه بخط واضح أو مكتوباً على الآلة الكاتبة، مع ذكر الاسم والعنوان كاملين.

وتحددت نهاية شهر جمادى الآخرة المقبل 1418هـ (31 أكتوبر 1997م) موعداً نهائياً لاستقبال المشاركات على أن تعلن النتائج في الثامن من شهر أبريل 1998م المقبل.

وللاستفسار عن أية تفاصيل يمكن مخاطبة جمعية الوفاء البيضاوية للأشخاص المعاقين على عنوانها التالي: ص.ب 19571، الرمز البريدي 20401 سيدي مومن، البيضاء، المغرب.

أذربيجان

جامعة إسلامية جديدة

تجرى حالياً تحركات نشطة لتأسيس جامعة إسلامية ثانية في مدينة باكو بدعم من مؤسسات إسلامية تركية.

ويتوقع أن تبدأ الدراسة بهذه الجامعة في مطلع السنة الدراسية المقبلة، حيث ستكون مفتوحة للطلاب المسلمين من جمهوريات آسيا الوسطى، بحيث تركز في مرحلتها الأولى على تخريج الدعاة والأئمة والوعاظ.

سلطنة بروناي

ندوة: الحضارة الإسلامية في عالم الملايو

نظم مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في استنبول التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي

ندوة علمية دولية بالتعاون مع وزارة الشؤون الدينية في سلطنة بروناي - دار السلام تحت عنوان «الحضارة الإسلامية في عالم الملايو».

جاءت الندوة في إطار بحوث شاملة يجريها المركز حول الحضارة الإسلامية في الملايو، وكيفية دخول الإسلام إلى تلك البلاد.

كرواتيا

توصية بتشكيل مجلس إسلامي - أوربي

طالبت ندوة نظمتها - مؤخراً - المشيخة الإسلامية في كرواتيا بعنوان «الإسلام في الغرب ودور المراكز الإسلامية» بتشكيل مجلس إسلامي أوربي موحد ينسق بين نشاطات الجمعيات والمراكز الإسلامية في القارة الأوربية.

ويسعى المجلس المقترح إلى توحيد صفوف المسلمين، والعمل على تعريف الغرب بالإسلام في صورته الحقيقية الصحيحة.

كما دعت الندوة، التي أقيمت بدعم من رابطة العالم الإسلامي واستمرت ثلاثة أيام، إلى الاهتمام بالتربية والتعليم من أجل إعداد جيل مسلم يمكنه مواصلة نشر الإسلام والدفاع عنه. كما أكدت وجوب دعم التفاهم بين المسلمين وغيرهم من معتنقي الديانات الأخرى بما يخدم صالح الجميع.

المكسيك

خوزيه سيلا: أربع لغات فقط في العالم عام 2000م

أعرب الشاعر الإسباني الكبير كاميلو خوزيه سيلا الحائز جائزة نوبل في الآداب عن اعتقاده أنه بحلول عام 2000م لن يستخدم سكان العالم سوى أربع لغات فقط هي: العربية والإنجليزية والإسبانية والصينية.

وأضاف سيلا في حديث له في أثناء حضوره مؤتمراً دولياً في المكسيك عن اللغة الإسبانية: إن اللغات الأخرى الموجودة حالياً لن يتجاوز وجودها مستقبلاً كونها لهجة من اللهجات أو وسيلة للتمسك بالتراث.

روسيا

معهد الملك فهد الإسلامي

افتُتح في جمهورية أنجوشيا بروسيا الاتحادية - مؤخراً - معهد إسلامي يحمل اسم معهد الملك فهد الإسلامي.

أسست المعهد الندوة العالمية للشباب الإسلامي (مقرها الرياض)، وتبلغ مدة الدراسة فيه أربع سنوات، ويقبل الطلاب الحاصلين على شهادة الثانوية العامة، حيث يدرسون المواد الشرعية مثل القرآن الكريم والحديث الشريف وعلومهما والشريعة، وغير ذلك من المواد الدينية الإسلامية، إلى جانب اللغة العربية التي يماثل منهجها ما هو متبع في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ويدرس بهذا المعهد 267 طالباً وطالبة.

وفاة الشاعر والروائي فلاديمير سولوخين

توفي - موخراً - الكاتب الروسي فلاديمير سلوخين في أحد مستشفيات موسكو عن عمر ناهز 72 عاماً.

ويعد سلوخين واحداً من كبار أدباء روسيا؛ حيث بدأ الاشتغال بالأدب منذ عام 1945م، وهو شاعر وروائي وباحث، وقد نشر ذكرياته في كتابين أصدرهما بعنوان «الإدانة» و«الأشجار تنبت مستقيمة».

بريطانيا

أحدث الكتب

موقف المملكة العربية السعودية تجاه القضية الفلسطينية والقدس ومسيرة السلام، كتيب باللغتين العربية والإنجليزية، صدر عن سفارة المملكة العربية السعودية في لندن.

ما بعد الماركسية والشرق الأوسط، تأليف فالح جبر، صدر عن دار الساقي في لندن.

القومية الكردية، تأليف عباس فالي، صدر عن منشورات أي. بي توريز.

أهم الخطب في التاريخ، جمع وإعداد ويليام سافاير، صدر عن منشورات نورتن.

دوستويفسكي وبريطانيا، حرره و . جاسي، وليذر بارو، وصدر عن بيرج بليشرز ليمتد بأكسفورد.

تكلم أنت أيها الصمت، مجموعة شعرية لناجية بغدادي، صدرت عن دار الرافد.

على صدرها تزدهر القصائد، تأليف فاروق منجونة، صدر عن دار البردي.

إسبانيا

عام سيرفانتس

قررت إسبانيا تسمية عام 1997م «عام سيرفانتس» احتفاء بكاتبها الكبير الراحل بمناسبة مرور أربعمئة وخمسين عاماً على مولده.

وتجري حالياً استعدادات لإقامة احتفالات ضخمة بهذه المناسبة تشمل عقد مؤتمرات وندوات تناقش أدب سيرفانتس، كما تصدر طبعات خاصة من أعماله، وتعرض مسرحيات وأوبرات وباليهات.

يذكر أن ميجيل دي سيرفانتس (1547-1616م) ولد في مدينة الكالادي هيناريس بالقرب من مدريد، ويحيط الغموض بجوانب شخصيته، إلا أنه يعد من أبرز الأدباء الإسبان، وأشهر رواياته «دون كيخوته» طبع منها ما يزيد على ألفي طبعة بأكثر من 68 لغة عالمية.

الولايات المتحدة

سحب كتاب يسيء للرسول صلى الله عليه وسلم

نجح مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية في واشنطن في إقناع سيمون سوستر صاحب أكبر دار نشر أمريكية بسحب كتاب خاص بالأطفال، كانت داره قد أصدرته، من الأسواق.

وكان الكتاب المسحوب يتناول بسوء فهم سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعطي الأطفال معلومات مغلوطة عنه صلى الله عليه وسلم.

ندوة «العرب والعولمة»

شارك 35 أكاديميا ومتخصصا عربيًا وأمريكيًا في ندوة أقيمت - مؤخراً - في جامعة برنستون تحت عنوان «السياسات الثقافية في المجتمعات العربية في عصر العولمة».

نظم الندوة الأكاديمي المغربي عبدالله حمودي والمستعرب الأمريكي والتر أرميروست، ودار النقاش حول تأثير العولمة في الثوابت الثقافية في العالم العربي.

وفاة الشاعر آلان جينسبرج والعالم جورج وولد

توفي في نيويورك الشاعر آلان جينسبرج عن عمر ناهز 71 عاماً.

ويعد جينسبرج من رواد الشعر الحر، وقد ترك بصمات واضحة بكتاباته وأسلوبه في الحياة على أدباء جيل الخمسينيات والستينيات الميلادية ممن أطلق عليهم «جيل الغضب». ومن أشهر أعماله ديوانه «الوطن» الذي صدر عام 1956م وأحدث ضجة كبيرة لدى صدوره، ودواوين «عويل» و«المرآة الفارغة» و«حقيقة الساندويتشات».

من ناحية ثانية توفي د. جورج وولد الحائز

الحركة الثقافية في شهر

جائزة نوبل للطب عام 1967م في مسكنه عن عمر ناهز 90 عاماً.

وكان د. وولد قد نال الجائزة عن اكتشافه التفاعلات الكيماوية التي تحدث داخل العين حتى تتم الرؤية لدى الإنسان

توجيه الاتهام إلى رواية

تبدأ في الأيام القليلة القادمة محاكمة الشاب تيموثي ماكفي المتهم بتفجير المبنى الفيدرالي في أوكلاهوما والتسبب في وفاة المئات من زوار المبنى والعاملين فيه.

وآخر تطورات القضية توجيه الاتهام إلى رواية أمريكية صدرت قبل 19عامًا، يقال إن المتهم استقى منها خطته لتفجير المبنى الفيدرالي. وهي رواية عن حادث مماثل كتبها وليام بيرس بعنوان «مذكرات تيرنر»، ونشرها باسم مستعار وتكاد أحداثها تتطابق مع ما جرى في حادث التفجير.

يقول ممثل الاتهام إنه سيقدم شهوداً على أن المتهم قرأ الرواية، وأنه شجع بعض معارفه وأصدقائه على قراءتها، وشوهد وهو يحملها في أماكن عديدة، ويقوم بتوزيع نسخ منها على أعضاء عائلته.

أما الكاتب فقد دافع عن روايته موضحًا الفروق الرئيسية بين خطها الدرامي وحادث أوكلاهوما، ولكن خبراء في القانون يقولون إن ذلك لن يحدث فرقًا لدى المحلفين الذين سيقررون أن الرواية كانت مصدر إلهام للمتهم، وأنه حاول أن يتبع الخطوات نفسها لبطلها فقام بتصنيع القنبلة في شاحنة، ووضع الشاحنة في الطوابق السفلى للمبنى ليتأكد من تدميره.

وبطبيعة الحال لا يواجه المؤلف أية مساءلة قانونية، وأطرف ما يمكن أن يحدث له هو صدور طبعة جديدة من روايته على يدي ناشرها القديم.

فرنسا

إعادة تنشيط الصندوق الدولي لتراث القدس

اتفق الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي د. عزالدين العراقي مع المدير العام لمنظمة اليونسكو الدولية خلال اجتماعهما في باريس - مؤخراً - على إعادة تنشيط الصندوق الدولي الخاص بالمحافظة على التراث الإسلامي في مدينة القدس.

وأكد الجانبان أهمية بذل الجهود من أجل المحافظة على وضع مدينة القدس بوصفها مظهراً من مظاهر التراث العالمي وفي قائمة المدن المهددة بالخطر.

كما أوضح د. العراقي للمدير العام لليونسكو المشكلات التي يواجهها الشعب الفلسطيني في مجالي الثقافة والتعليم، وما تتعرض له القدس من ممارسات تسعى إلى تهويدها وتشويه معالمها الثقافية والحضارية والتاريخية والدينية.

اليوم العالمي للكتاب

احتفلت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) في الثالث والعشرين من شهر أبريل 1997م الماضي باليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف.

وأقيمت بهذه المناسبة عدة تظاهرات ثقافية في إطار الهدف الذي حددته المنظمة لهذا اليوم، وهو جعل المطالعة في متناول الجميع وتقويم حق النشر والتأليف، حيث شهدت بعض مدن العالم المختلفة إقامة أسواق مؤقتة للكتاب، وتقديم هبات من الكتب للمستشفيات والمكتبات والسجون.

وأكد المدير العام للمنظمة فديريكو مايور في بيان ألقاه بهذه المناسبة أن الكتاب مفتاح التنمية الشخصية الإنسانية، وأداة لا غنى لها في مجالي محو الأمية والتعليم.

وفاة الشاعر أوجين جيلوفيك

فقدت فرنسا شاعرها أوجين جيلوفيك الذي توفي عن عمر ناهز 90 عامًا.

وُلد جيلوفيك عام 1907م، وبدأ مشواره مع الشعر بديوان «الأرض» الذي صدر عام 1942م، وتدفقت شاعريته حتى بلغ مجموع دواوينه عشرين ديوانًا، لعل من أبرزها ديوانه «الكارنك» الذي يعد أطول حوار بين الشاعر والبحر والأحجار التي وجد نفسه فيها.

أحدث الكتب

الشحاذ، رواية نجيب محفوظ، ترجمها إلى الفرنسية محمد شيريه.

الحب فوق هضبة الهرم، مجموعة قصص لنجيب محفوظ، اختارها وترجمها للفرنسية ريتشار جاكومون.

صدر الكتابان السابقان عن دار أكت سود - سندباد.

مفكرة امرأة، مجموعة قصصية لليلى عثمان، صدرت عن منشورات بديلسود بالتعاون مع منظمة اليونسكو.

حكاية آنه ماه، تأليف عبدالله ساعف.

تحول الصين المذهل، تأليف أميلي لوارب، وآلدو سالفادور.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر هارتمان.

سنعود إلى بيروت، رواية لبيار صباغ، صدرت بالفرنسية عن دار نشر إرليا.

مفهوم الرسوم المتحركة، تأليف فيليب ميلو، صدر عن دار نشر فلاماريو.

الاتصالات وعلم الاجتماع، تأليف باتريس فليشي، صدر عن دار نشر أيس لي مولينو.

كندا

رحيل مؤسس المركز الإسلامي في أتاوا

توفي - إلى رحمة الله - العالم الإسلامي الشيخ توفيق شاهين، مؤسس ورئيس المركز الإسلامي في أتاوا، الذي وافاه الأجل عن عمر ناهز 70 عامًا.

والشيخ شاهين أستاذ سابق في كلية الشريعة بجامعة الأزهر، وقام عام 1980م بتأسيس المركز الإسلامي في أتاوا ليكون أول مركز للمسلمين في كندا. وفضلاً عن إمامته للمسلمين هناك، قام أيضًا قبل نحو عشر سنوات بإنشاء أول مدرسة لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي لأبناء الجيل الثاني من المهاجرين المسلمين. كما ترك الفقيد عدداً من المؤلفات، فضلاً عن فتاويه التي كانت المحاكم الكندية تستهدي بها في بحثها للقضايا ذات العلاقة بالأحوال الشخصية بين المسلمين هناك.

إيطاليا

مؤتمر الإسلام وأوربا و 13 قرنًا من التعاون

نظمت جامعة الأزهر بالتعاون مع جامعة فلورنسا مؤتمرًا دوليًا بعنوان «الإسلام وأوربا وثلاثة عشر قرنًا من التعاون».

وترأس المؤتمر الذي استمر ثلاثة أيام د. أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر، وشارك فيه وزير الخارجية الإيطالي، وقيادات إسلامية ونصرانية. وأكد المشاركون أن العلاقة بين الإسلام والغرب تشهد حاليًا مرحلة جديدة من التعاون القائم على مبادئ الحوار فيما يخدم في النهاية صالح البشرية، مشيرين إلى أن التطرف الديني لا علاقة له بالإسلام، بل هو ظاهرة عامة في مختلف الأديان.



كتب وردت

دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوربية

كتاب يناقش ماضي العرب والمسلمين وما أضافوه إلى نهر الحضارة الإنسانية، من وجهة نظر تربوية. يقول المؤلفان الأستاذ هاني المبارك و د. شوقي أبو خليل: «إن الحديث عن الحضارة العربية الإسلامية في ماضيها المجيد وعصرها الذهبي ينبغي أن يكون حديث المربي في معركة الغزو الثقافي والفكري، ومعركة التحدي والصمود».

وموضوع الكتاب أصلاً ندوة تربوية علمية أقيمت في نقابة المعلمين بدمشق، عرضها هاني المبارك ود. شوقي أبو خليل. ويحوي الكتاب تقديمًا وسبعة أقسام، واشتمل على تعريف لمعنى الحضارة، والحضارة العربية والإسلامية وأثرها في أوربا، والأثر العربي الإسلامي الفكري، والطرق التي تسربت عبرها الحضارة العربية الإسلامية إلى أوربا، وإسهامات العرب المسلمين في العلوم التطبيقية والرياضيات، والطب عند العرب؛ ثم خاتمة.

وأكد المؤلفان أن المذاهب الفلسفية الرئيسة والتيارات الكبرى في الفكر الفلسفي الأوربي في القرون من الثالث عشر حتى السادس عشر الميلاديين تدين بوجودها وآرائها الجديدة الأصيلة للفلاسفة العرب والمسلمين، ثم أشار المؤلفان إلى أن الحقد الدفين والتعصب الأعمى فعلا فعلهما في قصر فضل العرب على دور النقل؛ أي كساعي البريد فقط.

يقع الكتاب في 128 صفحة من القطع الصغير، وهو من إصدار دار الفكر المعاصر/ بيروت ودار الفكر/ دمشق.

المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية

دراسة تسعى إلى بيان أبعاد الرؤية الإسلامية لقضية عمل المرأة السياسي، وتناقش الجانب السياسي من نشاط المرأة انطلاقًا من أن الصلة بين ما يُعد سياسيًا وما يُعد اجتماعيًا صلة غير منفصلة، والمجالان متداخلان.

تقدم الباحثة هبة رؤوف عزت ما تعده منظورًا إسلاميًا للعمل السياسي للمرأة في إطار التكوين المؤسسي للمجتمع، وما للمرأة من صلاحيات شرعية ووظائف اجتماعية للمشاركة في هذا التكوين.

وترى الباحثة أنه إذا كان التوحيد هو ضابط منظومة المفاهيم الإسلامية، ومحقق وحدة العلوم والقضايا الإسلامية، فإنه كذلك عنصر وحدة رجال هذه الأمة ونسائها على المنهج الإسلامي، فكرًا وحركة، رؤية وواقعًا، بما يحقق تكامل الصف الإسلامي ونهضة الأمة كي تقوم بمسؤولية الشهادة على العالمين.

وتأسيسًا على ما سبق ناقشت الباحثة مفهوم الأهلية والوعي بحسبانهما من صلاحيات المشاركة في التكوينات الاجتماعية، وبحث مكان المرأة ودورها على خريطة قضايا البيعة والولايات العامة والشورى، كما بحثت موضوع الجهاد في إطار التنمية بما يسع النشاط السياسي للمرأة، وانتقلت إلى دائرة الأسرة لتسلط الضوء على الرؤيتين الغربية والإسلامية للأسرة ولدورها في التنشئة السياسية.

يقع الكتاب في 311 صفحة من القطع المتوسط، وهو من إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي في هيرندت، فرجينيا، الولايات المتحدة.

أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية

لشيخ الإسلام ابن تيمية منهج متميز في المنافحة عن أصول الدين، كان له الأثر الكبير في تأصيل المرجعية الشرعية، ومعرفة هذا المنهج تبدو ملحة في هذا العصر الذي يعج بالقضايا والمشكلات التي تحتاج إلى اجتهاد الفقهاء وآراء العلماء حتى يبينوا للعامة موقف الشرع الحنيف منها. وهذا الكتاب الذي وضعه د. أحمد بن عبدالعزيز الحليبي يرمي إلى توضيح منهج ابن تيمية في صياغة أصول كلية قائمة على الأدلة المعتبرة، التي تعد - كما يقول المؤلف - قاعدة الوصول إلى أحكام دقيقة ومنضبطة ومنصفة ومبنية على العلم والعدل، وملتزمة منهج الحق، والسبيل إلى الوقاية من التخبط في الأحكام على غير هدى. وقد جمع المؤلف في هذا الكتاب تلك الأصول المتناثرة في مواضع مختلفة من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية حتى يسهل الانتفاع بها والرجوع إليها.

وفي تقديمه للكتاب يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: «لقد كان المحور الأساس الذي انطلق منه شيخ الإسلام - رحمه الله - في فكره وفقهه ودعوته التجديدية والإصلاحية، هو تنقية التوحيد والعودة به إلى صفائه، وتحرير مفهوم العبودية بكل أبعادها، لأن تنقية التوحيد وتحرير العبودية هو الذي يحقق السعادة للإنسان ويرفع عنه الآصار والأغلال».

يقع الكتاب في 150 صفحة، وهو العدد رقم 55 من سلسلة كتاب «الأمة» التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر.

كيف تتخلص من الصداع؟

يشكو كثير من الناس من الصداع، حتى لا يكاد ينجو منه أحد.

وتقول الإحصاءات التي أوردها مؤلف هذا الكتاب د. حسان شمسي باشا: إن الأمريكيين ينفقون سنويًا أكثر من 300 مليون دولار على أدوية الصداع، وقدر الباحثون أن ما بين 12- 20 مليون أمريكي يشكون من الصداع الشديد المزمن، وفي بريطانيا تبين أن هناك واحدًا فقط من كل خمسين شخصًا لم يشك من الصداع في حياته.

يضم هذا الكتاب ستة عشرًا فصلاً تتناول أسباب الصداع وأعراضه وكيفية التعرف إليها، مع عناية خاصة بالشقيقة؛ مبينًا أن الشقيقة بأعراضها الخاصة، وبما يسبقها ويتلوها من أعراض، تختلف عن أنواع الصداع الأخرى.

ويشير المؤلف إلى أن الصداع عادة عرض سليم (حميد)، ونادرًا ما يكون ظاهرة لمرض خطير كتورم في الدماغ أو التهاب في الشرايين الصدغية وغيرها.

وهو ينبه في أول الكتاب على أن القصد منه أن يكون دليلاً علميًا غنيًا بالمعلومات، وليس المقصود أن يكون بديلاً من نصيحة الطبيب، وهو بذلك يتدارك ما قد يقع فيه بعض قراء الكتاب من أخطاء، إذ درج بعض المرضى على تشخيص أمراضهم بأنفسهم.

يقع الكتاب في 153صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن دار المنارة للنشر والتوزيع في جدة.

قصة قصيرة

دقة الفوضى

إسحق أحمد فضل الله

قاعة كليـة القـانون مـزدحـمـة أمـامي وحـولي إلـى حـد الاختناق.. أزيز المراوح وحده هـو الذي كان يسمع في الردهة الواسعة، والشمس البيضاء وراء النوافذ الزجاجية المتسعة.. كـانت تلك هي اللحظة التي قـررت فـيهـا فـجأة اعـتـزال تدريس القانون مادامت هذه القضية موجودة فيه.

قبل أن أرسل الجملة التالية انتبهت إلى أن كل من ألتقيه في هذه القضيـة البالغة التفـاهة انتهى به الحال إلى هجر مـهنة القانون؛ ابتداءً من جعفر الشايقي المحامي الذي ارتبط اسمه بهـذه القضية، وهو يترافع أمامي قبل سنوات، ثم كـثيرين آخرين آخرهم أنا. الآن تذكرت جعـفر الشايقي المحامي الشاب في ذلك اليوم في المحكمة وهو يؤدي مرافعته المشهورة والأخيرة.. كنت أحدق في قميصه الأحـمر من مكاني على منصة القـضـاة، وكان المحـامي المشهـور يطلب من المحكمة وهو مشدود القامة في توتر أن تسمح باستدعاء شهوده.

قلت: تفضل.

قال: تـفـضل المحكمـة وتأمر الشرطة باستدعـاء أي شخص يلقونه في الطريق الآن أمام المحكمة..

نسيت القمـيص الأحمر وأنا أحدق في وجـهه لأفهم، لكن المحامي الشاب كان وجهه الصغير يشع بالجد المطلق.

ـ أي شخص في الطريق يا أستاذ جعفر؟!

ـ نعم.. سعادتك.

ـ كيف؟

ـ وليس شـاهدًا واحـدًا.. بل سـوف أطـلـب من المحكمـة أن تستدعي أول ثلاثة من المارة في الطريق أو أربعة أو خمسة.

المحكمـة المكتظة كـانت صـامـتـة تمامًا مثل صـمت قـاعـة المحـاضرات أمـامي الآن.. وجـدت نفسي أسعل دون داع كـأنني أتفادى اللمعان المدهش الذي كان في عيني المحامي.

قلت: ولـكن المحكمــة ترجــو أن تفـهـم لماذا تطـلـب هؤلاء الشهود.. بالذات؟

اقترب الشاب حتى التصقت ربطة العنق الفاخرة التي اشتهر بها بحـافة المنصة، ومن تحت رموشـه كان يهمس للمـحكمة وهو يضغط على كلماته شأن من يؤمن تمامًا بشيء يـستحيل أن يصدقه الناس.

قال ببطء: اتهـام موكلي يعتمـد إلى حد كبيـر على كلمات أجاب بها عن سؤال معين.

كان هذا صحيحًا.. اسـتطرد المحامي يقول: ومهمتي هي أن أثبت للمحكمة أن هذا السؤال إذا وجه إلى أي شخص من الطريق فإن إجابته ستكون ـ بداهة ـ هي ذاتها كلمات موكلي التي أجاب بها والتي أصبحت هي سبب اتهامه.

مازلت أذكر وجه المحامي وهو يسمع إجابة الشخص الأول الذي اسـتدعتـه المحكمة لـلشهـادة فقد كـانت أبعد مـاتكون عـما أراد.. ورغم أن بداهة الإجابة كـانت قريبة إلى حـد مذهل، إلا أن الشهود الستة الذين ظل المحامي يدعوهم واحدًا واحدًا لم يقترب واحد منـهم بإجابته مـن هذه البداهة.. الشـهـود كانوا عـامل بناء، وطبيبًا مـستاء جدًا من استدعائنا له، وفـتاة كانت تتلفت في سرور وهي تعد في ذهنـها أول سطور الحكاية المثيـرة التي سوف تحكيـها للناس جـمـيـعًـا، فـامرأة بـدينة هادئة ظلت تحـدق في وجـهي في استكانة، فرجلا ضعيف السمع لم يفهم السؤال إلا بصعوبة.

القضـية من غرابتهـا وطرافتها دخلت كـتب القانون، أو لعل اعتـزال المحامي الشـاب بسببـها جـعل لها رنينًا خـاصًا، لكن الذي جعل للـقـضية وجهًـا مذهلاً هو أنها جعلت كل أحـد يكتشف أن البدهي ليس بـدهيًا، وأنه يكاد لا يتفق اثنان عـلى شيء بعد ذلك. وحين انطلقت مـؤسـسـة الإحـصـاء والمعلومات الشـهـرية قناة في محاولة لإثبات فرضية المحامي جعفر، اكتشف الجميع في دهشة ما اكـتشفه المحامي الشـاب بصورة مؤلمة.. في كل جـزر القانون التي تتدلى من لافتات المحامين في العمـارات المتزاحمة وكليات القانون وردهات المحاكم القـديمة انتبـه كل أحد إلى أن تسـعة أعشـار مواد القـانون تقوم عـلى افتـراض بدهيـات في حيـاة الناس هي ليسـت بدهيات.

قريبًا من نهاية المحـاضرة كانت فتاة ترفع أصبـعها وتقول لي: إذن يا دكتور.. مـادام كل شيء لا شكل له كما تقول فـقد التقت المحكمة مع دار المجـانين مع .. قاطعـتها وأنا أحـدق فيهـا في دهشة لأقـول: معـذرة يا آنسة ألم تكوني أنـت نفسك الشـاهد الرابع في تلك القضية قبل خمس سنوات؟

كـانت الفتـاة تلك هي الشـاهدة التي وقـفت أمـامي تتلفت وهي تعد الحكاية التي سوف تحكيها لصديقاتها. تعودت ألا أنسى وجـهًا رأيتـه في حـياتي.. الفـتـاة التي كانت تقف علـى قدمـيهـا حدقت في وجـهي ساعة ثـم أدارت وجههـا في القاعة المزدحمة التي التفتت كلها تحـدق فيها.. رموش الفتاة سـددت تصويبها إلى وجهـي بدقة قـبل أن تقول ببطء مـقصـود: أنا لم أكن هناك قط يا دكتور..

تابعت عـيـوني ظهـر الفتـاة وهي تغـادر قـاعة المحـاضـرة في استـياء.. انتبهت إلـى أن جسدها الفوضـوي يقدم تطابقًا مـدهشًا لصورة الاستقالة الوقور التي كنت قد عزمت عليها.

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....
العنوان: ....
....

مسابقة مجلة الفيصل

1- جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ- ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (500 ريال، 350 ريالاً، 150 ريالاً).

ب- خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا).

ج- عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا).

د- خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

2- ترسل الإجابات على العنوان التالي في مدة أقصاها 60 يومًا:

مسابقة مجلة «الفيصل»
ص ب (3) الرياض
(11411)
المملكة العربية السعودية
(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

أجوبة مسابقة العدد 245

ج1: شروط صيغة العقد (الإيجاب والقبول):

أولا: أن يتصل كل منهما بالآخر في المجلس دون أن يحدث بينهما فاصل مضر.

ثانيًا: أن يتوافق الإيجاب والقبول فيما يجب التراضي عليه من مبيع وثمن، فلو اختلفا لم ينعقد البيع.

ثالثًا: أن يكونا بلفظ الماضي مثل أن يقول البائع: بعت، ويقول المشتري: قبلت. أو بلفظ المضارع إن أُريد به الحال، مثل: أبيع وأشتري مع إرادة الحال.

ج2: أقسام الصلح في الأموال هي: الصلح عن إقرار، والصلح عن إنكار، والصلح عن سكوت.

أما الصلح عن إقرار: فهو أن يدَّعي إنسان على غيره دينًا أو عينًا أو منفعة، فيقر المدَّعى عليه، ثم يتصالحا على أن يأخذ المدَّعي من المدَّعى عليه شيئًا لأن الإنسان لا يُمنع من إسقاط حقه أو بعضه.

وأما الصلح عن إنكار: فهو أن يدَّعي شخص على آخر عينًا أو دينًا أو منفعة، فينكر ما ادعاه ثم يتصالحا.

وأما الصلح عن سكوت: فهو أن يدَّعي شخص على آخر ما ذُكر، فيسكت المدَّعى عليه، فلا يقر ولا ينكر. ولهذه الأقسام تفصيلات في كتب الفقه، فلينظرها من أراد.

ج3: وردت كفارة الظهار في قول الله عز وجل: *والَّذين يظاهرونَ من نسائهم ثم يَعُودونَ لما قالوا فتحريرُ رقبةٍ من قبلِ أن يتماسَّا ذلكم تُوعَظُونَ به واللَّهُ بما تعملون خبيرٌ. فمن لم يجد فصيامُ شهرين متتابعين من قبل أن يتماسَّا فمنْ لم يستطع فإطعامُ ستينَ مسكينًا ذلك لتؤمنوا بالله ورسولهِ وتلك حدودُ الله وللكافرينَ عذابٌ أليمٌ.* **المجادلة:** 3، 4.

ج4: بدوي الجبل: محمد سليمان الأحمد (1323-1401هـ =1905-1981م).

أبو عبادة: الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري (206-284هـ=821-898م).

صريع الغواني: مسلم بن الوليد، الأنصاري بالولاء (208هـ = 823م).

عرار: مصطفى بن وهبة بن صالح بن مصطفى بن يوسف التل (1315-1368هـ =1897-1949م).

ج5: خناق المواشي: مرض وبائي، يصيب البقر والجاموس خاصة، وباقي حيوانات الزراعة عامة. يظهر فجأة بمنطقة الزور بين فرعي الفك السفلي. وأعراضه: حمًّى فجائية شديدة مع ورم بالزور، وضخامة اللسان، وزرقة اللثة، وسيلان اللعاب، وصعوبة في البلع. ويعالج بعزل الحيوان المريض، وتطعيم الماشية السليمة بمصل مضاد.

نتائج مسابقة العدد 245

أ- فازت بالجائزة المالية الأولى، وقدرها 500 ريال سعودي، زليخة بو محرات، ميلة، الجزائر.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها 350 ريالاً سعوديا، محمد محمد عبدالله الطيب، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

وفازت بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها 150 ريالاً سعوديا، التوزاني سعيدة، تازة، المغرب.

ب- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا)، كل من:

1- صموئيل توفيق فرج الله، قنا، مصر.
2- إياس موسى إبراهيم، الزرقاء، الأردن.
3- غزالة عبدالوهاب الإبراهيم، حلب، سورية.
4- أحمد عبدالمحسن علوان، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.
5- أمينة حمود داود، المحرق، البحرين.

ج- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (12عددًا)، كل من:

1- مرضية محمد حنيفة، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
2- أحمد محمد محمد عجلان، صنعاء، اليمن.
3- إبراهيم محمد عبدالجليل عليوة، الدقهلية، مصر.
4- رشيد أبو سعد بن رحال، قلعة السراغنة، المغرب.
5- علي زعل علي الروموني، ناعور، الأردن.
6- محمد أنس سعيد الحمصي، الدوحة، قطر.
7- بهية محمد قبيعة، إدلب، سورية.
8- عبدالكريم حمزة أحمد، الهامل، الجزائر.
9- صهيب محمد البسيط، الرياض، المملكة العربية السعودية.
10- تهاني جابر زكي، القاهرة، مصر.

د- كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

1- منير ثابت عبده الصلوي، صنعاء، اليمن.
2- محمد حازم تقي الدين، الدوحة، قطر.
3- عبدالله أحمد عبدالله الرقيبة، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
4- عبدالقادر جونغ، دمشق، سورية.
5- عبدالله الجودي، بوسعادة، الجزائر.

أسئلة مسابقة العدد 248

(سؤالان فقط)

س 1: حرَّم الإسلام شهادة الزور، وعدَّها من أكبر الكبائر. اذكر حديثين شريفين في ذلك.

س 2: أحد مؤرخي الجزيرة العربية في العصر الحديث، من أهل نجد. من أشهر تصانيفه: «عنوان المجد في تاريخ نجد». فمن هو؟

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد 248
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

لا يَنْتَطِحُ فيه عَنْزانِ

أي أمر لا شك فيه. فالعنز تنطح العنز لتبعدها من الطريق، أو تترك لها المرعى، فما دامتا متنازعتين فهما تنتطحان، وإذا اتفقتا على الأمر لم تنتطحا فيه.

فالأمر الذي لا ينتطح فيه العنزان أمر متفق عليه لا نزاع فيه ولا شك.

كسوة الكعبة

كان الناس - على عهد الجاهلية - يكسون الكعبة تعظيماً لبيت الله، حتى جاء الإسلام فأقرَّ كسوتها. وذكر الواقدي قال: كُسي البيت في الجاهلية بالأنطاع (جمع نطع) وهو ما يفرش على الأرض كالبساط ويصنع من الجلد الأحمر. ثم كساه رسول الله صلى الله عليه وسلم القباب اليمانية، وكساه عمر وعثمان القباطي - جمع قُبطية - وهو ثوب من ثياب مصر رقيق أبيض، ثم كساه الحجاج الديباج (الحرير).

وروي أن أول من كساها هو تُبَّع الحميري. وأخرج سعيد بن منصور أن عمر رضي الله عنه كان ينزع ثياب الكعبة في كل سنة، فيقسمها على الحجاج، فيستظلون بها بمكة المكرمة.

ويُفهم من هذا أن كسوة البيت بفاخر الثياب كانت سنة متبعة من قديم الزمان أقرها الإسلام وقام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والمسلمون بعده، كما أن تطييبه وتجميره بالعود عمل مشروع، فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: طيِّبوا البيت فإن ذلك من تطهيره. وطيَّب ابن الزبير جوف الكعبة كله، وكان يجمر الكعبة كل يوم برطل من العود، ويجمرها كل جمعة برطلين.

الشيء الباقي

قيل للكاتب والأديب الأمريكي إرنست هيمنجواي يومًا: بماذا أوصاك أبوك؟!

فقال: أوصاني بشيء جميل أحبه من كل قلبي، قال لي: افعل أي شيء بكل شيء أتركه لك بعد ذهابي إلا الأرض فهي الشيء الوحيد الباقي، لأنها أصل الحياة!

وقد عملت بوصيته ونفذتها ووجدت في ذلك سعادتي.

بعض أسماء الأطعمة

طعام الضيف: القِرى.
طعام الدعوة: المأدبة.
طعام العرس: الوليمة.



راع مع قطيعه في أعالي جبال أبها

استراحة العدد

طعام المأتم: الوضيمة.
طعام القادم من السفر: النقيعة.
طعام المتعجل قبل الغداء: العجالة!

حقيقة

يروى أن رجلاً قال لعبدالله بن جعفر يومًا: إن فلانًا يقول إنه يحبني، فبماذا أعلم صدقه؟

فقال: امتحن قلبك بقلبه، فإن شعرت أنك توده فإنه يودك.

الحياة تبدأ بعد الثمانين

جرى حديث بين الكاتب والأديب سومرست موم مع عدد من أصدقائه بعد أن تجاوز سن الثمانين، فقال له أحدهم: لقد عشتَ عمرًا مديدًا، مملوءًا بالأدب والفن وتجارب الحياة، فما أفضل تجربة مفيدة صادفتك بعد هذا العمر الطويل؟

فقال موم: أنت مخطئ! فإن الحياة عندي بدأت في الثمانين، ففي هذه السن شعرت أنني مازلت ذلك الشاب الذي خرج إلى الحياة أول مرة ووقف أمام الشاطئ يبحث عن نفسه في موج البحر! بمعنى أنني مازلت أبحث عن الأفضل!!

جحا والحساب

قال رجل يومًا لجحا: أتحسن الحساب باصبعك؟ فقال: نعم! فقال له الرجل: احسب كيسين من الحنطة!

فعقد الخنصر والبنصر، فقال له: احسب كيسين من الشعير!

فعقد السبابة والإبهام وأقام الوسطى! فقال الرجل متعجبًا: لمَ أقمت الوسطى؟! قال: لئلا تختلط الحنطة بالشعير!!

ذل السؤال

قيل لشريح: متى يعرض الإنسان نفسه للذل؟!

فقال: من سأل حاجة فهذا يعرض نفسه للرق، فإن قضاها المسؤول استعبده بها، وإن رده عنها رجع كلاهما ذليلاً: هذا بذُلِّ البخل، وذاك بذُلِّ الرد.

علامات الأحمق

قيل لرجل حكيم: صف لنا الأحمق في كلمات..

فقال: الأحمق له علامات، هي: إذا أعرضت عنه اغتمَّ، وإذا أقبلت عليه اغترَّ، وإن أحسنت إليه أساء إليك، وإذا ظلمته انتصف منك، ويظلمك إذا أنصفته، وهذا منتهى الحمق!!

أنا اليوم

سئل الأديب الإسباني كاميليو خوسيه ثيلاً الحائز جائزة نوبل للآداب عام 1989م يومًا: ماذا تملك اليوم؟!

فأجاب: أنا رجل عمري ثلاثة وسبعون عامًا، والإنسان يملك حيوات كثيرة، مثل السنوات، وأنا اليوم أملك الحياة رقم 73، ولا أملك شيئًا مما فات، ولا مما هو آت.

أفضل شيء

قيل لأحد الأعراب يومًا: ما أفضل شيء يتعلمه الإنسان في حياته؟ فقال: أن يتعلم الأدب! فإنه زيادة في الفضل، ودليل على العقل، وصاحب في الغربة، وأنيس في الوحدة، وجمال في المحافل، وسبب إلى إدراك الحاجة!

الحسنة والسيئة

قيل للإمام الشافعي رضي الله عنه يومًا: صف لنا الحسنة والسيئة عند الإنسان. فقال: عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن للحسنة نورًا في الوجه، وقوة في البدن، وزيادة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق. وإن للسيئة غبرة في الوجه، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضًا في قلوب الخلق.

آه.. الآن!!

يروى أن رجلاً عاد إلى بلدته بعد غياب طويل فرأى شابا من بلدته، فقال له: كيف حال أبي؟

فقال الشاب: مات!

فقال الرجل: الآن ملكت أمري! وكيف حال امرأتي؟

فقال الشاب: ماتت:

فقال الرجل: الآن أجدد فراشي! وكيف هي أختي؟!

فقال الشاب: ماتت:

فقال الرجل: الآن سترت عورتي! وماذا عن أخي؟!

فقال الشاب: مات!

فتنهد الحكيم في أسى، وقال: آه.. الآن انقطع ظهري!

منطق المرأة

هذه نادرة فرنسية من القرن الثامن عشر: وخلاصتها أن مدام دفور كالكيه أرادت أن تنفصل عن زوجها لأنه صفعها فقابلت محاميها من أجل ذلك، فصرفها عما عزمت عليه لأن الصفعة تمت بلا أي شهود، ولا يمكن إثبات ذلك أمام المحكمة. فعادت الزوجة إلى المنزل وهرعت من فورها إلى غرفة عمل زوجها فصفعته صفعة شديدة على وجهه، مرددة: عذرًا يا عزيزي.. إليك صفعتك! لقد رددتها عليك إذ لم أستطع أن أفعل بها شيئًا!

حلم الأحنف

قيل للأحنف بن قيس: صف لنا مدى حلمك مع الناس. فقال: هذه مسألة تعود إلى الناس، أما من جهتي، فما نازعني أحد قط إلا أخذت أمري بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفت قدره، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه!

مطلوب مني

قيل لحاتم الأصم: كيف أصبحت؟!

فطفرت الدموع من عينيه وهو يقول: كيف يصبح من أجله قريب، وأمله بعيد، والموت أمامه، والقبر سكنه، وهو مع ذلك مطالب بتسع خلال؟

فقيل له: وما هي؟

فقال: أصبحت والله سبحانه وتعالى يطالبني بالفرض، والرسول صلى الله عليه وسلم يطالبني بالسنة، والعيال بالنفقة، والنفس بالقوت، والوالدان بالبر، والملكان بصدق اللسان، والقبر بالجسم، والدود باللحم، ومنكر ونكير بالحجة، فهؤلاء غرمائي، وهذه ديوني، فكيف يجب أن يكون من يصبح كل يوم على هذه الصفة وقد غلب تقصيري عن الوفاء!!

تباشير

يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع.

وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصة قصيرة

سرقوا ولدي!!

محمد محمد علي يوسف

قرية كفر الشعراء، مركز كفر صقر الشرقية، مصر.

صاحت تلك الأم الثكلى: سرقوا ولدي.. هاتوا ولدي. عبارة واحدة تكررها، تصبح.. تضحي.. تمسي.. ثم تبيت وهي تكرر: سرقوا ولدي.. هاتوا ولدي!.

ولا ندري من ذاك اللص الذي سرقه، ولا نعلم أين مقره؟ فهو في كل بيوت القرية. صارت حكايتها مشهورة تتحدث عنها كل القرية، أمٌّ فقدت كل ما تملك، ذاقت طعم الحزن كثيرًا، لبست ثوب الهم مرارًا، فقدت زوجًا.. فقدت ولدًا.

اختطف الموت الزوج؛ فاسودت في عينيها الدنيا.. بكته، رثته، ثم تناست.. وعادت تبكي بكاءً مرًّا: سرقوا ولدي.. هاتوا ولدي.

عاد الموت إليها مرتديًا ثوب الأفراح، تراقص أمام عينيها.. أسعدها لحظة، ليحزنها عمرًا، تسلل دون أن تدري، تسلق جدار حياتها، وهبط إلى ساحة قلبها وأخذ ينعق؛ ليعلن عن هدم المعبد!!

ففي يوم من أيام الصيف الملتهبة، كانت تعمل في أحد حقول القرية، كانت الشمس تصب جحيمًا دون هوادة، يتصبب منها العرق.. يلتصق الثوب البالي بالجسد الناحل، تغلي دماء الرأس من شدة حرِّ الشمس، ولكن لم تيأس يومًا، لم تيأس قط؛ فالأمل الأخضر ينمو رويدًا رويدًا، والألم يهون رغم التعب المضني.

يلهو الابن ويلعب، ثم يغيب.. يغيب بعيدًا عن المنزل، فتعاتبه عتابًا أموميًا كفرخ ترك العش ولم تنمُ أجنحته.

عادت وقت غروب الشمس؛ لتجده طريحًا بين الأيدي..

ذُهلت، صُدمت، صرخت: ولدي، ولدي.

سقاه الموت الكأس وولّى.. عادت تصرخ: ولدي، ولدي، لم يكن حزنها لفراقه بقدر ما كان حزنها لموته بعيدًا عنها، مات غريقًا في إحدى الترع، مات بعيدًا عن حضن الأم.

كانت تعمل، كانت تشقى، ثم تعود إلى منزلها؛ تحتضن الماضي والمستقبل في شخص الولد، ففيه العوض وفيه السلوى.

تدمي كلماتها قلب من يسمعها: اكتحلتُ بك ياولدي؛ لأرى الدنيا؛ كنت ردائي ودوائي. يادنيا أما كفاك أحزاني وأوجاعي! عُدت يادنيا تسدي طريقي، أما في هذا الكون غيري يادنيا؟! لم أنزع بعدُ ثياب حدادي على زوجي.

دفنوا الابن وصار ترابًا، ضاع الأمل وصار ضبابًا، ولّى الفرح وصار عذابًا، حاول كل الناس مرارًا أن ينسوها، ولكن كيف؟ حاولوا أن يُهَوِّنوا تلك الآلام، حاولوا أن يكفكفوا ذاك الدمع المنهمر، وأن يخففوا عنها.

تنصت، تسمع، ثم تعود لتبكي: سرقوا ولدي.. هاتوا ولدي.

التعليق: **إن قصتك يا أخ محمد محاولة جيدة، ولكنّها تحتاج إلى صياغة قصصية أكثر متانة، لأن أسلوبك لا بأس به، ولغتك جيّدة على بعض الأخطاء التي تسللت إلى قصتك، فقولك: «عدت يادنيا تسدي» خطأ صوابه «تسدين»، وقولك: «تتحدث عنها كل القرية» صوابه «القرية كلها». لم تفلح في بناء القص بناءً دراميًا يجعل فكرتك تصل بأسلوب فني قصصي يختلف عن الأسلوب السردي التقريري. أرجو، وأنا أراك تمتلك اللغة والأسلوب، أن تطوّر طريقة أدائك القصَّية فتَحْبُكَ الأحداث بطريقة فنية أكثر تأثيرًا، ولن يتمَّ لك ذلك إلا بالإكثار من قراءة أعمال القصاصين المتمكنين المبدعين، مع تمنياتنا لك بالتوفيق في أعمالك القادمة. إن قارئ قصتك لا يجد ذلك الخيط الرفيع الذي يربط أحداث القصة، وهي - أي القصة - تبوح بموضوعها وحدثها منذ السطر الأول، وكان يمكن لهذا الأسلوب في القَصّ أن يكون مناسبًا لو أتقنت ما نسميه «الخطف خلفًا»، ولكن الرجوع إلى الوراء القَصِّي لم يكن متقنًا فنيًا، فجاء خاليًا من أي قدرة على التأثير. إن طريقة البناء الدرامي التي اخترتها تحتاج إلى تمكُّن وتجربة ستحصل عليها بالمطالعة والتأمل في نتاج الكتّاب المبدعين، ونرجو أن نلمس تطورك في عمل قادم.**

د. محمد خير البقاعي

متابعات

الأخ محمد عاصم محمد معن المصطفى، تلدو، حمص، سورية:

قصيدتك «بكاء» مضطربة الوزن وليس فيها من الشعر إلا القافية التي دفعك الحفاظ عليها إلى أن تضع كلمات لا تتفق مع معاني الأبيات، مثل «رآئينا»، هذا فضلاً عن التجاوزات اللغوية. فكلمة «المساكينا» هي «المساكين» بكسر النون وليس بفتحها، فالإطلاق هنا غير جائز بالفتح، وقولك «فداويها» خطأ صوابها «فداوها»، وقولك «أنا ما عدت أستفهم» ليس فيه من الشعر شيء، وقولك «أموت راح يعطينا» صوابه «أموتًا راح يعطينا».

وهكذا ترى يا أخ عاصم كثرة الأخطاء وغياب العروض، وإذا أردت أن تكون شاعرًا فليس أمامك إلا أن تقرأ كثيرًا من الشعر العربي الرصين وتحفظه، وأن تطّلع على العروض، ونأمل أن نتلقى منك مشاركة أكثر حظًا في النشر.

الأخ درغام عبدالله حسن، سنرو، الفيوم، مصر:

إن إنشاءك المعنون «ثغر يباح» ينطوي على شعور طيب، وإحساس مشكور بما عاناه ويعانيه المسلمون في «البوشناق» من قتل وتنكيل وتشريد. ولكن الشعور الطيب والإحساس الأخوي اللذين نشكر لك صدقهما لا يصنعان شعرًا، وقصيدتك هذه ما هي إلا رصف كلمات الواحدة قرب الأخرى؛ حتى لو وفرت القافية لهذا الرصف إيقاعًا يعبر عن صدق العاطفة والشعور. ولغتك لا بأس بها، وسبكك اللغوي يتناسب مع الموضوع العاطفي الذي تعالجه.

أما النص الثاني «مولد الأزمان» فيمكن أن نقول فيه أكثر مما قلناه في سابقه، فهو لا ينضوي تحت لواء الشعر الذي يفترض بعض الأركان من وزن وقافية وصورة بديعة ومعنى مبتكر، ولا يكفي ركن من هذه ليجعل من نصٍّ ما نصًا شعريا.

فنأمل أن تقرأ العروض العربي، وأن تقرأ كثيرًا من الشعر قديمه وحديثه لكي تكون نصوصك القادمة أكثر ضبطًا مادمت تمتلك معجمًا لغويًا لا بأس به.

الأخ منقذ نادر عقاد، جنوب الثكنة، حماة، سورية:

لقد حشدت كل ما تعلمته في كلية الطب البيطري وأنت تكتب في موضوع معرفي يتطلب أساسًا فلسفيًا يستغل تلك المعلومات القادمة من علم الأحياء والفيزياء وعلم الوراثة وعلم التشريح، فجاء مقالك جافًا قاسيًا، وكأنه كتلة غير متناسبة فيها تراكمات لم تصقلها يد فنان مبدع، وهي بطولها لا تصلح لباب «تباشير». نأمل أن تكتب مقالات أصغر وأن تقلل من حشد المعلومات، وأن تنتبه إلى الأخطاء التي يبدو أن طول المقالة وحشد المعلومات قد صرفاك عن اكتشافها،

مع تمنياتنا لك بإنتاج أكثر إتقانًا، وأقصر مما أرسلت حتى يحظى بالنشر، ونحن في انتظار ما يجود به قلمك.

الأخت سامية عمر حسن أبو درقة، بورتسودان، السودان:

ما كتبته عن البحر يمثل ذكريات (بالذال وليس بالزاي) جميلة وحكايات من تلك التي تقصها الجدات والأمهات لأحفادهن وأولادهن كي يناموا.

إنها ذكريات يختلط فيها تاريخ العائلة بتاريخ البحر، وأسلوب الذكريات تقريري يقترب من التداعي، ولست أدري المرحلة التي وصلت إليها في تعليمك، ولكن أسلوبك بحاجة إلى كثير من الصقل بالقراءة المستمرة. أما قصتك عن السمكة (الحوت) التي يتخيلها البحارة جزيرة فهي قصة نجدها في ألف ليلة وليلة، ولست أدري مدى صحتها، وإن كان ذلك كذلك، فهذا من عجائب الخلق والمصادفات التي يقترن فيها الخيال بالواقع.. على أية حال، أرجو لك التطور بمزيد من القراءة، فأنت تملكين القدرة على السرد، ولكن تنقصك الوسائل الفنية التي يكتسبها المرء بمعاناة النصوص العالية والكتب المحكمة البناء.

الأخ طلال صفوق الهضباوي، الرياض:

قصيدتك تحمل روحًا شاعرية واعدة، إلا أنك تحتاج إلى إغناء حصيلتك اللغوية بمداومة الاطلاع على الشعر العربي الأصيل حتى تقف على أصول البناء الشعري وزنًا وقافية وعروضًا، وهذا ما نوصي به كل الواعدين أمثالك. نتطلع إلى مشاركات قادمة تكون أكثر حظا في النشر من قصيدتك «أجمل الألوان»، وأن تكون أجمل معنى ولغة.

ردود خاصة

الأخ سعدالدين العبودي، رقم 56 شارع النضال، الميلية، جيجل، الجزائر:

لقب «العبودي» الذي تحمله ينتشر في كثير من الدول العربية، ولا نعتقد أنه من المجدي أن تراسل كل من يحمل هذا اللقب، لأنهم قد يكونون بالآلاف، ولكن إذا رغب أحد من هذه الآلاف في مراسلتك، فعنوانك متاح له حسب ما جاء في خطابك.

الأخ يحيى كنج الحلبي، حمص، سورية:

سبق نشر أسعار إصدارات دار الفيصل الثقافية وطريقة الحصول عليها، ولا بأس في أن نرسل إليك قائمة بها وبأسعارها لتختار منها الكتب أو الدواوين التي ترغب فيها. وقيمة الكتاب المختار ترسل بشيك بالريال السعودي أو الدولار الأمريكي على عنوان المجلة، أما إجازة الكتب التي تصدرها الدار فتقوم بها لجنة تحكيم مختصة بموضوع الكتاب المرسل.

الأخت بورزق حدة، المسيلة، الجزائر:

نشكر لك مبادرتك واقتراحك بأن تكوني مراسلة للمجلة في الجزائر، ونفيدك بأن هناك من يقوم بهذه المهمة، ولكن هذا لا يمنع من أن ترسلي مشاركاتك، لعلها تأخذ طريقها إلى النشر إذا كانت مستوفية للشروط المتبعة.

الأخ أحمد سلمان المغيري، الدوادمي، السعودية:

اقتراحك بأن تعيد المجلة طباعة أعدادها القديمة يدل على حرصك على اقتناء المجلة، لذا نفيدك بأن المجلة قد أصدرت ستين مجلداً يضم كل مجلد ثلاثة أعداد من أعدادها، وسعر هذه المجلدات - مجتمعة - ثلاثة آلاف ريال.

الأخوين أبو بكر عباس، مدرسة التربية الإسلامية، كوماسي، غانا، ناستانيول حكيم، أندونيسيا:

نشكر لكما حسن ظنكما بالمجلة، وسوف تصل إليكما بعض أعدادها، أما فيما يتعلق بالموضوعات الأخرى، فيمكن إرسالها إلى الجهات المختصة بها، وهي كثيرة بحمد الله. كما نرجو للإخوة في مدرسة التربية الإسلامية كل التوفيق في أداء رسالتهم نحو المسلمين من أبناء غانا، والبلاد المجاورة لها.

الأخوين عبدو عثمان محمد، حلب، طالب عبدالرحمن همّاش، حمص، سورية:

نفيدكما والإخوة من كتاب «الفيصل» أن المجلة لا تمنح مكافآت على التعليقات التي ترد في باب «مناقشات وتعليقات»، مع ترحيبها بكل المناقشات التي تغني موضوعات المجلة.

الأخ عبدالغني محمود عبدالهادي، عمان، الأردن:

مع احترامنا لاقتراحاتك، إلا أن بعضها يعد عملاً مؤسسياً، أما منتدى أصدقاء الفيصل الذي تقترحه، فنشكره لك ذلك، وإن كنا نرى أن الصداقة الحقيقية بين قراء المجلة تنمو من خلال الأبواب الخاصة بالقراء، وبتداول الأفكار بينهم، ولا نملك إلا أن ندعو لك بالتوفيق في مسعاك لتحقيق الآمال التي تعبر عنها اقتراحاتك.

الإخوة أحمد حمدي، تركيا، محمد محمد الخطيب، دمياط، مصر، حمزة خيراني، خنشلة، والأخت: نعيمة قصدي، سكيكدة، الجزائر:

ستصل إليكم أعداد المجلة التي طلبتموها، أما الأخت نعيمة فسيصل إليها إهداء خاص من كتاب «كيف تنجح في الامتحانات؟»، الذي نأمل أن يكون معيناً لها وهي على عتبة المرحلة الجامعية.

الأخ محمد محمد الغوثي، تونس:

حاولت الرد على ما جاء في مقالة د. عبدالعزيز الخويطر في العدد 245، ولكن يبدو أن العاطفة قد أخذتك بعيداً، حتى إنك تقسم بالقرآن الكريم، مع أنك تعلم أنه لا يجوز الحلف بغير الله عز وجل. والموضوع الذي تطرق إليه د. الخويطر لا ينبغي أن تأخذه مأخذاً شخصياً، لأنه قضية عامة، وتمس جوهر العقيدة التي ينبغي على كل مسلم أن يحفظها نقية من كل شبهة.

الأخ حسن عبدالله جبريل يحيى، أم درمان، السودان:

كنا نفضل أن تبعث بصورة من بحثك الذي وددت المشاركة به في المسابقة الثقافية المقامة في الكويت حتى يتسنى لنا إرساله إلى الجهة المنظمة، ولكن يبدو أن الوقت سيكون قد انقضى عند صدور هذا العدد، فلعلك وفقت في المشاركة في المسابقة، مع الأمنيات لك بالتوفيق.

الإخوة بن النوي بشير، المسيلة، تكركارت خثير، سطيف، بباز جمال، عنابة، فافة جاد، خمار بالوادي، بندارة سعد، غرداية، الجزائر، سارة محمد حسين، الإحساء، السعودية:

نفيد الإخوة أن المجلة ستجد طريقها إلى السوق الجزائرية في القريب إن شاء الله، وهي لم تتوقف عن الصدور قط، وشروط الاشتراك موضحة في الصفحة الثالثة من المجلة، أما المشاركة بالكتابة فمن أهم شروطها جدة المادة المرسلة وموضوعيتها، وكل مادة تقوم لجنة متخصصة بمراجعتها. فمرحبا بمشاركات الإخوة القراء والكتاب من الدول العربية والإسلامية جميعها، بل من أنحاء العالم أجمع.

إلى كتابنا الكرام

نأمل من كتابنا الكرام الذين نُشرت لهم موضوعات في «الفيصل» ولم تصل إليهم مكافآتهم أن يوافونا بعناوينهم حتى يتسنى لنا إرسالها إليهم، ونخص بالذكر منهم الأساتذة: د. حلمي محمد القاعود، د. ربيع محمد عبدالعزيز، الأخت: صفات أمين مصطفى سلامة، وحيد خيون، حِمْيَر إبراهيم ونوس، مصطفى يعقوب عبدالنبي

كما نأمل من جميع الكتاب الكرام الذين يرسلون إلينا موضوعاتهم من خارج المملكة بغرض النشر أن يرفقوا معها الاسم (ثلاثيًا أو رباعيًا إن أمكن) باللغتين العربية واللاتينية التي يتم الصرف على أساسها. مع وافر شكرنا لكل من شارك، ويشارك، في الكتابة للمجلة.

بين القارئ والقارئ

لديّ أعداد زائدة من مجلة «العربي» أرغب في مبادلتها بأعداد من مجلتي «المجلة العربية» و«الفيصل»، كما أرغب في الحصول على بعض الكتب الإسلامية.

عبدالمنعم تركي جمعة
ص.ب 7 تير معلة، حمص، سورية.

آمل الحصول على كتاب «المسجد وبيت المسلم» من تأليف الشيخ أبي بكر جابر الجزائري المدرس بالمسجد النبوي الشريف، وكذلك كتاب «تنبيه الغافلين وبستان العارفين» لأبي الليث السمرقندي.

زغودي سمير
رقم المنزل 144 مزاورو
سيدي إبراهيم ثونان، الغزوات 13421
ولاية تلمسان، الجزائر.

أرجو من قراء الفيصل الأفاضل مساعدتي - مقابل إهداء خاص - في الحصول على كتاب «تكنولوجيا السلوك الإنساني» الصادر ضمن سلسلة «عالم المعرفة» الكويتية، وكذا ديوان الشاعر التونسي الحبيب الأسود.

عبدالحليم بختي
ص.ب 867، المسيلة 28000، الجزائر.

أود الحصول على خريطة عامة للمملكة العربية السعودية، إلى جانب خرائط للمدن التالية: جدة، المدينة المنورة، مكة المكرمة.
فارس محمود عزيزة
ص.ب 2456، حلب
سورية.

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ أحمد سلمان عبدالله بن عميرة، مدينة الدوادمي، السعودية:
عناوين المجلات العسكرية التي طلبتها على النحو التالي:
- مجلة «الدفاع»، تصدر عن إدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة السعودية:
ص.ب 56688، الرياض 11564
هاتف: 4789000 تحويلة 4220 - 4089
- «كلية الملك عبدالعزيز الحربية» مجلة سنوية:
ص.ب 73001 الرياض 11538،
فاكس 4829968
- مجلة كلية الملك خالد العسكرية تصدر عن كلية الملك خالد العسكرية:
ص.ب 22140 الرياض 11495
هاتف 2520011، تحويلة 2737، 2734
فاكس 2520257
- مجلة «الصقور» تصدرها كلية الملك فيصل الجوية مع تخرج كل دورة:
ص.ب 2973، الرياض 11461
- «الجندي المسلم» مجلة فصلية تصدرها إد رة الشؤون الدينية للقوات المسلحة السعودية:
ص.ب 27028، الرياض 11417
هاتف 4789000 تحويلة 4616، 2641
- مجلة «الجندي العربي» تصدرها شهريًا الإدارة السياسية للجيش العربي السوري:
ص.ب 2220، شارع فلسطين، دمشق، سورية.
- مجلة «الدفاع العربي» شهرية تصدر عن دار الصياد إنترناشيونال:
ص.ب 1038، الحازمية، بيروت، لبنان.
هاتف 450597، 4057959
- مجلة «القوات الجوية» تصدر عن القوات الجوية والدفاع الجوي بدولة الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي:
ص.ب 3231 أبو ظبي
هاتف وفاكس 478128
- أما دار الراتب الجامعية فعنوانها:
مقابل مسجد جامعة بيروت العربية
ص.ب 19/5229 هاتف 317169

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

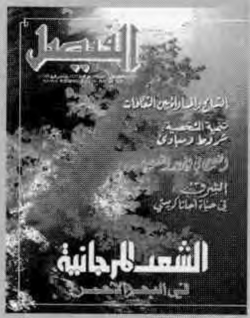
المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

دعوة للبحث عن الحقائق الغائبة في قضية الاستنساخ



قرأت مع الآلاف من قرائك إطلالتك، أو بالأحرى استنكارك «لضمير هذا العلم!»، الذي بدأ - منذ بداية هذا القرن - ينتهج طريقًا يسعى إلى دمار الإنسانية، «واللهم أعوذ بك من علم لا ينفع» فكيف بنا بالذي يضر بل يدمر؟!

أعتقد - أستاذي - أن مقالتك هي صيحة تدعو فيها الجميع إلى الانتباه والحذر من كل ما يراد بنا نحن على وجه الخصوص، بوصفنا أول المستهدفين بهذا الدمار، ألسنا نحن المستهلكين البارزين لمنتجات العالم الغربي، النافع منها والضار؟ فكيف بنا ونحن مهددون بهذا الاستنساخ الشائن؟ ومن يضمن أننا لن نكون في مقدمة ضحايا هذا الاستنساخ، إما بالسيطرة وإما بالمسخ لهويتنا وديننا؟!

ونحن الآن نتابع الأخبار التي تتوالى عن الكائنات المستنسخة ابتداء من «معْزاتهم دوللي»، إلى الخبر الذي نشرته الأهرام القاهرية يوم الجمعة 1997/4/11م، عن بداية إجراء التجارب على القرود، وهو الحيوان الذي يسبق عادة نهاية بداية التجارب على الإنسان، وبالفعل تعاود الجريدة نفسها لتخبرنا يوم الأربعاء 4/23، بالجدل الدائر في روسيا حول «لينين» صريع شيوعيتهم، والراقد جثمانه المحنط داخل تابوت زجاجي بجدار الكرملين منذ 70 عامًا، وكيف أن «فاليري بيكوف» عالم الهندسة الوراثية، «يؤكد» أن إعادة إحياء لينين، قد تصبح حقيقة من خلال إمكان استنساخ خلاياه!

وهكذا صح ما توقعته - أستاذي - من خلال مقالتك بأن «العلماء اليوم يتحدثون عن احتمالات استنساخ أناس من خلايا العباقرة المبرزين المختلفة، وهذا الاحتمال يقود إلى إثارة التساؤلات حول خطورة استخدام الطغاة والجبارين لهذه التقنية لاستنساخ أشباه لهم، تمتثل لأوامرهم، وتسير على دربهم». اتضحت الرؤية الآن، ويأتي في مقدمة هؤلاء المتجبرين، داعي الإلحاد الأشهر «لينين»، بعد انهيار نظرياتهم الملحدة.

أدعوك د. زيد، وقد بدأت هذا المسير، أن تفتح الباب وتدعو علماءنا كافة - وهم كثر - في المجالات كلها لتحقيق هذا الأمر على صفحات مجلتكم، ووضع الحقائق أمامنا من جوانبها كافة، الدينية والقانونية والسياسية والاقتصادية، ودور وسائل الإعلام سواء المرسلة أو المتلقية لتلك الأخبار، ومدى تفاعلها مع مجتمعاتنا العربية المسلمة، في مواجهة صريحة مع الواقع الذي نعيشه، ونحن لسنا ببعيدين من تلك التقنيات، فالعالم كما يقولون «قرية صغيرة»، فهل لك، وأرجو أن يوفقك الله إلى ذلك، أن تبدأ هذا التحقيق الموسع، بما فتح الله عليك من علم وإمكانات، من أجل المجتمع المسلم العربي الذي تمثل حضرتك وأمثالك، قدوته الواعية المثقفة، وأخيرًا تحقيقًا لقوله عز وجل: *وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ للكافرينَ على المؤمنينَ سبيلاً*. **النساء:141.**

رابحة إبراهيم حماد
القاهرة، مصر.

مفهوم الزمان في مسرحية «في انتظار غودو»



عندما اطَّلَعْتُ على أبواب مجلة «الفيصل»، وطالعت محتوياتها، انتابني شعورٌ من التفاؤل في أنها قد تكون الواحة الفكرية التي يمكن أن أستريح إليها وفيها؛ لما لمسته من اتجاه عامٍّ لها أنسجم معه، وأجد فيه المناخ الملائم للحوار الفكري، المتحرر من القيود التي تضغط على العقل، المُعين على تفتح القرائح وتنوير الأذهان في عصر مُضلل للعقول والنفوس والأرواح.

لذلك، أسعى إلى محاولة المشاركة في حوار على صفحات مجلة توسَّمت فيها العراقة، والأصالة، علّني أسهم في الإدلاء برأي يمكن أن يحقق شيئًا من الفائدة لمجتمعاتنا العربية والإسلامية والإنسانية.. فقد نشرت المجلة في

عددها الحادي والأربعين بعد المئتين، وفي الصفحة الرابعة والخمسين، دراسة عن «مفهوم الزمان» في مسرحية «في انتظار غودو» للكاتب الإيرلندي الموطن صموئيل بيكيت، كتبها الدكتور محمد عبدالقادر مرشحة. وحيث إنَّ إشارات استفهام عديدة حول بيكيت وحول مسرحيته المذكورة خاصة، كانت قد ارتسمت في حسِّي وذهني منذ أكثر من خمسة عشر عامًا؛ فإنني أجد في نفسي رغبة ودافعا قويًا للتعليق على دراسة الدكتور مرشحة، الذي يبدو أنه قد حاول محاولة مُخلصة، وبنيَّة صافية، أن يقدم للقرّاء ولعالم الثقافة ما يجدُ فيه فائدة لهما.. إلا أنه - فيما يبدو لي - لم يتنبَّه - وأرجو المعذرة من الدكتور - إلى بعض الإشارات التي تثير الارتياب في مسرحية «في انتظار غودو» خاصة، وفي شخصية كاتبها بيكيت وانتمائه الفكري عامة.

وكي يكون كلامي مقبولاً من الناحية المنطقية؛ أبدأ بالتعليق على هذا النتاج الفكري والأدبي للكاتب بيكيت، لأنَّ الدراسة الموضوعية لأيِّ كاتب في العالم يجب أن تنطلق من خلال فهم عطائه، وأثر هذا العطاء في عالم الثقافة والعالم الإنساني، بغض النظر عن الأصل العرقي، والانتماء المذهبي.. لذلك أقول: مهما اختلفت آراءُ النقاد والدارسين حول فهم القصد الذي أراده بيكيت عندما اختار عنوان «في انتظار غودو» لمسرحيته.. فإن الانطباع الأول الذي يرتسم في مُخيِّلة معظم القارئين له، ويتأكد لهم بعد قراءة المسرحية أو مشاهدتها ممثلة على خشبة المسرح هو أنَّ (غودو) الذي يقصده بيكيت هو الله سبحانه وتعالى، و(الانتظار) الذي عَنَاهُ الكاتبُ هو انتظار المؤمنين لقاء ربهم.. وقد حاول بيكيت تغييم هذه الحقيقة بتحريف الاسم اللاتيني (GOD) إلى الاسم الذي اختاره، وهو (GO-DOT)؛ وفي هذا التحريف بالذَّات ما يثير الهلع في النفس.. أكاد أوقن أن بيكيت ما أراد بهذا التحريف سوى السخرية من مفهوم (الله) عز وجل عند المؤمنين به سبحانه وتعالى.. فطريقة التحريف هذه لا تختلف عن تلك الطريقة التي اتَّبعها قديمًا الشاعر بشار بن بُرْد لتحقير شأن العرب بمخاطبتهم: «يا جُمْلُ»..!

وتلك الشخصيات - الرموز التي اختارها بيكيت، ورآها تنتظر - عَبَثًا حسب زعمه - غودو؛ ما هي إلا مئات الملايين من الذين يؤمنون بوجود إله واحد لكل البشر، ويؤمنون بلقائه في الآخرة.. إننا لَنَظلِّم أنفسنا عندما نقبل أن نضع عقولنا وخيالاتنا لعبة بين يدي كاتب يظن أنه على درجة من الذكاء تفوق ذكاء البشر، فيعبث بأفكارنا ومشاعرنا ويوجهها كيفما يشاء.. يَعْمَدُ إلى الرمز والتضبيع بقصد العَبَث الساخر بعقول المتلقين الحمقى كما يُخيل إليه، وينجحُ في ذلك إلى حدٍّ كبير، عندما يُعجب بأساليبه الذكية بعض النُّقَّاد والدّارسين من شتى بقاع وأمم الأرض.. فيحاولون جاهدين تحليل رموزه وأفكاره، والاستعانة بما تعلموه من فلسفة يائسة لفهم ما يقوله هذا الذي يُخيَّل إليهم أنه عبقريٌّ نزيه.

إن دراسة موضوعية متأنية للكثير من أعمال بيكيت تكفي للارتياب في كل ما كتب.. ماذا أذكرُ منها؟ «مورفي» التي كتبها عام 1935م، وتمثل شخصية مورفي ذاك الإنسان الذي لم يتمكن من الانسجام مع ما يحيط به، وانتهى إلى الموت حرقًا حسب رغبته، وانتهى رُفاته على أرض أحد البارات ليُكنَس مع النشارة والبيرة وأعقاب اللفائف والبُصاق والقيء؟.. أم «وات» التي كتبها بين عامي 1942- 1944م، والتي جعل فيها بطل قصته «وات» يمتازُ من «مورفي» كشخصية بأنه عاش برغم كل شيء، ولكن مُصغيًا إلى صوت ذاته فقط؟.. أم إلى ما قاله بيكيت صراحة في ختام مؤلفه «دانتي.. برونو.. فيكو.. جويس» مخاطبًا قارئيه: «هذه صفحاتٌ ذاتُ تعبير مباشر، وإذا لم تستطيعوا فهمها سيداتي سادتي؛ فذلك يعني أنكم متخلِّفون جدًا بحيث لا يمكنكم قبولها؛ فأنتم لا تقتنعون إلا إذا وجدتم حدًا فاصلاً بيِّنًا بين الشكل والمضمون، دون أن تعرفوا إلا النَّزْرَ اليسير عن الشكل»؟! إنه لا يُخفي استخفافه بقارئيه. ولعل في قول الفرنسي رينيه سوريل الذي نشره في «الآداب الفرنسية» بتاريخ 1953/1/15م ما يعزز اعتقادي بأنَّ غودو الذي عناه بيكيت ما هو إلا الله سبحانه وتعالى، الذي ينتظره المؤمنون به، ولكن - حسب زَعْم بيكيت - دون جدوى.. يقول رينيه سوريل: «إننا ندهشُ ونَعْجَبُ أيضا لأن الكاتب استطاع أن يكتب مسرحية عنيفة هكذا، وعجيبة وحيَّة بهذا الشكل؛ من موضوع مُجرد وعامٍّ جدًا عن قلق الحياة، والبحث عن الإله دون جدوى، والتقصي العنيد للسعادة».. وهذا القول منقول عن كتاب «بيكيت - حضور الأدب» للكاتب جيرار ديروزوا ترجمة ولي الدين السعيدي، ص 298.

إن عبثية بيكيت المتعمدة تدفعنا إلى الاقتناع بحقنا - كقارئين - في الشَّكِّ بنزاهة مقاصد بيكيت البعيدة، ولاسيما وأنَّ مسرحيته هذه «في انتظار غودو» لاقت رواجا متميزًا في الأوساط الإعلامية والثقافية الغربية.. فقد عُرضت في أكثر من ثلاثين بلدًا، وتُرجمت إلى عشرين لغة.. وهذا التهليل والتطبيل لم نعهده إلا عند مَن يمتلكون معظم وسائل الإعلام الغربية، أولئك الذين يعدون اسم صموئيل منهم وإليهم.. وعلى كل هذه الدعاية لبيكيت ظلَّ لا يحظى بأهمية (إن لم نقل مجهولاً) بالنسبة لطلاب المعاهد الفرنسيين عام 1963م، حتى بعدما نشرت «غودو» في الولايات المتحدة في طبعة مدرسية!!

إن الانطباع الأخير الذي تتركه هذه المسرحية في نفس المتلقي هو أنه من العبث انتظار غودو.. وكأن بيكيت يريد أن يقول لنا: أيها الحمقى! عليكم ألاَّ تنتظروا لقاء ربكم، لأنه لا وجود له، فمن البدهي أنه لن يأتي.

والدكتور مرشحة يقرر بكل سهولة أن بيكيت إنسان يؤمن بالله تعالى!! ويتساءل عما إذا كان يمكننا أن نظنَّ أن بيكيت يُعلن انتماءه التوحيدي للشريعة الإلهية من خلال تأكيد إيمانه بالأديان السماوية الحقة، باعتبار أن غودو سيجيء في أحد أيام السبت والأحد والجمعه و

... وأنَّ بيكيت يُنبه على أمر جوهري في الحياة خلاصته أنه لا ينبغي لنا أن نفقد ثقتنا بالله تعالى.. وكأنَّ الدكتور نسي أن المسرحية قد انتهت ولم يأت غودو، وأنّ شخصيات المسرحية وطريقة إشغالهم لأنفسهم ووقتهم، والمسرحية بكاملها تحرِّك الشعور باليأس من مجيء غودو وبالسَّأم والغثيان... فكيف يقوى أيُّ قارئ للمسرحية أو مشاهد لها على أن ينتظر - دون جدوى - مثلما تنتظر شخصيات المسرحية؟! وصحيح أنَّ المصادر المختلفة تشير إلى أن صموئيل بيكيت ابنُ أسرة إيرلندية بروتستانية؛ إلا أنه من حقنا - بعد العديد من الوقائع والتجارب المريرة المخيبة للآمال - في هذا الزمن الصعب أن نشك في ذلك.. فإيرلندا - كغيرها من معظم بلدان العالم - تضم أعراقًا مختلفة متداخلة من الصعب جدًا فرْزها، واسمُ صموئيل لافتٌ للنظر.. والله - سبحانه وتعالى وحده - العليم..

أفلا يحق لنا الحذر من كل غموض مثير للارتياب؟ ربما لا يحق لنا الطعن فيما لا وضوح فيه، ولكن الحذر واجب..

راسم علوش
المساكن الغربية، المشروع الرابع
السلمية، سورية.

تعليقات مناقشات وتعليقات مناقشات

أهمية التلفاز في دعم المفاهيم الإنسانية



لقد توقفت كثيرًا عند قراءتي مقالة الأستاذ إبراهيم محمد إبراهيم قمر التي جاءت تحت عنوان «التلفاز ودعم المفاهيم الإنسانية»، التي وردت في مجلتنا الغراء «الفيصل» في العدد 244. وقد أردت انطلاقًا من المقال المذكور الحديث عن واقع الإعلام في وطننا العربي وعن مدى مشاركته في دفع المفاهيم الإنسانية السامية، وما يجب أن تتخذه البلدان العربية من إجراءات وتدابير لرسم خطط (استراتيجية) إعلامية لمواجهة الطوفان الإعلامي الغربي، فالتطور المستمر والتحولات العميقة التي أصبحنا نشهدها يومًا بعد يوم في مختلف المجالات يستحيل علينا رصدها أو إحصاؤها بما تحمله هذه التحولات من فوائد ومنافع، وكذلك بما تجلبه من مشكلات وأخطار على مجتمعنا العربي الذي لايزال يعاني من أزمات سياسية واقتصادية ونفسية في أغلب أقطاره، إضافة إلى التشتت والتمزق.

وانطلاقًا من حديثنا عن التلفاز بوصفه أهم وسيلة إعلامية مهيمنة، أريد تأكيد أن هذه الهيمنة لن تتوقف، بل سوف تزداد، ذلك أن التقانة (التكنولوجيا) الحديثة بما حملته من ثورة اتصالية ومعلوماتية هائلة مكنت الإنسان من التقاط العشرات بل المئات من القنوات التلفازية بتكلفة لا تتجاوز بضع مئات من الدولارات، ومن ثم فإن الراصد لواقعنا الإعلامي يستخلص حالة الضعف والهلهلة التي هو عليها، ويبرز ذلك في عدم قدرته على مواجهة الطوفان الإعلامي الغربي، أو حتى مسايرته، ويعود ذلك إلى كون إعلامنا إقليمي النزعة، يعتقد كل بلد عربي أنه سوف يتصدى له بمفرده، وأنه سوف يدحره بإعلامه المحلي الموجه والمحدد.

وحسب رأيي فإن إعلاما بهذا الضعف يستحيل عليه بحال من الأحوال التقدّم قيد أنملة في دفع المفاهيم الإنسانية السامية التي ننشدها ودعمها، والتي تمكننا من التفاعل والتكامل مع بقية شعوب الأرض في جو من التسامح والسلام والحوار الدائم بعيدا من الصراعات والتناحرات التي يسود فيها قانون الغاب، قانون تسلط القوي على الضعيف، قانون قوى الاستعمار بأشكاله الجديدة على البلدان الصغيرة المسالمة التي تطمح إلى العيش الكريم، وفي ظل هذه الوضعية الإعلامية السلبية لا يمكننا مقارعة الإعلام الغربي بإمكاناته الكبيرة إلا بوضع خطط مدروسة (استراتيجية) محكمة لمواجهة هذا الطوفان، وذلك بأن يعمل مسؤولو الإعلام عندنا على إنشاء مؤسسة مستقلة عن الإعلام الإقليمي، تعمل على استغلال القمر الصناعي العربي، وتركز على بث البرامج التلفازية على المستويين العربي والعالمي، وتعمل هذه البرامج على مخاطبة الشباب، وذلك بتوجيه خياله نحو المستقبل لتنمية ملكاته الإبداعية وتنقيتها من طريق إدخال القيم والمثل العليا، وأيضا من طريق توسيع مداركه عن مستقبل العالم، وتشجيعه على التفاعل معه، وكذلك بمخاطبة همومه وأشجانه ومحاولة معالجتها بعيدا من المغالطة والدجل. هذا على المستوى العربي، أما على المستوى الدولي فيجب إعطاء صورة مشرقة عن تاريخنا وتراثنا، وعن قيمنا الحضارية أيضًا بما تحمله من دين عظيم وحضارة عربية أصيلة بعيدا من التعصب والتقوقع؛ فإن هذه الصورة قد تشوهت كثيرًا في الآونة الأخيرة، وأصبحت المجتمعات الغربية تنظر للإسلام على أنه دين جمود وتطرف، وللعرب على أنهم مجموعة من الرعاع الهمج المتخلفين.

وإذا ما وجد الرجال الصادقون الملتزمون قضايا

أمتـهم يمكن لإعلامنـا العربي تجـاوز دور الترفيه والتسليـة، ويغدو من المقومـات الحضارية المهـمة التي لايمكن التـغاضي عنهـا أو تجـاهلهـا. فـهل تتــوافـر الإرادة والشــجـاعــة اللازمتــان لدى الساهرين على الإعلام في وطننا العـربي لصياغة المشــروع الإعـلامي المنشــود الذي يتــمكن به المجتمع العربي من أن يرتقي وينهض؟

عادل عبدالحميد ساسي
9 نهج محمد الفماز
المكنين 5050، تونس.



مفهوم التلقائية في الأدب

طالعت باهتمام مـا كتبـه الدكتور كمـال نشأت تحت عنوان «مـفهوم التلقـائية في الآداب القـديمـة» في العـدد 245 من مـجلة «الفيـصل»، الذي خلص فيـه إلى حاجـة الناس إلى القصيـدة الواحة لا القصيدة اللغـز. وقد تمنيت عند الانتهاء من قراءة المقـال لو أن الكاتب قد زادنا فوق الذي قـال أو أنه ابتـدأ من حيـث انتـهى، ذلك أنه أفـاض في الحـديث عن نشـأة اللغـة عند الإنسـان، وعن تطور التـعبير اللـغوي عنده وفق مـا يقتـضيـه التطور الحـضـاري وتفـرضـه الحـاجــة إلى إيجـاد مسميات للأشيـاء وللمشاعر والأحداث، وأود هنا أن أضيف إلى ما جـاء به الكاتب، أننا لسنا بحاجة إلى العودة إلى قراءة الآداب القديمة فقط، وإنما نحن بحاجة أكبر إلى أن نعود في كتاباتنا إلى «أنفسنا».. إلى إنسايتنا بـكل ما فيـها من نقاء وبراءة وتلقـائية، وأن نعود إلى «الأرض» تملأ أنوفنا وصـدورنا برائحة ترابهـا لحـظة تعـانق أول المطر وأول العـشب وأول الزهر، فـلأوائل الأشياء نكهـة خـاصـة لا يدركهـا أولئك المتعجلون الذين يحلقون بعيـدًا في فضاءات لا وجود لها إلا في أخيلتهم؛ ينهلون منها ما يصدم ذوق القـارئ وحسـه الفطري السليم باسم الرمـزية تارة، والحداثة تارة أخـرى، والتجـديد ثالثة، وهم أبعد ما يكونون من ذلك كله.

ولست أرى في التلقـائية في الأدب بسـاطة ولا سذاجة لكنها الجرأة عينها والقوة التي تسمي الأشياء بأسـمـائهـا، وتومئ في الـوقت ذاته إلى مـدلولاتهـا الأخرى، تاركة للقارئ حرية التأويل حسب مستوى إدراكه وثقافتـه، بحيث لا يلقي الكتاب أو النص إلا وفي نفسـه منه فـائدة من لغة أو فكر أو عـبرة، فـأين هذا مما نقـرأه من طلاسم تحـتـضنهـا مـجـلات «متخصصة» وتسميها شعرًا.

قـرأت شـيـئًـا مـن هذه الطلاسم يومًـا لأحـد الشعـراء، فأحسنت الظن بما قرأت وأسـأته في عقلي وثقافتي، وسـألته عن لغة لا تتآلف مفرداتهـا، ومعان تفر من بين السطور كلما حاولت الإمساك بأطرافها، فتتركها خاوية، فأجابني بأنه - هو وجماعته - يكتبون لزمن غير زمننا، وأن قيمة هذا الشـعر سيدركهـا جيل جـديـد غـيـرنـا.. أدركـت حـينذاك أننـا - للأسف - سنظل نُخدع برضـانا، ونُسرق بموافقتنا وتشـجيعنا، مـادمنا لا نسـتطيع إلا أن نقـرأ ونقـرأ، فنبتـهج مـرة ونتـألم مرات حـينما يسـرق أمثـال هؤلاء منًّا الوقت والجهد، ولا يمنحوننا غير الوهم.

كتب الحارث بن حلزة لزمن غـير زمنه.. وقبل أن ندرك أن قصيـدته تمثل وثيقة سياسيـة بديعة، كان أهل زمنه قد وعوها وحفظوها..

وكتب الجاهليون ومن تلاهم فسمعهم الناس قديمًا وحفظوهم.. ثم قرأناهم ووقفنا على مزيد من أسرارهم وخبايا فكرهم المتقدم.

ومازلنا نعيد قراءة ابن المقفع والجاحظ والتوحيدي والأصـفـهـاني، ونقـرأ المتنبـي وابن الرومي وأبا العـلاء وغيـرهم.. فتـأخذنا نشـوة الموسيقى ولذة المعـاني التي تلامس الحس وتوافق الـشعـور، فندرك صـدق مـقـولة المنفلوطي: «نظم الشعراء من عـهد الجاهلية الأولى إلى اليوم، فـمات جمـيع ما نظموا، ولم يـبق منه إلا البيت الموسيـقي الرنان الذي لو لم يُغنّه مـغنيـه لغنَّى وحـده، وسيمـوت شعر جميـع الشعر في هذا العصـر ولا يبقى منه في المستقبل إلا كما بقي من الماضي في الحاضر».

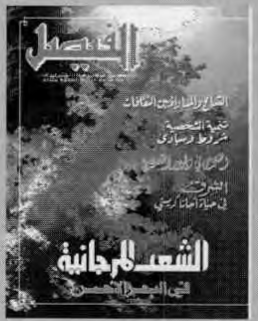
وأما الـشعـر الذي لا يأتيك بمعنى ولايحرك فـيك ساكنًا، فـلا حيـاة فيه ولا روح، وصـدق المنفلوطي في السيـاق نفسه حين قـال: «فإن وجدت صـاحبه واقـفًا بجـانبـه يحـاول أن يوسـوس لك أن وراء هذه الظلمـة الحالكة المتكاثفة نورًا متوهجًا يكمن في طياتها فكذِّبه، وفرّ بنفسك وأدبك وذوقك فورًا».

فـالأدب يستـمـد قوته وخلوده مما يـكمن فيـه من صدق التـجربة الإنسانية وتلقـائية التعبير لا من تعقـيد اللغة وزيف التجربة وانحـراف الفكر.. وإلا فلماذا نقرأ أدب الرافعي فـنحلّق معه، ونسـمو مع لغته وقـوة بيانه وصدق مـعانيـه بينما نقف مـرهقين ونحن نتتبع فكرًا مشوّهًا مضطربًا عند شاعر مثل أدونيس؟!

التلقائية في الأدب لا تعني الركاكة في الأسلوب، ولا السطحية في المعنى، ولا الاستـهتار بعقـل القارئ وذوقـه، لكنها الطبيـعة بأصـدق تجلياتهـا، والإنسانيـة بمعانيـها الفطرية تتـجاوز وطْء المادة الثقـيل على الروح والنفس. إنها - أخيرًا - الحنين إلى «الحياة».

مريم جبر
المحاضرة بقسم اللغة العربية
كلية البنات بنجران

عن الشرق في حياة أجاثا كريستي



هذه الرسالة إلى الفيصل الغراء للتعقيب على مقال الأستاذ صلاح الدين شعبان المعنون بـ «الشرق في حياة أجاثا كريستي»، المنشور في العدد 245.

وأجاثا كريستي هي من أشهر كتّاب الروايات البوليسية في قرننا الحالي، وكم كانت متعتي عندما كنت في ميعة الصبا وأتناول إحدى رواياتها بالقراءة، وكنت دائمًا أترقب قصصها التي كانت تصدرها دار الهلال بمصر في أعدادها الممتازة.

وقد بدأت أجاثا حياتها في مجال التمريض، وأخذتها صنعة الأدب، وكتبت أحلى رواياتها في مرحلة التجوال والترحال في ربوع عالمنا العربي.. في مصر، وسورية، والعراق، في أثناء مرافقتها زوجها الثاني عالم الآثار السير ماكس مالووان.

ولكن لي بعض النقاط التي أعقب بها على مقال الكاتب الأستاذ صلاح الدين شعبان:

أولاً: من ناحية تاريخ ميلاد أجاثا كريستي، وإن كانت هذه النقطة ليست مهمة إلى حد ما.

وثانيًا: من ناحية تناول مصر في سطور قليلة، وعدم التركيز عليها، ولا أدري ما السبب في ذلك، مع أنه تناول سورية والعراق، حتى يبيّن أثر الشرق في كتاباتها، على الرغم من أن مصر قد استهوتها منذ طفولتها المبكرة.

وثالثًا: لم يتناول تحليلاً لإحدى مسرحياتها الشهيرة، وهي مسرحية «مصيدة الفئران» مع أنها عُرضت على مسارح إنجلترا وأمريكا عشرات الآلاف من الليالي، وحققت شهرة عالمية لم تصادفها مسرحية أخرى لكاتب أجنبي آخر.

وعلى حياة هذه الكاتبة التي بلغ نتاجها أكثر من مئة قصة، وعشرين مسرحية تقريبًا، إلا أنها لم ترشح لجائزة نوبل العالمية في الأدب.

أما عن تاريخ ميلادها، فقد وُلدت في عام 1891م وليس في 1890م، كما جاء بالمقال محل التعقيب، وهذا ما أثبته الكاتب صلاح طنطاوي في كتابه «رحلة حب، ورحلة رعب مع أجاثا كريستي»، واسمها بالكامل أجاثا ماري كلاريسا كريستي. والدها أمريكي من نيويورك اسمه فردريك ميلر، وأمها إنجليزية من لندن.

وعشقت الكاتبة مصر منذ نعومة أظفارها، وأحبتها حبًا جمًا، وكتبت في ذلك كتابيها: «الموت يأتي كالنهاية»، و«جريمة على النيل». وهذا ما يدلل عليه الكاتب بقوله: «كقول أجاثا في سيرة حياتها التي نشرت عام 1976م بعد سنة من وفاتها في شتاء 1910-1911م، كنت مع والديّ في القاهرة.. لقد حاولت أمي أن توسع آفاقي واصطحابي إلى المتحف المصري لمشاهدة أمجاد الأقصر، إلاّ أنني عارضت يومها والدموع تترقرق في عيني، كانت عجائب الأقدمين آخر شيء وددت رؤيته».

وكانت الأم هي التي تولت تربيتها بعد وفاة والدها وهي طفلة صغيرة، وكانت امرأة ذكية ذات عقل متفتح، وشخصية قوية، وقلب كبير عامر بالحب والحنان، ولها قدرة هائلة على خلق الحماسة في نفوس أطفالها لأي موضوع.

وسنعطي في عجالة وجيزة نبذة عن فحوى الرواية الأولى التي كتبتها عن مصر وهي «الموت يأتي كالنهاية»، وهذه الرواية تجري أحداثها في طيبة القديمة، وهي تحكي مأساة أسرة مصرية تعيش في طيبة. وقد قالت أجاثا كريستي في مقدمة الطبعة الأولى لهذه الرواية: «ولدت فكرة هذه الرواية في أثناء حفل عشاء جمعني مع بعض الأصدقاء، وكان بينهم عالم آثار مصرية، وقد تحداني بقوله: هل تستطيعين كتابة رواية بوليسية تحدث في مصر الفرعونية؟ وقد عدت ليلتها إلى منزلي وأنا ممتلئة بروح التحدي والعناد، والرغبة في تحقيق المستحيل. وفي الصباح التالي ذهبت إلى المكتبة العامة، ثم عدت ومعي ثمانية مجلدات عن تاريخ مصر الفرعونية، وعكفت على دراستها في الأيام التالية غير شاعرة بالحرب التي كانت تدور في إنجلترا في ذلك الوقت. سحرني تاريخ مصر، وأحاطت بي أرواح الفراعنة الأقدمين، والجو المصري الغامض الرائع.. استقررت أخيرًا عند أسرة أحد كهنة (كا) من الأسرة الحادية عشرة، وأخذت أنسج حول هذه الأسرة الحياة التي تخيلتها لها. ويومًا بعد يوم بدأ أفراد الأسرة الذين ابتدعهم خيالي يعيشون معي ويمارسون حياتهم الوهمية التي كتبت عنها الرواية؛ ولعل صديقي عالم الآثار المصرية الذي استفزّني لكتابة هذه الرواية ندم بعد ذلك على تحديه، لأنها (جاءت على دماغه)، إذ لم أكف ساعة عن رفع سماعة الهاتف لأسأله عشرات الأسئلة، مثل: أي نوع من الزهور كانت الأسرة المصرية تضعها في الفناء؟ ماذا كانت تتكون وجبة الغذاء العادية؟ ما هو الوقت المناسب لتناول وجبات الطعام الثلاث؟ هل تستطيع أن ترسل لي أسماء الرجال والنساء في ذلك الزمن؟ أي نوع من الحلوى كان يتناوله الأطفال؟ إلى غير ذلك من الأمثلة. وأخيرًا تمت الرواية، وتم نشرها وتوزيعها...».

وأما الرواية الثانية «جريمة على النيل»، وهي

التي كتبتها كريستي عن مصر فقد بدأتها في لندن وانتهت الأحداث في مصر. وهذا كله يُدل على العشق لمصر والحب لها ولجوها، ولآثارها الموجودة في كل أرجائها.

ويتساءل المرء: هل هناك دليل على حب كريستي لمصر وعشقها لها أكثر من كتابتها روايتين عنها؟ وهو ما لم يحدث لأي بلد من بلاد العالم.

وأما عن أنها لم تُمنح جائزة «نوبل» في الأدب، فإني أعتقد أن أي جهة معنية بذلك لم ترشحها لنيل هذه الجائزة، وإن كانت تستحقها عن جدارة. وقد مُنحت جوائز وأوسمة من الحكومة الإنجليزية، ومن ذلك أنها عندما بلغت الثمانين من عمرها منحتها ملكة إنجلترا أكبر وسام في الدولة، بعد العديد من الأوسمة التي نالتها في أثناء حياتها الطويلة.

ولقد كتب الصحفي كمال الملاخ مقالاً عن أجاثا كريستي بعنوان: «كاتبة الرعب تطفئ 80 شمعة اليوم»، ونشرته جريدة «الأهرام» المصرية، ومما جاء فيه: «اليوم أيضًا تمر 18سنة على العرض الذي يجري كل ليلة بصفة مستمرة لمسرحيتها البوليسية «مصيدة الفئران» على خشبة مسرح الأمبسادور في لندن، يُرفع الستار الليلة للمرة الـ 7398 عن المسرحية التي يتوالى على تمثيل أحداثها جماعات من الفنانين ممثلين وممثلات، ومخرجين، وفنيين، والعرض مستمر لا يتوقف...».

لقد عاشت عاشقة مصر أكثر من ثمانين عامًا أنتجت فيها أكثر من مئة رواية وقصة، وعشرين مسرحية، وهي حياة غنية جدًا لكاتبة مثل أجاثا كريستي.. وقد مُثِّلت معظم هذه الروايات وعُرضت في دور السينما الإنجليزية والأمريكية، وقُدِّمت مسرحياتها على أكبر مسارح إنجلترا وأمريكا.

إبراهيم عبدالوهاب شرف
مدير الإدارة القانونية بجامعة المنصورة الدقهلية، مصر.

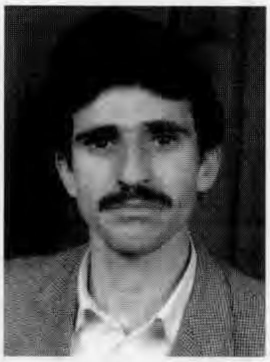
قصيدة

ومضات.. في ليل الحزن

شعر: **حسين أحمد النجمي**

أهدهد حرفًا قد تضمَّخ بالشذى
وأكتب أسرار الهباء على الرملِ
وأمتشق الفكر المضيء من الصدى
وأسمو به عن عالم النشوة السفلي
فإن سامني في موئل الذل مرجفٌ
ففي صحوة الإشراق وعدٌ مع العدلِ
أنا المشعل الساري على كل صافنٍ
وكل دروب المجد تعرفها رجلي
أنا الجبل المشوق يعرف قامتي
وإن كانت الأقدام تغرز في السهلِ
فلا تسألوني أن أنام على القذى
ولا تسألوا الآداب والعلم عن عقلي
أنا الأسدي الأصل أهلي خُزيمةٌ
تخاف الأسود المستثيبات من شبلي
أنا البدويُّ القُح ليس بعيدةٌ
عليَّ النجوم الزهر فهي سنا أهلي
فلو عثرت يمناي في هزعة الدُجى
فمن لم يصارع موجة الحزن من قبلي
قبستُ السنا من مشرق الشمس مُتْهِمًا
وأسللتُ وهج المشرفي على الجهلِ
ألملمُ أوراقي وأنثر عطرها
على البيد عَلِّي أن أرى روضةً تُسلي
هو الحزن مهما طال في القلب ليلُهُ
فلا بد من فجرٍ به الفرح يستعلي

ضرورة الخروج من المراهقة الشعرية



حسين علي الهنداوي

الشعر رؤيا واستبصار فني ومخاض إنساني وجلاء للروح، وموقف من الحياة والناس والمجتمع، إنه ثورة على الذات والغير، ثورة على القيم البالية المهترئة، وولوج في قيم الحق والخير والجمال.

والشاعر هو المحاور الوحيد الذي يخرجك من منظور الواقع إلى فضاء الغيب.

بيده مفتاح النّغم، وفي كلماته مسقط التجربة الشعورية، وفي وجدانه عذاب الآخرين. لقد وُلِدَ الفن، وانبثق من مرآة الخلق الأول، وأصبحت الذات الإنسانية قطب الوجود وتهويمات الصمت في عمق اللاوجود.

وإنَّ كَوْنَ الشعراء نطفة الفكر الإنساني الذي كان أمشاجًا في عمق المادة، جعل روح الشعراء تتمرَّد على صيحات الشياطين التي تنطلق من هنا وهناك معلنةً سقوطَ كلِّ ما عدا الشعر؛ وإنَّ كون الشعراء هم الناطق الرسمي في لا وعي الأمة، وعقلها الباطن يجعل الحياة سفرًا مفتوحًا من الانصعاق الروحي الذي لم يكن قبل حركة الشعر الوجدانية شيئًا مذكورًا.

لا أريد أن أحمل القارئ البكر إلى آفاق الحداثة التي ينفخ معظم الشعراء في بوقها المثقوب دون أن يعوا حقيقتها، وإنما أريد أن يطير هذا القارئ معي على جناحين من الخيال الواقعي ليصل إلى فردوس الشعر المفقود، أو مملكة الحب الأبدية، أو الصمت، أو الموت، أو القحط، والتصحر الذي يعيشه إنسان هذا العصر المرفوع على أوهام الشكلية التي تهرب من الثبات إلى السقوط في مستنقع السادية أو النرجسية.

إن الحديث عن الإنسان هو الحديث عن الشعر؛ فهما صنوان باقيان على مرِّ الحياة. إن فجيعة غياب الحقيقة عن واقع الإنسان تدعوه لأن يُعِدَّ للحقيقة عدَّتها، وأن يبكي بكاء الخنساء على صخر، أو قُلْ أنْ يذوي أمام صمت رثاء ابن الرومي لولده.

لقد كان الحب والشعر والحقيقة أثافيّ الحياة الراسخة التي لا ترتكز مراجل الخير إلا عليها، ولكم بكى امرؤ القيس ضياع ملكه، ونسي أنه إنما يبكي عدم انتمائه لهذه الأمة التي ما فتئت تقضم أصابعها ندمًا على قتل الغيلة وبكاء الأندلسيات وصراع الجنوب والشمال.

أيُّ ضياع هذا الذي يعيشه الشعر في زمن ضاعت فيه حدود المعقولية، وصار الإنسان مصابًا بداء الازدواجية والمازوخية، وتحولت حركة الحياة إلى دائرة ضيقة تشبه الدائرة التي يدور فيها ثور الساقية. لا أريد أن أتباكى على أطلال الشعر، فتلك سمة العاجزين، وإنما أريد أن أقترح على الشعراء والمبدعين ألا يعطوا أنفسهم براءة ابتكارات ما زالت في عالم الغيب، ومشاريع لإشباع الفقراء والجائعين لم تخطط بعد. إن تشكيل أي فضاء لأي نص شعري روحيًا يحتاج إلى حركة إنسانية تستبعد شعراء الأنابيب أولاً، والقصائد اللقيطة ثانيًا، وفنون الأدب التي جاءت سفاحًا ثالثًا، دون أن يكون هناك عقود أصالة.

لقد اتُّهم الجاهليون بالبساطة والسذاجة؛ لأنهم فهموا الأدب كما فهموا الصحراء، ونسينا نحن المتمرِّسين بفن إسقاط التهم أن الغوغائية والدعاوى غير الصادقة في الشعر والواقع هي التي جرتنا إلى مسارح صراع الثيران، أو قل إلى مكاشفة السحرة والعرَّافين أن الشعر أصبح المفتاح السحري لمغاليق الحياة.

أيةُ تهمة يمكن أن نلصقها بالأدب وقد أطبقَ على شفاه الحقيقة، وصارت الأيدي نواقيس استجابة واقعة.

إن أمراض الجهاز العصبي للشعر، وعلاقة هذه الأمراض باضطراب لغة الحقيقة، يجعل الشعراء مصابين باضطرابات اللغة التعبيرية واللغة الاستقبالية والاكتئاب الحسي والنفسي، ومن ثم الوقوع تحت وطأة الفصام الوجداني. لن أقول كما يزعم الكثيرون: إن الكثير من شعراء هذا العصر يحتاجون إلى عيادات نفسية لردّهم إلى سوية الحياة، أو إلى مصحات فكرية؛ بل لا بدَّ أن أقف في صف الداعين إلى ضرورة الخروج من المراهقة الشعرية والأدبية إلى تحمل المسؤوليات بكل إخلاص: أمانة مسؤولية الاطلاع على صناعة الأدب، ومسؤولية حمل أمانة الكلمة؛ لأن الكلمة الصادقة المخلصة الأمينة هي عُدَّة الأديب وسلاحه في مواجهة العبثية، فالله عز وجل يقول: *ألمْ ترَ كيفَ ضَرَبَ اللَّهُ مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السَّماء*. إبراهيم: 24.